
٥٥٧٦
٩١

٢١٨
شرح الحكم العطائيه لابن عطاء الله السكندري، تاليف ابن
ش ع عباد، محمد بن ابراهيم - ٧٩٢هـ، بخط احمد بن
الحوراني سنة ٩٨٠هـ .
٥٥٣٦ ٢٤٨ق ٢١س ٥ر٢٠×١٥سم
نسخة جيده، خطها تعليق مقروء باخرها فائده
طبع .
الاعلام ط٤ ٢٩٩:٥ نشره دار الكتب المصرية ٢:٥٧:١
أ - الشعائر والتقاليد والأخلاق الاسلامية أ - المؤلف
ب - الناسخ ج - تاريخ النسخ د - غيث المواهب العليه في
شرح الحكم العطائيه لابن عطاء الله السكندري

٥٥٢٦

[redacted]

مكتبة جامعة الملك سعود "قسم المخطوطات"
الرقم: ٥٥٣٦ ف ١١٥٧/٢
العنوان: شرح الحكم العطائية لابن عطاء
المؤلف: ابن عباد، محمد بن ابراهيم
تاريخ النسخ: ٩٨٠ هـ
اسم الناسخ: أحمد بن الحوراني
عدد الأوراق: ٢٤٨ ق
ملاحظات:

وجد بحرين حروف او

وجد بحرين حروف اولدرك

وقد قال

الحمد لله الموفق للصواب

الحمد لله الموفق لله

وجد بحرين حروف اولدرك

شرح الحكم للمولاه محمد بن ابراهيم بن عباد النفزي   الحمد لله الموفق للصواب

تحمدو ابن القطرانه ولكنه

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

هو الله الذي لا اله الا هو







بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا
محمد وآله وصحبه وسلم قال العبد الفقير الى الله المعتمد
في غفران ذنوبه على الله محمد بن ابراهيم بن عباد النفزي
لطف الله سبحانه به الحمد لله المنفرد بالعظمة والجلال المتوحد
باستحقاق نعوت الكمال المنزه عن الشركاء والنظراء
والامثال المقدس عن سمات الحدث من التغير والانتقال
والانفصال والاتصال عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال
والصلاة على سيدنا محمد الهادي من الضلال وعلى آله واصحابه والسلام
الذين خلصت لهم الاعمال وصفت لهم الاحوال وعلى جميع
من اتبعهم فيما لهم من محاسن الصفات ومحامد الخلال
وسلم تسليما كثيرا اما بعد فانا لما رأينا كتاب الحكم المنسوب
للشيخ الامام المحقق العارف المحقق الولي ابي الفضل تاج الدين
احمد بن محمد بن عبد الكريم بن عطاء الله الاسكندري رضي الله
عنه ونفعنا به من افضل ما صنف في علوم التوحيد واجل ما اعتمده
بالتفهم والتحفظ كل سالك ومريد لكونه صغير الحجم عظيم العلم
ذا عبارات رائقة ومعان حسنة فايقة قصد فيها الى ايضاح
طرقات العارفين والموحدين وابانة منهاج السالكين والمتجردين
اخذنا في وضع تنبيه يكون كالشرح لبعض معانيه الظاهرة وكالكشف
للمعة يسيرة من انواره الباهرة وما تضمنه من لباب الالباب
لان كلام الاولياء والعلماء منطو على اسرار مصونة وجواهر
حكم مكنونة لا يكشفها الا هم ولا يتبين حقايقها الا بالتلقي عنهم
ونحن

الجرم

ونحن في هذه الكلمات التي نوردها والمناحي التي نقصدها غير
مرعيين لشرح كلام المؤلف ولا ان ما نذكره فيه هو حقيقة
مراده حسبما يفعله كل مصنف فانا لو ادعينا ذلك كان منا
اساءة ادب يؤول بنا والعياذ بالله الى العطب وكنا قد تعرضنا
للخطر والضرر في تعاطينا ما لا يليق بنا من شرح كلام السادة
من اهل الله تعالى من غير خوف ولا حذر وانما نورد ذلك على
حسب ما فهمناه من كلامهم وما انتهى الينا علمه من مذاهبهم
فان وافقنا فيه حقيقة الامر وعثرنا على مكنون السر كان ذلك من
النعم التي لا نحصي لها شكرا ولا نقدر لها قدرا وان خالفنا ذلك
ولم نهتد الى تلك المسالك احلناه على نقصنا وجهلنا وانتفى
عنا التغرير بقولنا وفعلنا واقتصر الامر على عيبنا وكانوا هم
مبرئين مما قلنا ودونا فالحرم اذ كان هذا مقصدنا وجود السلامة
التي جعلناها معتمدنا فينبغي لنا ان نقدم كلام المؤلف رحمه
الله مستوفى ثم نتبعه كلامنا بصيغة الخبر او الدعوى فنأتي فيه
بعبارة ابسط من عبارته واشارة اجلى من اشارته ليفهم
بذلك ما عندنا في تفسير ما ذكره لا انه تفسيره حقيقة ومقصوده
ونذكر في اثنائه كثيرا مما ناسب عندي الكلام المنبه عليه لتتم
بذلك الفائدة في الغرض المتوجه اليه وما ظهر لنا في كلامه من تكرار
معاني وتداخل فروع ومباني رايت التنبيه عليه كالمعرض واحلنا
بعضه على بعض وعلى الناسخ لهذا المجموع ان يتبع فيه ما رسمناه
ويكتب كلام المؤلف بصبغ مخالف لونه لون ما يكتب به سواه او ينبه

خالفنا
في ذلك

بقلمين مختلفين في الغلظ والرقة ويوفي في ذلك كلا منهما حقه ليكون
ذلك اقرب الى الحصول المرام واستخراج فائدة ترتيب الكلام
والله الموفق لا رب غيره ولا خير الا خيره والذي حملني على [صنعه] و
تكلفي تصنيفه وجمعه بعد تقدم ارادة الله تعالى التي تغلب
وتقديره الذي ليس للعبد منه منجا ولا مهرب ثم الرأي الذي
رأيناه من المقاصد المعظمة ونبهنا عليه في صدر هذه المقدمة
الحاح بعض الاصحاب في ذلك علي وترداده بالمسألة الي لكونهم
على اعتقاد صحيح في هذه الطريقة ومحبة خالصة لاهل الحقيقة
فاسعفتهم بما طلبوه وحققت لهم الامل فيما رغبوه كما شاء الله
وحكم وقضى به علينا وحتم نفعنا الله وإياهم بما يجري منه
على ايدينا ولا جعله حجة عليهم ولا علينا ونحن نستغفر الله تعالى
مما تعاطيناه من الامر العظيم واقتحمناه من الخطر الجسيم ونستعيذ
به من الوقوع في حبائل العدو الرجيم ونسأله توفيقا يوقفنا
على جادة الاستقامة ويصرفنا عن الهوى بما يعقب ملامة وندامة
ونرجوه مع هذا أن يمن علينا بالانتماء الى مذاهبهم والانتساب
الى كرائم مناسبهم والتعلق باذيالهم ومحاولة التشبه على سوء [لهم]
ويرزقنا شيئا من تعظيمهم وحبهم وقسطا من تكريمهم وبرهم
ان لا يحرمنا من شفاعتهم ولا يخرجنا من كنفهم ولا بينهم ولا يطردنا
عن بابهم الكريم ولا يصرفنا عن منهجهم القويم فهم القوم
لا يشقى جليسهم لي سادة من عزهم اقدامهم فوق الجباه
ان لم اكن منهم فلي في ذكرهم عز وجاه اللهم نتوسل اليك [بهم] بحبهم

فانهم

فانهم احبوك ولم يحبوك حتى احببتهم فبحبك اياهم وصلوا
الى حبك ونحن لم نصل الى حبهم فيك الا بحبنا منك فتمم لنا ذلك
حتى نلقاك يا ارحم الراحمين وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد
خاتم النبيين وعلى آله الطيبين الطاهرين وتابعيهم باحسان
الى يوم الدين وسلم عليهم كثيرا وهذا حين ابتدي وبالله [نفعنا به]
التوفيق والهداية الى سواء الطريق قال المؤلف رحمه الله

من علامة الاعتماد على العمل نقصان الرجاء عند وجود الزلل

اقول الاعتماد على الله نعت العارفين الموحدين والاعتماد على
غيره وصف الجاهلين الغافلين كائنا ما كان ذلك الغير
من علومهم واعمالهم واحوالهم اما العارفون الموحدون
فانهم على بساط القرب والمشاهدة ناظرون الى ربهم فانون عن
انفسهم فاذا وقعوا في زلة او اصابتهم غفلة شهدوا تصريف
الحق تعالى لهم وجريان قضائه عليهم كما انهم اذا صدرت
منهم طاعة او لاح عليهم لائح من يقظة لم يشهدوا في ذلك انفسهم
ولم يروا فيها حولهم ولا قوتهم لان السابق الى قلوبهم ذكر
ربهم فانفسهم مطمئنة تحت جريان اقداره وقلوبهم
ساكنة بما لاح لها من انواره ولا فرق عندهم بين الحالين
لانهم غرقى في بحار التوحيد وقد استوى خوفهم ورجاهم
فلا ينقص من خوفهم ما يجتنبونه من العصيان ولا يزيد
في رجائهم ما يأتون به من الاحسان قال شارح المجالس
العارفون قائمون بان الله قد تولى امرهم فاذا ظهر منهم

طاعة لم يرجوا عليها ثوابا لانهم لم يروا انفسهم عمالا لها وان
ظهرت منهم زلة فالدية على العاقلة لم يشاهدوا غيره في الشدة
والرخا فنيا منهم بالله ونظرهم اليه وخوفهم هيبته ورجاهم
الانس به انتهى واما غيرهم فبقوا مع نفوسهم في نسبة
الافعال اليها وطلب الحظ لها عليها فاعتمدوا على اعمالهم وسكنوا
الى احوالهم فاذا وقعوا في زلة نقص بذلك رجاهم وانهم اذا
عملوا طاعة جعلوها من اعظم عددهم واقوى معتمدهم فتعلقوا
بالاسباب وحجبوا بتشرفهم بها عن رب الارباب فمن وجد هذه
العلامة في نفسه فليعرف منزلته وقدره ولا يتعدى طوره
فيدعي مقامات الخاصة من المقربين وانما هو من عامة اصحاب
اليمين وسياتي ان شا الله تعالى اشارات الى هذا المعنى
في مواضع من كلام المولف رحمه الله وقد ذكره الشيخ ابو عبد
الرحمن السلمي والحافظ ابو نعيم الاصفهاني عن يوسف بن الحسين
الرازي رضي الله عنهم قال عارضني بعض الناس في كلام وقال
لا تنتدر كم مرادك من عملك الا ان تتوب فقلت مجيبا لو ان
التوبة تطرق بابي ما اذنت لها على انجو بها من ربي ولو ان الصدق
والاخلاص كانا عبدين لي لبعتهما زهدا فيهما لاني ان كنت عند
الله في علم الغيب سعيدا مقبولا لم اتخلف ~~مخذولا~~ لم باقتراف
الذنوب والماثم وان كنت عنده شقيا مخذولا لم تسعدني
توبتي واخلاصي وصدقي وان الله خلقني انسانا بلا عمل ولا شفيع
كان لي اليه وهداني لدينه الذي ارتضاه لنفسه فقال ومن يبتغ

غير

غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الاخرة من
الخاسرين فاعتمادي على فضله وكرمه اولى لي ان كنت
حرا عاقلا ~~لا مقابلة فضله وكرمه~~ من اعتمادي على افعالي
المدخولة وصفاتي المعلولة لان مقابلة فضله وكرمه
بافعالنا من قلة المعرفة بالكريم المتفضل قلت هذه
الحكاية وامثالها ربما تقرع سمع من لا حقيقة عنده
من طريق القوم فينكر معناها ولا يعتقده او يسلمه
ويدعيه مقاما لنفسه وكلتا الحالتين مودية بصاحبها
الى ضرر وخطر فليتق الله تعالى عبد ليس له بصر في
هذه الطريقة ان ينكر ما ذكرناه فيقع في الاعتراض
على السادة والاولياء وفي ذلك بعده من الله تعالى او يدعي
مقاما لنفسه من غير ان يستظهر عليها ويتوثق منها ويزنها
بالمعيار الذي نبهنا عليه ومحال وجود ذلك ممن لم يصح
مقام الفنا عن النفس فيرتكب حينئذ مساخط الله تعالى
ويتعدى حدوده ويجعل ذلك حجة لنفسه غلطا وجهلا
وهذا باب من الزندقة والعياذ بالله تعالى

**ارادتك التجريد مع اقامة الله تعالى اياك في الاسباب
من الشهوة الخفية وارادتك الاسباب مع اقامة الله تعالى
اياك في التجريد انحطاط عن الهمة العلية** الاسباب ههنا
عبارة عما يتوصل به الى غرض ما ينال في الدنيا والتجريد
عبارة عن عدم تشاغله بتلك الاسباب لاجل ذلك فمن اقامه

الله تعالى في الاسباب واراد هو الخروج منها فذلك من
شهوته الخفية وانما كان من الشهوة لعدم وقوفه مع مراد الله
تعالى وارادته هو خلاف ذلك وانما كانت خفية لانه لم
يقصد بذلك نيل حظ عاجل وانما قصد بذلك التقرب
الى الله تعالى بكونه على حال هي اعلى بزعمه لكن فاته الادب
بعدم وقوفه مع مراد الله تعالى في اقامته اياه فيما اقامه
فيه وتطلعه الى مقام رفيع لا يليق به في الوقت وعلامة اقامته
اياه في الاسباب ان يدوم له ذلك وان يحصل له ثمرته ونتيجته
وذلك بان يجد عند اشتغاله بالاسباب سلامة في دينه وقطعا
لطمعه عن غيره وحسن نية في صلة رحم او اعانة فقير معدم
الى غير ذلك من فوائد المال المتعلقة بالدين ومن اقامه
الحق تعالى في التجريد واراد الخروج منه الى الاسباب فذلك
من انحطاط همته وسوء ادبه وكان وقوفا مع شهوته الجلية
لان التجريد مقام رفيع اقام الحق تعالى فيه خواص عباده من
الموحدين والعارفين فاذا اقامه الحق تعالى مقام الخواص
فلم ينحط عن رتبتهم الى منازل اهل الانتقاص قال الشيخ
ابو عبد الله القرشي رضي الله عنه من لم يانف من مشاركة
الاضداد في الاسباب فهو خسيس الهمة وعلامة اقامته اياه
في التجريد ما ذكرناه من الدوام ووجدان الثمرة ومن ثمرات
ذلك حينئذ رقة المتجرد وصفاء قلبه ووجدان راحته من ملابسة
الخلق ومخالطتهم والهمة حالة للقلب وهي قوة ارادة وغلبة

انبعاث

انبعاث الى نيل مقصود ما وتكون عالية ان تعلقت بمعالي
الامور وسافلة ان تعلقت باداينها قال الشاعر
وقايلة لم علتك الهموم   وامرك ممتثل في الامم
فقلت ذريني على حالتي   فان الهموم بقدر الهمم وقال اخر
اذا اعطشتك اكف اللئام   كفتك القناعة شبعا وريا
فكن رجلا رجله في الثرى   وهامة همته في الثريا
وما ذكرته من معاني الاقامة في نوعي الاسباب والتجريد
هو شيء فهمته مما يقوله بعد هذا من علامة اقامة الحق
لك في الشيء ادامته فيه مع حصول النتائج فالله اعلم وقد
ذكر في التنوير هذه المسالة بنصها حكاية عن هذا الكتاب
وقال باثره وافهم رحمك الله ان من شان العدو ان ياتيك
فيما انت فيه مما اقامك الله فيه فيحقره عندك
لتطلب غير ما اقامك الله فيه فيشوش على قلبك ويتكدر
وقتك وذلك انه ياتي للمتسببين فيقول لو تركت
الاسباب وتجردت لاشرقت لك الانوار ولصفت منك
القلوب والاسرار وكذا وكذا صنع فلان وفلان
ويكون هذا العبد ليس مقصودا بالتجريد ولا طاقة له
به انما صلاحه في الاسباب فيتركها فيتزلزل ايمانه
ويذهب ايقانه ويتوجه الى الطلب من الخلق والى
الاهتمام بالرزق فيرمى في بحر القطيعة وذلك قصد العدو
منه لانه انما ياتيك في صورة ناصح كما اتى ابويك فيما اخبر الله

نعم
كل

فنقلناه بلفظه ووددنا لو ان جميع مسائله تكون هكذا
سوابق الهمم لا تخرق اسوار الاقدار
الهمم السوابق هي قوى النفس التي ينفعل عنها بعض
الوجودات باذن الله تعالى وتسميها الصوفية همة
ويقولون احال همته على امر ما فانفعل له ذلك وهذه
الهمم السابقة وهو معنى قولنا باذن الله تعالى فهي على حال
سبقيتها ونفوذها لا تخرق اسوار الاقدار ولا تنفذها
وهذه الهمم قد تكون للاولياء كرامات وقد تكون
لغيرهم استدراجا ومكرا كما تكون للمعاين والساحر
وقد ثبت ان العين والسحر حق ومعناه انها اسباب
لا تاثير لها ولا فاعلية وان الفاعل هو الله وحده عندها
لا بها وكان المولف رحمه الله انما اورد هذه المسلة
بين يدي كلامه في التدبير ليعرفك بذلك ان وجود التدبير
لا جدوى له ولا فائدة لان الهمة الفعالة اذا لم تنفذ
في خرق اسوار الاقدار شيئا كيف يفيد ذلك التدبير
وما لا فائدة فيه فضول لا ينبغي ان يشتغل به ويتعب فيه
ذوو العقول ولذلك قال **ارح نفسك من التدبير فما**
قام به غيرك عنك لا تقم به لنفسك تدبير الخلق
لامور دنياهم على الوجه الذي نقوله مذموم لان الله
تعالى قد تكفل لهم بذلك وقام به عنهم وطالبهم ان يفرغوا
قلوبهم منه ويقوموا لحق عبوديته دون تكلفاته وهو
ان

لا تنفعل الاشياء عنها الا بالقضاء والقدر

ما ذكرناه وحاصل ذلك انه يجب ان يعتقد

ان يقدر العبد لنفسه شئونا يكون عليها من امور
على ما تقتضيه شهوته وهواه ويدبر لها ما يليق
بها من احوال واعمال ويتعب لذلك ويهتم لاجله
وهذا تعب عظيم يعجله لنفسه ولعل الذي يقدره
لا يقع فيخيب ظنه ويبطل سعيه لما فيه من ترك
العبودية ومضادة احكام الربوبية ومنازعة
القدر واضاعة العمر ما يحمل العاقل على تركه واجتنابه
وقطع مواده واسبابه قال سهل بن عبد الله رضي الله
عنه ذروا التدبير والاختيار فانهما يكدران على
الناس عيشهم وقال ابو الحسن الشاذلي رضي الله عنه
ان كان ولا بد من التدبير فدبروا ان لا تدبروا وهذه
المسلة اساس طريق القوم بالغ جملته وكليته
والكلام فيها طويل عريض وانما اقتصرنا فيها على هذا
القدر اليسير من التنبيه لان المولف رحمه الله افرد
في هذا المعنى كتابا سماه التنوير في اسقاط التدبير احسن
فيه غاية الاحسان وقرب الامر فيه بحيث يستغنى به
عما صنف في هذا الطريق من دواوين فتحصيله متعين
على كل مريد نجيب **اجتهادك فيما ضمن لك وتقصيرك**
فيما طلب منك دليل على انطماس البصيرة منك
الشيء المضمون للعبد هو رزقه الذي يحصل له به قوام
وجوده في دنياه ومعنى كونه مضمونا ان الله تعالى تكفل

بذلك وفرغ العباد عنه ولم يطلب منهم الاجتهاد في السعي
فيه ولا الاهتمام له والشيء المطلوب من العبد هو العمل
الذي يتوصل به الي سعادة الاخرة والقرب من الله
تعالي من عبادات وطاعات ومعني كونه مطلوبا انه
موكول الي اكتساب العبد له واجتهاده فيه ومراعات
شروطه واسبابه واوقاته بهذا جرت سنة الله
تعالي في عباده قال الله تعالي في المعني الاول الذي ضمنه
للعبد وكاين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها
واياكم وقال تعالي في المعني الثاني الذي طلب منه وان
ليس للانسان الا ما سعي وقد روي في بعض الاثار
عن الله تعالي عبدي اطعني فيما امرتك ولا تعلمني فيما
يصلحك وذكر في الخبر عن رسول الله صلي الله عليه وسلم انه قال
ما بال اقوام يشرفون المترفين ويستخفون بالعابدين
ويعملون بالقران ما وافق اهواهم وما خالف اهواهم
تركوه فعند ذلك يومنون ببعض ويكفرون ببعض
يسعون فيما يدرك بغير سعي من القدر المقدور والاجل
المكتوب والرزق المقسوم ولا يسعون فيما لا يدرك
الا بالسعي من الخير الموفور والسعي المشكور والتجارة
التي لا تبور وقال ابرهيم الخواص العلم كله في كلمتين
لا تتكلف ما كفيت ولا تضيع ما استكفيت فمن قام بهذا الامر
علي ما ينبغي له من الوجه الذي ذكرناه من الاجتهاد في الامر

المطلوب

بيان [illegible] بما

المطلوب منه وتفريغ القلب من الامر المضمون له فقد
انفتحت بصيرته واشرق نور الحق في قلبه وحصل علي
غاية المقصود ومن عكس هذا الامر فهو مطموس البصيرة
اعمي القلب وفعله دليل علي ذلك والبصيرة ناظر القلب
كما ان البصر ناظر العين وناظر القلب انما ينظر الي العاقبة
والعاقبة للمتقين فالتقوي هي التي يجب علي العبد ان
يجتهد فيها لا غير وتعبير المولف رحمه الله تعالي
بالاجتهاد اشعار بان طلب الرزق من غير اجتهاد غير
مقصود بالكلام وهو كذلك لانه مباح وماذون فيه
فلا يدل ذلك علي انطماس بصيرة صاحبه الا ان اقترنت
به تقصير فيما امر به قال في التنوير وامر اهلك
بالصلاة واصطبر عليها لا نسالك رزقا نحن نرزقك
اي قم بخدمتنا ونحن نقوم لك بقسمتنا وهما شيان شيء ضمنه
الله لك فلا تتهمه وشيء طلبه منك فلا تهمله فمن اشتغل
بما ضمن له عما طلب منه فقد عظم جهله واتسعت غفلته
وقل ما يتنبه لمن يوقظه بل حقيق علي العبد ان يشتغل
بما طلب منه عما ضمن له اذا كان سبحانه قد رزق اهل
الجحود كيف لا يرزق اهل الشهود اذا كان سبحانه قد
اجري رزقه علي اهل الكفران كيف لا يجري رزقه علي
اهل الايمان فقد علمت ايها العبد ان الدنيا مضمونة لك
اي مضمون لك منها ما يقوم باودك والاخرة مطلوبة منك

بيان عكس

8
ولا يتوانا ويقصر فيما يمنع منها ع

وقد قال رسول الله صلي الله عليه وسلم من اصبح وهمه الدنيا شتت الله عليه امره وفرق عليه ضيعته وجعل فقره بين عينيه ولم ياته من الدنيا الا ما كتب له ومن اصبح وهمه الاخرة جمع الله همه وحفظ عليه ضيعته وجعل غناه في قلبه واتته وهي راغمة
وهذا الحديث في الاحيا للغزالي

اي العمل لها لقوله سبحانه وتعالى وتزودوا فان خير
الزاد التقوى ولكنو يثبت لكم عقل او بصيرة واهتمامكم
فيما ضمنت لكم اقتطعكم عن اهتمامكم بما طلب منكم من امر الاخرة
حتى قال بعضهم ان الله ضمن لنا الدنيا وطلب منا الاخرة
فليته ضمن الاخرة وطلب الدنيا انتهى لا يكن تاخير
امد العطا مع الالحاح في الدعا موجبا ليأسك فهو ضمن
لك الاجابة فيما يختار لك لا فيما تختار لنفسك وفي الوقت
الذي يريد لا في الوقت الذي تريد حكم العبد ان لا
يتخير شيا على مولاه ولا يجزم بصلاحية حال من الاحوال
له لانه جاهل من كل وجه فقد يكره الشي وهو خير له
ويحب الشي وهو شر له قال سيدي ابو الحسن رضي الله عنه
لا تختر من امرك شيا واختر ان لا تختار وفر من ذلك
المختار ومن فرارك اليه ومن كل شي الى الله تعالى
وربك يخلق ما يشا ويختار ودخل رجل على سيدي ابي العباس
المرسي رضي الله عنه وهو متالم لما به فقال ذلك الرجل
عافاك الله يا سيدي فسكت ولم يجاوبه ثم سكت ذلك الرجل
ساعة وقال الله يعافيك يا سيدي فقال الشيخ ابو العباس
وانا ما سالت الله العافية فقد سالته العافية والذي
انا فيه هو العافية رسول الله صلى الله عليه وسلم قد سال
العافية وما زالت اكلة خيبر تعاودني والان قد قطعت
ابهري ابو بكر الصديق رضي الله عنه سال العافية وبعد
ذلك

ذلك مات مسموما عمر رضي الله عنه سال الله العافية
وبعد ذلك مات مطعونا عثمان رضي الله عنه سال
الله العافية وبعد ذلك مات مذبوحا علي رضي الله عنه
سال الله العافية وبعد ذلك مات مقتولا فاذا سالت
الله العافية فسال العافية من حيث يعلمها لك انها
عافية انتهى فعلى العبد ان يسلم نفسه الى مولاه ويعتقد
ان الخيرة له في جميع ما به يتولاه وان خالف ذلك مراده
وهواه فان دعا وطلب من مولاه شيا يرى ان له فيه
مصلحة ايقن بالاجابة لا محالة قال الله تعالى وقال
ربكم ادعوني استجب لكم وقال تعالى واذا سالك عبادي
عني فاني قريب اجيب دعوة الداعي اذا دعان وعن جابر
رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
ما من احد يدعو بدعا الا اتاه الله ما سال او كف عنه
من السوء مثله ما لم يدع باثم او قطيعة رحم وعن انس
رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ما من داع يدعو
الا استجاب الله دعوته او صرف عنه مثلها سوءا وحط
من ذنوبه بقدرها ما لم يدع باثم او قطيعة رحم فاذا
الاجابة المطلقة حاصلة لكل داع بخصوصها وورد الوعد الصدق
الا ان الاجابة امرها الى الله تعالى يجعلها ما يشا وقد يكون
المنع وتاخير العطا اجابة وعطا لمن فهم عن الله تعالى
في ذلك فلم ييأس العبد من فضل الله تعالى اذا راى منعا

او تاخيرا وان الح في دعايه وسؤاله وقد يكون تاخير
ذلك الى الآخره خيرا له فقد جا في بعض الاخبار يبعث عبدا
فيقول الله تعالى له الم امرك برفع حوايجك الي فيقول
نعم قد رفعتها اليك فيقول الله تعالى ما سالت شيئا
الا احتسبك فيه ولكن انجزت البعض في الدنيا وما لم انجز
في الدنيا فهو مدخر لك فخذه الان حتى يقول ذلك العبد
ليته لم يقض لي حاجة في الدنيا وقد ورد عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم يعني النهي عن الاستعجال في اجابة الدعا
في قوله يستجاب لاحدكم ما لم يعجل فيقول قد دعوت فلم
يستجب وقد دعا موسى وهرون عليهما السلام على فرعون
كما اخبر الله تعالى به عنهما حيث قال ربنا اطمس على
اموالهم واشدد على قلوبهم فلا يومنوا حتى يروا العذاب
الاليم ثم اخبر انه اجاب دعاهما في قوله سبحانه قال قد
اجيبت دعوتكما فاستقيما ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون
قالوا وكان بين قول الله لهما قد اجيبت دعوتكما وهلاك
فرعون اربعون سنة قال سيدي ابو الحسن رضي الله عنه
في قوله تعالى فاستقيما اي على عدم استعجال ما طلبتما
ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون هم الذين يستعجلون
الاجابه وناهيك شرفا وحظا ما يتحصل له بسبب [illegible]
الدعا من التطهر بمحبة الله تعالى وموافقة رضاه فقد روي عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله يحب الملحين في الدعا

اي بعين مطلوبه

صح

وقد

وقد جا في الحديث قال جبريل عليه السلام يا رب عبدك فلان
اقض له حاجته فيقول دعوا عبدي فاني احب ان اسمع صوته
رواه انس بن مالك رضي الله عنهما عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم ومقتضى هذا ان من الناس من يعجل
الله له قضاء حاجته لكراهته صوته وقد روي هذا المعنى
ايضا منصوصا فليتنبه العبد خايفا من ذلك عند تعجيل
اجابة دعايه قال ابو محمد عبد العزيز المهدوي
رضي الله عنه كل من لم يكن في دعايه تاركا لاختياره وراضيا
باختيار الحق فهو مستدرج وهو ممن قيل له اقضوا حاجته
فاني اكره ان اسمع صوته فاذا كان في دعايه مع اختيار
الحق تعالى لا مع اختيار نفسه كان مجابا وان لم يعط والاعمال
بخواتيمها انتهى وقد تكون الاجابه متوقفة على شروط
لا علم للداعي بها فتتاخر لعدم وقوع ذلك او بعضه
وذلك مثل وجود الاضطرار قال الله تعالى امن يجيب
المضطر اذا دعاه فرتب الاجابة على الاضطرار وقال بعض
العارفين اذا اراد الله تعالى ان يستجيب دعا عبد رزقه
الاضطرار في الدعا والاضطرار لا يتحقق العبد من نفسه
في جميع حالاته قال بعضهم المضطر الذي اذا رفع الى الله
يديه لم ير لنفسه عملا وهذا حال شريف ومقام منيف
يعز على اكثر الناس الوصول اليه فكيف يتحقق زمن الاجابه
ما يبتني عليه وفي المسلة التي باثر هذا تنبيه على هذا المعنى

اي بعين ما طلبه

لا يشككنك في الوعد عدم وقوع الموعود وان
تعين زمنه لئلا يكون ذلك قدحا في بصيرتك واخمادا
لنور سريرتك الحق سبحانه لا يخلف الميعاد فمن
وعده مولاه شيا وان كان معين الزمان ثم لم يقع
ذلك الموعود فلا ينبغي ان يشكك في صدق ربه ويجوز ان يكون
وقوع ذلك الوعد معلقا على اسباب وشروط استاثر الحق
تعالى بعلمها دون العبد فعلى العبد ان يعرف قدره
ويتادب مع ربه ويسكن اليه فيما وعده به ويطمين اليه
ولا يتشكك في ذلك ولا يتزلزل اعتقاده فيه فمن كان على
هذا الوصف فهو عارف بالله تعالى سالم البصيرة منور
السريرة والا فعلى العكس اذا فتح لك وجهة من التعرف
فلا تبال معها ان قل عملك فانه ما فتحها لك الا وهو
يريد ان يتعرف اليك الم تر ان التعرف هو
مورده عليك والاعمال انت مهديها اليه واين
ما تهديه اليه مما هو مورده عليك معرفة الله
تعالى هي غاية المطالب ونهاية الامال والمارب فاذا
واجه الحق تعالى عبده ببعض اسبابها وفتح له باب التعرف
منها فذلك من النعم الجزيلة عليه فينبغي ان لا يكترث
بما يفوته بسبب ذلك من اعمال البر وما يترتب
عليها من جزيل الاجر وليعلم انه سلك به مسلك
الخاصة المقربين المودي الى تحقيق التوحيد واليقين

من

هابد

رأيت الذي لا كلفة انت قادر عليه ولا عن بعضه ان
وبذلك ينقطع طمعه عن الناس ويحصل به منهم الاياس
وذلك من اعظم فوائد العزلة عند العقلاء الاكياس
ولا يتم له منفعة العزلة الا باشتغال القلب بالفكرة
وهي المقصودة ههنا وكانت العزلة مقدمة لها ومعينة
عليها وذلك بعد تقرير ما يحتاج اليه من علوم الشرع
الظاهرة والقيام بمراعاة اداب الجنة وقد ذكر منها
ابو حامد الغزالي قدس الله روحه جملة شافية في كتاب
العزلة من الاحيا فلتنظر هنالك وقد جاء في الخبر تفكر ساعة
خير من عبادة سبعين سنة كذا هو والله اعلم وكان عيسى عليه
السلام يقول طوبى لمن قلبه ذكر وصمته فكر ونظره
عبرة ان اكيس الناس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت
وقال بعضهم من اراد شرف الاخرة فليكثر التفكر وقيل لام
الدرداء ما كانت افضل عمل ابي الدرداء قالت التفكر
وذلك لانه يصل بها الى معرفة حقايق الاشيا ويتبين
الحق من الباطل والنافع من الضار ويطلع بها ايضا في
خفيات افات النفس ومكايد العدو وغرور الدنيا
ويتعرف بها وجوه الحيل في التحرز عنها والطهارة منها قال
الحسن الفكرة مرآة تريك حسناتك وسيئاتك ويطلع بها ايضا
على عظمة الله تعالى وجلاله اذا تفكر في اياته ومصنوعاته
ويطلع بها ايضا على الايه ونعمايه الجلية والخفية فيستفيد

بذلك احوال الانسية يزول بها مرض قلبه ويستقيم بسببها
على طاعة ربه قلت والعزلة التي ذكرها المؤلف رحمه
الله تتضمن وجود الخلوة وهي احد الاركان الاربعة
التي هي اساس المريدين ويلزم عنهما منه لثلاثة الثاني
الصمت اذ لا يتأتى من اكثر الناس الا بالخلوة والعزلة
فان اضاف اليهما المريد الركنين الباقيين وهما الجوع
والسهر فقد حصل على حلية الابدال والتحق بزمرة الاولياء
الابدال قال سهل بن عبد الله رضي الله عنه اجتمع الخير
كله في هذه الاربع خصال وبها صار الابدال ابدالا خماص
البطون والصمت والخلوة والسهر وقال الشاعر في المعنى

يا من يريد منازل الابدال ۝ من غير قصد منه للاعمال ۝
لا تطمعن فيها فلست من اهلها ۝ ان لم تزاحمهم على الاحوال ۝
بيت الولاية قسمت اركانه ۝ ساداتنا فيه من الابدال ۝
ما بين صمت واعتزال دائم ۝ والجوع والسهر النزيه الغالي ۝

كيف يشرق قلب صور الاكوان منطبعة في مرآته كيف
يرحل الى الله وهو مكبل بشهواته ام كيف يطمع
ان يدخل حضرة الله وهو لم يتطهر من جنابة غفلاته
ام كيف يرجو ان يفهم دقائق الاسرار ولم يتب
من هفواته الجمع بين الضدين محال كاجتماع الحركة
والسكون والنور والظلمة وهذه الاشياء التي ذكرها
المؤلف رحمه الله اضداد لا تجتمع فان اشراق القلب

بنور

بنور الايمان واليقين مضاد للظلمة التي استولت
عليه من ركونه الى الاغيار والاكوان واعتماده عليها
والسير الى الله تعالى بقطع عقبات النفس مضاد
لاعتقاله في حبس الهوى والشهوات ودخول حضرة
الله المقدسة المقتضية للطهارة الداخلة في نزاهته
مضاد لما هو عليه من جنابة غفلاته التي مقتضاها
الاقصاء والابعاد وفهم دقائق الاسرار المستفادة من
التقوى مضاد للاصرار على المعاصي والهفوات
واليه الاشارة بقوله تعالى واتقوا الله ويعلمكم
الله ومما روي في بعض الاخبار من عمل بما يعلم ورثه
الله علم ما لم يعلم قال يحيى بن معاذ رحمه الله التقى
احمد بن حنبل مع احمد بن ابي الحواري رضي الله عنهم
فقال ابن حنبل لابن ابي الحواري يا احمد حدثنا بحكاية سمعتها
من استاذك ابي سليمان فقال يا احمد قل سبحان الله بلا
عجب فقال احمد بن حنبل سبحان الله وطولها بلا عجب
فقال احمد بن ابي الحواري سمعت ابا سليمان يقول اذا
اعتقدت النفوس على ترك الآثام جالت في الملكوت
وعادت الى ذلك العبد بطرائف الحكمة من غير ان يؤدي
اليها عالم علما قال فقام احمد بن حنبل ثلاثا وجلس ثلاثا
وقال ما سمعت في الاسلام بحكاية اعجب الي من هذه ثم ذكر
الحديث الذي ذكرناه من عمل بما يعلم اورثه الله علم

احمد ابن حنبل

ما لم يعلم ثم قال لاحمد بن ابي الحواري صدقت يا احمد وصدق
شيخك ولاجل كون هذه الاشياء اضدادا تعجب المؤلف رحمه
الله ممن يعتقد صحة اجتماعها وممن طمع في نيل مراتب
الرجال مع كونه على اقبح الخلال الكون كله ظلمة وانما اناره
ظهور الحق فيه فمن راى الكون ولم يشهده فيه او عنده
او قبله او بعده فقد اعوزه وجود الانوار وحجبت
عنه شموس المعارف بسحب الآثار العدم ظلمة والوجود
نور فالكون بالنظر الى ذاته عدم مظلم وباعتبار تجلي
نور الحق عليه وظهوره فيه وجود مستنير ثم اختلف
احوال الناس ههنا فمنهم من لم يشاهد الا الاكوان وحجب
بذلك عن روية المكون فهذا تائه في الظلمات محجوب
بسحب الآثار الكائنات ومنهم من لم يحجب بالاكوان عن المكون
ثم هم في مشاهدتهم اياه فرق فمنهم من شاهد المكون
قبل الاكوان وهولاء هم الذين يستدلون بالموثر على
الآثار ومنهم من شاهده بعد الاكوان وهولاء الذين يستدلون
بالآثار على الموثر ومنهم من شاهده مع الاكوان والمعية
ههنا اما معية انفصال وهو شهوده في الاكوان واما معية
اتصال وهو شهوده عند الاكوان وهذه الظروف المذكورة
ليست بزمانية ولا مكانية لان الزمان والمكان من جملة
الاكوان والاتصال والانفصال المذكوران ليسا على ما يفهم
من معانيها فانهما ايضا من جملة الاكوان ومعرفة تفصيل
هذه

هذه الامور والتفرقة بين هذه الحقائق على ما هي عليه
موكول الى اربابه فلنقتصر على ما ذكرناه فههنا زلت
اقدام كثير من الناس فتكلموا بكلمات موهمة وعبروا
بعبارات منكرة في الشرع فكفروا بذلك وبدعوا مع اعتقاد
كمال التنزيه وبطلان التشبيه وتمسكهم بقوله تعالى
ليس كمثله شيء وهو السميع البصير مما يدلك على وجود
قهره سبحانه وتعالى ان حجبك عنه بما ليس بموجود معه
اتفقت مقالات العارفين والمحققين واشارات اهل
مواجيدهم على ما ذكرناه قبل هذا من ان ما سوى
الله عدم محض من حيث ذاته لا يوصف بوجود مع الله
سبحانه قال الله سبحانه كل شيء هالك الا وجهه وقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اصدق بيت قالته الشعراء
الا كل شيء ما خلا الله باطل قال بعض العارفين ابى المحققون
ان يشهدوا غير الله لما حققهم به من شهود القيومية
واحاطة الديمومية وقال سيدي ابو الحسن الشاذلي
رضي الله عنه انا لننظر الى الله ببصر الايمان والايقان
فاغنانا ذلك عن الدليل والبرهان ونستدل به على الخلق
هل في الوجود شيء سوى الواحد الحق فلا نراه وان كان
ولا بد فنراه كالهباء في الهواء ان فتشته لم تجده شيئا
وقال رضي الله عنه قوي علي الشهود مرة فالتمست ان يستر
ذلك عني فقيل لي لو سالته بما ساله موسى كليمه عليه السلام وعيسى روحه

ومحمد صفيه صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين لم يفعل
ولكن سله ان يقويك فسألته ففعل قال ابن عطا في التنوير
فما سوى الله عند اهل المعرفة لا يوصف بوجود ولا فقد
اذ لا يوجد معه غيره لثبوت احديته ولا فقد لغيره
لانه لا يفقد الا ما يوجد ولو انهتك حجاب الوهم لوقع
العيان على فقد الاعيان ولا شرق نور الايقان فغطى
وجود الاكوان وهذا الكلام هو بسط ما ذكره في هذا
هذا الكتاب وقال بعضهم لو تكلفت ان ارى غيره لم استطع
فانه لا غير معه حتى اشهده معه وقال الشاعر
مذ عرفت الاله لم ار غيره وكذا الغير عندنا ممنوع
مذ تجمعت ما خشيت افتراقا وانا اليوم واصل مجموع
وقال غيره الله قل وذر الوجود وما حوى
ان كنت مرتادا بلوغ كمال فالكل دون الله ان حققته
عدم على التفصيل والاجمال واعلم بانك والعوالم كلها
لولاه في محو وفي اضمحلال من لا وجود لذاته من ذاته
فوجوده لولاه عين محال فالعارفون فنوا ان يشهدوا
شيئا سوى المتكبر المتعال ورأوا سواه على الحقيقة هالكا
في الحال والماضي والاستقبال وقد صنفوا في بيان هذا
الامر تصانيف وتفننوا في الكلام في هذا المعنى نظما ونثرا
وكل عبر على حسب سريرته وذوقه جزاهم الله عنا خيرا فاذا
تقرر هذا او وجدنا اكثر الناس قد حجبوا عن الله تعالى بشهواتهم

الر

الدنياويه ودرجاتهم الاخراويه ومقاماتهم العلويه
فكان ذلك من الاعيان العدميه والوجودات الوهميه
علمنا بان الكل وجود فهو من اسمائه تعالى القهار ولما انقشع
الحجاب عنهم لفنوا عن انفسهم وارادتهم وبقوا بربهم
وكانوا عباد الله حقا وقد سيل ابو سعيد الاعرابي رضي الله عنه
عن الفنا فقال الفناء ان تبدو العظمة والاجلال على العبد
فتنسيه الدنيا والاخرة والاحوال والدرجات والمقامات
والاذكار تفنيه عن كل شي ومن نفسه ومن عقله ومن فنائه
من الاشيا ومن فنائه عن الفنا لانه يغرق في التعظيم انتهى
قالوا والفنا على ثلثة اوجه فنا في الافعال ومنه قولهم
لا فاعل الا الله وفنا في الصفات لا حي ولا عالم ولا قادر ولا مريد
ولا سميع ولا بصير ولا متكلم على الحقيقة الا الله وفنا في الذات
لا موجود على الاطلاق الا الله وانشدوا في ذلك فيفنى
ثم يفنى ثم يفنى فكان فناه عين البقا وقال الشيخ محيي الدين
رضي الله عنه من شهد الخلق لا فعل لهم فقد فاز ومن شهدهم
لا حيوة لهم فقد حاز ومن شهدهم عين العدم فقد وصل
من ابصر الخلق كالسراب فقد ترقى عن الحجاب الى وجود
يراه رتقا بلا ابتعاد ولا اقتراب ولم يشاهد به سواه
هناك يهدي الى الصواب فلا خطاب به اليه ولا مشير
الى الخطاب لابي منصور ابن الحبشي وهو الذي اشتهر كلامه
بما اشرق عليه من نور الوجود وقد كان في ظلمة العدم كما تقدم

كيف يتصور أن يحجبه شيء وهو الذي ظهر بكل شيء حتى استدل
عليه المستدلون بالأشياء كما قال تعالى سنريهم آياتنا في
الآفاق وفي أنفسهم كيف يتصور أن يحجبه شيء وهو الذي ظهر
في كل شيء إذ هو المتجلي فيها بما تبين من صفاته وأسمائه
كيف يتصور أن يحجبه شيء وهو الذي ظهر لكل شيء في ظهوره
ذلك الشيء ولذلك كانت ساجدة له ومسبحة بحمده ولكن لا
تفقه ذلك كيف يتصور أن يحجبه شيء وهو الظاهر قبل وجود
كل شيء لتحقق هذا الاسم له أزلا وأبدا كيف يتصور أن يحجبه
شيء وهو أظهر من كل شيء لأن الوجود أظهر من العدم على كل حال
كيف يتصور أن يحجبه شيء وهو الواحد الذي ليس معه شيء
إذ كل ما سواه عدم لا وجود له على التحقيق كيف يتصور
أن يحجبه شيء وهو أقرب إليك من كل شيء لثبوت إحاطته
بك ووجود قيوميته عليك كيف يتصور أن يحجبه شيء
ولولاه لما كان وجود كل شيء حتى استدل به الشاهد و
على الأشياء كما قال تعالى أولم يكف بربك أنه على كل شيء
شهيد يا عجبا كيف يظهر الوجود في العدم لأن العدم ظلمة
والوجود نور وهما ضدان لا يجتمعان أم كيف يثبت الحادث
مع من له وصف القدم لأن الباطل لا يثبت مع ظهور الحق كما قال
الله تعالى قل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا
وقوله تعالى بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو
زاهق قلت وهذا الفصل من قوله الكون كله ظلمة إلى هنا بديع
فيه

فيه المؤلف غاية الإبداع وأتى فيه بما تقر به الأعين وتتلذذ به
الأسماع فإنه رضي الله عنه ذكر جميع متعلقات الظهور
والبطون حجابيته كل الظلام ونوره وأدرك فيه الحق ورؤيته عيانا
عيان وبرهان ورفعك من مقام الإيمان إلى أعلى مراتب
الإحسان كل ذلك في أوجز لفظ وأفصح عبارة وأتم تصريح
والطف إشارة فلو لم يكن في هذا الكتاب إلا هذا الفصل
لكان كافيا شافيا جزاه الله عنا خيرا ما ترك من الجهل
شيئا من أراد أن يحدث في الوقت غير ما أظهره الله فيه
إذا أقام الله تعالى العبد في حال من الأحوال التي لا يذمها
الشرع فليلتزم حسن الأدب في اختيار بقائه عليها وليرضا
الله تعالى في مراعاة آدابها وليوافق مراد الله تعالى
في ذلك حتى يكون هو الذي ينقله عنها قال أبو عثمان رضي
الله عنه منذ أربعين سنة ما أقامني الله في حال فكرهته
ولا نقلني إلى غيره فسخطته وقد تقدمت حكاية المؤلف
مع شيخه أبي العباس رضي الله عنهما حين عزم على التجريد
وترك ما كان عليه من الاشتغال بالعلم الظاهر وما أجابه
به الشيخ وهذا أمر من نتائج العلم بالله تعالى ومعرفة ربه
فإن سخط تلك الحالة وتشوف إلى الانتقال عنها بنفسه وأراد
أن يحدث غير ما أظهره الله تعالى فقد بلغ غاية الجهل بربه
وأساء الأدب في حضرة مولاه عز وجل وهذا من معارضة
حكم الوقت الذي تشير إليه الصوفية وهو عندهم من أعظم

ذنوب الخاصة فالواجب على العبد الاستسلام لحكم الله
تعالى في ذلك الوقت فهو ادب العبودية ومقتضى
العلم بالله فهذا هو احد معاني لفظ الوقت في اصطلاحهم
قال الامام ابو القسم القشيري رضي الله عنه وقد يريدون
بالوقت ما يصادفهم من تصريف الحق لهم دون ما يختارون
لانفسهم ويقولون فلان بحكم الوقت اي انه مستسلم
لما يبدو من الغيب من غير اختيار وهذا فيما ليس لله عز وجل
عليهم فيه امر او اقتضا بحق شرع اذ التضييع لما امرت
به واحالة الامر فيه على التقدير وترك المبالاة بما يحصل منك
من الخلل فيه خروج عن الدين ومن كلامهم الوقت
سيف اي كما ان السيف قاطع فالوقت بما يقتضيه الحق بقتضيه
ويجريه غالب وقيل السيف لين مسه قاطع حده فمن
لاينه سلم ومن خاشنه اصطلم كذلك الوقت من استسلم لحكمه لحكمه
نجا ومن عارضه بترك الرضا انتكس وتردى وانشدوا الرضا
وكالسيف ان لاينته لان مسه وحداه ان خاشنته خشنان
ومن ساعده الوقت فالوقت له وقت ومن ناكده الوقت
فالوقت عليه مقت هذا كلام ابي القاسم رحمه الله وهو
موافق لما ذكره صاحب الكتاب والله اعلم احالتك
الاعمال على وجود الفراغ من ~~عوارض النفس~~ رعونات
النفس اذا كان العبد متلبسا بحالة من احوال دنياه وكان له
فيها شغل منعه من العمل بالاعمال الصالحات واحال ذلك العمل
علي

على فراغه من تلك الاشغال وقال اذا تفرغت عملت فذلك من
رعونة نفسه والرعونة ضرب من الحماقة وحماقته
من وجوه الاول ايثار الدنيا على الاخرة وليس هذا شان
عقلا المومنين وهو خلاف ما طلب منه قال الله تعالى بل تؤثرون
الحيوة الدنيا والاخرة خير وابقى الثاني تسويفه بالعمل
الى اوان فراغه وذلك قد لا يمهله بل يختطفه الموت قبل ذلك
ويزداد شغله لان اشغال الدنيا يتداعى بعضها الى بعض
كما قيل فما قضى احد منها لبانته ولا انتهى ارب الا الى ارب
والثالث انه قد لا يتفرغ منها على الوجه الذي يومله من تبدل عزمه
وضعف نيته ثم فيه من دعوى الاستقلال ورؤية الحول
والقوة في جميع الاحوال ما يستحقر في جنبه جميع الاذى بل
الواجب عليه ان يبادر الى الاعمال على اي حال كان وان
ينتهز فرصة الامكان قبل مفاجاة الموت وحلول الفوت
وان يتوكل على الله في تيسيرها عليه وصرف الموانع الحايلة
بينه وبينها وما احسن قول ابن الفارض رحمه الله
وهو المعني وعد من قريب واستجب واجتنب غدا
أشمر من ساق اجتهاد بنهضة وكن صارما كالوقت
فالمقت في عسى واياك علا فهي اخطر علة
وسر زمنا وانهض كسيرا فحظك البطالة ما اخرت عزما لصحة
وجد بسيف العزم سوف فان تجد تجد نفسا فالنفس ان جدت جدت
لا تطلب منه ان يخرجك من حالة ليستعملك فيما سواها فلو اراد لاستعملك

كما أنه إذا كان المريد على حالة لا توافق غرضه كانت متعلقة
بالدين أو الدنيا لا ينبغي له أن يروم الخروج منها بنفسه
ويعارض حكم وقته فيحدث فيه غير ما أظهره كما تقدم
في قوله ما ترك من الجهل شيئا من أراد أن يحدث في الوقت
غير ما أظهره الله فيه مع الشرط المتقدم وهو أن لا يكون
في ذلك مخالفة أمر أو ارتكاب نهي فينبغي له أيضا أن
لا يعارض حكم الوقت ويطلب من مولاه أن يخرجه منها ويستعمله
فيما سواه لأن هذا من التخيير على الله تعالى ولا خير له في ذلك
بل ينبغي له حسن الأدب معه وإيثار مراده على اختياراته
هو وحينئذ يتحقق بحالة يتعرف فيها محبة الله تعالى إن أراد
له فيستعمله فيها لا محبوبا بأمره مع بقائه على حالته التي هو عليها
فيكون إذ ذاك من مراد الله تعالى له لا مراده لنفسه
وخير مما اختاره قال في التنوير يحكى عن بعضهم أنه
كان يقول وددت لو أني تركت الأسباب ومن عجيبة
كل يوم رغيف يريد بذلك أن يستريح من تعب الأسباب
قال فسجنت ثم كنت في السجن يوتى لي في كل يوم رغيف فطال
ذلك علي حتى ضجرت ففكرت يوما في أمري فقيل لي إنك
طلبت منا كل يوم رغيف ولم تطلب منا العافية فأعطيناك
ما طلبت فاستغفرت من ذلك ورجعت إلى الله تعالى فإذا
بباب السجن يقرع فتخلصت وخرجت قال فيه فتأدب بهذا
أيها المومن ولا تطلب أن يخرجك من أمر يريد فيما خولك

إذا

إذا كان ما أنت فيه مما يرا فوقت الله فإن ذلك
من سوء الأدب مع الله تعالى فاصبر لئلا تطلب الخروج
بنفسك فتعطى ما طلبت وتمنع الراحة فيه فرب تارك
شيئا أو داخل في غيره ليجد الثروة والراحة فتعب
وقوبل بوجود التعب عقوبة لوجود الاختيار انتهى
كلامه في التنوير وهو كالتفسير لما ذكره هنا فلذا ذكره
ما أرادت همة سالك أن تقف عند ما كشف لها إلا ونادته
هواتف الحقيقة الذي تطلب أمامك ولا تبرجت ظواهر
المكونات إلا ونادتك حقائقها إنما نحن فتنة فلا تكفر
السائر إلى الله تعالى تتجلى له في أثناء سلوكه أنوار وتبدو له
أسرار فإن أرادت همته أن تقف عند ما كشف لها من ذلك أرادت
لاعتقاده أنه وصل إلى الغاية والنهاية من المعرفة نادته
هواتف الحقيقة الذي تطلب أمامك فجد في السير ولا تقف
وإن تبرجت له ظواهر المكونات بزينتها فمال إلى حسنها
وجمالها نادته حقائقها الباطنة إنما نحن فتنة فلا تكفر
وغمض عينيك عن ذلك ولا تلتفت إليه ودم على سلوكك
وسيرك واعلم أنه ما دامت لك همة وإرادة فأنت
بعد في الطريق لم تصل فلو فنيت عنها لوصلت وما أحسن
قول الشيخ أبي الحسن الششتري في هذا المعنى
فلا تلتفت في السير غيرا فكلما سوى الله غير فاتخذ ذكره حصنا
وكل مقام لا تقم فيه إنه حجاب فجد السير واستنجد العونا

حلنا

ومهما ترى كمال المراتب تجتلى عليك محل عنها فعن مثلها
وقل ليس في غير ذا لكم طلب فلا صورة تجلى ولا طرفة تعنانه
وقد رايت لسيدي ابي الحسن الشاذلي رضي الله عنه هنا من
الترقي في الاحوال وعدم النقص في روية الكمال فرايت
ان اذكره هنا بنصه لما فيه من سني الفوايد وشريف المقا
قال رضي الله عنه اعلم انك اذا اردت ان يكون لك نصيب
مما لاولياء الله تعالى باشارة فعليك برفض الدنيا جملة
الامن يدلك على الله باشارة صادقة واعمال ثابتة
لا ينقضها كتاب ولا سنة واعرض عن الدنيا بالكلية ولا تكن
ممن يعرض عنها ليعطي شيا على ذلك بل كن في ذلك عبدا لله
امرك ان ترفض عدوه فان كنت في هذين الخصلتين الاعراض
من الدنيا والزهد في الدنيا فاقم مع الله بالمراقبة والتزام
التوبة بالرعاية والاستغفار بالانابة والخضوع
للاحكام بالاستقامة وتفسير هذه الوجوه الاربعة
ان تقوم بعبودية الله فيما تاتي وتذر وتراقب قلبك ان
لا ترى في الملك شيا لغيره فان انبيت بهذا ناداك
هواتف الحق من انوار العز انك قد عميت عن طريق
الرشد من اين لك القيام مع الله بالمراقبة وانت تسمع
قوله وكان الله على كل شي رقيبا فهنالك يدركك من الحيا
ما يحملك على التوبة مما ظننت انه قربة فالتزم التوبة
بالرعاية لقلبك ان لا تشهد ذلك منك بحال فتعود الى ما

خرجت

كلاما حسنا مناسبا لما ذكره المولف رحمه الله

الهام

خرجت عنه فان صحت هذه منك ناداك الهواتف
ايضا من قبل الحق التوبة منه بذاته ولايته والانابة
منه تتبعها واشتغالك بما هو وصف لك حجاب عن مرادك
منعا لك تطهروما فكم تستعيذ بالله منها وتاخذ في
الاستغفار والانابة والاستغفار طلب الستر من او عافك
بالرجوع الى اوصافه فان كنت بهذه الصفة اعني الاستغفار
والانابة ناداك من قريب اخضع لاحكامي ودع عنك
منازعتي واستقم مع ارادتي برفض ارادتك وانما
هي ربوبية تولت عبودية وكن عبدا مملوكا لا يقدر
على شي فمتى رايت منك قدرة وكلتك اليها وانا بكل شي
عليم فان صح لك هذا الباب ولزمته اشرفتك هناك
على اسرار لا تكاد تسمع من احد من العالمين الطلب منه
اتهام له والطلب له غيبة منك عنه والطلب لغيره لقلة حيايك منه
والطلب من غيره لوجود بعدك عنه الطلب يتصور من
العبد على اربعة اوجه كلها مدخول له الطلب من الله
والطلب له والطلب لغيره والطلب من غيره فطلبه من الله تهمة
له اذ لو وثق به في ايصال منافعه اليه من غير سوال
لما طلب منه شيا والطلب له غيبة عنه اذ الحاضر لا يطلب
والطلب لغيره قلة حيا منه اذ لو استحيا منه انقبض
عما يكرهه الله من الطلب لغيره ومن حق الحيا منه انه لا يذكر
معه غيره ولا يوثر عليه سواه والطلب من غيره لوجود بعده

عنه فلا تخلو منه في الحالة كلها عند الموحدين العارفين
معلول كان الطلب متعلقا بالحق او بالخلق الا ما كان من
الطلب على وجه التعبد والتأدب واتباع الامر واظهار
الفاقة والفقر فحينئذ تزول عنه العلة. ما من نفس تبديه
الا وله قدر فيك يمضيه الانفاس ازمنة دقيقة تتعاقب
على العبد ما دام حيا فكل نفس يبديه ومنه طرف لقدر
من اقدار الحق تعالى ينفذ فيه كائنا ما كان فاذا كانت
جزئيات العبد ودقائقه قد استغرقتها احكام الله
تعالى واقداره وكان جميع ذلك يقتضي منه حقوقا لازمة
من حقوق الله تعالى يقوم بها وهو مطالب بذلك ومسؤول
عنه وعن انفاسه التي هي امانة الحق عنده لم يبق
له اذ ذاك مجال لتدبير امور دنياه ولا اهمال المتابعة
شهوته وهواه. لا تترقب فروغ الاغيار فان ذلك
يقطعك عن وجود المراقبة له فيما هو مقيمك فيه اذا اقام
الله تعالى عبدا في سبب من الاسباب فالواجب عليه ان
يوفيه حقه ويلتزم فيه الادب ولا يترقب وقتا ثانيا
يكون به فارغا منه فان ما يبدله للوقت الثاني يمنعه
من القيام بحق الوقت الاول فيما اقيم فيه وتوفيته ما يجب
له وهو خلاف الامر المطلوب منه فليجتنب ذلك المريد
قال ابو حفص رضي الله عنه الفقير الصادق الذي يكون
في كل وقت بحكمه فاذا ورد عليه وارد يشغله عن حكم وقته
يستوحش

باب لا تترقب فروغ الاغيار صح

يستوحش منه وينفيه وقال سهل بن عبد الله رضي الله
عنه اذا جنك الليل فلا تأمل النهار حتى تسلم ليلتك
وتؤدي حق الله فيها وتنصح فيها لنفسك واذا اصبحت فكذلك
وقيل لسهل متى يستريح الفقير فقال اذا لم ير وقتا
غير الوقت الذي هو فيه. لا تستغرب وقوع الاكدار
ما دمت في هذه الدار فانها ما ابرزت الا ما هو مستحق
وصفها وواجب نعتها جعل الله الدنيا دار فتنة وابتلاء
ليعامل كل احد منهم بمقتضى ما سبق له في الازل ويوفي جزاءه في الدار الاخرة
قال الله تعالى ونبلوكم بالشر والخير فتنة وعمل كل احد
فيها انما هو بمخالفة شهوات نفسه او موافقتها وذلك
لا محالة يستدعي وجود محبوب او مكروه بفعل او ترك
فمن ضرورات الدنيا وجود المكاره والمشاق فيها
فيقع الاكدار بسبب ذلك وايضا فان اهل الدنيا امور
وهمية انقادت طباع الناس اليها وهي لا تفي بجميع
مطالبهم فتكدر عيشهم ولم يحصلوا على طائل من اغراضهم
كما قيل ارى اشقياء الناس لا يسأمونها على انهم فيها
عراة وجوع اراها وان كانت تحب فانها سحابة
صيف عن قليل تقشع فلا تستغرب وقوع امثال هذا
فانه ما ظهر الا ما يستحق وصفها وواجب نعتها من وجود
المكاره التي هي ذاتية لها قال بعض الحكماء لولا ان الدنيا
مبنية على المكاره لحملت منفعة الاهليلج في اللوزينج

تعالى كم

لضيقها وقلتها وسرعة تقضيها وتقلبها فتجاذبوها بينهم صح

وسيأتي التنبيه على الحكمة في هذا عند قوله انما جعلها
محلا للاغيار ومعدنا لوجود الاكدار تزهيدا لك فيها
وفي بعض الحكايات المنقولة عن جعفر الصادق رضي
الله عنه انه قال من طلب ما لم يخلق لقد اتعب نفسه ولم يرزق
وقيل له وما ذاك قال الراحة في الدنيا وفي معناه انشدوا
تطلب الراحة في دار الفنا • خاب من يطلب شيئا لا يكون •
وقال بعض البلغا ملتمس السلامة في دار المتالف والمعاطب
كالمتمرغ على مزاحف الحيات ومدارب العقارب وقال
ابن مسعود رضي الله عنه الدنيا كلها غموم فما كان منها في
سرور فهو ربح وقال الجنيد رحمه الله لست استبشع ما يرد
علي من العالم لاني قد اصلت اصلا وهو ان الدنيا دار هم
وغم وفتنة وان العالم كله شر واحد ومن حكمه ان يتلقاني
بكل ما اكره فان تلقاني بكل ما احب فهو فضل والا فالاصل
هو الاول وقال ابو تراب رضي الله عنه يا ايها الناس انتم
تحبون ثلاثة اشيا وليس هي لكم تحبون النفس وهي لله وتحبون
الروح وهي لله وتحبون المال والمال للورثة وتطلبون
اثنتين ولا تجدونهما الراحة والفرح في الدنيا وهما
في الجنة فالواجب على العبد ان لا يوطن على الراحة في الدنيا
نفسه ولا يركن منها الى ما يقتضي فرحا وانسا ويعمل على قول
النبي صلى الله عليه وسلم فيما روى عنه ابو هريرة رضي الله عنه
الدنيا سجن المومن فحق على العبد على المحن في دنياه يهون

عليه

عليه ما يلقاه ويجد السلوان عند فقدان ما يهواه كما
قيل يمثل ذو اللب في نفسه شدائده من قبل ان تنزلا
فان نزلت بغتة لم ترعه لما كان في نفسه مثلا راى
الامر يفضي الى اخر فصير اخره اولا وذو الجهل
يامن ايامه وينسى مصارع من قد خلا فان دهمته صروف
الزمان ببعض مصايبه اعولا ولو قدم الحزم في نفسه
لعلمه الصبر عند البلا فليتلق المريد ما يرد عليه
من ذلك في الصبر والرضا والاستسلام عند جريان
القضا فعن قريب ان شا الله تعالى ينجلي الامر
ويستوجب من الله تعالى جزيل الاجر والله تعالى ولي
التوفيق قال احمد بن ابي الحواري رضي الله عنه قال لي
ابو سليمان الداراني جوع قليل وعري قليل وذل قليل وصبر
قليل وقد انقضت عنك ايام الدنيا واعلم ان ما ذكرناه
من الصبر هو جامع كل فضيلة ومالك كل فايدة جزيلة
ومكرمة نبيلة قال الله تعالى وتمت كلمة ربك الحسنى
على بني اسرائيل بما صبروا وقال تعالى وجعلنا منهم
ايمة يهدون بامرنا لما صبروا وقال تعالى انما يوفى
الصابرون اجرهم بغير حساب وفي وصية رسول الله
صلى الله عليه وسلم لابن عباس رضي الله عنهما ان استطعت
ان تعمل لله بالرضا في القضا فافعل وان لم تستطع فاصبر
فان في الصبر على ما تكره خيرا كثيرا واعلم ان النصر مع

يحجر في القلب

مع الصبر والفرج مع الكرب واليسر مع العسر وقال عمر
بن الخطاب رضي الله عنه ان صبرت مضى امر الله وكنت
ماجورا وان جزعت مضى امر الله وكنت مازورا وقال
علي رضي الله عنه الصبر مطية لا تكبو وسيف لا ينبو وقال
ابن عباس رضي الله عنهما افضل العدة الصبر عند الشدة وفي
بعض الاخبار انتظار الفرج بالصبر عبادة وقد قال الشاعر
ان الامور اذا اشتدت مسالكها • فالصبر يفتح منها كل ما ارتتجا •
لا تياسن وان طالت مطالبة • اذا استعنت بصبر ان ترى فرجا •
اخلق بذي الصبر ان يحظى بحاجته • ومدمن القرع للابواب ان يلجا •
فمن جعل الصبر معتمده في نوازله واعتمد من اعظم
عدده ووسايله فهو مصيب في رايه منجح في سعيه
ومن جزع من المصايب واضطرب عند وقوع النوايب
كان عاملا فيما يزيده كدرا ويكسبه وزرا ويفوته اجرا
وناهيك به خسرا وقد قيل • واذا تصبك مصيبة فاصبر
لها • عظمت مصيبة مبتلى لا يصبر • وكما قيل / يفنى
وعوضت اجرا من فقيد فلا تكن • فقيدك لا ياتي واجرك
يذهب • ما توقف مطلب انت طالبه بربك ولا تيسر مطلب انت
طالبه بنفسك من انزل حوايجه بالله تعالى والتجا اليه وتوكل
في امره عليه كفاه كل مونة وقرب عليه كل بعيد ويسر عليه
كل عسير ومن سكن الى عمله وعقله واعتمد على قوته
وحوله وكله الله تعالى الى نفسه وخذله وحرمه توفيقه
واهمله

واهمله فلم تنجح مطالبه ولم تتيسر ماربه وهذا معلوم على
القطع من نصوص الشريعة وانواع التجارب قلت وكلام
المولف رحمه الله تعالى في هذه المسيلة عام يتناول كل
مطلب من المطالب الدينية والدنيوية التي ما امرها الى
الدين واشرف تلك المطالب واكثرها وقوعا ومعالجة
اخذ المريد في سلوك سبيل التوحيد ففيه التعليق بالله
احق واصوب وفي جميع حركاته الرجوع الى الله تعالى
اولى واوجب فلاجل ذلك كان من الراي السديد والامر
الاكيد ان نخصص من ذكر العام وان نفرده عقيب هذه
المسيلة لمزيد من الكلام فلذلك قال من علامات
النجح في النهايات الرجوع الى الله في البدايات للمريد
بداية ونهاية فبدايته حال سلوكه ونهايته حال وصوله
فمن صحح بدايته بالرجوع الى الله تعالى والتوكل عليه والاستعانة
به لما ذكرناه افلح وانجح في نهايته وكان وصوله الى الله
تعالى وامن عليه من الرجوع والانقطاع قال بعض المشايخ
ما رجع من رجع الا من الطريق ولو وصلوا اما رجعوا ومن
لم يصحح ذلك بما ذكرناه من تعلقه بالحق وفراره اليه من
نفسه والخلق انقطع ورجع من حيث جا قال بعض العلماء من ظن
انه يصل الى الله بغير الله قطع به ومن استعان على عبادة
الله تعالى بنفسه وكل الى نفسه فعلى العبد السالك ان يجعل
معتمد امره الاستعانة بالله على ما هو بسبيله ولا يركن

حول نفسه ولا قوتها في كثير عمله ولا قليله فهذا هو اساس
السلوك الذي تنبني عليه قواعده من اشرقت بدايته
اشرقت نهايته هذه عبارة اخرى موافقة لمعنى ما تقدم
فاشراق بداية المريد برجوعه الى الله تعالى في مهماته
وتثبته في ملماته واشراق نهاية المريد برجوعه الى الله
تعالى ونهايته الوصول الى قربته والحصول الى حضرته
ما استودع في غيب السرائر ظهر في شهادة الظواهر
هذا بيان علامة يعرف حال المريد السالك وما تعمر به
باطنه من المزيد المستمد لان الظاهر مراة الباطن كما
قيل الاثرية تدل على السريرة وما خامر القلوب فعلى الوجوه
يلوح اثره فما استودعه الله تعالى القلوب والاسرار
لابد وان تظهر اثار ذلك على الجوارح فيستدل بشاهد
العبد على غايبه من ارادته صحبته والوصلة اليه وما اشبه هذا
من الاغراض والمقاصد قال ابو حفص حسن ادب الظواهر
عنوان حسن ادب البواطن فان النبي صلى الله عليه وسلم
قال لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه وقيل لما ورد ابو
حفص العراق جاء اليه الجنيد فراى اصحاب ابي حفص وقوفا
على راسه يأتمرون بامره ولا يخطي احد منهم فقال يا ابا
حفص ادبت اصحابك ادب الملوك فقال لا يا ابا القاسم
ولكن حسن الادب في الظاهر عنوان ادب الباطن قلت
والمراد من ذلك ان يعرف المريد نفسه ويكون من امرها
علي

من غير اكتساب منه للعبد ولا تعمل والاعمال التي
من شانها ان يتلبس بها هي بالتشابه ويعملها فلا تسلم
من دخول الافات عليها والمطالبة بوجود الاخلاص فيها
وقد لا يحصل له ما يريد من الثواب عند مناقشة الحساب
واين احدهما من الاخر ومثاله ما يصاب به الانسان
من البلايا والشدايد التي تنغص عليه لذات الدنيا
وتمنعه من تكثير اعمال البر فان مراده ان يستمر
بقاه في دنياه لجيب العيش ناعم البال ويكون حاله
في طلب سعادة الاخرة حال المترفين فلا ينحو نفسه
الا بالاعمال الظاهرة التي لا كبير مونة عليه فيها ولا
مشقة ولا تنقطع عليه لذة ولا تفوته شهوة ومراد
الله منه ان يطهره من اخلاقه اللئيمة ويحول
بينه وبين صفاته الذميمة ويخرجه من وجوده
الى متسع شهوده ولا سبيل له الى الوصول الى هذا
المقام على غاية الكمال والتمام الا بما ينافي مراده
ويشوش عليه معتاده ويكون داله حينئذ المعاملة
بالباطن ولا مناسبة بينها وبين الاعمال الظاهرة فاذا فهم
فهذا اعلم ان اختيار الله تعالى له ومراده منه خير
له من اختياره لنفسه ومراده لها وقد روي ان الله
تعالى اوحى الى بعض انبيائه عليهم السلام انزلت
بعبدي بلاء فدعاني فماطلته بالاجابة فشكاني فقلت

عبدي كيف ارحمك من شيء به ارحمك وفي حديث
ابي هريرة رضي الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال قال الله تبارك وتعالى اذا ابتليت عبدي المومن
فلم يشكني الى عواده انشطته من عقالي وبدلته لحما
خيرا من لحمه ودما خيرا من دمه ويستانف العمل
وروي عن سعيد المقبري قال سمعت ابا هريرة
يقول قال الله تعالى اذا ابتلى عبدي المومن فلم
يشك الى عواده حللت عنه عقدي وبدلت له لحما خيرا
من لحمه ودما خيرا من دمه ثم قلت استانف العمل قال
ابو عبد الله محمد بن علي الترمذي رضي الله عنه ولقد مرضت
في سالف ايامي مرضة فلما شفاني الله تعالى منها دبرت
في نفسي ما دبر الله تعالى لي من هذه العلة في مقدار هذه
المدة وبين ان يكون لي عبادة الثقلين في ايام علتي
فقلت لو خيرت بين هذه وبين ان يكون لي عبادة
الثقلين في مقدار مدتها الى ايهما اميل اختيارا فصح عزمي
ودام يقيني ووقعت بصيرتي ان مختار الله تعالى
اكثر شرفا واعظم خطرا وانفع عاقبة وهو العلة التي
دبرها الي ولا شوب فيه اذ كان فعله فشتان بين فعله
بك لتنجو به وبين فعلك لتنجو به فلما رايت ذلك دق في
عيني عبادة الثقلين مقدار تلك المدة في جنب ما اتاني
فصارت العلة عندي نعمة وصارت النعمة منة وصارت

المنة

المنة املا وصار الالم عطفا فقلت في نفسي بهذا كانوا
يستمرون في البلاء على تجنب النفوس مع الحق وبهذا الذي
انكشف كانوا يفرحون بالبلاء انتهى فهذه وجهة التعرف
التي فتحها الله تعالى وحصلت له الغبطة بها واثرها
على عبادة الثقلين والله اعلم فاذا اورد تعالى شيئا
من البلايا فليستشعر ما ذكرناه ويجعله نصب عينيه
وليجدد تذكاره على نفسه حتى يحصل له من السكون والطمانينة
ما يحمل عنه اثقال ذلك ويزيل عنه مرارته ويوجد حلاوته
وعند ذلك يكون حاله في بلايه حال الشاكرين من الفرح
والاغتباط به فيرى من حق شكره ان ياتي بما يمكنه
من اعمال البر واعتبر جميع ما قلناه في هذه المسيلة بالحكاية
التي ذكرها ابو العباس بن العريف رحمه الله تعالى في
كتابه مفتاح السعادة ومنهاج طريق الارادة قال فيه
كان بالمغرب عمره الله بالاسلام رجل يدعى بالجبار
رحمه الله تعالى ونفع به اصله من صقلية وموطنه بغداد
وجاور التنعيم وهو في الرق لم يعتقه مولاه وذلك منه
عن قصد واختيار وعم جسده الجذام ورايحة المسك
توجد منه على مسافة بعيدة قال الذي يحدث رايته
يصلي على الماء ثم لقيت بعده محمد الاشجعي فاذا هو
ابرص فقلت له يا سيدي كان الله تعالى لم يجد للبلا محلا
من اعدائه حتى انزله بكم وانتم خاصته واوليايه فقال

لي اسكت لا تقل كذلك انه لما اشرفنا على خزائن العطا
لم نجد عند الله تعالى اشرف ولا اقرب اليه من الافتقار
الا اياه وليعلم لو رايت سيد الزهاد وقطب العباد وامام
الاوليا والاوتاد في غار بارض طرسوس وجبالها الحميه
يتتابع وجده ببكا قبيحا وصديدا وقد احاطت به الزنابير
والنمل فاذا كان الليل لم يقنع بذكره الله وشكره على
ما اعطاه من الرحمة واسكن جسده من العافية حتى يشد
نفسه بالحديد ويستقبل القبلة عامة الليل حتى يطلع
الفجر انتهى وسياتي شي من كلام المولف رحمه الله في هذا
المعنى والتنبيه عليه والله ولي التوفيق **تنوعت
اجناس الاعمال لتنوع واردات الاحوال** واردات
الاحوال هي ما يرد على القلوب من المعارف الربانيه
والاسرار الروحانية وهي توجب لها احوالا حميده
فمنها وارد يوجب قبضا ومنها وارد يقتضي بسطا ومنها
وارد يوجب هيبة ومنها وارد يوجب انسا الى غير
ذلك من مختلفات الاحوال ولما كانت هذه الواردات
ايضا متنوعة كانت اجناس الاعمال التي تقتضيها هذه
الاحوال الواردات ايضا متنوعة والاعمال الظاهرة
ابدا تتبع لاحوال القلب الباطنة كما سيقول المولف
بعد هذا في قوله حسن الاعمال نتائج حسن الاحوال
الاعمال صور قائمة وارواحها وجود سر الاخلاص فيها

اخلاص

اخلاص كل عبد في اعماله على حسب رتبته ومقامه فاما
من كان منهم من الابرار فمنتهى درجة اخلاصه
ان تكون اعماله سالمة من الريا الجلي والخفي وقصد
موافقة الهوى النفسي طلبا لما وعد الله به المخلصين
من جزيل الثواب وحسن الماب وهربا مما اوعد به
المخلطين من اليم العذاب وسوء الحساب وهذا من
التحقق بمعنى قوله تعالى اياك نعبد اي لا نعبد الا
اياك ولا نشرك في عبادتك غيرك وحاصل امره اخراج
الخلق عن نظره في اعمال بره مع بقاء رويته لنفسه
في النسبة اليها والاعتماد عليها واما من كان منهم
من المقربين فقد جاوز هذه الى عدم رويته لنفسه
في عمله فاخلاصه انما هو شهود انفراد الحق تعالى
بتحريكه وتسكينه من غير ان يرى لنفسه في ذلك حولا
او قوة ويعبر عن هذا المقام بالصدق الذي به يصح مقام
الاخلاص وصاحب هذا مسلوك به سبيل التوحيد واليقين
وهو من التحقق بمعنى قوله تعالى واياك نستعين اي لا نستعين
الا بك لا بانفسنا وحولنا وقوتنا فعمل الاول هو العمل لله
تعالى وعمل الثاني هو العمل بالله فالعمل لله يوجب
الموثوق به والعمل بالله يوجب القربه والعمل لله
يوجب تحقيق العباده والعمل بالله يوجب تصحيح الارادة
والعمل لله قيام باحكام نعت كل قاصد والعمل بالله
نعت كل عابد والعمل بالله

صح المثوبة

قيام باحكام الظواهر والعمل بالله قيام بالضماير
وهذه العبارات للامام ابي القاسم القشيري رضي الله
عنه وبها يتبين الفرق بين المقامين وتباينهما
في الشرف والجلالة فاخلاص كل عبد هو روح اعماله فبوجود
ذلك يكون حياتها وصلاحيتها للتقرب بها ويكون
فيها اهلية وجود القبول لها وبعدم ذلك يكون موتها
وسقوطها عن درجة الاعتبار وتكون اذ ذاك اشباحا عن محبة
بلا ارواح وصورا بلا معاني قال بعض المشايخ صحح عملك
بالاخلاص وصحح اخلاصك بالتبري من الحول والقوة
ثم المولف رحمه الله اراد ان يذكر الحالة التي اذا
كان العبد عليها كان مخلصا فقال **ادفن وجودك في
ارض الخمول فما نبت مما لم يدفن لا يتم نتاجه** نعم الصيت
لا شي اضر على المريد من الشهرة وانتشار الصوت لان ذلك من
اعظم حظوظها التي هو مامور بتركها ومجاهدة النفس فيها
وقد تسمح نفس المريد بتركها ماسوى هذا من الحظوظ
ومحبة الجاه وايثار الاشتهار مناقض للعبودية التي
هو مطالب بها قال ابرهيم بن ادهم رضي الله عنه ما صدق
الله من احب الشهرة وقال بعضهم طريقتنا هذه
لا تصلح الا لاقوام كنست ارواحهم المزابل قال ايوب
السختياني والله ما صدق الله عبد الا سره ان لا يشعر
بمكانه وقال رجل لبشر بن الحارث اوصني فقال اخمل

ذكرك

ذكرك واطب مطعمك قال بشر رضي الله عنه ما عرف
رجلا احب ان يعرف الا ذهب دينه وافتضح وقال ايضا لا يجد
حلاوة الاخرة رجل يحب ان يعرفه الناس وقال الفضيل ابن عياض
رضي الله عنه بلغني ان الله تعالى يقول في بعض ما يمن
به على عبده الم انعم عليك الم استرك الم اخمل ذكرك
ثم ان محبة الاشتهار مما يقدح في اخلاص العبد لانه
لا ينفك عن الاغراض التي تبعثه على التفاتة قلوب
الخلق فتدعوه نفسه الى ذلك دعاء خفيا فينصبغ عمله
بالريا انصباغا لا يتفطن له كما سياتي عند قوله ربما دخل
الريا عليك حيث لا ينظر الخلق اليك وبقدر تحققه
بوصف الخمول يتحقق له مقام الاخلاص حتى يتخلص
بذلك من رؤية اخلاصه وبهذا يتبين ان اكثر افلاس
جميع الناس الا من رحم الله تعالى وان الاخلاص
في غاية الصعوبة على النفس والذ اعز الاشيا في الوجود
قيل لسهل بن عبد الله رضي الله عنه اي شي اشد على
النفس قال الاخلاص لانه ليس لها فيه نصيب وقال يوسف
بن الحسين اعز شي في الوجود الاخلاص وكم اجتهد في اسقاط
الريا عن قلبي فكانه ينبت فيه على لون اخر قال الشيخ
ابو طالب المكي رضي الله عنه والاخلاص عند المخلصين
اخراج الخلق من معاملة الخالق واول الخلق النفس
والاخلاص عند المحبين ان لا يعمل عملا لاجل النفس والا دخل

على اختلاف مراتبه لانه اما سقوط الناس عن النظر اليه او سقوط النفس عن النظر اليها ولا يستتب للمريد جميع ذلك الا بالخمول وسقوط المنزلة عند نفسه وعند الناس لانه ان لم يكن بهذه المثابة صح

عليه مطالعة العوض او تتوق الى حظ بليغ والاخلاص
عند الموحدين خروج الخلق من النظر اليهم في الافعال
وترك السكون والاستراحه فيهم في الاحوال انتهى
فاذا احمل العبد نفسه والزمها التواضع والمذله واستمر
على ذلك حتى صار له خلقا وجبلة بحيث لا يجد لضعته الما
ولا لمذلته طعما فحينئذ تتزكى نفسه ويستنير بنور
الاخلاص قلبه وينال من ربه اعلا درجات الخصوصيه
ويحصل على اوفر نصيبه من المحبة الحقيقية قال الشيخ ابو
طالب ومتى ذل في نفسه واتضع عند نفسه فلم يجد لذلته نسـ
طعما ولا لضعته حسا فقد صار الذل والتواضع لونه الضعة
فهذا لا يكره الذم من الخلق لوجود النقص في نفسه ولا يحب
المدح منهم لفقد القدر والمنزلة في نفسه فصارت
الذلة والضعة لا تفارقه لازمة كلزوم الزبالة للزبال
والكساحة للكساح هما صنعتان له كسائر الصنائع وربما
فخروا بهما لعدم النظر الى نقصهما فهذه ولاية عظيمة
له من ربه قد ولاه على نفسه وملكه عليها فقهرها بعزه
وهذا مقام محبوب وبعده المكاشفات بسراير الغيوب
ثم قال ومن حاله مع الله تعالى الذل طلبه واستحلاه كان
كما يطلب المتكبر العز ويستحليه اذا وجده فان فارق خ
ذلك الذل ساعة تغير قلبه لفراق حاله كما ان المتعزز
اذا فارق العز ساعة تكدر عليه عيشه لان ذلك عين نفسه

انتهى

انتهى فاذاً لا بد للمريد من اسقاط جاهه واخمال
ذكره وفراره عن مواضع اشتهاره وتعاطيه امورا
مباحة تسقطه من اعين الخلق كقصة السائح الذي سمع به
ملك زمانه فجاء اليه فلما علم بذلك السائح استدعا بقلا
وجعل ياكل اكلا عنيفا بمرئى من الملك فلما راه على تلك
الحالة استحقره واستصغره وانصرف عنه ذاما له وسياتي
نص هذه القصة بعد هذا عند قوله ربما دخل الريا عليك
حيث لا ينظر الخلق اليك وقد بالغ بعض ائمة الصوفيه
رضي الله عنهم في هدم ومحو الجاه الذي علق بالقلوب حتى
استعملوا في ذلك اشيا منكرة في ظاهر الشرع واولئك
جايز لهم ان يفعلوه ويامروا به وذلك مثل قصة
الرجل الذي دخل الحمام ولبس من فاخر ثياب الناس
تحت ثيابه بحيث تظهر ومشى بذلك متمهلا بحيث يرى
ويظن به السرقة فلما راه الناس اخذوه وصفعوه
ونزعوا الثياب عنه واشتهر عندهم بالسرقة حتى كان
يعرف بلص الحمام فحينئذ وجد قلبه مثل ما يروى عن
ابي يزيد رضي الله عنه في قصة الزاهد الذي امره بحلق
راسه ولحيته وتعليق مخلاة الجوز في عنقه واعطائه
من ذلك لمن يصفعه من الصبيان ولحواقه على تلك الحال
في المحافل والمحاضر والحكايتان ثابتتان مشهورتان ذكرهما
الامام ابو حامد الغزالي قدس الله روحه قال بعض المصنفين

واذا جاز لمن غص بلقمة من طعام حلال ان يسيغها
بجرعة من الخمر اذا لم يجد غيره مع ان تحريمه مقطوع به
ولا يفوته الا حياة فانية فلان يجوز مثل هذا اذا لعيش
اولى اذ يفوته بذلك الحياة الباقية والقرب من الله
تعالى فاذا التزم العبد بهذا الطرف من الرياضات ماتت
نفسه وحيي قلبه وقرب من حضرة ربه واجتنا ثمرة غرسه
على غاية الكمال والتمام وتلك الثمرة اخلاق الايمان
التي تكيفت بها نفسه وصارت كصفات ذاتية له وهي
نتيجة الحكمة التي انبتها الله في قلوب عباده المتواضعين
ومن يوت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا قال عيسى عليه
السلام لاصحابه اين تنبت الحبة قالوا في الارض فقال
عليه السلام كذلك الحكمة لا تنبت الا في قلب مثل الارض
قلت وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم في مدح الخمول وذم الشهرة
احاديث كثيرة منها ما روى ابو امامه رضي الله عنه عن
النبي صلى الله عليه وسلم ان اغبط اوليائي عندي لمومن خفيف
الحاذ ذو حظ من الصلاة احسن عبادة ربه واطاعه في
السر وكان غامضا في الناس لا يشار اليه بالاصابع وكان
رزقه كفافا فاقتصر على ذلك ثم نفض يده فقال عجلت
منيته قلت بواكيه قل تراثه وفي حديث ابي هريرة رضي
الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان رب اشعث
اغبر ذي طمرين تنبو عنه اعين الناس لو اقسم على الله لابره

فصبر

وروى معاذ بن جبل رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال ان يسير امن الرياء شرك وان من عادى
اولياء الله فقد بادى الله بالمحاربة وان الله يحب
الاخفياء الاتقياء الذين اذا غابوا لم يفتقدوا واذا
حضروا لم يدعوا ولم يعرفوا قلوبهم مصابيح الهدى
يخرجون من كل غبراء مظلمة وروى ابو هريرة رضي الله
عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديثه الذي
نوه فيه باسم اويس القرني رضي الله عنه واشار
بذكره ونبه على عظم امره رضي الله عنه انه قال بينما
نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم في حلقة من اصحابه
اذ قال ليصلين معكم غدا رجل من اهل الجنة قال ابو
هريرة فطمعت ان اكون ذلك الرجل فغدوت فصليت
في المسجد خلف النبي صلى الله عليه وسلم فما قمت في المسجد
حتى انصرف الناس فبقيت انا وهو فبينما نحن كذلك اذ دخل
رجل اسود متزر بخرقة مترد برقعة فجاء حتى
وضع يده في يد النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال يا نبي الله
ادع الله لي بالشهادة فدعا النبي صلى الله عليه وسلم له بالشهادة وانا
لنجد منه ريح المسك الاذفر فقلت يا رسول الله اهو هو
قال نعم انه لمملوك بني فلان قلت افلا نشتريه فنعتقه
يا نبي الله قال واني لي بذلك ان كان الله يريد ان يجعله
من ملوك الجنة وساداتهم يا ابا هريرة ان الله يحب

بالعداوة

[illegible]

من خلقه الاصفيا الاخفيا الابريا الشعثة رؤوسهم المغبرة
وجوههم الخمصة بطونهم من كسب الحلال الذين اذا استاذنوا
على الامراء لم يؤذن وان خطبوا المتنعمات لم ينكحوا وان غابوا
لم يفتقدوا وان حضروا لم يدعوا وان طلعوا لم يفرح
بطلعتهم وان مرضوا لم يعادوا وان ماتوا لم يشهدوا
قالوا يا رسول الله كيف لنا برجل منهم قال ذلك اويس
القرني قالوا وما اويس القرني قال اشهل ذو صهوبة بعيد
ما بين منكبيه معتدل القامة آدم شديد الادمة
ضارب بذقنه الى صدره رام ببصره الى موضع سجوده
واضع يمينه على شماله يتلوا القران يبكي على نفسه ذو
طمرين لا يؤبه له متزر بازار صوف ورداء صوف مجهول
في اهل الارض معروف في اهل السما لو اقسم على الله
لابر قسمه الا وان تحت منكبه الايسر لمعة بيضا الا وانه
اذا كان يوم القيمة قيل للعباد ادخلوا الجنة ويقال
لاويس القرني قف فاشفع فيشفعه الله في مثل عدد
ربيعة ومضر يا عمر ويا علي اذا انتما لقيتماه فاطلبا
اليه يستغفر لكما يغفر الله لكما وذكر باقي الحديث
وفي حديث اخر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يكون
في امتي رجل يقال له اويس القرني يدخل في شفاعته
عدد ربيعة ومضر لو اقسم على الله لابره فمن لقيه
بعدي فليقرأه مني السلام ثم سئل عن علامته فقال هو
رجل

لهم في
بيكن ذو صهوبة
الادمة هي السمرة
قوله طمرين اي ثوبين خلقين
قوله لا يؤبه له وبه اي لا يبالى به

رجل اصهب اشهل ذو طمرين ابيض له ام وقد كان به
بياض فدعا الله عز وجل فاذهبه عنه الا مقدار الدينا
او الدرهم لا يؤبه له مجهول في الارض معروف في السماء
وكان قد بلغ من شدة خموله ونهاية ضعته ان الناس
كانوا يسخرون منه ويستهزؤون به ويرون فيه البله
والخداع والتلمص وينسبونه الى ذلك فقد روي انه دفع
اليه بعض فقها الكوفة ثوبين وكان يجالسهم فانقطع
من مجلسه لاجل العري فردهما عليه بعد ان اخذهما
منه وقال ان الناس يقولون من اين له هذان الثو
ترى من خدع عليهما وكان في ذلك الوقت يجالس الفقها
ويظهر للناس ذلك قبل ان يعرف بموضعه القدر
وجلالة الخطر وتنويه عمر رضي الله عنه به على المنبر
فلما راى الناس عرفوا حاله هرب عنهم وتخفى منهم
ولبس امره عليهم برعاية الابل وغير ذلك وقيل ان عمر
رضي الله عنه لما سال عنه قومه فما فيهم احد منه ذكرا
فلما لقيه هو وعلي رضي الله عنهما وساله من هو فقال له
راعي غنم واجير قوم وستر ذكر اويس فلما ساله عن
اسمه قال له عبد الله فلما ساله عن اسمه الذي سمته
به امه امتنع ان يجيبه على ذلك فلما اخبره بصفة
النبي صلى الله عليه وسلم له وانهما عرفاه بذلك قال لهما عسى
ان يكون ذلك غيري فلما قالا له اخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم

ر
في ذلك
بان

ان تحت دسكرة الايسر لمعة بيضاء وطلبا منه ان يدعو
لهما لم يجد بدا من ان يوضحهما وذلك والله اعلم ليريهما
رؤية عين صحة قول النبي صلى الله عليه وسلم وصدقه في اخباره
بالغيب وذلك امر واجب عليه والافعال كانت متعلقة
لهما لما فعل في كل ما يسالا عنه ثم بعد ذلك لما ساله عمر
رضي الله عنه ان يلتقي معه ويجعل ذلك الموضع معيادا
بينه وبينه قال له يا امير المومنين لا ميعاد بيني
وبينك ولا اعرفك ولا تعرفني بعد اليوم ثم ادبر الى اصحابه — ثم دفع
وخلى عن الرعاية وكذلك فعل مع ابن حيان رضي الله عنه — هرم
لما لقيه بشاطي الفرات ووقع بينهما التعرف قال
له حدثني بحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم احفظه عنك
قال لا احب ان افتح هذا الباب على نفسي لا احب ان اكون
محدثا ولا مفتيا ولا قاضيا فلما فرغا من الكلام الذي
كان بصدده ساله مداومة الاجتماع به فابى وامتنع
وقال له لا اراك بعد اليوم تطلبني ولا تسال عني انطلق
انت ههنا حتى انطلق انا ههنا ثم بعد ذلك اجتهد
في طلبه والبحث عنه فلم يقع على خبره ومن عجب امره
ان حقق الله تعالى له بهذا الحال من التخفي والتستر واتمه
له بعد موته مع ما اظهر الله سبحانه من الايات والعبر
حينئذ قال عبد الله بن سلمة غزونا اذربيجان زمن
عمر رضي الله عنه ومعنا اويس القرني فلما رجعنا مرض فمات

فنزلنا

فنزلنا فاذا قبر محفور وماء مسكوب وكفن وحنوط فغسلناه
وكفناه وصلينا عليه ودفناه فقال بعضنا لبعض لو رجعنا
فعلمنا قبره فرجعنا فاذا لا قبر ولا اثر قلت والحكايات
والاثار في مدح الخمول وذم الاشتهار اكثر من ان ياتي
عليها الحصر وقد اورد كثيرا منها الائمة المصنفون
في هذا العلم فليطالع ذلك المريد المستمد من الله
تعالى حسن التوفيق والتاييد وتعبير المولف رحمه
الله تعالى ههنا بالدفن والارض والنبات والنتاج
من مليح الاستعارات ما انفع القلب شي مثل عزلة يدخل
بها ميدان فكره مداواة امراض القلب واجبة على
المريد وامراضه مما تكون من غلبة احكام الطبع عليه
من صحبة الاضداد ووقوفه مع المعتاد والانقياد الى
هوى النفس وانه يعالج الحس ومداواة هذا المرض
يتاتى من وجوه كثيرة وابلغها في ذلك وانفعها العزلة
عن الناس المصحوبة بالفكرة فبالعزلة يتقيد الظاهر
عن مخالطة من لا تصلح مخالطته ومن لا يامن من دخول
الافات عليه بصحبته فيتخلص بذلك المعتزل من المعاصي
التي يتعرض لها بالمخالطة مثل الغيبة والمداهنة — بالمخالطة
والرياء والتصنع ويتحصل له بذلك السلامة من مسارقة
الطبع الطباع الرديه والاخلاق الدنيه ويستفيد بذلك
ايضا صيانة دينه ويغنيه عن التعرض للخصومات وانواع

ذلك

الشرور والفتن فان للنفس تولعا وتسارعا الى الخوض
في امثال هذا فواجب على المعتزل ان يكف لسانه عن السوال
عن اخبار الناس وما هم مشغولون به ومنهمكون فيه
ومكبون عليه ويصون سمعه من الاصغا الى اراجيف
البلد وما اشتملت عليه من الاحوال التي ذكرناها ويحرص
على ان لا يغشاه في خلوته وعزلته من شانه التطلع لذلك
والبحث عنه وليجتنب صحبة من لا يتورع في منطقه
ولا يضبط لسانه عن الاسترسال في دقايق الغيبة والوقيعة
والتعريض بالطعن على الناس والقدح فيهم فان ذلك مما
يكدر صفا القلب ويودي الى ارتكاب مساخط الرب
فليهجره المعتزل وليفر منه فراره من الاسد ولا يجتمع
معه في مكان البتة وليتنكر الى كل من تعرف له من شانه هذا
من المنسوبين الى الزين فضلا عن غيرهم كما قال بعضهم
انكر من تعرف ولا تتعرف الى من لا تعرف وفي الخبر مثل
الجليس السو كمثل القين ان لم يحرق ثوبك بشرره علق بك من
ريحه وفي الاخبار السالفة ان الله تعالى اوحى الى موسى عليه
السلام يا ابن عمران كن يقظانا وارتد لنفسك اخوانا وكل
اخ او صاحب لا يوازرك على مسرتي فهو عدو لك واوحى الله
تعالى الى داود عليه السلام فقال يا داود ما لي اراك منتبذا
واحدا فقال الهي خليت الخلق من اجلك فقال له يا داود
كن يقظانا وارتد لنفسك اخوانا وكل خدن لا يوافقك على
مسرتي

القين هو الحداد

صح قلبت

مالي

مسرتي فلا تصحبه فانه عدو لك ويقسي قلبك ويباعدك مني
وما احسن قول ابي اسحق ابرهيم بن مسعود الالبيري في
المعنى فخف ابنا جنسك واخش منهم كما تخشى الضراغم والسبنتا
وخالطهم وزايلهم حذارا وكن كالسامري اذا لمستا
وبالعزلة ايضا يجتمع همه ويقوى في ذات الله عزمه بخلاف
الخلطة فانها تفرق الهم وتضعف العزيمة فقد قيل ان العبد
ليعقد في خلوته على خصال من الخير يعملها فاذا خرج الى الناس
حللوا عليه ذلك عقدة عقدة حتى يرجع الى بيته وقد انحلت
العقد كلها وروي عن عيسى عليه السلام انه قال لا تجالسوا
الموتى فتموت قلوبكم قيل ومن الموتى قال المحبون للدنيا
الراغبون فيها وفي الخبر المروي عن نبينا صلى الله عليه وسلم
اخوف ما اخاف على امتي ضعف اليقين وضعف اليقين انما
يكون من روية اهل الغفلة ومخالطة ارباب البطالة
والقسوة قال ابو طالب المكي رضي الله عنه ومما ابتلي
العبد به ودخل عليه في صلاته وشرده بحجبه وابعاده
ضعف يقينه بما وعد من الغيب وتوعد عليه بالشهادة وقوة
اليقين اصل كل عمل صالح وقال بعض هذه الطائفة قلت لبعض
الابدال المنقطعين الى الله تعالى كيف الطريق الى التحقق
والوصول الى الحق قال لا تنظر الى الخلق وان النظر اليهم ظلمة
فقلت لابد لي منهم قال فلا تعاملهم فان معاملتهم خسران
وحسرة ووحشة قلت انا بينهم بين اظهرهم ولابد لي من معاملتهم

قال فلا تسلّط اليهم فان السكوت اليهم هلكة قلت هذا
لعله قال يا هذا تتنكر الى الاعبث وتسمع كلام الجاهلين
وتعامل البطالين وتسلك الى الهالكين وتريد ان
تجد حلاوة الطاعة وتلذذا مع غير الله عز وجل هيهات
هذا ما لا يكون ابدا وبالعزلة ايضا ينكف بصره عن
النظر الى زينة الدنيا وزهرتها وينصرف خاطره
عن الاكتساب لما ذمه الله تعالى من زخرفها فتمتنع
بذلك النفس عن التطلع اليها والاستشراق لها ومنافسة
اهلها قال الله تعالى ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به
ازواجا منهم الاية ولا ينبغي لاحد ان يستحقر هذا فانه
يودي الى امراض عظيمة في القلب ومن اعتزل الناس
سلم باذن الله تعالى منها قال القشيري رضي الله عنه
فارباب المجاهدات اذا ارادوا صون قلوبهم عن
الخواطر الردية لم ينظروا الى المستحسنات قال وهذا
اصل كبير في المجاهدات في الاحوال الرياضية انتهى
وقال محمد بن سيرين رضي الله عنه اياكم وفضول النظر
فانها تودي الى فضول الشهوة وقال الفضيل ما من
كثرت لحظاته دامت حسراته وقال ابن عمر العين
الحين ومن ارسل عينه افتتن حينئذ وان النظر الى الاشيا
بالبصر موجب تفرقة القلب وقد انشدوا في المعنى
وانك ان ارسلت طرفك رائدا لقلبك يوما اتعبتك المناظر

رايت

على بصيرة ولا ينخدع بما يتوهم من صلاح سريرته دون علانيته
فمن ادعى بقلبه معرفة الله تعالى ومحبته ولم يظهر على ظاهره
ثمرات ذكره واثاره من التلهج بذكره والمسارعة الى اتباع
امره والاغتباط بوجوده والاستئثار بمن يقتضي
شهوده والفرار من القواطع الشاغلة منه والاضراب
عن الوسايط المبعدة منه فهو كذاب في دعواه متخذ الهه
هواه فان كان موصوفا باضداد هذه الخصال منحرفا
بظاهره عن جادة الاعتدال فهو في دعواه كذاب وحاله
للنفاق والشرك اقرب قال ابو طالب المكي رحمه الله
وقد جعل الله تعالى وصف الكافرين انهم اذا ذكر الله
وحده في شي انقبضت قلوبهم واذا ذكر غيره في شي فرحوا
وجعل من نعوتهم انهم اذا ذكر الله بتوحيده وافراده
غفلوا لذلك وكرهوه واذا اشرك غيره في ذكره صدقوا به
فقال تعالى واذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب
الذين لا يومنون بالاخرة واذا ذكر الذين من دونه اذا هم
يستبشرون وقال ايضا ذلكم بانه اذا دعي الله وحده
كفرتم وان يشرك به تومنوا اي الشرك الخلط اي يخلط
بذكره ذكر سواه ثم قال فالحكم لله العلي الكبير يعني
لا يشرك خلق في حكمه لانه العلي في عظمته الكبير في
لا شريك له في ملكه وعطائه ولا ظهير له من عباده ففي دليل
هذا الكلام وفهمه من الخطاب ان المومنين اذا ذكروا

الله بالتوحيد والافراد في شي انشرحت صدورهم واتسعت
قلوبهم واستبشروا بذكره وتوحيده واذا ذكرت الاوايل
والاسباب التي دونه نكروا واذا ذكروا اشمازت قلوبهم وهذه
علامة صحيحة فاعرفها من قلبك ومن قلب غيرك لتستدل
بها على حقيقة التوحيد في القلب او وجود خفي الشرك في السر
ان كنت عارفا انتهى قلت وهذه المسألة التي تضمنها كلام
الشيخ ابي طالب رضي الله عنه من اعظم المسايل وعلى صدق الصادق
وكذب الكاذب من اوضح الدلايل ومما كان قصدنا في هذا
التنبيه على التعنا من ذكر الفوايد العجيبة والحرص على رسم
المناصر الغريبة لغربة الدين في هذا الزمان الرذل وابتلاء
العزة والجهل على المنتسبين الى العلم والفضل حتى صار يراد
هذه الكلمات على جهة قرب المثل والاكتفاء بالنهي عن
العمل ليعمل بمقتضى ذلك مريد سالك ويبتهج من ناصحة
ربه في دينه وقلبه اوضح المسالك واجمل على هذا الاسلوب
كلاما لم تظهر الا مما بعثه ولم يتم في نظر منا سبته
لتسلم بذلك من الاعتراض وتخلو همتنا عما تولع به اصحاب
القلوب المراض عافانا الله من ذلك بمنه وكرمه

شتان بين من ~~يستدل به او يستدل عليه~~ يستدل به
او يستدل عليه المستدل به عرف الحق لاهله واثبت
الامر من وجود اصله والاستدلال عليه من عدم الوصول اليه
والا فمتى غاب حتى يستدل عليه ومتى بعد حتى تكون الاثار هي

هي

(هامش: ويبتهج صح)

(هامش: النهل اول الشرب والعلل اخر الشرب مع الشبع والري)

التي توصل اليه بنوادم في اول نشاتهم ومبدا خلقتهم
وخروجهم من بطون امهاتهم لا تعلمون شيا ثم ان الله
تعالى لما اختص بعضهم بخصوصية عنايته واختار منهم
من اهله لولايته وما ذاك الا بحصول العلم الذي يتضمنه
قوله وجعل لكم السمع والابصار والافئدة الذي يحقق
لهم النسبة ويوجب لهم التزكي والقربة المشار الى ذلك
بقوله لعلكم تشكرون جعلهم قسمين مراد بين
ومتردين وان شئت قلت مجذوبين وسالكين وكلاهما
مراد ومجذوب على التحقيق فان الله يجتبي اليه من يشاء
ويهدي اليه من ينيب فالمريدون السالكون الى الله
تعالى في حال سلوكهم محجوبون عن ربهم برؤية الاغيار
فالاثار والاكوان ظاهرة لهم وموجودة لديهم والحق
تعالى غيب عنهم فهم يستدلون بها عليه في حال ترقيهم
والمرادون المجذوبون واجههم الحق تعالى بوجهه
الاكرم وتعرف اليهم فعرفوه به فلما عرفوه على هذا الوجه
انحجبت الاغيار عنهم فلم يروها فهم يستدلون به عليها في حال
تنزلهم فهذا هو حال الفريقين وشتان ما بينهما اي بعد
ما بينهما وذلك ان المستدل به على غيره عرف الحق الذي
هو الوجود الواجب لاهله وهو المختص بوصف القدم
واثبت الامر المشار اليه اي الاثار التي هي من وجود
اصله المشار به الى المؤثر المتحقق وجوده والمستدل بغيره

(هامش: من يسمونه بالجهل وعدم العلم قال الله تعالى والله اخرجكم من بطون امهاتكم صح)

(هامش: والله عز وجل صح)

(هامش: اليه صح)

(هامش: نسخة تولهم)

عليه على عكس ما ذكرناه لانه استدلال بالمجهول على المعلوم
وبالمعدوم على الموجود وبالامر الخفي على الظاهر الجلي وذلك
لوجود الحجاب ووقوفه مع الاسباب وعدم اختصاصه به
بالوصول والاقتراب والا فمتى غاب حتى يستدل عليه
بالاشياء الحاضرة ومتى بعد حتى تكون الآثار القريبة
هي التي توصل اليه او فقد حتى تكون الآثار الموجودة هي
التي تدل عليه عجبت لمن يبقى عليك شهادة وانت الذي
اشهدته كل شاهد قال في لطائف المنن واعلم ان الادلة
انما نصبت لمن يطلب الحق لا لمن يشهده لان الشاهد
غني بوجود بوضوحه عن ان يحتاج الى دليل فتكون
المعرفة باعتبار توصل الوسايل البهاليه(?) ثم تعود
الى نهايتها ضرورية اذ كان من الكائنات ما هو غني
بوجوده عن اقامة دليل والمكون اولى بغناه عن الدليل
منها ثم قال ومن اعجب العجائب ان تكون الكائنات موصلة
اليه فليت شعري هل لها وجود معه حتى توصل اليه وهل
لها من الوضوح ما ليس له حتى تكون هي المظهرة له وان
كانت الكائنات موصلة اليه فليس لها ذلك من حيث ذاتها
لكن هو الذي ولاها رتبة التوصيل فوصلت فما وصل
اليه غير الهيته ولكن الحكيم هو واضع الاسباب وهي لمن
وقف عندها ولم ينفذ الى قدرته عين الحجاب لينفق ذو
سعة الواصلون اليه ومن قدر عليه رزقه السايرون اليه هذه

اشارة

إشارة مليحة الى حال الفريقين فالواصلون الى الله تعالى
لما خرجوا من سجن رؤية الاغيار الى فضاء التوحيد وكمال
الاستبصار اتسعت ساحة نظرهم فانفقوا من سعتهم
وتصرفوا في علومهم كيف شاؤوا والسالكون اليه مقدور
عليهم في ارزاق العلوم والفهوم محبوسون في مضيق
الخيالات والرسوم ينفقون مما آتاهم الله من
الرزق المعلوم المقدر المضيق اهتدى الراحلون
اليه بانوار التوجه والواصلون لهم انوار المواجهة
فالاولون للانوار وهؤلاء الانوار لهم لانهم لله
لا لشيء دونه انوار التوجه هو ما يبينهم الى الله تعالى من عبادات
ومعاملات ومجاهدات ومكابدات وانوار المواجهة
ما من الله لهم من تعرف وتقرب وتودد وتحبب فالاولون
عبيد للانوار لوجود حاجتهم اليها في الوصول الى مقصودهم
والآخرون الانوار لهم لوجود غناهم عنها بربهم فهم
لله لا لشيء دونه وسيأتي هذا المعنى عند قوله انت مع الاكوان
ما لم تشهد المكون فاذا شهدته كانت الاكوان معك
قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون افراد التوحيد بعدم
ملاحظة الاغيار وهو حق اليقين ورؤية ما سوى الله تعالى
خوض ولعب وهما من صفات الكافرين والمنافقين قال الله تعالى
اخبارا عنهم وكنا نخوض مع الخائضين وقال تعالى بل هم
في خوض يلعبون تشوفك الى ما بطن فيك من العيوب خير من تشوفك الى ما حجب عنك من الغيوب

تشوفك

حكم المريد ان يتشوف الى معرفة ما غاب عنه من معايب
نفسه ويتطلبها ويبحث عنها فان ذلك هو حق الحق تعالى منه
فينبغي ان يحرص عليه ويصرف عنانه اعتنا به اليه ليحصل له
صفا اعماله من الافات ونقا احواله من الكدورات وينتفي
عنه الجهل والغرور وينقطع من باطنه مواد الشرور وقد ذكر
الشيخ ابو حامد الغزالي رضي الله عنه في كتاب رياضة النفس
فصلا في الطريق الذي به يتعرف الانسان عيوب نفسه
فلينظر فيه المريد وقد جعل حاصله اربعة اوجه احدها
ان يجلس بين يدي شيخ بصير بالعيوب والافات فيحكمه
على نفسه ويتبع اشارته فيما يشير به عليه والثاني مصاحبة
صديق يجعله رقيبا على احواله واعماله لينبهه على ما
يخفى عليه من مذام خلاله والثالث ان يستفيد معرفة
عيوبه من اعدايه اذ لا بد من جريان ذلك على السنتهم عند
ثلبهم وغيبتهم والرابع ان يستفيد ذلك من مخالطة الناس
اذ يطلع بذلك على مساويهم فاذا اطلع عليها منهم علم انه
لا ينفك هو عن شي منها لان الطباع البشرية في ذلك متقاربة
وقد يظهر له في نفسه ما هو اعظم مما يراه في غيرها فيطالب
نفسه حينيذ بالتطهر منها والتنزه عنها هذا اختصار ما ذكره
ثم قال وهذه كلها حيل من فقد شيخا عارفا ذكيا بصيرا بعيوب
النفس مشفقا ناصحا في الدين فارغا عن تهذيب نفسه مشغولا
بتهذيب عباد الله ناصحا لهم فمن وجده فقد وجد الطبيب

حيل

فليلازمه

فليلازمه فهو الذي يخلصه من مرضه وينجيه من
الهلاك الذي هو بصدده انتهى واما طلب الغيوب
المحجوبة عنه من خفايا القدر ولطايف الغيب فانه حظ
نفسه لا حق عليه فيه للحق تعالى فليحتجب عنها نفيا ولا يشغل
بها عقلا ولا حسا وما يظهر له منها لا يسكن اليه ولا يعول
عليه فان ذلك من المعايب القادحة في عبوديته ولهذا
قال لي الحق كن طالبا للاستقامة ولا تكن طالب الكرامة
فان نفسك تتحرك وتطلب الكرامة ومولاك يطالبك
بالاستقامة ولان تكون بحق مولاك اولى بك من ان تكون
بحظ نفسك ومن الحكايات في هذا المعنى الذي ذكرناه
ما روي في الاسرائيليات عن وهب بن منبه ان رجلا من بني
اسرائيل صام سبعين سنة يفطر بها ستة ايام فسال الله
تبارك وتعالى ان يريه كيف يغوي الشيطان الناس
فلما طال ذلك عليه ولم يجب قال لو اطلعت على خطيتي
وذنبي بيني وبين ربي لكان خيرا لي من هذا الامر الذي
طلبته فارسل الله اليه ملكا فقال له ان الله تعالى ارسلني
اليك وهو يقول لك ان كلامك هذا الذي تكلمت به احب
الي مما مضى من عبادتك وقد فتح الله بصرك فانظر فاذا جنود
ابليس قد احاطت بالارض واذا ليس احد من الناس الا
والشياطين حوله كالذباب فقال اي ربي من ينجو من هذا
قال الورع اللين وسياتي بيان ان الكرامات غير مطلوبة

فنظر

بصيرتك

التحميد ولا منتفعط يوجودها الذي كدعا المرتبا[ل] عند
قوله ليس كلامن ثبت تحميده كمن تحليصه الحق ليس
بمحجوب وانما المحجوب انت عن النظر اليه اذ لو حجبه شي
لستره ما حجبه ولو كان له ساتر لكان لوجوده حاصر
وكل حاصر لشي فهو له قاهر وهو القاهر فوق عباده
الحجاب علي الحق محال وهذا المؤلف على ذكر بما ذكره
ههنا وهو بين لا اشكال فيه والحجاب علي العبد واجب
من حيث ذاته اذ هو عدم كما تقدم ولا نسبة بين العدم
وبين الوجود فان اراد الله تعالي رفع هذا الحجاب عمت
شاكلتي شامتي بشارة من ليس كمثله شي وهذا مما يجب
اعتقاده اخرج من اوصاف بشريتك عن كل وصف
مناقض لعبوديتك لتكون لنداء الحق مجيبا ومن حضرته
قريبا اوصاف البشرية المتعلقة بامر الدين نوعان
احدهما ما يتعلق بظاهر العبد وجوارحه وهي الاعمال
والثاني ما يتعلق بباطنه وقلبه وهي العقود فاما ما
يتعلق بظاهره وجوارحه فينقسم قسمين ما وافق الامر
ويسمي طاعة والثاني ما خالفه ويسمي معصية واما ما يتعلق
بباطنه فينقسم ايضا الى قسمين احدهما ما وافق الحقيقة
ويسمي ايمانا وعلما والثاني ما خالفها ويسمي نفاقا
وجهلا والنظر فيما يتعلق بباطنه يسمي في الاصطلاح تصوفا
فهذان الامران هما كلية العبد وظاهره نسبة لباطنه الضرور

والنظر فيما يتعلق بظاهر العبد يسمي في الاصطلاح تفقها صح

لان

لان القلب هو الملك والجوارح جنوده ورعيته
ومن شان الرعية الطاعة للملك فيما يامر به وينهي عنه وقد
نبه علي هذا المعني رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال
ان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت
فسد الجسد كله الا وهي القلب انما يكون بطهارته عن
الصفات المذمومة كلها دقيقها وجليلها وهذه هي الصفات
المناقضة للعبودية من اوصاف البشرية التي اشار اليها
المؤلف رحمه الله تعالي وهي التي تسم صاحبها بسمة النفاق
والفسوق وهي كثيرة مثل الكبر والعجب والريا والسمعة
والحقد والحسد وحب الجاه والمال ويتفرع عن هذه الاصول
فروع خبيثة من العداوة والبغضاء والتذلل للاغنيا
والاحتقار للفقرا وترك الثقة بمجي الرزق وخوف سقوط
المنزلة من قلوب الخلق والشح والبخل وطول الامل والاشر
والبطر والغل والغش والمباهات والتصنيع والمراهنة
والقسوة والفظاظة والغلظة والغفلة والجفاء والطيش
والعجلة والحدة والحمية وضيق الصدر وقلة الرحمة وقلة
الحيا وترك القناعة وحب الرياسة وطلب العلو والانتصار
للنفس اذا نالها الذل وذهاب ملكها للنفس الى ما يرد عليه
قوله الي غير ذلك من النعوت الذميمة والاخلاق اللئيمة
واصل فروعها وعنصر نباتها انما هو رؤية النفس والرضا
عنها وتعظيم قدرها وترفيع امرها فبهذه الامور كلها من كفر

وصلاح القلب

وجليلها

والتصنع صح

وتا فقد من نافق وعصى حيث عصى ربها خلع منا عنقه ربقة
العبودية لربه عز وجل ومن خلع حبها يفرد له المولف رحمه
الله بالذكر هذه وشان الصوفي مما هو النظر فيما يطهرها
ويزكيها من انواع الرياضات والمجاهدات وقد بينوا
طرق ذلك في كتبهم خالص الشيخ الوظايف ولا يكون المريد
له احتى يبدل صفات الربوبية بصفات العبودية
وباخلاق الشياطين اوصاف المومنين وبطبايع البهايم
اوصاف الروحانيين من الاذكار والعلوم فعندها يكون
له الظفر بالغال والطريق الى هذا بان يملك نفسه فيملكها
فتسخر له ويتسلط عليها فان اردت ان تملك نفسك فلا تملكها
وضيق عليها ولا توسع لها فان ملكتها ملكتك وان لم تضيق
عليها انسعت عليك واذا اردت الظفر بها فلا تعرضها
لهواها واحبسها عن معتادها وملايمها فان لم تفعل تملكها
انطلقت بك وان اردت ان تقوى عليها فاضعفها بقطع
اسبابها وحسم موادها والا قويت عليك فمن عكست انتهب
فاذا تم قادر بذلك المريد على الوجه الذى رسموه
له والتزم الوظايف التي امر بها طهر قلبه وتزكت نفسه
واتصف بمحاسن الصفات التي تزينه بين العباد وينال بها
من قرب ربه غاية المراد فتظهر عليه حينيذ اثار حميدة
من التواضع لله والخشوع بين يديه ودوام التعظيم لامره
والحفظ لحدوده والهيبة له والخوف منه والتذلل لربوبيته

ودوا

والاخلاص في عبوديته والرضا بقضايه وروية المنة له
عليه في صنعه وعطايه فيما بين خلقه بالرافة والرحمة ويتصف
واللين والرفق وسعة الصدر والحلم والاحتمال والصيانة
والنزاهة والامانة والثقة والعفو والتاني والوقار
والسخاء والجود والحيا والبشاشة والنصيحة وسلامة
الصدر الى غير ذلك من اخلاق الايمان التي بها ينال العبد
غاية السعادة والحسنى والزيادة قلت وهذان المعنيان
هما اللذان يعبر عنهما ايمة الصوفية رضي الله عنهم
بالتحلي والتخلي اى التخلي عن الصفات المذمومة والتحلي
بالصفات المحمودة ويعبرون عنهما ايضا بالتزكية
والتحلية وهما حقيقة السلوك الذى يعبرون عنه ايضا
وسياتي الاشارة الى كيفية ذكره عند قوله لولا ميادين النفو س
ما تحقق سير السايرين فاذا صح للمريد هذا السفر
وانقلب منه الى افضل مستقر تحققت عبوديته لربه عز وجل
فلم يملكه غيره ولم يسترقه سواه وارتقى في القرب
من ربه الى اشرف محل فيكون هنالك منزله ومثواه
فيكون حينيذ كما قال المولف رحمه الله ليكون لندا
الحق مجيبا لانه اذ ذاك يناديه باسم العبد ياعبدى الحق تعالى فيقول الحق
فيجيب حينيذ مولاه باسم الرب فيقول له لبيك يا رب فيكون
صادقا في اجابته متحققا في نسبته ويكون ابقى من حضرة
قريبا الوجود بعده عن نفسه التي من شانها النفور عنها

والقرار منها فاذا اقامه الحق تعالى مقام العبودية
وحاز مرتبة القرب من حضرة الربوبية كان محفوظا
من الاقتحام في الاوزار المبيرة عليه اعمال الابرار متجليا في
الظاهر والباطن باشراق الكمال محتظيا بفضيلة التشبه
بالملا الاعلى قال الله تعالى ومن عنده لا يستكبرون عن
عبادته ولا يستحسرون يسبحون الليل والنهار لا يفترون
وقد قال تعالى ان الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه
وله يسجدون وقال عز من قائل لا يعصون الله ما امرهم
ويفعلون ما يؤمرون فمرتبة العبدية انما تظهر عزه
الخصوصية الان هولاء محفوظون لا معصومون على ما اصطلحوا
عليه من الفرق بين الحفظ والعصمة والفرق بينهما ما قاله
الامام ابو القسم القشيري ان المعصوم لا يلم بذنب
البتة والمحفوظ قد يحصل منه هنات وقد يكون له في النادر
زلات ولكن لا يكون له اصرار اولئك الذين يتوبون من
قريب وقد وصف الله عباده المخصوصين بالتخصيص والتمحيص
في ايات كريمة بصفات جليلة عظيمة ووعدهم على ذلك
خيرات جسيمة فقال تعالى وعباد الرحمن الذين يمشون
على الارض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما الى قوله
حسنت مستقرا ومقاما والكلام لمن تدبر فيما قاله فيها اهل التفسير
وما استنبط منها ارباب الاشارات والتذكير واما من
عري عن هذه الاخلاق فهم عبيد نفوسهم الشهوانية ومسترقوا حظوظهم

الدنياوية

ان الذين صح

وكذلك من تشبه بهم في محاسن صفاتهم من الصفوة الصوفية بلغ

الى الله

الدنيا وبه قال الله تعالى افرأيت من اتخذ الهه هواه وقال
النبي صلى الله عليه وسلم فيما روي عنه تعس عبد الدينار تعس عبد
الدرهم الحديث وهولاء هم من عبيد الغير والمعنيين بقوله
عز وجل ان كل من في السموات والارض الا اتي الرحمن عبدا
لقد احصاهم وعدهم عدا وكلهم اتيه يوم القيمة فردا
واعلم انه لا يتهيا هذا السلوك الى حضرة ملك الملوك
الا لمن وفقه الله لمعرفة نفسه وما ركبت عليه من مذام الصفات
ومن عرف ذلك من نفسه لا يزال متهما لها مسيئا الظن بها اخذا
حذره منها والا وقع في المعاصي والذنوب من حيث لا يشعر
وقد نبه المولف رحمه الله على هذا بقوله اصل كل معصية
وغفلة وشهوة الرضا عن النفس واصل كل طاعة ويقظة
وعفة عدم الرضا عنها الرضا عن النفس اصل جميع الصفات
المذمومة وعدم الرضا عنها اصل الصفات المحمودة وقد اتفق
على هذا جميع العارفين وارباب القلوب وذلك لان الرضا
عن النفس موجب لتغطية عيوبها ومساويها ويصير قبيحها
حسنا كما قيل • وعين الرضا عن كل عيب كليلة • وعدم
الرضا عن النفس على عكس هذا لان العبد اذ ذاك يتهم
نفسه ويطلب عيوبها ولا يغتر بما تظهره من الطاعة والانقياد
وكما قيل في الشطر الاخير • ولكن عين السخط تبدي المساويا •
فمن رضي عن نفسه استحسن حالها وسكن اليها ومن استحسن
حال نفسه استولت عليه الغفلة وبالغفلة ينصرف قلبه

جميع صح

تمامه كما ان عين السخط تبدي المساوا

وسكن اليها

عن التفقد والمراعاة لخواطره فتقوى حينئذ دواعي
الشهوة على العبد وليس عنده من المراقبة والتدبير ما يدفعها
به ويقهرها فتصير الشهوة غالبة له بسبب ذلك ومن غلبت
شهوته وقع في المعاصي لا محالة واصل ذلك كله رضاه عن نفسه
ومن لم يرض عن نفسه لم يستحسن حالها ولم يسكن اليها ومن كان
بهذا الوصف كان متيقظا للطوارق والعوارض
وباليقظة والتنبيه يتمكن من تفقد خواطره ومراعاتها
ويمنون ذلك تخمد نيران الشهوة فلا يكون لها غلبة ولا قوة
فيتصف العبد حينئذ بصفة العفة فاذا صار عفيفا كان
مجتنبا لما نهى الله عنه محافظا على جميع ما امره به وهذا
هو معنى الطاعة لله عز وجل واصل هذا كله عدم رضاه عن
نفسه فاذا لا اهم شيء وجب على العبد من المعرفة بنفسه
ويلزم من ذلك عدم الرضا عنها وبقدر تحقيق العبد في
معرفة نفسه يصح له حاله ويعلو مقامه وقد ورد عن
الكبار والايمة الاخيار من الكلمات المتضمنة لعيبهم
نفوسهم والتهمة منهم لها وعدم رضاهم عنها اكثر من
ان يحصى ولذلك قال ابو حفص من لم يتهم نفسه على دوام
الاوقات ولم يخالفها في جميع الحالات ولم يجرها الى مكروهها
في سائر ايامه كان مغرورا ومن نظر اليها باستحسان شيء
منها فقد اهلكها وكيف يصح لعاقل الرضا عن نفسه والكريم ابن الكريم
يقول وما ابرئ نفسي ان النفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربي وقال

ايضا

ايضا ابو حفص منذ اربعين سنة اعتقادي في نفسي ان الله
تعالى ينظر الي نظر السخط واعمالي تدل على ذلك وقال الجنيد
رحمه الله لا تسكن الى نفسك وان دامت لها طاعتها لك في
طاعة ربك وقال ابو سليمان الداراني رضي الله عنه
ما رضيت عن نفسي طرفة عين ويحكى عن سري السقطي رحمه
الله انه قال اني لانظر الى انفي في اليوم كذا كذا مرة مخافة
ان يكون قد اسود لما اخافه من العقوبة وقال ايضا
من الناس ناس لو مات نصف احدهم ما انزجر النصف الاخر
ولا احسبني الا منهم الى غير هذا من العبارات الصادرة
عن المشائخ رضي الله عنهم في هذا المعنى وقد الف ابو عبد
الرحمن السلمي جزءا صغير الحجم عظيم الفوائد في عيوب النفس
وكيفية مداواتها فلينظر فيه المريد وكذلك الف قبله
الامام ابو عبد الله الحارث المحاسبي كتابا سماه بالنصائح
جمع فيه من معايب النفس وخدعها وغرورها وشرورها جملة
شافية كافية ونبه فيه على سنن دارسة عاقبة مما كان
عليه سلفنا الصالح من التفتيش والتفقد والنظر فيما يصلح
به اعمالهم واحوالهم وتفقد والمحافظة على تطهير
الاسرار والقلوب والمبالغة في الحذر من محقرات
الذنوب ونقل الامام ابو حامد الغزالي قدس الله سره
منه فصلا في كتابه واعتمد فيه ذكره بلفظه ونص حكايته
بعد ان اثنى على مولفه بما هو اهله بانه [illegible] في علمه وفضله

فقال في حقه والمحاسبي رحمه الله خير الامة في علم المعاملة
وله السبق على جميع الباحثين عن عيوب النفس وافات الاعمال
واغوار العبارات وكلامه جدير بان يحكى على وجهه ثم
ذكره وقد كان اوحد زمانه علما وعبارة ونخبة اوانه ورعا
وزهدا سيدي الحاج ابو العباس بن عاشر رحمة الله عليه
ومن فوائده يكثر من التحريض على مطالعة ذلك الكتاب والعمل
بما تضمنه من حق وصواب والحنبي سمعته ذات يوم يقول المريد
لا يعمل بما فيه الاولى او كلاما هذا معناه فليتخذ المريد
مطالعته وردا وليحرص على العمل بما تضمنه مستعينا بالله
تعالى وسائلا منه توفيقا ورشدا النيصح لمولاه في مرامات
اصلاح باطنه والقيام على قدم الصدق في مراقبته ومجاهدة
بمجرد مطالعة كتب التصوف وموالاة اهله بالثنا لو
والتعرف عنده لكن تتقوى امور ايمانه ويقينه وتنتفي عنه
العزة في عمله بما يخاف دينه ولا يقدم على ذلك الا فرض
العين وما تسمح به نفسه من مكابدة التعب والاين ولا
يشغل نفسه بعلم بغير وجه مقصوده ويوجب له انتكاث
مواثيقه وعهوده وهو ما غلب الناس عليه اليوم وحادوا
به عن سنن القوم حتى تتطرق لهم ذلك من رذائل الصفات
وعظائم الافات ما اصارهم الى الهلاك والشقا فاعقبهم
النفاق في قلوبهم الى يوم اللقا وسجل عليهم بالكذب في دعواهم
انهم قاصدون بعلمهم رضا مولاهم فايانا واياهم لعمر لقد

كعن

سمعت لو ناديت حيا ولكن لا حياة لمن تنادي
ولا تصحب جاهلا لا يرضى عن نفسه خير لك من ان تصحب عالما
يرضى عن نفسه فاي علم لعالم يرضى عن نفسه واي جهل
لجاهل لا يرضى عن نفسه فايدة الصحبة انما هي الزيادة
في الحال وعدم النقصان فيها وجبا ياتي الكلام عليه عند قوله
لا تصحب من لا ينهضك حاله ولا يدلك على الله مقاله فصحبتك
من رضي عن نفسه وان كان عالما شر محض ولا فايدة فيها
لان علمه غير نافع وجهله الذي يوجب رضاه عن نفسه
ضار غاية الضرر وكانه اذا فاته بهذا العلم الذي يزيد
عيبه حتى لا يرضى عن نفسه لا علم عنده وصحبة من لم يرض عن
نفسه وان كان جاهلا خير محض وفيه كل الفايدة لان
جهله غير ضار وعلمه الذي اوجب له عدم رضاه عن نفسه
نافع غاية النفع وكانه اذا حصل له هذا العلم لا جهل عنده
شعاع البصيرة يشهدك قربه منك وعين البصيرة تشهدك
قربه منك بوجوده وحق البصيرة يشهدك وجوده
لا عدمك ولا وجودك شعاع البصيرة نور العقل وعين البصيرة
نور العلم وحق البصيرة نور الحق فالعقلا بنور عقولهم
يشهدوا الحق وشاهدوا ربهم قريبا منهم اي بالعلم
والاحاطة والعلماء بنور علمهم شهدوا انفسهم عدما في وجود
ربهم والمحققون بنور الحق شاهدوا الحق وحده ولم يشاهدوا
معه سواه كان الله ولا شيء معه وهو الان على ما هو عليه كان

الا ان منه نفسا امور وهمية لا وجود لها على التحقيق
والمقصود ان الله لا شي معه لثبوت احديته فلم يبق
الا الحق لم يبق كاين فما ثم موصول وما ثم باين بذا جا
برهان العيان فما ارى بعيني الا عينه اذا عاينت وسياتي
من كلام المولف رحمه الله تعالى الاكوان ثابتة باثباته
وممحوة باحدية ذاته وقال رضي الله عنه لا تتعد نية همتك
الى غيره فالكريم لا تتخطاه الامال الهمة العلية تانف من رفع
حوايجها الى غير كريم ولا كريم على الحقيقة سوى الله تعالى
قال الجنيد الكريم الذي لا يحوجك الى مسالة وقال الحارث
المحاسبي رجا الموملين الكريم الذي لا يبالي من اعطى وقيل
الكريم الذي لا يخيب رجا الموملين واجمع العبارات في
معنى الكريم ما قيل الكريم الذي اذا قدر عفى واذا وعد
وفى واذا اعطى زاد على منتهى الرجا ولا يبالي كم اعطى ولا لمن
اعطى وان رفعت حاجة الى غيره لا يرضى واذا جفي عاتب
وما استقصى ولا يضيع من لاذ به والتجا ويغنيه عن الوسايل
والشفعا فاذا كانت هذه الصفات لا يستحقها احد سوى
الله تعالى فينبغي اذا ان لا تتخطاه امال الموملين
الى غيره كما قال بعضهم حرام على من وحد الله ربه
وافرده ان يجتدي احدا رفدا • ويا صاحبي قف بي مع الحق
وقفة • اموت بها وجدا واحيى بها وجدا • وقل لملوك
الارض تجهد جهدها • فذا الملك ملك لا يباع ولا يهدى

لا

لا ترفعن الى غيره حاجة هو موردها عليك فكيف
يرفع غيره ما كان هو له واضعا من لا يستطيع ان
يرفع حاجة عن نفسه فكيف يستطيع ان يكون
لها من غيره رافعا اذا اورد الله تعالى عليك حاجة
وانزل بك نازلة فاعلم انه لا رافع لها سواه اذ يستحيل
ان يرفع غيره ما كان هو له واضعا لثبوت توحيده فانه
لا فاعل سواه واذ هو غالب على امره لا يغالبه احد ويستحيل
ايضا ان يرفعها غيرك من لا يستطيع ان يرفعها عن نفسه
لو نزلت به لثبوت عجزه وضعفه وجهد المحال تعلقك
في حاجتك بمن هو محتاج مثلك قال بعضهم من اعتمد على
غير الله فهو في غرور لان الغرور ما لا يدوم ولا يدوم
شي سواه وهو الدايم الذي لم يزل ولا يزال وعطاه
وفضله دايمان فلا تعتمد الا على من بيده ومن عليه منته
الفضل والعطا في كل نفس وحين واوان وزمان وقال
عطا الخراساني لقيت وهب بن منبه في الطريق فقلت حدثني
حديثا احفظه عنك في مقامي هذا واوجز قال اوحى الله
تعالى الى داود عليه السلام يا داود اما وعزتي وجلالي
لا يعتصم بي عبد من عبادي دون خلقي اعلم ذلك من نيته
فتكيده السموات السبع ومن فيهن والارضون السبع ومن
فيهن الا جعلت له منهن فرجا ومخرجا اما وعزتي وعظمتي
لا يعتصم عبد من عبادي بمخلوق دوني اعلم ذلك من نيته الا قطعت

اسباب السموات من يده واسباب الارض من تحته ولا
ابالي بأي واد هلكوا وقال بعضهم كنت في مجلس يزيد
بن هرون وكان الى جانبي رجل فسألته عن قصته وخبره
فقال افتقرت لنفقتي فعلت ومن نومي لما قد نزل بي
فقال يزيد أفعلت وما علمت يرحمك الله تعالى قلت اني قرأت
في بعض الكتب ان الله عز وجل يقول وعزتي وجلالي
وجودي وكرمي وارتفاعي فوق عرشي في علو مكاني
لاقطعن امل كل مؤمل غيري بالاياس ولاكسونه ثوب المذلة
عند الناس ولانحينه من قربي ولاقطعنه من وصلي ايؤمل
غيري في النوائب والشدائد بيدي وانا الحي ويرجو غيري
ويطرق بالفكر ابواب غيري وبيدي مفاتيح الابواب وهي
مغلقة وبابي مفتوح لمن دعاني من ذا الذي املني لنائبة
فقطعت به دونها ومن ذا الذي قرع بابي فلم افتحه له
جعلت امال خلقي بيني وبينهم متصلة فتعلقت بغيري
وجعلت رجاهم مدخورا عندي فلم يرضوا بحفظي وملأت
سمواتي ممن لا يملون تسبيحي من ملائكتي وامرتهم
ان لا يقفلوا الابواب بيني وبين عبادي فلم يثقوا بقولي
الم يعلم من طرقته نائبة من نوائبي انه لا يملك كشفها احد غيري
فمالي اراه بآماله معرضا عني ومالي اراه لاهيا الى سواي
اعطيته بجودي ما لم يسألني ثم انتزعته عنه فلم يسألني رده
وسأل غيري افتراني ابدأ بالعطية قبل المسألة ثم أُسأل

اذا لا يسعفك لحاجتك ولا تنجح طلبتك ولا يبلغك املك قال صح

ومن ذا الذي رجاني لعظيم جرمه فقطعت رجاه مني صح

يغلقوا صح

فلا اجيب سائلي ابخيل انا فيبخلني عبادي اليس الدنيا
والاخرة لي اوليس الرحمة والفضل بيدي اوليس الجود
والكرم لي اوليس انا محل الامال فمن ذا الذي يقطعها
دوني وما عسى ان يؤمل المؤملون لو قلت لاهل سمواتي
واهل ارضي املوني ثم اعطيت كل واحد منهم من الفضل مثل
ما اعطيت الجميع ما انتقص ذلك من ملكي عضو ذرة كيف
ينقص ملك انا قيمه فيا بؤسا للقانطين من رحمتي
ويا بؤسا لمن عصاني ولم يراقبني وتوثب على محارمي ولم
يستحي مني قال رحمك الله امل هذا الحديث علي فكتبته ثم
قال والله لا كتبت حديثا بعده قلت والامل الذي ينبني عليه
هذا المعنى هو تحقق العبد في مقام حسن الظن بالله تعالى
وقد اخذ المؤلف رحمه الله في ذكره بأثره فقال ان لم تحسن
ظنك به لاجل حسن وصفه حسن ظنك به لوجود معاملته
معك فهل عودك الا حسنا وهل اسدى اليك الا مننا
حسن الظن بالله تعالى احد مقامات اليقين والناس فيه
على قسمين خاصة وعامة فالخاصة حسنوا الظن به لما
هو عليه من النعوت السنية والصفات العلية والعامة
حسنوا الظن به لما هم فيه من سبوغ النعم وشمول الفضل
والكرم والتفاوت بين المقامين ظاهر ولذلك لا يخاف
من الانقلاب والتغير في احدهما ما يخاف في الاخر لان ارباب
المقام الاول انما تحققوا في المعرفة بالله تعالى واحتظوا

بانوار اليقين به اطمانت قلوبهم وسكنت نفوسهم
فلم يبق متسع لوجود تهمة ولا مجال لسوء ظن وارباب المقام
الثاني لم يرتقوا عن نظرهم الي الافعال وهي متلونة
عليهم في كل حال وعند وقوع بعض ما لا يلايمهم منها
ربما تضعف عن تحمل مكارهها قلوبهم فلا يحصل لهم
البراة من خواطر سوء الظن وتحدث النفس بما يقتضي
وجود هلع وجزع فيلزم العبد عند ذلك مشاهدة معنى
قوله عز وجل وعسى ان تكرهوا شيا وهو خير لكم وما
اشبهه وليقس النادر على الغالب قال ابو محمد عبد العزيز
المهدوي رضي الله عنه حسن الظن عبارة عن قطع الوهم
ان يكون او لا يكون لان الوهم قاتل وهو لو فتش ثان
فمتى اعطيته اذنك الوهم هلكت وحكمت وكذلك الاصغا
بالاذن الي الشيطان والنفس جنس واحد فمتى هو فلنت وحسن
الظن يطلب من العبد في امر دنياه وامر اخراه اما امر دنياه
فان يكون واثقا بالله تعالى في ايصال المنافع والمضرا فتف
اليه من غير كد ولا سعي فيها او بسعي خفيف ماذون فيه وما
جور عليه وبحيث لا يفوته ذلك شيا من نفل ولا فرض فيوجب
له ذلك سكونا وراحة في قلبه وبدنه فلا يستفزه الطلب ولا ينزعجه
سبب واما امر اخرته فان يكون قوي الرجا في قبول اعماله الصالحة
وتوفية اجوره عليها في دار الثواب والجزا فيوجب له ذلك
المبادرة لامتثال الاوامر والتكثير من اعمال البر بوجدان

اعمال حلاوة

مطلب في حسن الظن بالله

حلاوة والاعتنا والتلذذ والانتشا وقال يحيى بن معاذ
رضي الله عنه ونفعنا به اوثق الرجا رجا العبد ربه تعالى النبي
ينبغي للعبد ان لا يفارقه فيها اوقات الشدايد والمحن
وحلول المصايب وزمن الصحة وياتي هذا المعنى في كلام المولف
رحمه الله وهو قوله من فاته التحقق بحظه من قدره فذلك
لقصور نظره ومن اعظم مواضع حسن الظن بالله تعالى حالة
الموت وقد جا في الخبر لا يموتن احدكم الا وهو يحسن الظن بالله
تعالى وفي حديث جابر من استطاع منكم ان لا يموت الا وهو
يحسن الظن بالله تعالى فليفعل ثم تلا هذه الاية وذلكم
ظنكم الذي ظننتم بربكم ارداكم ولانه تعالى قال فيما
يروى عنه انا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شا قال ابو طالب
رضي الله عنه ونفعنا به وكان ابن مسعود يحلف بالله تعالى ما
احسن عبد ظنه بالله تعالى الا اعطاه الله عز وجل ذلك لان الخير
كله بيده فاذا اعطاه حسن الظن به فقد اعطاه ما يظنه لان
الذي حسن ظنه به هو تعالى الذي اراد ان يحققه له انتهى
وقد روي عن ابي النضر بن حيان قال خرجت عايدا ليزيد
بن الاسود فلقيت واثلة بن الاسقع وهو يريد عيادته
قال فدخلنا عليه وهو في فراشه فلما راى واثلة بسط يده
وجعل يشير اليه فاقبل واثلة حتى جلس على الفراش ثم اخذ
يزيد بن الاسود بكفي واثلة حتى جعلهما على وجهه فقال له
واثلة اسالك عن شي تخبرني به قال لا تسلني عن شي اعلمه

في المال والبدن لان لا يقع بسبب عدم ذلك في الجزع صح

الا اخبركم به قالوا بلى ثلثة لا يموتن احدكم الا وهو يحسن الظن بالله عز وجل فان حسن الظن
بالله حسن قال فابشروا فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول قال الله تبارك وتعالى انا عند ظن عبدي بي ان ظن
خيرا وان ظن شرا وروي عن ابي سعيد الخدري عاد رسول
الله صلى الله عليه وسلم مريضا فقال له رسول الله صلى الله
عليه وسلم كيف تجدك من ربك قال يا رسول الله حسن الظن
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فظن به ما شئت فان الله تبارك وتعالى
عند ظن المومن به وروى ابو هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى
الله عليه وسلم قال ان حسن الظن بالله من حسن عبادة الله تعالى
قلت والاخبار في الرجا وحسن الظن بالله وسعة رحمته والاثار صح
اكثر من ان تحصى ومطالعتها مما يزيد المريد قوة في هذا
المقام فمن اراد الشفا في ذلك فعليه بمطالعة كتاب
الرجا من قوت القلوب وكتاب الاحيا ثم بين رحمه الله
تعالى الحالة التي بمنازلتها يتحقق العبد مقام حسن الظن
بالله تعالى وهو عكوف العبد بباب الله تعالى وتعلق
قلبه بوحدانيته واشار الي ان ذلك هو غاية النعم
ومنتهى الاماني لا ما تتوهمه النفس وتطلبه من التنعيم
المعقول والامنيات التي تفنى وتزول وحجابات هذا
من عمى القلب وهما يتحققان بتحقيقه كل ذي لب فقال
العمى كل العمى الهرب ممن لا انفكاك لك عنه وتطلب ما لا بقاء له
معه فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور

مطلب فيمن اراد الشفا في ذلك فعليه بمطالعة كتاب الرجا من قوت القلوب

هرب

هرب العبد من مولاه باقباله على شهواته ومتابعة هواه
وذلك نتيجة عمى قلبه ووجود جهله بربه لانه استبدل الذي
هو ادنى بالذي هو خير والاثر الفاني الذي لا بقا له على الباقي
الذي لا انفكاك له عنه ولو كانت له بصيرة لاثر الباقي الحق
على الفاني ولفعل ما فعله سحرة فرعون لما امنوا بربهم
اذ لم يحتفلوا بما وعدهم به فرعون من الاحسان والانعام
والتقريب والاكرام ولم يكترثوا بما توعدهم به من
العذاب والقتل والصلب على جذوع النخل بل قالوا
لن نوثرك على ما جانا من البينات والذي فطرنا ثم
قالوا والله خير وابقى فهولا استنارت قلوبهم وشهدوا
محبوبهم فكان منهم ما كان لا ترحل من كون الى كون فتكون
كحمار الرحى يسير والذي ارتحل اليه هو الذي ارتحل منه
ولكن ارحل من الاكوان الى المكون وان الى ربك المنتهى
العامل لطلب الجنة والدرجات او نيل الرتب العلية والمقامات
نقصان في الحال وشوب في اخلاص الاعمال وهو معنى الرحيل
من كون الى كون وسبب ذلك بقا اعتبار النفس في ان يجعل
لها نصيبا وان تنال حظها وهذه كلها من الاكوان
والالوان كلها متساوية في كونها اغيارا وان كان بعضها
في كونها اغيارا وان كان بعضها الوارد وتمثيله بحمار
الرحى مبالغة في تقبيح حال العاملين على روية الاغيار
وتطلق تلطفهم في دعائهم الى الحق الادب بين يدي الواحد

التفات حتى تحققوا بمعنى قوله تعالى وان الى ربك المنتهى
فيكون انتهاء سيرهم اليه وعكوف قلوبهم عليه وتكون
اعمالهم اذ ذاك قياما بمقتضى العبودية وقياما لحق الربوبية
فقط من غير التفات الى النفس على اي حالة تكون فهذا هو
تحقيق الاخلاص الكامل عن مشاهدة التوحيد الخاص جعلنا
من اهله بمنه وفضله ومن نظر الى قوله صلى الله عليه وسلم فمن
كانت هجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته الى دنيا
يصيبها او امراة يتزوجها فهجرته الى ما هاجر اليه فانظر
قوله عليه الصلاة والسلام فهجرته الى ما هاجر اليه وتامل
هذا الامر ان كنت ذا فهم والسلام في هذا الحديث النبوي
تنبيه على المعنى الذي ذكره وموضع الاعتبار منه التامل والله
اعلم قوله في القسم الثاني فهجرته الى ما هاجر اليه اي لا نصيب له
منا لقرب والوصول الذي حظي به من هاجر الى الله ورسوله
وهو قوله فهجرته الى الله ورسوله وهذا من باب حصر المبتدا
في الخبر كما تقول زيد صديقي اي لا صديق لي غيره وكانه صلى الله
عليه وسلم نبه في القسم الثاني بالدنيا الذي يريد ان يصيبها
والمراة التي يتزوجها على حظوظ النفس والوقوف معها
والعمل عليها كائنة ما كانت وان كان ظاهرها طلب الحظ
العاجل فقوله فهجرته الى الله ورسوله هو معنى الارتحال
من الاكوان الى المكون وهو المطلوب من العبد وهو مصرح
به غاية التصريح وقوله فهجرته الى ما هاجر اليه هو البقاء مع تن

الاكوان

الاكوان والتنقل فيها وهو الذي نهي عنه وهو مشار به
غير مصرح فيكون المريد عالي الهمة والنية حتى لا يكون له
التفات الى غيره ولا الى الجنة ولقد احسن الشاعر في قوله
وكل ما خلق الله وما لم يخلق محتقر في همتي كشعرة في مفرقي
قال رجل لابي يزيد اوصني فقال له انظر اعلى من الفرش
الى العرش قال له انت اريد وقال ابو سليمان الداراني
رحمه الله لو خيرت بين ركعتين ودخول الفردوس
لاخترت الركعتين لاني في الفردوس بحظي وفي الركعتين
بربي وقال الشبلي رحمه الله احذر مكره ولو في قوله كلوا
واشربوا يريد لا تستغرق في الخلق وتتلف في كل شيء به
لا بنفسك فقوله تعالى كلوا واشربوا وان كان ههنا الدوام
اذن بالمنة ابتلاء واختبار حتى تنظر هو معه ام هو
مع الخلق لا تصحب من لا ينهضك حاله ولا يدلك على الله مقاله
تكلم ههنا في الصحبة وهي اصل كبير من اصول القوم وفيها
منافع ومنافع وفوائد ولذلك استمر عليها شانهم قديما
وحديثا وقد نبه المولف رضي الله عنه على فائدتها في قوله
لا تصحب من لا ينهضك حاله ولا يدلك على الله مقاله فانهاض
الحال ودلالة المقال على الله تعالى هي فائدة الصحبة ومعنى
الحال المنهض ههنا هو ان تكون همته متعلقة بالله
تعالى مرتفعة عن المخلوقين لا يلجأ في حوائجه الا الى الله
ولا يتوكل في اموره الا على الله قد سقط الناس من عينه فلا يرى

منهم ضرا ولا نفعا وسقطت نفسه من عينه فلا يشاهد لها
فعلا ولا يقتضي لها حظا ويكون في احواله كلها جاريا على مقتضى
الشرع وهذه صفة العارفين والموحدين فصحبة هذه — من غير افراط ولا تفريط ع
حاله محمودة وان قلت عباداته ونوافله مامونة الغايلة
محمودة العاقبة جالبة لصاحبها فايدة دينية ودنيوية لان
الطبع يسرق من الطبع والنفس مجبولة على حب الاقتدا بمن
تستحسن حاله ولا يشترط في المصحوب اتصافه بتلك الصفا
على غاية الكمال والتمام فان ذلك متعذر وانما يشترط فيه
ان يتقدم منها بما يفوق صاحبه فقط بحيث يكون اعلى منه
حالا واصوب منه مقالا ومن لم يكن على هذا الوصف وكان
شانه المعاملة بالظاهر لا غير فليس له فايدة في صحبته بل ربما
زادته شرا لان خلطته تدعوه الى التصنع له والتزيين
وتوديه ذلك الى كباير معاصي القلوب وهي اشد عليه من
معاصي الجوارح بكثير قال يوسف بن الحسين الرازي رحمه
الله لان القى الله بجميع المعاصي احب الي من ان القاه بذرة من
التصنع فيدخل بذلك عليه النقص في حاله من حيث رجا
الزيادة منها قال بعض الصوفية لا تعاشر من الناس الا
من لا تزيد عنده ببر ولا تنقص عنده باثم يكون ذلك لك
وعليك وانت عنده سوا وقال بعضهم كن مع ابنا الدنيا
بالادب ومع ابنا الاخرة بالعلم ومع العارفين كيف شيت وقيل
لبعض العارفين ان فلانا يحبك ويكثر ذكرك فقال الله يحبب

الي

الي واجله واعرف قدره ولكن يموت على ان القا الشيطان
ماية مرة ولا القاه مرة واحدة فقيل له كيف ذلك قال اخشى
ان اتزين له ويتزين لي قال الشيخ ابو طالب المكي رحمه الله
وكانت هذه الطايفة من الصوفية لا يستصحبون الا من استوا
اربعة معان لا يترجح بعضها على بعض ولا يكون منها اعتبار — ا من
من بعضها على بعض ان اكل ما جهم النهار كله لم يقل له صاحبه
صم وان صام الدهر كله لم يقل له صاحبه افطر وان نام
ليله كله لم يقل له صاحبه قم وان صلى الليل كله لم يقل له نم
بعضه وتستوي احواله عنده فلا مزيد لاجل صيامه وقيامه
ولا نقصان لاجل افطاره ونومه قالوا واذا كان يزيد عنده
بالعمل وينقص بترك العمل فالفرقة اسلم للدين وابعد
للمرايا من قبل ان النفس مجبولة على حب المدح وكراهية
الذم ومبتلاة بان تترك حالها التي عرفت به وان تظهر
احسن ما يحسن عند الناس منها وان تجتلب ما يوجب المدح منهم
بيان صحبته — وتجتنب ما يوقع الذم عندهم فاذا صحبت من تعلم منه هذا
فليس ذلك طريق الصديقين ولا بغية المخلصين فمجانبة هولا
الناس اصلح للقلوب واسلم للدين وفي معاشرة امثالهم
فساد للقلب ونقصان الايمان وضعف اليقين لان هذه
الاسباب الريا في الريا حبط الاعمال وخسران راس المال
والسقوط من عين ذي الجلال وكان الثوري رضي الله عنه به
يقول اجتنب عاشر الناس دار هم ومن دارا هم راياهم ومن

رايا هم ووقع فيما وقعوا فيه فكم من هلكوا وكان بعض الحكما
يقول لا تواخ من الناس من يتغير عليك في اربع عند غضبه
ورضاه وعند طمعه وهواه لان هذه المعاني تتغير بها الطباع
لدخول الضرر منها على الناس وفقد الانتفاع وما الى موضع
اخر من كان ناظرا في اخوة اخيه او في صحبته لكثرة اعماله
او وافقا مع احوال الدهماء الجهلة بهذه الطريق التي تنقل
الى التحقيق لانها تحول وانما العمل على حقايق القلوب لانها
ثابتة في الاصول فان اقترن الى جهله نقص معرفة الاخوة
دخل التزين له والتصنع عنده لتعلو منزلته ويحسن عنده
اثره فيدخله ذلك في الشرك فيخرجه الشرك عن حقيقة
التوحيد فتنزل قدمه بعد ثبوتها ويسقط من عين مولاه
فلا يتولاه لان النفس مبتلاة بحب الثنا والمدح واثبات
المنزلة باظهار الوصف فيكون هذا الصاحب حينئذ مرائيا
الناس عليه وافرهم له ويصير احدهما بلا مه صاحبه فليفارقه
حينئذ لانه جاهل فلا يصحبه لانه يجد النقصان بصحبته ويدخل
عليه الافات بمقاربته وليبعد منه ويصدق في حالة
عالية كانت او دنية وضيعة كانت او رفيعة من غير مفارقة
لحد ولا مباينة فهو خير له واحمد عاقبة انتهى ويدل على
ارادة صاحب الكتاب بهذا المعنى الذي ذكرناه في التنبيه
على قوله لا تصحب الا من ينهضك حاله ما عقب به من قوله ولا يدلك على
الله مقاله فيكون الحال والمقال متناسبين في كونهما واحد
منها

منها متعلقا بالله تعالى بعبودية ودلالة قال سهل
بن عبد الله رضي الله عنه وعنا به احذر صحبة ثلثة من اصناف
الناس الجبابرة الغافلين والقرا المداهنين والمتصوفة
الجاهلين وقال يوسف بن الحسين الرازي رحمه الله
قلت لذي النون المصري من اصحب فقال من لا تكتمه شيا يعلمه
منك وقال حمدون القصار اصحب الصوفية فان للقبيح عندهم
وجوها من المعاذير وليس للحسن عندهم كبير موقع يعظمونك
به اشارة الى ان العجب بالعمل منفي في صحبتهم وقال الجنيد
اذا اراد الله بالمريد خيرا اوقعه الى الصوفية ومنعه صحبة
القراء وقال علي رضي الله عنه شر الاصدقاء من احوجك الى المداراة
والجاك الى الاعتذار وقال مرة شر الاصدقاء من تتكلف له
وانشد ابو يوسف بن الحسين الرازي • احب من الاخوان
كل مواتي • وكل غضيض الطرف عن هفواتي • يوافقني في كل
امر اريده • ويحفظني حيا وبعد مماتي • فمن لي بهذا ليتني
قد وجدته • فقاسمته مالي من الحسنات • والحاصل من هذا
ان صحبة الصوفية هي التي يحصل بها كمال الانتفاع للصاحب
دون من عداهم من المنسوبين الى الدين والعلم لانهم
خصوا من حقايق التوحيد والمعرفة بخصايص لم يشاركهم
فيها احد وسريان ذلك من الصاحب الى المصحوب هو غاية الامل
والمطلوب فقد قيل من تحقق بحالة لم يخل حاضروه منها
فمن جلس عند دكان العطار لم يفقد الرائحة الطيبة هذا في

المقارنة والمجالسة وما لهنا في الصحبة والموانسة
وقد وصفهم بعض العلماء فقال الصوفي من لا يعرف في
الدارين احدا غير الله ولا يشهد مع الله سوى الله
قد سخر له كل شي ولم يسخر هو لشي وسلط على كل شي
ولم يسلط عليه شي ياخذ النصيب من كل شي ولا ياخذ النصيب
منه شي يصفو به كدر كل شي ولا يكدر صفوه شي قد شغله واحد
عن كل شي وكفاه واحد من كل شي فانظر رحمك الله هذه
الصفات ما اعظمها واجلها واشرفها لمن اتصف بها
وما اعزه في هذا الوجود نفعنا الله بهم ورزقنا من بركاتهم
وفي صحبة امثال هولا يحصل للمريد من المزيد ما لا يحصل
له بغيرها من فنون المجاهدات وانواع المكابدات
حتى تبلغوا من ذلك الى ما لا يسعه عقل عاقل ولا يحيط
به علم عالم [illegible] ناقل قال سيدي ابو العباس
المرسي قدس الله روحه ماذا اصنع بالكيميا ولقد صحبت
اقواما يعبر احدهم على الشجرة اليابسة فيشير اليها
فتثمر رمانا في الوقت فمن صحب مثل هولا الرجال ماذا
يصنع بالكيميا وقال ايضا رضي الله عنه والله ما يغار
الاوليا والابدال من تعاف الى تعاف الا حتى يلقوا واحدا
مثلنا فاذا لقوه كان بغيتهم وقال ايضا الولي اذا اراد
الغنى وقال ايضا والله ما بيني وبين الرجل الا ان انظر اليه
نظرة وقد اغنيته وقال رضي الله عنه فيه شيخه ابو الحسن

الشاذلي

الشاذلي رضي الله عنه ابو العباس هو الرجل الكامل والله
انه ليانيه البدوي يبول على ساقيه فلا يمسي عليه المساء
الا وصله الى الله تعالى وسياتي لكم من ذكر رجال المؤلف
من صحبته وما وصله اليه بركة رؤيته عند قوله كل اناء يبرز
وعليه كسوة القلب الذي برز منه **ربما كنت مسيئا فاراك
الاحسان منك صحبتك الى من هو اسوأ حالا منك** فهذه اعظم
افة تدخل على من خالف ما ذكره وصحب من هو دونه في الحال
وهو استحسانه لما هو عليه فيؤديه ذلك الى رضاه عن نفسه
ورؤيته الاثبته لاحسانها وهو اصل كل شر كما تقدم
**مقادير ما قل عمل برز من قلب زاهد ولا كثر عمل
عمل برز من قلب راغب** مقادير الاعمال على حسب
قلوب العمال فما صدر من الزاهدين في الدنيا من عمل
طاعة وان كان قليلا في الحس فهو كثير عند التحقيق وما
صدر من الراغبين فيها من عمل بر وان كان كثيرا في
الحس فهو قليل على التحقيق وذلك لان الزاهد ابن سلموا
من الافات التي تقدح في اخلاص اعمالهم من مرايات
الناس والتصنع لهم وطلب الاعواض الدنيوية عليها
منهم لانهم زهدوا فيها فيتحصل لهم قبول اعمالهم فتتوفر
قليلها بحسب ذلك ويكثر والراغبون تعتريهم الافات
المبطلة لاعمالهم القادحة في اخلاصهم بسبب رغبتهم
في الدنيا فلا تقبل منهم فيقل الكثير من اعمالهم لوجود

الحضور صح
فتثمر
سائر صح
قال
الرحلة صح

المنقعات فيها وقد قال امير المؤمنين علي بن ابي طالب
رضي الله عنه كونوا لقبول العمل اشد اهتماما منكم
للعمل فانه لا يقل عمل مع التقوى وكيف يقل عمل يتقبل
وقد وصف الله تعالى ذكر المؤمنين بالكثرة لما تضمنه
من وجود الاخلاص وعدم رياء الناس فقيل في قوله
عز وجل يا ايها الذين امنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا قيل
يعني خالصا فسمى الخالص كثيرا وهو ما تخلصت فيه النية
لوجه الله تعالى ووصف ذكر المنافقين بالقلة لما اشتمل
عليه من عدم الاخلاص ووجود رياء الناس فقال تعالى يراءون
الناس ولا يذكرون الله الا قليلا يعني غير خالص
وروي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه انه قال
ركعتان من زاهد عالم خير من عبادة المتعبدين
المجتهدين الى اخر الدهر ابدا سرمدا وقال بعض
الصحابة رضي الله عنهم للصدر الاول التابعين انتم اكثر
اعمالا واجتهادا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهم كانوا خيرا منكم قيل ولم ذا قال كانوا ازهد منكم في الدنيا كابدنا
وعن بعض الصحابة رضي الله عنه عرفنا افضل الاعمال كلها فلم نر
في امر الاخرة ابلغ من الزهد في الدنيا وقال ابو سليمان
الداراني رضي الله عنه سالت الكرخي عن الخلق بعين الله
تعالى باي شيء قدروا على الطاعة فقال باخراج الدنيا
عن قلوبهم ولو كان منها في قلوبهم ما صحت لهم سجدة

وقال

وقال ابو عبد الله القرشي تشكى بعضهم لرجل من الصالحين
انه يعمل اعمال البر ولا يجد حلاوة في قلبه فقال لان عندك
بنت ابليس وهي الدنيا ولابد للاب ان يزور ابنته
في بيتها وهو قلبك ولا يؤثر دخوله الا فسادا وكان ابو
محمد سهل رضي الله عنه يقول يعطى الزاهد ثواب العلماء
والعباد ثم يقسم على المؤمنين ثواب اعماله قال ولا
يرى في القيامة احد افضل من ذي زهد عالم ورع
حسن الاعمال نتائج حسن الاحوال وحسن الاحوال من
التحقق في مقامات الانزال حسن الاعمال توفيتها بما
يجب لها من شروطها واداب عبودية لله تعالى لا لطلب
حظ عاجل ولا ثواب اجل وحسن الاحوال ان تكون
سالمة من العلل والدعاوى موسومة بسمة الصدق
والتحقق في مقامات الانزال ان ينزل القلب بما
ينزله الحق تعالى فيه من مقامات العلوم والمعارف
بحيث ينتفي عنه كل شك وريب وهذه الثلاثة المذكورة
مرتب بعضها على بعض وهو معنى ما يقوله الامام ابو حامد
رضي الله عنه لا بد في كل مقام من مقامات اليقين من علم
وحال وعمل فالعلم ينتج الحال والحال ينتج العمل وهذا
الكلام الذي ذكره المؤلف نوع تتمة لما قاله في الزاهد والراغب
لا تترك الذكر لعدم حضورك مع الله فيه لان غفلتك عن وجود
ذكره اشد من غفلتك في وجود ذكره فعسى ان يرفعك من

ذكر مع وجود غفلة الى ذكر مع وجود يقظة ومن ذكر
مع وجود يقظة حضور ومن ذكر مع وجود حضور الى ذكر
مع غيبة عما سوى المذكور وما ذلك على الله بعزيز بل
الذكر اقرب الطرق الى الله تعالى وهو علم على وجود ولايته
كما قيل الذكر منشور الولاية فمن وفق للذكر فقد اعطي
المنشور ومن سلب الذكر فقد عزل وقال الشاعر

والذكر اعظم باب انت داخله ... لله فاجعل له الانفاس حراسا

قال الامام ابو القاسم القشيري رضي الله عنه الذكر عنوان
الولاية ومنار الوصلة وتحقيق الارادة وعلامة صحة
البداية ودلالة صفاء النهاية فليس وراء الذكر شيء وجميع
الخصال المحمودة راجعة الى الذكر ومنشاها عن الذكر
وفضايل الذكر اكثر من ان تحصى ولو لم يرد فيه الا قوله
تعالى في كتابه العزيز فاذكروني اذكركم وقوله عز وجل
فيما يرويه عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم انا عند ظن
عبدي بي وانا معه حين يذكرني ان ذكرني في نفسه ذكرته
في نفسي وان ذكرني في ملا ذكرته في ملا خير منه وان تقرب
من شبرا تقربت منه ذراعا وان تقرب الي ذراعا تقربت
منه باعا وان اتاني يمشي اتيته هرولة لكان في ذلك اشفا
والغنية وهذا الحديث متفق على صحته قالوا ومن فضايله
انه غير موقت بوقت فما من وقت الا والعبد مطلوب به
اما وجوبا واما ندبا بخلاف غيره من الطاعات قال ابن عباس

الى ذكر مع وجود صح

كالصلاة

رضي

رضي الله عنهما لم يفرض الله تعالى على عباده فريضة الا
جعل لها حدا معلوما ثم عذر اهلها في حال العذر غير
الذكر فانه لم يجعل له حدا ينتهي اليه ولا عذر احدا في الذكر
تركه الا مغلوبا على عقله وامرهم بذكره في الاحوال
كلها فقال عز من قائل فاذكروا الله قياما وقعودا
وعلى جنوبكم وقال تعالى يا ايها الذين امنوا اذكروا
الله ذكرا كثيرا اي بالليل والنهار والبر والبحر والسفر
والحضر والغنا والفقر وفي الصحة والسقم والسر والعلانية
وعلى كل حال وقال مجاهد رضي الله عنه الذكر الكثير
ان لا تنساه ابدا وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
اكثروا ذكر الله حتى يقولوا مجنون فينبغي للعبد ان
يستكثر منه في كل حال لانه ويستغرق فيه جميع اوقاته ولا
يغفل عنه وليس له ان يتركه لوجود غفلته فيه فان تركه
له وغفلته عنه اشد من غفلته فيه فعليه ان يذكر الله
تعالى بلسانه وان كان غافلا فيه فلعل ذكره مع وجود
الغفلة يرفعه الى الذكر مع وجود اليقظة ولعل ذكره
مع وجود اليقظة يرفعه الى الذكر مع وجود الحضور ولعل
ذكره مع وجود الحضور يرفعه الى الذكر مع وجود الغيبة
عما سوى المذكور وهو صفة العارفين المحققين
من الاولياء قال الله تعالى واذكر ربك اذا نسيت
اي اذا نسيت ما دون الله عند ذكره تكون ذاكرا

لله تعالى وفي هذا المقام ينقطع ذكر اللسان
ويكون العبد محواً في وجود العيان وفي هذا المعنى
انشدوا ۰ ما ان ذكرتك الا همّ يلفظني ۰ سري
وقلبي وروحي عند ذكراكا ۰ حتى كان رقيبا منك
يهتف بي ۰ اياك ويحك والتذكار اياكا ۰ اما ترى
الحق قد لاحت شواهده ۰ وواصل الكل من معناه
معناكا ۰ وقال الواسطي رحمه الله يشير الى هذا
المقام الذاكرون في ذكره اكثر غفلة من الناسين
لذكره على مقدمة كتاب ابي العز تقي الدين المظفر
الشافعي وهو كتاب الاسرار العقلية في الكلمات النبوية
ورايت هذا الكلام بخطه رحمه الله وهو من احسن
الذكر ما هاج عن خاطر وارد من المذكور جل ذكره
وهذا هو الذكر الخفي عند المتصوفة على الاشتهار
والتمكن في الاسرار وآما قولهم حتى يتمكن الذاكر
الى حالة يستغرق به عن الذكر فليس ذلك تمكن حلول
ولا اتحاد بل حكمة وقدرة من عزيز عليم وبيان
غور ذلك ان يكون القلب عند الذكر في الذكر فارغا
من الكل فلا يبقى فيه غير الله جل ذكره فيصير القلب
بيت الحق وممتلا منه فيخرج الذكر من غير قصد
ولا تدبر وحينئذ يكون الحق المبين لسانه الذي ينطق
به فان رطبت هذا الذاكرات يده التي يبطش بها وان سمع
كان

كان ذكره سواه
قال ابو العباس
بن البنا في
كلام ذكره

كان سمعه الذي يسمع به فقد انتهى المذكور العلي
على الفؤاد فامتلكه وعلى الجوارح فتصرفها فيما
يرضيه وعلى الصفات من هذا العبد فقلبها كيف شاء
في مرضاته فلذلك يخرج الذكر منه غير تكليف وتنبعث
الاعمال بالطاعات نشاطا ولذة من غير كلال ذلك فضل
الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ان الله
مع الذين اتقوا والذين هم محسنون وقد وصف الله
تعالى قلب ام موسى عليه السلام بمعنى ذلك في قوله
الحق واصبح فؤاد ام موسى فارغا اي فارغا من كل شي
الا من ذكر موسى فكادت ان تبدي بعشقه به من غير
قصد منها لذكره ولا تدبر بل كانت تركها لتنصرخ
بذكره صبرا بما ربط الله على قلبها لتكون من المومنين
بما اوحى الله اليها من قبل في شان موسى وبانه من المرسلين
صلى الله عليه وسلم ويذكر بينه مع الاشكال الذي في ذكر ابي
العز ووصفه بالعظمة وهو اجتماع الضدين في بادي
الراي وهما الذكر والغفلة عند تذكر وهذه المعالم
والمراقي لا يعرف حقيقتها الا اهل الكون وجدانا والعلماء
ايمانا وتصديقا فاياك والتكذيب بآيات الله فتكون
من الصم البكم في الظلمات والملكات المذكور لا يجوز
عليه وصف الفقد والعدم ولا يمنعه حجاب ولا يحويه مكان
ولا يشتمل عليه زمان ولا يجوز عليه الغيبة بوجه ولا يتصور

بحوادث المحدثين ولا تجري عليه صفات المخلوقين فهو
حاضر غيبا ومعبود شاهد سرا ونجوى اذ هو القريب
من كل شيء اقرب الى الذاكر له من نفسه معه حيث الايجاد له
والعلم به والمشية فيه والقدرة والتدبير له والقيام
عليه خلق الخليقة فلا تلحقه اوصافها واوجد الاعدام
فلا تحصره معانيها سبحانه وهو العلي الكبير انتهى كلام
الشيخ ابي العباس رحمه الله في معنى المقام الثالث من مقامات
الذكر وهو غاية الحسن والتحقيق مشير الى توحيد
الخواص من اهل هذا الطريق فلا ينبغي ان ييأس العبد
من الوصول الى هذا المقام الكريم بل ليس ذلك بعزيز
على الفتاح العليم فعلى العبد القيام بحسن الاسباب ومن
الله رفع الحجاب من علامة موت القلب عدم الحزن على
على ما فاتك من الموافقات وترك الندم على ما فعلته من
وجود الزلات القلب اذا كان حيا بالايمان حزن على ما فاته
من الطاعات وندم على ما فعله من الزلات ومقتضى هذا
وجود الفرح بما يشتغل فيه من الطاعات وبما يوفق له
من اجتناب المعاصي والتبعات وقد جاء في الخبر من سرته
حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن فان لم يكن العبد بهذا
الوصف وعدم الحزن على ما فاته والندم على ما اتاه فهو
ميت القلب والدليل على ذلك ما ذكر من قبل ان اعمال العبد الحسنة
والسيئة علامات على وجود مرضاة الله تعالى على العبد
وسخطه

وسخطه عليه فاذا وفق الله عبده للطاعات سره ذلك
لانه علامة على رضاه عنه وحينئذ رجاه واذا خذله
ولم يعصمه فعمل بالمعاصي ساءه ذلك واحزنه لانه
علامة على سخطه عليه وعلى حينئذ خوفه والرجا يبعث
على الاجتهاد في الطاعات وليس من مقتضيه تركها
وعدم الحزن على ما فاته منهما امنا واغترارا والخوف
يبعث على المبالغة في اجتناب المعاصي والتبعات
وليس مقتضاه فعلها وترك الندم عليها ياسا وقنوطا
وفي حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال بينما
نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ اتاه راكب
فاناخ وحاذانا ورأى اجتماعنا اناخ راحلته ثم مشى
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اني
رحلت من مسيرة تسع فسيرتها الليل واسهرت
ليلي واظمات نهاري وانضيت راحلتي لاسالك
عن اثنتين اسهرتاني فقال النبي صلى الله عليه وسلم
من انت قال انا زيد الخيل قال بل انت زيد الخير
فرب معضلة قد سيل عنها قال جئت اسالك عن علامة
الله فيمن يريد وعلامته فيمن لا يريد فقال له النبي صلى
الله عليه وسلم كيف اصبحت يا زيد قال اصبحت احب الخير
واهله واحب ان يعمل به واذا فاتني حننت اليه واذا عملت
عملا قل او كثر ايقنت بثوابه قال هو هي بعينها يا زيد

بل مقتضاه فعل الطاعات
والتلذذ بفعلها فان
ترك الطاعات المامور
بها وارتكب المنهيات
المامور باجتنابها
طامعا في حسن
الظن بالله راجيا
منه المغفرة مع هذه
الحالة فيجب العدل
ان هذا الرجل من
الاشقيا المغرورين
وليس طمعه في
ذلك من قبيل حسن
الظن والرجا بل من
قبيل الغرور والتمني
انتهى

ويقول الله للاخرى هؤلاء لها ولا ابالي في اي
واد هلكت قال زيد حسبي حسبي ثم ارتحل ولم يلتفت
لا يعظم الذنب عندك عظمة تصدك عن حسن الظن
بالله تعالى فان من عرف ربه استصغر في جنب كرمه
ذنبه عظم الذنب عند من تأمله على وجهين احدهما ان يعظم
عنده عظمة تحمله على التوبة منه والاقلاع عنه وصدق
العزم على ان لا يعود الى مثله فهذه عظمة محمودة
وهي من علامات ايمان العبد كما قلناه قال عبد الله
بن مسعود ان المومن يرى ذنوبه كانه في اصل جبل يخاف
ان يقع عليه وان الفاجر يرى ذنبه كذباب وقع على انفه
قال به هكذا فاطاره ويقال ان الطاعة كلما استصغرت
عظمت عند الله وان المعصية كلما استعظمت صغرت
عند الله تعالى والثاني ان يعظم عنده عظمة توقعه
في الياس والقنوط وتوديه الى سوء الظن بالله تعالى
فهذه عظمة مذمومة قادحة في الايمان وهي شر عليه
من ذنوبه وسبب ذلك وجود جهله بصفات مولاه الملك
الجواد الكريم ووقوفه مع نفسه وقياسه بعقله وحدسه
ولو كان عارفا بالله تعالى حق المعرفة لاستحقر ذنوبه
في جنب كرمه وفضله فاي قدر للعبد وقيمة حتى يقع
في ذنب لا يسعه عفو ربه ويكبر عليه ان يغفر له حال
التوبة واعلم انه لا بد في مملكته من عباد هم نصيب الحلم
ومحل

ومحل ظهور الرحمة والمغفرة ووقوع الشفاعة وفي الخبر
ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لو لم
تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون حتى يستغفرون
الله فيغفر لهم وقوله صلى الله عليه وسلم شفاعتي لاهل
الكبائر من امتي وجاء رجل الى الشيخ ابي الحسن رضي الله عنه
فقال يا سيدي كان لي البارحة بجواري نامت المنكرات
كيت وكيت وظهر من الرجل استغراب ان يكون هذا فقال
يا هذا كانك تريد ان لا يعصى الله في مملكته من احب ان لا
يعصى الله في مملكته فقد احب ان لا تظهر مغفرته وان
لا تكون شفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكم من مذنب
كثرت اساءته وذلته مما لغفته اوجبت له الرحمة من ربه
فلن له راحما بقدر ايمانه وان عصى عاملا فلا ينبغي
للعبد ان يستعظم ذنبه استعظاما يوديه الى ان يلقي
بيده الى الياس من رحمة وقنوطا من رحمته وسوء ظن به
بل عليه ان يتوب الى ربه منه ويرجع اليه عنه ويعلم حكمة
الله تعالى في تسليطه عليه وتخليته بينه وبينه وفي الخبر
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا ان الذنب خير
للمومن من العجب ما خلى الله تعالى بين مومن وبين
ذنبه ابدا فيستفاد بهذا على ان الذنب مانع من وجود
العجب الذي هو اعظم حجاب بين العبد وبين مولاه
لان صاحبه ناظر الى نفسه لا الى ربه مستعظم لطاعته وعبادته

ملاحظ لذلك وسالك له بخلاف الذنب فلانه يوجب له
الخوف والحذر والالتجا الى الله تعالى والاعتذار اليه
من نفسه والعجب يصرف العبد عن الله تعالى والذنب
يصرفه اليه والعجب يقبل به على نفسه والذنب يقبل به
على ربه والعجب يورثه الاستغنا والذنب يورثه الى الى ٦
الافتقار والانكسار وما ذكر العبد الى الله تعالى افتقاره
اليه واشرف احوال المومن ما يرده اليه ويقبل به عليه
لا صغيرة اذا قابلك عدله ولا كبيرة اذا واجهك فضله
اذا ظهرت الصفات العلية تلاشت اعمال العاملين واذا
ظهرت صفة العدل على من ابغضه ومقته تلاشت حسناته
وعادت صغارها كبايرا واذا ظهر وصف الكرم والفضل
لمن احبه اضمحلت سياته ورجعت كبايره صغايرا قال يحيى
بن معاذ رضي الله عنه ان وضع عليهم عدله لم يبق لهم
حسنة واذا نالهم فضله لم يبق لهم سية ومن دعايه
رضي الله عنه الهي ان احببتني غفرت سياتي وان مقتني
لم تقبل حسناتي وما احسن توسل سيدي ابي الحسن الشاذلي
رضي الله عنه في دعايه ومناجاته واجعل سياتنا سيات
من احببت ولا تجعل حسناتنا حسنات من ابغضت
فالاحسان لا ينفع مع البغض منك والاساة لا تضر مع
الحب منك وياتي في مناجات المولف رحمه الله تعالى
في مثل هذا المعنى قوله الهي كم من طاعة بنيتها وحالة شيدتها

هدم

اعتمادي

هدم اعتمادي عليها عدلك بل اقالني منها فضلك
لا عمل ارجى للقبول من عمل يغيب عنك شهوده ويحتقر
عندك وجوده في النسخ الموجود قبايدينا لا عمل ارجى
للقلوب ومعناه على هذا الوجه ان العمل الموصوف
بهذه الصفة لا يلتفت اليه القلب ولا يعتبره من عدم
التفاته واعتباره صلاحه وتجرده من رويته فيبقى
حينيذ مع ربه لا مع عمله ويكون ذلك على خلاف معنا ف
تقديره لا عمل ارجى لصلاح القلوب اوما معناه وياتي
من كلام المولف ما يناسب هذا المعنى وهو قوله قطع السابقين
له عن الملتفتين اليه عن رويتهم اعمالهم ورويتهم احوالهم
الى اخره والغالب على الظن ان الذي قصده المولف وذكره
انما هو لفظ القبول فغلط الناسخ فقلب حروفه ولا يحتاج
في هذا الى حذف وتقديره على هذا ان يقول سلامة العمل
من الافات شرط في قبوله لان صاحبه متق لله تعالى وقد
قال تعالى انما يتقبل الله من المتقين وانما يسلم العمل
من الافات باتهام النفس في القيام بحقه ورويته تقصير
فيه فيغيب عنه اذ ذاك شهوده ويحتقر عنده وجوده
فلا يستكثره ولا يعتمد عليه وان لم يكن على هذا الوصف
بل كان ناظرا اليه ومستعظما له كان معجبا مطرودا منة الله
تعالى عليه في توفيقه له ووقعه ذلك في العجب فحبط بذلك
عمله وخاب سعيه قال ابو سليمان الداراني رضي الله عنه

ما استحسنت من شيء هواه فاجتنبه وقال علي بن الحسين
رضي الله عنهما شيء هو افعالكم اذا اتصلت به رؤيتكم
فذلك دليل على انه لم يقبل منكم لان المقبول مرفوع
مغيب عنكم وما انقطعت عنه رؤيتكم فذلك دليل على
القبول وقد قيل لبعض العارفين ما علامة قبول
العمل قال نسيانك اياه وانقطاع فكرك عنه بالكلية
بدلالة قوله تعالى اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح
يرفعه قال فعلامة رفع الحق تعالى ذلك العمل انه
لا يبقى عندك منه شيء فانه اذا بقي عندك او في فكرك منه شيء
لم يرفع اليه لبينونته بين عند نيتك وعند ميتته
فينبغي للعبد اذا عمل عملا ان يكون عنده شيئا منسيا
بما ذكرناه من اتهام النفس ورؤية التقصير حتى يتحصل
اليه فقوله انما اورد عليك الوارد لتكون به عليه
واردا الوارد عبارة عما يرد على القلب من المعارف
الربانية واللطايف الروحانية ليطهره بذلك ويزكيه
حتى يصلح بذلك للورود عليه والدخول الى حضرته لان
الحضرة منزهة عن كل قلب متكدر بالاثار متلوث بافكار
الاغيار فاذا انما اورده عليك لتكون عليه واردا
اورد عليك الوارد ليتسلمك من يد الاغيار وليحررك
من رق الاثار الاثار والاغيار غاصبة ومسترقة لكم
لوجود حبك لها وسكونك اليها واعتمادك عليها فاذا اورد
عليك

عليك الوارد ليستلمك من يد من غصبك وليحررك
عن ملكية من استرقك والاشارة الى هذا المعنى بما
ضرب الله تعالى من المثل للكفار في قوله تعالى ضرب
الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل
هل يستويان مثلا فمن سلم من يد الاغيار وتحرر
من رق الاثار لا يكون لمخلوق فيه نصيب ولا شركة
كان سلما لله تعالى اورد عليك الوارد ليخرجك من
سجن وجودك الى فضاء شهودك سجن وجوده هو شهوده
لنفسه ومراعاته لحظه وفضاء شهوده ان تغيب عن ذلك
شهوده بمشاهدة الله تعالى وجلاله ورؤية قيامه بحركاته
وسكناته قال ابو القاسم النصراباذي رحمه الله سجنك
نفسك اذا خرجت منها وقعت في راحة الابد وسيأتي
من كلام المؤلف رحمه الله في معنى قوله سجن وجودك
الكائن في الكون ولم يفتح له ميادين الغيوب مسجون
بمحيطاته ومحصور في هيكل ذاته الانوار مطايا القلوب
والاسرار انوار الايمان واليقين مطايا حاملة للاسرار
والقلوب الى حضرة علام الغيوب وتلك هي الواردات
المذكورات النور جند القلب كما ان الظلمة جند النفس
فاذا اراد الله ان ينصر عبده امده بجنود الانوار وقطع
عنه مدد الظلم والاغيار نور التوحيد واليقين
فظلمة الشرك والشك جندان للقلب والنفس والحرب

بينهما سجالا فاذا اراد الله تعالى نصر عبده امد
قلبه بجنوده وقطع عنه نفسه مدد جنودها واذا اراد
خذلان عبده فعلى العكس فاذا مال القلب الى العمل
بامر محمود مؤلم في الحال ملتذ به في المآل ومالت
النفس الى العمل بامر مذموم ملتذ به في الحال مؤلم به
في المآل وتنازعا وتقاتلا سارع النور الذي هو من
امر الله ورحمته الى نصرة القلب وبادرت الظلمة
التي هي من وسواس الشيطان ولعنته الى نصرة النفس
وقام سوق القتال بينهما فان سبقت للعبد من الله
تعالى سابقة السعادة اهتدى القلب بنور الله تعالى
واستهان بالعاجلة ورغب في الآجلة وعمل القلب بما
مال اليه وان آلمه في الحال لما يرجوه من التنعم به
في المآل وان سبقت له من الله تعالى سابقة الشقاوة
والعياذ بالله ذهل القلب عن النور واعمته
الظلمة عن منفعة الآجل واغتر بلذة العاجل وعمل بما
مالت اليه نفسه وان آلمه في المآل لما تحصل فيها من
لذة الحال وعند التقاء الصفين والتحام القتال بين
الجندين لا نجاة للعبد الا بفزعه الى الله تعالى ولياذه
به وكثرة ذكره له وصدق توكله عليه واستعاذته
من الشيطان الرجيم وهذه العبارات الخمسة من قوله
انما اورد عليك الوارد لتكون به عليه واردا الى هنا

تفنن

تفنن فيها صاحب الكتاب وكررها بالفاظ مختلفة والمعاني
فيها متقاربة وهذه عادته في مواضع كثيرة من هذا الكتاب
النور له الكشف والبصيرة لها الحكم والقلب له الاقبال
والادبار هذه الالفاظ مختلفة لمعان متغايرة فالنور
يفيد كشف المعاني المغيبات حتى تتضح وتشاهد
والبصيرة التي هي ناظر القلب تفيد الحكم بصحة
ما شاهدته والقلب له الاقبال عملا بمقتضى ما شاهدته
البصيرة وله ايضا الادبار تركا للعمل بمقتضى
ما شاهدته البصيرة لا تفرحك الطاعة لانها برزت
منك وافرح بها لانها برزت من الله اليك قل بفضل الله
وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون الفرح
بالطاعات على وجهين فرح بها من حيث شهود نعمة
من الله تعالى نعمة عليه فيها فهذا هو الفرح المحمود
وهو الذي طالب العبد وذلك مقتضيا شكرها وفرح
بها من حيث ظهورها من العبد باختياره وارادته
وحوله وقوته فهذا الفرح مذموم منهي عنه وهو كفران
النعمة وهو الذي يحبطه للعمل فالفرح بها على هذا
الوجه فرح بلا شيء وسيأتي في اخر الكتاب انواع الفرح
بالنعم وما يحمد منها وما يذم تامة مستوفاة قطع
السائرين له والواصلين اليه عن رؤية اعمالهم وشهود
احوالهم اما السائرون فلانهم لم يتحققوا الصدق

مع الله فيها واما الواصلون فلانه غيبهم بشهوده عنها
لقد سبغ الله نعمته على الفريقين حيث فعل معهم
لانه ابقاهم معه ولم يرد منهم سواه قال الواصلون
فعل ذكر بهم طوعا منهم والسالكون فعل ذكر بهم
كرها ولله يسجد من في السموات والارض طوعا وكرها
فالواصلون قطعهم عن ذكرهم دهم الى حضرة قربه
ومن شاهده لم يشاهد معه سواه والسالكون قطعهم
من ذكر عدم تحققهم بالصدق والبراة من اعمالهم
الدعوى فهم ابدا متهمون لانفسهم في توفية اعمالهم
وتصفية احوالهم قال النهرجوري من علامة من تولاه
الله في احواله ان يشهد التقصير في اخلاصه والغفلة
في اذكاره والنقصان في صدقه والفتور في مجاهداته
وقلة المراعاة في فقره فيكون جميع احواله عنده
غير مرضية ويزداد فقرا الى الله في قصده وسيره حتى
يفنى عنه كل ما دونه وقال ابو عمرو محمد بن نجيد
لا تصفوا لاحد قدم في العبودية حتى تكون افعاله كلها
عنده ريا واحواله كلها عنده دعاوى وقال ابو يزيد
لو صفت لي تهليلة واحدة ما باليت بعدها بشي والى
هذا يشير الحكاية التي تروى عن ابو الحسين
وذكر انه لما دخل نيسابور سال اصحاب ابي عثمان رضي
الله عنه بماذا يامركم شيخكم فقالوا كان يامرنا بالتزام
الطاعات

الطاعات ورؤية التقصير فيها فقال امركم بالمجوسية
المحضة هلا امركم بالغيبة عنها بشهود مجريها ومنشيها
قال الاستاذ ابو القاسم القشيري رحمه الله انما اراد
الواسطي بهذا صيانتهم عن محل الاعجاب لا تعرجا في
اوطان التقصير او تجويزا للاخلال بادب من الاداب
ما بسقت اغصان ذل الا على بذر طمع البسوق الطول
يقال بسقت النخلة بسوقا اذا طالت قال الله تعالى
والنخل باسقات والاغصان جمع غصن وهو ما
تشعب عن سوق الشجر وتجمع ايضا على غصون
والبذر الحب الذي يزرع وهذه كلها استعارات مليحة
والطمع من اعظم افات النفوس وعيوبها القادحة
في عبوديتها بل هو اصل جميع الافات لانه يقتضي تعلق بالناس
والتجا اليهم واعتمادا عليهم وعبودية لهم وفي ذلك من
المذلة والمهانة ما لا مزيد عليه ولا يحل للمومن ان
يذل نفسه والطمع مضاد لحقيقة الايمان الذي يقتضي
وجود العزة والعزة التي بها المومنون انما تكون
برفع هممهم عن سواهم وطمانينة قلوبهم الى ربهم
وثقتهم به دون من سواه فهذه هي العزة التي منحها
الله عباده المومنين قال الله تعالى ولله العزة ولرسوله
وللمومنين وكما ان العزة من صفات المومنين
كذلك الذلة من اخلاق الكافرين والمنافقين قال الله

تعالى ان الذين يحادون الله ورسوله اولئك
في الاذلين وقال ابو بكر الوراق الحكيم لو قيل للطمع
من ابوك قال الشك في المقدور ولو قيل ما حرفتك
قال اكتساب الذل ولو قيل لها ما غايتك قال الحرمان
وقال ابو الحسين الوراق النيسابوري من اشعر
في نفسه محبة شي من الدنيا فقد قتلها بسيف الطمع
ومن طمع في شي ذل وبذله هلك وقد بينا قبل ان الطمع في
لبابه وتعلم انما يقطع اعناق الرجال المطامع فالمطامع
انما اس فساد الدين ومعاسر منازل انوار اليقين فالرجل
التنوير وتفقد وجود الطمع من نفسك اكثر مما تتفقد
ما سواه وتطهرت الطمع في الخلق فلو تطهر المطامع
فيهم سجية اكثرها الطمع ولا الياس منهم ورفع الهمة — سار بسبعة ابحر
عنهم قال وقدم علي رضي الله عنه البصرة فدخل جامعها
فوجد القصاص يقصون فاقامهم حتى جاء الى الحسن
البصري فقال يا فتى اني سائلك عن امر فان اجبتني عنه
ابقيتك والا اقمتك كما اقمت اصحابك وقد راى عليه
سمتا وهديا فقال الحسن سل عما شئت فقال ما ملاك
الدين قال الورع قال فما فساد الدين قال الطمع قال
اجلس فمثلك من يتكلم على الناس قال وسمعت شيخنا يقول
كنت في ابتداء امري بثغر الاسكندرية جئت الى بعض من
يعرفني فاشتريت منه حاجة بنصف درهم ثم قلت في نفسي

فلعله

فلعله لا ياخذ مني فهتف بي هاتف السلامة في الدين بترك
الطمع في المخلوقين قال وسمعته يقول صاحب الطمع لا يشبع — سار
ابدا الا ترى ان حروفه كلها مجوفة الطاء والميم والعين
ثم قال بعضهم بعد هذا فعليك ايها المريد برفع
همتك عن الخلق ولا تمد اليهم فقد سبقت قسمتك وجودك
وتقدم ثبوتها ظهورك واسمع ما قال بعض المشايخ ايها
الرجل ما قدر لماضغيك ان يمضغاه فلا بد ان يمضغاه
فكله ويحك بعز ولا تاكله بذل قلت تقدم الان كلامه
في التنوير ذكر الورع في مقابلة الطمع وكذلك في جواب
الحسن لعلي رضي الله عنهما لما ساله مختبرا له عن صلاح الدين
وفساده في الكلام الذي حكاه عنهما ولا شك ان الورع الظاهر
لعامة الناس وهو ترك الشبهات والتحرج من اقتحام المشكلات
لا يقابل الطمع كل المقابلة وقد ذكرنا الطمع ما هو وانما
يقابله ورع الخاصة وهو عندهم صحة اليقين وكمال
التعلق برب العالمين ووجود السكون اليه والعكوف بالهمم
عليه وطمانينة القلب به ولا يكون لهم ركون الى غيره
ولا انتساب الى خلق ولا كون فهذا هو الورع الذي يقابل
الطمع المنفرد به يطلع كل عمل مقرب وحال مسعد كما نبه عليه
الحسن في جوابه المذكور وقال يحيى بن معاذ الورع على
وجهين ورع في الظاهر ان لا تتحرك الا لله وورع في الباطن
وهو ان لا يدخل قلبك الا الله ذكر ان بعضهم كان حريصا

على ان يرى احدا من هذه صفته فجعل يجتهد في طلبه
ويحتال على التوصل اليه بان يأخذ شيئا بعد شيء من ماله
ويقصد به الفقرا او السائلين ويقول لمن يعطيه منهم حين
التناول لا تأخذ الا بكذا فكانوا يأخذون ولا يسمع من احدهم جوابا
مطابقا لما اراده الى ان ظفر ذات يوم ببغيته
وحصل على مقصوده ومنيته وذلك انه قال لاحدهم خذ لكن
فقال لا اخذ الا بشرط ان كان للعبد استشراف الى الخلق او سبقية
نظر اليهم قبل مجي الرزق او بعده فمقتضى هذا الورع
والواجب في حق الادب ان لا يفيد نفسه شيئا مما يأتيه على
هذه الحالة عقوبة لنفسه في نظره الى ابنا جنسه كقصة ايوب
الجمال مع احمد بن حنبل رضي الله عنهما وهي معروفة وكما روي
عن الشيخ ابي مدين رحمه الله انه اتاه حمال بقمح فنازعته
نفسه وقالت له يا ترى من اين هذا فقال للحمال انا اعرف من اين
هو يا عدو الله وامر بعض اصحابه ان يدفعه لبعض الفقرا
عقوبة لها لكونها رات الخلق قبل روية الحق تعالى وقد قيل
احل الحلال ما لا يخطر لك ببال ولا سالت فيه احدا من الناس
والرجال وقد فسر لهذا المعنى الذي ذكرناه واوضح الغرض
الذي قصدناه شيخ الطريقة وامام اهل الحقيقة من المتأخرين
ابو محمد عبد العزيز المهدوي فانه قال لا على انما الورع ان لا
يكون بينك وبين الخلق نسبة في اخذ وعطا وقبول او رد وان
يكون السبق لله تعالى وهو ان تاتي اليه طاهرا من جميع

الاشياء

وقصة ايوب مع الجمال هو انه استاجر جمالا لحمل شي لمنزله فلما وصل الجمال للمنزل وضع المحمول وجدهم يخبزون خبزا ورائحته خارجة الى صحن الدار فبالطبع البشري اشتهت نفسه من ذلك الخبز وكان من الصوفية فلما ذهب الجمال امر ايوب بعض اولاده ان يدفع له كعكة من ذلك الخبز فذهب وراءه ودفع له الخبز فلم يقبله فرجع واخبر اباه بذلك فقال له ارجع وادفعه له فانه يقبله لانه في المرة الاولى كانت نفسه متشوقة لاخذه فلم ياخذ عقوبة لها واما الان فانه ايست نفسه من الخبز واذا دفع اليه لم يعرفه الا من الله تعالى على يد ذلك الدافع لانه وقت الدفع لم يخطر بباله الا الله تعالى ثم يعلم ان فلانا دفعه له بالهام من

68

الاشياء والعلم والعمل وقال ايضا ولقد جيتمونا فرادى
كما خلقناكم اول مرة وقال ايضا الورع ان لا يخطر الرزق
ببال ولا يكون بينك وبينه نسبة لا في التحصيل ولا عند
المباشرة لانك لا تدري اناله ام لا وقال ايضا الورع ان لا يتحرك
ولا يسكن الا ويرى الله في الحركة والسكون فالحركة ظرف
لما فيها كما قال بعضهم ما رايت شيئا الا ورايت الله فيه
فاذا راى الله ذهبت الاشيا وقال ايضا اجمع العلماء ان
الحلال المطلق ما اخذ من يد الله بسقوط الوسايط وهذا
مقام التوكل ولهذا قال بعضهم الحلال الذي يستعجر هو الذي
لا ينسى الله فيه الى غير هذا من العبادات التي عبر بها في هذا
المعنى وقال بعضهم هذه الطايفة العبيد كلهم ياكلون ارزاقهم
لم يفترقون في المشاهدات فمنهم من ياكل رزقه ببذل
ومنهم من ياكل رزقه بامتهان ومنهم من ياكل رزقه
بانتظار ومنهم من ياكل رزقه بعز لا مهنة ولا انتظار
ولا ذلة فاما الذين ياكلون ارزاقهم ببذل فالسوال
يشهدون ايدي الخلق فيذلون لهم واما الذين ياكلون
ارزاقهم بامتهان فالصناع ياكل احدهم رزقه بمهنة
وكد واما الذين ياكلون ارزاقهم بانتظار فالتجار
ينتظر احدهم نفاق سلعته فهو متعذب القلب
معذب بانتظاره واما ياكلون ارزاقهم بعز من غير
مهنة ولا انتظار ولا ذل فالصوفية يشهدون العزيز

ببذل
بعز
اي تعب
الذين

فياخذون قسمتهم من يده بعزة وقال سهل بن عبد
الله ليس مع الايمان اسباب انما الاسباب في الاسلام
قال الشيخ ابو طالب رحمه الله معناه ليس في حقيقة الايمان
رؤية الاسباب والسكون اليها اعتماد وثقة والطمع
في الخلق يوجد في مقام الاسلام وقد عقد لمولاي رحمه
الله في لطائف المنن فصلا في هذا المعنى وجعله يجمع
وظائف الاداب الدينية اصلا ومنشأ فرأينا نقله في هذا
الموضع من صواب العمل المشتغل ان شاء الله تعالى بنجاح
الامل قال رضي الله عنه واعلم رحمك الله تعالى ان ورع الخصوص
لا يفهمه الا القليل فان من جملة ورعهم تورعهم ان يسكنوا
لغيره او يميلوا بالحب لغيره او تمتد اطماعهم بالطمع
في غير فضله وخيره ومن ورعهم ورعهم عن الوقوف مع
الوسائط والاسباب وخلع الانداد والارباب ومن
ورعهم ورعهم عن الوقوف مع العادات والاعتماد على
الطاعات والسكون الى انوار التجليات ومن ورعهم
ورعهم عن ان تفتنهم الدنيا او تحجبهم نعوتهم الاخرة
تورعوا عن الدنيا وفاء وعن الوقوف مع الاخرة صدقا قال
الشيخ عثمان بن عاشور رحمه الله خرجت من بغداد اريد
الموصل فانا اسير واذا بالدنيا قد عرضت علي بعزها وجاهها
ورفعتها ومراكبها وملابسها ومراتبها وشهواتها فاعرضت
عنها فعرضت الجنة بحورها وقصورها وانهارها وثمارها فلم التفت
بها

بها فقيل لي يا عثمان لو وقفت مع الاولى لحجبناك عن الثانية
ولو وقفت مع الثانية لحجبناك عنا فها نحن لك وقسطك من
الدارين ياتيك وقال الشيخ عبد الرحمن المغربي رحمه
الله وكان مقيما بشرقي الاسكندرية حججت سنة من السنين
فلما قضيت الحج عزمت على الرجوع الى الاسكندرية
فاذا علي يقال لي انك العام القابل عندنا فقلت في نفسي
اذا كنت العام القابل ههنا فلا اعود الى الاسكندرية
فتحركت للذهاب الى اليمن فانتهيت الى عدن فانا يوما
على ساحلها واذا بالتجار قد اخرجوا بضائعهم ومتاجرهم
ثم تفكرت فاذا برجل فرش سجادته على البحر ومشى على
الماء فقلت في نفسي لم اصلح للدنيا ولا للاخرة فاذا علي
يقال لي من لم يصلح لا للدنيا ولا للاخرة يصلح لنا وقال الشيخ
ابو الحسن رضي الله عنه الورع نعم الطريق لمن عجل
ميراثه واجل ثوابه فقد انتهى لهم الورع الى الاخذ
من الله وعن الله والقول بالله والعمل لله وبالله على
البينة الواضحة والبصيرة الفائقة فهم في عموم اوقاتهم
وسائر احوالهم لا يدبرون ولا يختارون ولا يريدون
ولا يتفكرون ولا ينظرون ولا يبطشون ولا يمشون ولا يتحركون
ولا ينطقون الا بالله ولله من حيث يعلمون بحكم العلم
بل حقيقة الامر فهم مجموعون في عين الجمع لا يتفرقون
فيما هو اعلى ولا فيما هو ادنى واما ادنى الادنى فالله يورعهم

عند ثوابا لورعهم مع ميراثه فهو المحقق لنازلات
الشرع عليهم ومن لم يكن تعمله بمنزلة فهو محجوب بربنا
او مصروف بدعوى وميراثه العلم بخلقه والاستكبار
على مثله والدلالة على الله بعمله فهذا هو الخسران المبين
والعياذ بالله من ذلك والاكياس يتورعون من هذا
الورع ويستعيذون بالله منه ومن لم يزد بعلمه
وعمله احتقار النفس وتواضعا لخلقه فهو هالك فسبحان
من قطع كثيرا من الصالحين بصلاحهم عن مصلحهم كما قطع
كثيرا من المفسدين بفسادهم عن موجدهم فاستعذ بالله
انه هو السميع العليم قال فانظر فهمك الله سبيل اوليائه
ومن عليك بمتابعة احبابه هذا الورع الذي ذكره
الشيخ رضي الله عنه هل كان يعلمه فهمك الى مثل هذا
النوع من الورع الا ترى قوله قد انتهى بهم الورع
الى الاخذ من الله وعن الله والقول بالله والعمل لله
وبالله على البينة الواضحة والبصيرة الفائقة فهذا ورع
الابدال والصديقين لا ورع المتقشفين الذين بعدوا
عن سور الظن وغلبة الوهم تشهيه وانما اوردنا هذه
المعاني ههنا تتمة للفائدة المتعلقة بكلام صاحب
كتاب التنوير من كون الورع مقابلا للطمع وسيأتي مزيد
بيان فيها في موضع انسب من هذا عند قوله لا تمدن يدك
الى الاخذ من الخلائق الى آخره فانظر فيه

ما

ما قاد كشيء مثل الوهم الوهم امر عدمي وهو ضد الحقيقة
الوجودية والنفس الناقصة انقيادها الى الامور الوهمية
الباطلة اشد من انقيادها الى الحقائق الثابتة لوجود المناسبة
بينهما والطمع في الناس انقياد الى الاوهام الباطلة
لان الطمع تصديق الظن الكاذب والطمع فيهم طمع
في غير مطمع وارباب الحقائق بمعزل عن هذا فلا تتعلق
همتهم الا بالله ولا يتوكلون الا عليه ولا يثقون الا به
قد سقط اعتبار الوهم والخيالات التي هي متعلقة بالاغيار
عن قلوبهم فزال عنهم الطمع واتصفوا بصفات القناعة
والورع فكانت لهم الحيوة الطيبة والعيشة الراضية والقناعة
مقام عظيم من صفات اليقين وهي من بدايات احوال الراضين
وقال بعض العارفين لا يكون العبد قانعا حتى لو جاء الى
باب منزله جميع ما يرغب فيه اهل الدنيا من المال والمتاع
والنعمة فعرض عليه لم ينظر الى ذلك ولم يفتح له بابه قناعة
منه بحاله وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم في معنى قوله
تعالى فلنحيينه حيوة طيبة قال هي القناعة انت حر مما انت
عنه آيس وعبد لما انت له طامع الطمع في الشيء دليل على الحب له
وترك الاحتياج الى نيله وذكر عبودية لتكاثر اليأس من
الشيء دليل على فراغ القلب منه وغناه عنه وذكر حرية منه
فالطامع عبد واليائس حر ولهذا قيل العبد حر ما قنع والحر
عبد ما طمع وقيل لولا الاطماع الكاذبة لما استعبد الاحرار

بكل شي تخطر له وقيل ان العقاب يطير في فضاء عزه بحيث
لا يرتقي طرف الى مطاره ولا تسمو همة الى الوصول اليه فيرى
قطعة لحم معلقة على شبكة فيتدلى فينزل له الطمع من مطاره
فيتعلق بالشبكة جناحه فيصيره صيدا يلعب به وقيل ان
فتيا الموصلي تقاعد اليه عمن تابع الشهوات تحيف
صفته وكان يقرب به صبيا نصح احدهما خبز بلا ادم ومع
الاخر خبز مع كامخ فقال الذي لم يكن معه كامخ لصاحبه
اطعمني من الكامخ فقال بشرط ان تكون كلبي فقال صاحبه
نعم فجعل خيطا في فيه وجعل يجره كما يقاد الكلب فقال للتايب
لو رضي بخبزه ولم يطمع في كامخه لم يصر كلبا لصاحبه وحكي عن
بعضهم انه دخل على تلميذ فقدم التلميذ اليه خبزا قفارا
ولم يكن له ادم فاخذ يتمنى بقلبه ان ليته لو كان ادام
يقدمه الى استاذه فقام الاستاذ وقال تعالى معي فحمله
الى باب الجسر فرأى الناس يضرب واحد ويقطع آخر
ويعذب كل واحد بانواع العذاب فقال الاستاذ للتلميذ
ترى هولاء الذين لم يصبروا على الخبز القفار وقيل ان رجلا
اخرج من السجن في رجله قيد يسال الناس فقال لانسان
اعطني كسرة فقال لو قنعت بالكسرة لما وضع القيد في رجلك
ورأى رجل من الحكماء يأكل ما تساقط من البقل على رأس
الماء فقال لو خدمت السلطان لم تحتج الى اكل هذا فقال
الحكيم وانت لو قنعت بهذا لم تحتج الى خدمة السلطان وقد

اردت

اردت ان اذكر ههنا حكاية مناسبة لما نحن فيه ليتعرف
بها كيف تكون الهمة السنية والاداب المرضية في اخذ
البلوغ من الدنيا والقناعة باليسير من الاشيا ورؤية منة
الله تعالى وتيسير القليل والتشكر له على ذلك قال بعضهم
خرجنا من المدينة حجاجا فلما كنا بالروحا نزلنا فوق بناء
رجل عليه رثة له منظر وهيبة ومروة فقال من يبغي خادما ثياب صح
من يبغي ساقيا فقلت لله ذونك هذه القربة فاخذها فانطلق
فلم يلبث الا يسيرا حتى اقبل وقد امتلات اثوابه طينا
واثرت القربة في كتفه فوضعها وهو كالمسرور الضاحك
ثم قال الكم غيرها قلنا لا واطعمناه قرصا باردا فاخذه
وحمد الله سبحانه وشكره كثيرا ثم اعتزل وقعد يأكله
اكل جائع فادركتني عليه الشفقة فقمت اليه بطعام طيب كان
معنا واثرت له منه فقلت قد علمت انه لم يقع منك الغرض
بموقع فدونك هذا الطعام فنظر في وجهي وتبسم وقال
يا عبد الله انما هي فورة جوع فما ابالي باي شي رددتها
ثم فرجعت عنه فقال رجل الى جنبي تعرفه فقلت لا فقال
انه رجل من بني هاشم من ولد العباس بن عبد المطلب هذا
من ولد سليمان بن جعفر المنصور كان يسكن البصرة فتاب
فخرج منها فتفقد فما عرف له اثر قال فاعجبني قوله ثم ربه وانسته اجتمعت صح
وقلت لله يا رجل فتيه انا رجل من اخوانك وقد بلغني موضعك
واحببت الانقطاع اليك فهل لك ان تعادلني فان معي فضلا من

قورة صح
كلامه صح
راحلتي

تجزاني خيرا وقال لو اوردت هذا لكان فيما بعد انه انبراني
وجعل يحدثني فقال انا رجل من ولد العباس كنت اسكن
البصرة وكنت ذا كبر شديد وتجبر وبذخ واني امرت
خادما لي ان يحشو لي فراشا من حرير ومخدة بورد
نثير فبينما انا نايم اذا بقمع ورد قد اغفلها الخادم
فقمت اليها واوجعتها ضربا ثم عدت الى مضجعي بعد اخراج
القمع من المخدة فاتاني في منامي آت في صورة فظيعة فهزني
وقال افق من غشيتك وانتبه من حيرتك ثم انشا يقول
يا خد انك ان توسد لينا • وسدت بعد الموت صم الجندل •
فامهد لنفسك صالحا تسعد به • فلتندمن غدا اذا لم تفعل •
فانتبهت جزعا فخرجت من ساعتي الى ربي هاربا فهذا خبري
قال الراوي فلما قضى حديثه هذا الخبر عني ومضى
من لم يقبل على الله بملاطفات الاحسان قيد اليه بسلاسل
الامتحان النفوس الكريمة تقبل على الله تعالى بملاطفات
احسانه وموالاة فضله وامتنانه والنفوس اللئيمة لا تنقاد
الا بسلاسل الامتحانات ووقوع المصائب في الاموال والابدان
والقود بالسلاسل استعارة حسنة قال سيدي ابو مدين
سنته عز وجل استدعاء العباد لعبادته بسعة الارزاق
ودوام المعافاة ليرجعوا اليه بنعمته فان لم يفعلوا
ابتلاهم بالسراء والضراء لعلهم يرجعون لان مراده
عز وجل رجوع العبد اليه طوعا وكرها من لم يشكر النعم
فقد

فقد تعرض لزوالها ومن شكرها فقد قيدها بعقالها
شكر النعم موجب لبقائها والزيادة منها وكفرانها وعدم شكرها
موجب لزوالها وانتقالها قال الله تعالى لئن شكرتم
لازيدنكم وقال تعالى ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا
ما بانفسهم اي ان غيروا ما بهم من الطاعات وهي شكر
النعم غير الله تعالى ما منه من الاحسان والكرم وقد اجمعت
حكماء العرب والعجم على هذه المقالة فقالوا الشكر قيد النعم
وقالوا الشكر قيد الموجود وصيد المفقود وكان
يقال النعم اذا رعيت بالشكر فهي الحواق واذا قيدت
بالكفر فهي اغلال والشكر على ثلثة اوجه شكر بالقلب
وشكر باللسان وشكر بساير الجوارح فشكر القلب ان
يعلم ان النعم كلها من الله وشكر اللسان الثنا على
الله تعالى وكثرة الحمد والمدح له ويدخل فيه التحدث
بالنعم واظهارها ونشرها قال الله تعالى واما بنعمة
ربك فحدث وقال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه تذاكروا
النعم فان ذكرها شكر ومن شكر اللسان ايضا شكر الوسايط
بالثنا عليهم والدعا لهم وفي حديث النعمان بن بشير ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من لم يشكر القليل لم
يشكر الكثير ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله وعن اسامة
بن زيد رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اشكر الناس لله اشكرهم للناس وسياتي الكلام على هذا في اخر

قال الله تعالى وما بكم من نعمة فمن الله صح

ان شاء الله تعالى عند كلام المؤلف عليه وشكر سائر الجوارح
ان يعمل بها العمل الصالح قال الله تعالى اعملوا آل داود
شكرا فجعل العمل شكرا وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قام حتى تورمت قدماه فقيل له يا رسول الله تفعل
هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال
افلا اكون عبدا شكورا وسال رجل ابا حازم رضي الله
عنه فقال له ما شكر العينين قال اذا رايت بهما خيرا
اعلنته واذا رايت شرا سترته قال فما شكر الاذنين
قال اذا سمعت بهما خيرا وعيته واذا سمعت بهما شرا دفنته
قال فما شكر اليدين قال لا تاخذ بهما ما ليس لك ولا تمنع
حقا هو لله فيهما قال فما شكر البطن قال ان يكون اسفله
صبرا واعلاه علما قال فما شكر الفرج قال كما قال الله
والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم او ما ملكت
ايمانهم فانهم غير ملومين قال فما شكر الرجلين قال
ان رايت شيئا غبطته استعملتهما عليه وان رايت شيئا مقته
كففتهما عن عمله وانت شاكر لله تعالى فاما من شكر
بلسانه ولم يشكر بجميع اعضائه فمثله كمثل رجل له كساء
فاخذه بطرفه ولم يلبسه فلم ينفعه ذلك من الحر والبرد
والثلج والمطر واجمع العبارات للشكر قول من قال الشكر
معرفة بالجنان وذكر باللسان وعمل بالاركان والقدر الاول
من شكر النعم ما قاله الجنيد رضي الله عنه حين ساله

السري

هو قال الجنيد

السري رضي الله عنه قال الجنيد كنت بين يدي السري وانا
ابن سبع سنين وبين يديه جماعة يتكلمون في الشكر
فقال لي يا غلام ما الشكر فقلت ان لا تعصي الله بنعمه
فقال يوشك ان يكون حظك من الله لسانك فلا ازال
ابكي على هذه الكلمة خوف من وجود احسانه الكبير ودوام
اساءتنا مع ان يكون ذلك استدراجا كما سنستدرجهم
من حيث لا يعلمون الخوف من الاستدراج هو النعم من
صفات الموقنين وعدم الخوف منه مع الدوام على الاساءة
من صفات الكافرين يقال من علامات الاستدراج ركوب
السيئات والاغترار بزمن المهلة وحمل تاخر العقوبة
على استحقاق الوصلة وهذا من الجهل الحق قال الله تعالى
سنستدرجهم من حيث لا يعلمون اي لا يعرفون بذلك
وهو ان يلقي في اوهامهم انهم على شيء وليسوا كذلك
سنستدرجهم شيئا فشيئا حتى ياخذهم بغتة كما قال تعالى ذلك
فلما نسوا ما ذكروا به اشارة الى مخالفتهم وعصيانهم
فتحنا عليهم ابواب كل شيء اي فتحنا عليهم ابواب العوافي
وابواب الرفاهية حتى اذا فرحوا بما اوتوا من الحظوظ
الدنياوية ولم يشكروا عليها برجوعهم منها الينا اخذناهم
بغتة اي فجاة فاذا هم مبلسون اي ايسون قانطون من
الرحمة قال سهل بن عبد الله رضي الله عنه في قوله سنستدرجهم
من حيث لا يعلمون نمدهم بالنعم وننسيهم الشكر عليها

بامدادهم

وننسيهم

فاذا لم يركنوا الى النعمة وحجبوا عن المنعم اخذوا وقال
ابو علي رضي الله عنه كلما احدثوا خطيئة جددنا لهم نعمة
وانسيناهم الاستغفار من تلك الخطيئة من جهل المريد
ان يسيء الادب فتؤخر العقوبة عنه فيقول لو كان
هذا سوء ادب لقطع الامداد واوجب الابعاد فقد
يقطع المدد عنه وهو لا يشعر ولو لم يكن الا منع
المزيد وقد يقام مقام البعد من حيث لا يدري
ولو لم يكن الا ان يخليك وما تريد هذا نوع من
الاستدراج الذي تقدم ذكره وسوء ادب المريد موجب
لعقوبته وتلك العقوبات مختلفة فمنها معجلة ومنها
مؤجلة ومنها جليه ومنها خفية فالعقوبة الجلية العقوبة
بالعذاب والعقوبة الخفية العقوبة بوجود الحجاب
فالعقوبة بالعذاب لاهل الخطايا والذنوب والعقوبة
بالحجاب لاهل اساءة الادب بين يدي علام الغيوب
وقد تكون العقوبة الخفية ومثال العقوبة الخفية
ما ذكره من قطع المدد عنه واقامته مقام البعد منه
وهذا هو مبدا وقوع الحجاب الذي ذكرناه فاذا
امتد له المريد ولم يتداركه رحمة من الله تعالى في
الحال القريب كان ذلك موجبا لسقوطه من عين الله
تعالى ووقوع الحجاب على قلبه وتبدل الانس بالوحشة
وانتساخ الضيا بالظلمة ولم يمكنه بعد ذلك معاودة
الحال

بيان المؤجلة

والمؤجلة اشد على المريد من العقوبة الجلية والمعجلة

صح ابتلي

الحال الاولى لانه اذ ذاك ينقطع عنه الامدادات المتصلة
والواردات المتحصلة فتنكسف عنه حينئذ شمس العرفان
وتستتر عنه الكشوفات والبيان وهذه جنود الله
تعالى في قلب العبد فاذا فقد النصرة من الله تعالى
بذلك وقع في الخذلان واستحوذ عليه الشيطان وانساه الذكر
وحاق به سيء المكر ورجع الى متابعة هوى نفسه الامارة
وخرج عن دايرة الصفوة المختاره ونعوذ بالله من
سوء المقدور وعدم التوفيق الى مرضاته [illegible]
وما احتج به المريد لنفسه من الكلام الذي ذكره
المولف يقتضي توجه هذه العقوبة اليه ضربة لازب كان
لان قوله لو كان هذا سوء ادب الى اخره دليل على رضاه
بحاله واستحسانه لاعماله وهذا هو الموجب له عدم المزيد
الذي اقتضاه قطع المدد عنه ولو كان المريد متنورا صلا
اليه لازداد عندما يقع منه سوء الادب [illegible]
وافتقارا اليه وخوفا من مكره واستحياء منه ولم
يرضها قال سيدي ابو العباس قدس الله روحه كل سوء ادب
يثمر لك ادبا فهو ادب وهو الذي اوجب له ايضا التخلية
بينه وبين ما يريد الذي اقتضاه اقامته مقام البعد
اذ لو كان مقاما في القرب لبعد عن رؤية نفسه وكان متهما
لها في ارادتها وكان واقفا مع مراد الله به فان اقدم
على امر بارادته وشهوته تداركه الله تعالى بالعصمة وعوق

عليه ما اراده وسد عليه مسالكه واتخله وما اراد
الحزم من ذلك ويقال من علامة التوفيق ثلثة دخول
اعمال البر عليه من غير قصد منه اليها وصرف المعاصي
عنه مع السعي فيها وفتح باب الالتجاء والافتقار الى الله
تعالى في كل الاحوال ومن علامة الخذلان ثلثة تعسر
الطاعة عليه مع السعي فيها ودخول المعاصي عليه مع
الهرب منها وغلق باب اللجا الى الله تعالى وترك الدعاء
في الاحوال والادب له موقع عظيم في التصوف ولذلك
قال ابو حفص رحمه الله التصوف كله اداب لكل وقت
ادب ولكل حال ادب ولكل مقام ادب فمن لزم
اداب الاوقات بلغ مبالغ الرجال ومن ضيع الاداب
فهو بعيد من حيث يظن القرب ومردود من حيث يظن
القبول وقال ابو عبد الله بن خفيف قال لي رويم يا بني
اجعل عملك ملحا وادبك دقيقا وقال بعضهم الزم
الادب باطنا وظاهرا فما اساء احد الادب باطنا الا عوقب
باطنا وقال ذو النون المصري رحمه الله اذا خرج المريد من حد
الادب فانه يرجع من حيث جاء وقال الثوري رحمه الله
من لم يتادب للوقت فوقته مقت وقال ابن المبارك
رحمه الله نحن الى قليل من الادب احوج الى كثير من العلم
وقيل لبعضهم يا سيء الادب فقال لست بسيء الادب فقيل له
ومن ادبك فقال الصوفية والاداب الملازمة للمريد

عامة

عامة في ظاهره وباطنه واداب الظاهر تبع لاداب الباطن
واداب باطنه هي التحلي بمحاسن الاخلاق كلها وفي
الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ادبني ربي
فاحسن تاديبي ثم امرني بمكارم الاخلاق فقال خذ
العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين ولا يحصل
له ذلك بعد توفيق الله وتاديبه الا بالرياضة والمجاهدة
قال ابن عطا رحمه الله النفس مجبولة على سوء الادب والعبد
مامور بملازمة الادب فالنفس تجري بطبعها في ميدان
المخالفة والعبد يردها بجهده عن سوء المطالبة فمن اطلق
عنانها فهو شريكها في فسادها ويختلف ما ذكرناه من
المجاهدة والرياضة باختلاف الاشخاص فرب شخص
زكي الفطرة كريم السجية سهل المقادة لا يحتاج في ذلك
الى كثير معاناة ولا تعب ورب شخص يكون حاله على
عكس هذا فلا جرم يحتاج الى زيادة تعب وقوة ممارسة
وشدة مجاهدة لرداءة فطرته ونقصان غريزته وبين
هذين درجات لا تحصى فلهذا كله يحتاج المريد الى صحبة
المشايخ والتادب باداب شيوخه واتباع اوامرهم ونواهيهم
لانه ان لم يجد انفعاله على امر غيره لا يصح له الانتقال عن
الهوى ولو بلغ في الرياضة والمجاهدة ما عسى ان يبلغ وذلك لكثرة
حجاب نفسه وقد سئل الدقاق بماذا يقوم الرجل اعوجاجه
فقال بالتادب بامام فمن لم يتادب بامام فهو بطال

بطالا

بت
فاذا دام العبد على ذكر تزكت نفسه وطهر قلبه وتهذ
اخلاقه وتطهر على ظاهره انوار ذلك فتكون حركات
ظاهره وباطنه مزمومة بزمام الادب حتى ينتهي الى
المحافظة على تجنب امور غير مستنكرة في ظاهر العلم ويكون
ترك محافظته عليها ذنبا من مثله وقد يعاتب عليه
ويعاقب من اجله قال سري صليت وردي ليلة من الليالي
ومددت رجلي في القبلة فنوديت يا سري هكذا تجالس
الملوك فضممت رجلي ثم قلت وعزتك لا مددت رجلي
ابدا قال الجنيد فبقي اربعين سنة ما مد رجله ليلا ولا نهارا
وقال ابو القاسم القشيري رحمه الله كان الاستاذ ابو
علي الدقاق لا يستند الى شيء فكان يوما جالسا في مجمع فاردت
ان اضع وسادة خلف ظهره لاني رايته غير مستند فتنحى
عن الوسادة قليلا فتوهمت انه توقى الوسادة لانه
لم يكن عليها خرقة ولا سجادة فقال لا اريد الاستناد فتاملت
بعد ذلك فعلمت انه لا يستند الى شيء ابدا وقال ابو القاسم
الجنيد رحمه الله كنت جالسا في مسجد الشونيزية انتظر
جنازة اصلي عليها واهل بغداد على طبقاتهم جلوس ينتظرون
الجنازة فرايت فقيرا عليه اثر النسك يسال الناس فقلت
في نفسي لو عمل عملا يصون به نفسه كان اجمل فلما انصرفت
الى منزلي وكان لي شيء من الورد بالليل من البكاء والصلاة
وغير ذلك فثقل علي جميع اورادي فسهرت وانا قاعد

فغلبتني

فغلبتني عيني فرايت ذلك الفقير جاووا به على خوان ممدود
وقالوا لي كل لحمه فقد اغتبته فكشف لي عن الحال فقلت ما غتبته
انما قلت في نفسي شيئا فقيل ما انت ممن يرضى منك بمثله
اذهب واستحله فاصبحت ولم ازل اتردد حتى رايته في موضع
يلتقط من الماء عند تردده كما اوراقا من البقل مما تساقط
من غسل البقل فسلمت عليه فقال تعود يا ابا القاسم فقلت
لا فقال غفر الله لنا ولك الى غير ذلك مما ورد بهم رضي الله
عنهم والظاهر ان مراد المولف رحمه الله باساءة
الادب ما كان فيه نوع من الرعونة واظهار الدعوى واتصاف
العبد بصفة المولى وانساله وادلاله في موقف الهيبة
والحياء وما اشبه هذا مما يخاف على صاحبه من وقوع الاستدراج
والمكر به ولكن ينبغي للمريد ان لا يتهاون بشيء من
الاداب ولا يستحقرها فان التهاون بذلك والاستحقار
له من مخامرة الجهل وعدم المعرفة بالله تعالى وهذا
اقبح انواع سوء الادب فان وقع منه اساءة ادب فليكن
خائفا من ذلك مستعظما له مرتفعا وليبادر الى التوبة
والاعتذار والتنصل منها خشية ان تتوجه اليه العقوبة
من حيث لا يشعر واكد ما ينبغي ان يجتنبه المريد من
مقتضيات هذه الجملة التي جعلتها ظاهر مراد المولف رحمه
الله من انواع سوء الادب ان يولع بخاطره على شيء من الاعتراض
على الله تعالى وربما يذهب به الى التدبير معه والتبرم باحكامه

المولمة في نفسه او غيره وان يصرح لسانه بالشكوى
الى الخلق والعيب لما لا يوافق هواه او نقص في
نظره مما دراه الحق فان خطر بباله او جرى على
لسانه شيء من ذلك فليبادر الى الاستغفار منه
والتفصي عنه وليعلم ان نشاغله بذكر من احسن
الحسنات وافضل القربات وذلك كما ان لو لحيته عليه
وتهاونه به من اعظم خطاياه واكبر ذنوبه ويؤدي به ذلك
الى تنحك الاقدام والوقوع في دركات النار ونعوذ
بالله من ذلك ذكر صاحب لبعض الصوفية والصغير فلم يعرف
له خبرا ثلثة ايام فجاء له لو سال الله تعالى ان يرده
عليك فقال اعتراضي عليه فيما قضى دنيا فانا ابكي
عليه منذ ستين سنة وكان قد اجتهد في العبادة لاجل
التوبة من ذلك الذنب قيل له وما هو قال قلت مرة
لشيء ليته كان وقال بعض السلف لو قرض جسمي بالمقاريض
كان احب الي من ان اقول لشيء قضاه الله ليته لم يقضه
وقال بعضهم مرض الجنيد رضي الله عنه فقال اللهم
عافني فسمع هاتفا ما لك والدخول بيني وبين مبتلاي
ومن مقتضياتها ايضا ان يعلق بقلبه شيء من الاعتراض
على المشايخ والاولياء وان يترك تعظيمهم واحترامهم
وان لا يقبل اشاراتهم فيما يشيرون به عليه فقد قالوا
عقوق الاستاذين لا توبة لها وقالوا ايضا من قال

لاستاذه

يدخله في مقام الرضى ويوصله الى غاية النعيم والعطى صح

اشد علي من ضياع ولدي وقال بعض السادة اذنبت صح

يقول

لاستاذه لم لا يفلح قال ابو القسم القشيري من
صحب شيخا من الشيوخ ثم اعترض عليه بقلبه فقد نقض عهد
الصحبة ووجب عليه التوبة وان يتخذ اهل السلوك يكون
قاصدا لم يصل الى مقصوده فليعلم ان موجب حجبه اعتراض
خاطر قلبه على بعض شيوخه في بعض اوقاته فان الشيوخ
بمنزلة السفراء للمريدين قال وفي الخبر الشيخ في اهله
كالنبي في امته ومن ذلك ما سواد به تصدره للتعليم والهداية
وتصديه للامر والولاية ومحبته للاستتباع والرياسة
وتربية الجاه والحشمة والقبول بين الناس واستدعاؤه
بسره ان يكرم ويعظم ويتبرك به وتقبل يده وتسارع
في قضاء حوائجه وذلك من اضر الاشياء عليه وهو نتيجة امتحانه
لما هو عليه وعدم تفقده لعيوبه واتهامه نفسه في كل حال
من احواله وذلك منهم ومنه قال ابو عثمان لا يرى
احد عيب نفسه وهو يستحسن من نفسه شيئا وانما يرى
عيوب نفسه من اتهمها في جميع الاحوال وقال ابو عبد الله
السجزي من استحسن شيئا من احواله في حال ارادته فسد
ارادته الا ان يرجع الى ابتدائه ويبرء من نفسه
تائبا وقال ابو عبد الرحمن السلمي رضي الله عنه
سمعت جدي يقول افة العبد رضاه عن نفسه بما هو فيه
فان استشعر المريد من نفسه شيئا مما ذكرناه فليبادر الى
قطع مواد ذلك واستئصال عروقه من قبل ان يستحكم

اضر صح

ذلك منه ويترشح فبدايات الامور هي التي ينبغي
ان تراعى كثيرا ومن انواع سوء ادب المريد المفضي
الى عطبه نزوله عن مقتضيات الحقيقة الى رخص
الشريعة فقد عد واعد من الخيانات العظيمة الموجبة
لانحطاط المرتبة والبعد عن محل القربة ولهذا قالوا
اذا رايت المريد انحط عن رتبة الحقيقة الى رخصة الشريعة
فاعلم انه قد نقض عهده مع الله تعالى وفسخ عقد ما
بينه وبين الله تعالى وقال ابن خفيف الارادة استدامة
الكد وترك الراحة وليس شيء اضر على المريدين من
مسامحة النفس في قبول الرخص والتاويلات وقال
يوسف بن الحسين رحمه الله اذا رايت المريد يشتغل بالرخص
فاعلم انه لا يجيء منه شيء وقال ابو اسحق بن شيبان رحمه الله
من اراد ان يتعطل ويتبطل فليلزم الرخص ونعني بالرخص
هاهنا ما كان مضادا لحال المريد من تناول الشهوات
واللذات والميل الى المالوفات والمعتادات والركون
الى الدعة والراحات وارتكاب الشبهات والتاويلات
فان حال المريد يقتضي مباينته لهذا كله وان كان
بعض ذلك مباحا في رخصة الشرع لعامة الناس كان ابراهيم
الخواص رضي الله عنه يقول ان هذه الشهوات التي
اظلمت قلوب المتعبدين بعد صفاء نورها وفترت ابدانهم
بعد اجتهادها وحجبت قلوبهم بعد قربها والحالة اما انهم

بعد

بعد

بعد قربها وانسوا بالمخلوق الهرب منهم وتولهوا
القرش بعد الترك لها فسقتهم الدنيا بكاس سمها فنظروا
اليها بعد ... ناموا بعد السهر وشبعوا بعد الجوع
واتكلوا بعد الورع وقال ابو سليمان الداراني رضي الله
عنه اوحى الله تعالى الى داود عليه السلام اني انما خلقت
الشهوات لضعفاء خلقي فاياك ان تعلق قلبك منها
بشيء فايسر ما عاقبتك به ان انزع حلاوة حبي من قلبك
وفي اخبار داود عليه السلام يا داود تمسك بكلامي
وخذ من نفسك لنفسك لا تؤتين منها فاحجب محبتي عنك
اقطع شهوتك اني فاني انما ابحت الشهوات لضعفة
خلقي ما بال الاقوياء ان ينالوا الشهوات فانها تنقص حلاوة
مناجاتي فاني لم ارض الدنيا لحبيبي وتنزهته عنها يا داود
لا تجعل بيني وبينك عالما سكرانا بحبها فيحجبك بسكره عن محبتي
اولئك قطاع الطريق على عبادي المريدين استعن
على ترك الشهوات والركون الى الدعة والراحات
وارتكاب الشبهات والتاويلات فان حال المريد يقتضي
مباينته لهذا كله وان كان بعض ذلك مباحا في رخصة
الشرع لعامة الناس كان ابراهيم الخواص رضي الله
عنه يقول ان هذه الشهوات التي اظلمت قلوب
المتعبدين بعد صفاء نورها وفترت ابدانهم بعد اجتهادها
وحجبت قلوبهم بعد قربها بادمان الصوم يا داود

وارتعشوا بعد العز

تحبب الى نفسه اوقد تقدم اشتهيها الشهوات عند نظر
البكا ويترك الجيد بيني وبينكم من فرعه وقال ابرهيم
بن ادهم رضي الله عنه لن ينال الرجل درجة الصالحين
حتى يجوز ست عقبات اولها يغلق باب النعمة ويفتح
باب الشدة والثاني ان يغلق باب العز ويفتح باب الذل
والثالث ان يغلق باب الراحة ويفتح باب الجهد
والرابع ان يغلق باب النوم ويفتح باب السهر والخامس
ان يغلق باب الغنا ويفتح باب الفقر والسادس ان
يغلق باب الامل ويفتح باب الاستعداد للموت
وقال ابرهيم الخواص كنت في جبل اللكام فرايت
رمانا فاشتهيته فدنوت منه فاخذت واحدة فشققتها
فوجدتها حامضة فمضيت وتركت الرمان فرايت رجلا
مطروحا قد اجتمع عليه الزنابير فقلت السلام عليك فقال
وعليك السلام يا ابرهيم فقلت كيف عرفتني فقال من عرف
الله لا يخفى عليه شي فقلت ارى لك حالة مع الله تعالى فقال
واري لك حالة مع الله تعالى فلو سالته ان يقيك من
شهوة الرمان فان لذع الرمان يجد الانسان المه في الاخرة
ولذع الزنابير يجد المه في الدنيا وقال السري رحمه
الله ان نفسي تطالبني منذ ثلثين سنة او اربعين سنة
ان اغمس جزرة في دبس فما اطعمتها فلما كان ترك الشهوات
والتنعمات من شان المريد ومن مقتضى حاله لزمه الوفا

بد

اري ح لدغ الزنابير قال وانت لو سالته ان يقيك ... ح

به وكان عمله على خلافه نقضا وفسخا كما تقدم قال جعفر
بن نصير دفع الي الجنيد درهما وقال اشتري به التين
الوزيري فاشتريته فلما افطر اخذ واحدة ووضعها
في فيه ثم القاها وبكى فقال احمله فقلت له في ذلك
فقال هتف في قلبي هاتف اما تستحي شهوة تركتها من اجلي
ثم تعود اليها وعن شقيق ابن ابراهيم قال لقيت
ابرهيم بن ادهم بمكة في سوق الليل عند مولد رسول
الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس ناحية من الطريق يبكي
فعدلت اليه وجلست عنده وقلت له اي شي هذا البكا يا ابا
اسحق فقال خير وعافية فعاودته مرة واثنتين
وثلثا فلما اكثرت عليه قال يا شقيق استر علي فقلت
يا اخي قل ما شيت قال اشتهت نفسي سكباجا فمنعتها جهدي
فلما كان البارحة كنت جالسا وقد غلبني النعاس فاذا
انا بفتى شاب وبيده قدح اخضر يعلو منه بخار ورائحة
سكباج قال فاجتمعت بهمتي عليه فقرب مني وقال يا ابرهيم
كل فقلت ما اكل قد تركته لله تعالى فقال قد اطعمك
الله تعالى فما كان لي جواب الا اني بكيت فقال لي يرحمك
الله كل يا ابرهيم فانما اعطيته وقيل لي يا خضر اذهب
بهذا واطعم نفس ابرهيم بن ادهم فقد رحمها الله
من طول صبرها على تحملها من منعها اعلم يا ابرهيم اني سمعت
الملايكة يقولون من اعطي فلم ياخذ طلب فلم يعط فقلت ان كان

وهو يجد وحل مطبوخ

ابرهيم

شيا ح

فقال ابراهيم قد امرنا ان لا نطرح في دوابنا الا من حيث نعلم فقال يرحمك الله كل ح

كذلك فبينا انا بين يديك لا احل العقد مع الله تعالى
ثم التفت فاذا انا بفتى اخضر ناوله شيا وقال يا خضر
لقمه انت فلم يزل يلقمني شيا حتى شبعت فانتبهت وحلاوته
في فمي قال شقيق فقلت اري كفك فاخذت كفه بكفي
فقبلتها وقلت يا من يشبع بكهم الجايع الشهوات اذا
صحوا المنع يا من يقدح في الضمير اليقين يا من سقا
قلوبهم من محبته اتري لشقيق عندك حالا ثم رفعت يد
ابرهيم الي السما فقلت بقدر هذه الكف وبقدر صاحبها
وبالجود الذي وجد منه كل منك جد على عبدك الفقير
بفضلك واحسانك ورحمتك وان لم يستحق ذلك قال
فقام ابرهيم ومشي حتى دخل المسجد الحرام وقال عتبة
الغلام لعبد الواحد بن زيد ان فلانا يصف من قلبه
منزلة ما اعرفها قال لانك تاكل مع خبزك تمرا وهو
لا يزيد على الخبز شيا فقال ان تركت اكل التمر عرفت
تلك المنزلة قال نعم وغيرها فاخذ يبكي فقال له بعض
اصحابه ابكى الله عينك اعلى التمر تبكي فقال عبد الواحد دعه
فان نفسه قد عرفت صدق عزمه في الترك فهو اذا ترك
شيا لم يعاود فيه ابدا وقال احمد بن ابي الحواري
اشتهى ابو سليمان الداراني رغيفا حارا بملح فجيت اليه
به فعض عليه عضة ثم طرح الرغيف وقال عجلت الي شهوتي
بعد طول جهدي وشقوتي وقد عزمت على التوبة فاقلني قال

احمد

٧١

احمد فما رايته اكل الملح حتى لقي الله تعالى وقال ابو بكر
ابن الجلا اعرف من تقول له نفسه انا اصبر لك على طي عشرة
ايام ولا تطعمني بعد ذلك شهوة اشتهيها فيقول لها
لا اريد ان تطوي عشرة ايام ولكن اترك هذه الشهوة
وقال ابو سليمان ترك شهوة من شهوات النفس انفع
للقلب من صيام سنة وقيامها قال ابو حامد الغزالي
قدس الله روحه وقد اشتد خوف السلف رضي الله عنهم
من تناول لذيذ الاطعمة وتمرين النفس عليها وقالوا
ان ذلك علامة الشقاوة وراوا ان منع الله منه غاية
السعادة حتى روي عن وهب بن منبه قال التقى ملكان
في السما الرابعة فقال احدهما للاخر من اين فقال
امرت ان اسوق حوتا من البحر اشتهاه فلان اليهودي
وقال الاخر امرت باهراق زيت اشتراه فلان العابد
قال وهذا تنبيه على ان تيسير الشهوات ليس من علامة
الخير قال ابو حامد الغزالي قدس الله روحه والاصل
المهم في المجاهدة الوفا بالعزم فاذا عزم على ترك
شهوة فقد تيسر اسباب ذلك ويكون ذلك من الله تعالى
ابتلا واختبارا فينبغي ان يصبر ويستمر فانه ان عود
نفسه كسر العزم الفت فسدت واذا اتفق منه كسر
العزم عزم فينبغي ان يلزم نفسه عقوبة عليه كما ذكرناه
في معاقبة النفس من كتاب المراقبة فاذا لم تخوف النفس

انسانا ح

وراوا صح

بعقوبة عليته وحسنت عنده تناول الشهوة وتغويه
الرياضة عليه بالكلية هذا كلام الامام ابي حامد
الغزالي وهو حسن ومعناه صحيح مجرب فليتعهد عليه
ايها المريد وقد يجعل الله تعالى لبعض هولاء العقوبة
رحمة له ومنة عليه قال ابو تراب النخشبي ما تمنت
نفسي شهوة من الشهوات الا مرة واحدة تمنيت خبزا
وبيضا وانا في سفر فعدلت الى قرية فقام واحد وتعلق
بي وقال هذا كان مع اللصوص فضربوني سبعين درة ثم عرفني
رجل منهم فقال هذا ابو تراب النخشبي فاعتذروا الي
فحملني رجل منهم الى منزله وقدم الي خبزا وبيضا فقلت
لنفسي كلي بعد سبعين درة قال بعضهم تمنى ابو الخير
العسقلاني السمك سنين ثم ظهر له ذلك من موضع حلال
فلما مد يده اليها ليأكل اخذت شوكة من عظامه اصبعه
فذهبت في ذلك يده فقال يا رب هذا لمن مد يده بشهوة
الى حلال فكيف من مد يده بشهوة الى حرام وقال ابرهيم
الخواص رضي الله عنه كنت جايعا في الطريق ونويت
الري فخطر ببالي ان لي بها معارف فاذا دخلتها اضافوني
واطعموني فلما دخلت البلد رايت فيه منكرا احتجت
ان امر فيه بالمعروف فاخذوني وضربوني فقلت في
نفسي من اين اصابني هذا الضرب على جوعي فنوديت
في سري انما اصابك ذلك لانك سكنت الى معارفك بقلبك

وقلت

وقلت انهم يطعموني اذا دخلت البلد وحكي عن ابرهيم
بن شيبان انه قال كنت بحلب واشتهيت شبعة من الخبز
والعدس فاتفق ذلك فاكلت حتى شبعت فرايت على
باب المسجد قوارير معلقة شبه لمنوذجات فتوهمتها
خلا فقال المعاينة اما تنظر اليها انها خمر فقلت لا يسعني
فرض فدخلت الحانوت فلم ازل اصب دنا دنا حتى
اتيت على الجميع فاخذوني وضربوني خشبة وطرحوني
في السجن اربعة اشهر حتى دخل علينا ذلك ابو عبد الله
المغربي البلد فسمع بحالي فتشفع الي فلما وقع بصره علي قال
ما شانك قلت شبعة خبز وعدس وضربت مايتي خشبة وسجنت
اربعة اشهر فقال لي نجوت مجانا اي وردت عقوبة
هذه الاكلة عليك هدرا ولم تقدح فيما كنت فيه من سر البر
فكان ذلك رفقا من الله فتبارك قال الامام ابو القاسم
القشيري وما اصدقها قال فانه من اذنب في دينه
فيما يتعاطاه من متابعة هواه فقد خفف عنه في عقباه
بالظفر بالتاديب جوهره ومعناه وحكاية خير النساج
المشهورة من معنى ما ذكرناه فانظرها ففيها عبرة للمعتبرين
قال الحافظ ابو نعيم حدثني جعفر بن محمد بن نصير في كتابه
قال سالت خيرا النساج اكان النسج حرفتك قال لا قلت
فمن اين سميت خير النساج قال عاهدت الله واعتقدت
اني لا اكل الرطب ابدا فغلبتني نفسي يوما فاخذت نصف

خبز
رطل زبيب فلما أكلت واحدة إذا رجل نظر إليّ وقال يا
أمين هربت مني كان له عبد اسمه خير فوقع عليّ شبهه
وصورته لخنقني فاجتمع الناس فقالوا هذا والله
غلامك خير فبقيت متحيرا وعلمت بما أخذت وعر
فت
جنايتي فحملني إلى البيت الذي كان ينسج فيه غلامه وقالوا
يا عبد السوء تهرب من مولاك ادخل واعمل عملك الذي
كنت تعمل وأمرني بعمل الكرباس فدليت رجلي على
أن أعمل فأخذت بيدي القز فكأني كنت أعمل سنين
فبقيت معه أشهرا أنسج له فقمت ليلة وتمسحت وقمت
للصلاة الغداة فسجدت وقلت في سجودي إلهي لا أعود
إلى ما فعلت فأصبحت فإذا الشبه قد ذهب عني وعدت إلى صورتي
التي كنت عليها فأطلقت فثبت علي الاسم فكان سبب الشبح
اتباعي شهوة عاهدت الله تعالى أن لا آكلها فعاقبني
بما سمعت وفي بعض الأخبار عن الله تعالى أن أدنى ما
أصنع بالعالم إذا آثر شهوته على محبتي أن أحرمه لذيذ
مناجاتي وبيانه إن شاء الله تعالى لتعبه مجاهدة النفس
عمن عودها الأماني أدبت النفوس ما تحقق سائر السائرين
ولهذا المعنى كره أهل التزويج من غير ضرورة محققة
لأنه إنما يقصد بذلك قضاء الشهوة وبلوغ نهمته وذلك
في المضرة به بمنزلة السم القاتل وقد قالوا من وافق
شهوته عدم صفوته وقال بعضهم من نهم بشيء مما أباحه

العلم

العالم ثلاث إن أعوقب بتضييع العمر وقسوة القلب وتعب
الهموم بالدنيا وقال أبو سليمان الداراني رضي الله عنه
ثلاث من طلبهن فقد ركن إلى الدنيا من طلب معاشه
أو تزوج امرأة أو كتب الحديث وقال ما رأيت أحدا
من أصحابنا تزوج فثبت على مرتبته وكان ابرهيم
بن أدهم رضي الله عنه يقول من تعود أفخاذ النساء لا يفلح
للرجال
وقيل لبعضهم لم لا تتزوج فقال المرأة لا تصلح إلا
وإنما ما بلغت مبلغ الرجال ثم فيه من مكايدة أمر
غيره ومراعاة توفير حقوقه ومداناة أخلاقه
واتباع مرضاته ما يشوش على المريد حاله ويكدر
عليه وقته وقد كان في معناه أن من حرمته العظم شاغل
من أن ينضاف إلى نفسه نفس أخرى مع ما يتسلط على باطنه
من خوف الفقر ومحبة الجمع والمنع وما يرتكبه بسبب ذلك
من التأويلات والرخصة وذلك كله مفسد لحال المريد
وقد قالوا إذا تزوج الصوفي فقد ركب السفينة فإن ولد
له ولد فقد غرقت السفينة وكان بشر الحافي يقول لو كنت
أعول دجاجة خفت أن أكون جلوازا على الجسر وفي
الخبر في فتن آخر الزمان قال وفي ذلك حلت العزبة فقيل
وكيف قال يعيرونه بالفقر فيتكلف ما لا يطيق فيورده موارد
الهلكة وفي الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خير الناس بعد المائتين
تين
رجل خفيف الحاذ قيل يا رسول الله وما خفيف الحاذ قال الذي

لا اهل له ولا ولد وقال سهل بن عبد الله اياكم والاستمتاع
الي النسا والميل اليهن فان النسا مبعدات من الحكمة
قريبات من الشيطان وهن مصايده وحظه من بني ادم
ومن عكف اليها بكليته فقد انقاد الي حظ الشيطان ومن
حاد عنها بيوسه الشيطان وما مال الشيطان الي احد
كميله الي هذا ستيق بالنسا وان المخرج معهن حيث كن
فاذا ابتليتم في فتنتكم من قدر لكم اليهن فابعدوا منه
قيل لحديث النبي صلى الله عليه وسلم حبب الي من دنياكم
ثلاث فذكر النسا فقال النبي صلى الله عليه وسلم معصوم
وقد بلغكم ما كان فيه معهن هي عروة الرجل ظاهرا
وباطنا ان المحدث المحبة اهلكته وان اضمرها له اغوته
وان الله عز وجل جعلهن فتنة فنعوذ بالله من فتنتهن
انتهى وقال حذيفة المرعشي كان ينبغي للرجل لو خير
بين ان تضرب عنقه وبين ان يتزوج في الفتنة لاختار
ضرب العنق على تزوج امراة في الفتنة وانما قال ذلك
لما يولد المتزوج من اكتساب الحرام وارتكاب الاثام
في زمان الفتنة وضرب العنق احسن حالا واحمد عاقبة
من التعرض لارتكاب شيء من معاصي الله تعالى فان
قارف المريد شيا من ذلك فهو ذا عضال وجهه فقد
قالوا زلة بعد الارادة اقبح من سبعين زلة قبل الارادة
وفي المثل من عرف بالخيانة لا يعتمد عليه بالامانة وقال
بعض

بعض الانبيا عليهم السلام في مناجاته لربه لو عفوت
عن فلان ذنوبه بعد عظيم نعمك فاوحى الله اليه ليس الذنب
في القرب كالذنب في البعد وقيل لبعضهم هل تجد العاصي
حلاوة الطاعة فقال لا ولكن هم بالمعصية ومن عظيم
سو ادب المريد ان يميل الي اهل الدنيا وان يتقرب
منهم وان يصاحبهم قال الامام القشيري رضي الله
عنه ومن شان المريد التباعد عن ابنا الدنيا فان صحبتهم
سم مجرب لانهم ينتفعون به وهو ينتقص بهم قال الله
تعالى ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان
امره فرطا وقد تقدم من كلام المولف رحمه الله تعالى
لا تصحب من لا ينهضك حاله ومن ذلك معاشرة الاحداث
والشبان وقبول ارفاق النسوان فان التعرض لاستجلاب
ذكرهن خطر شديد قال يوسف بن الحسين الرازي
رايت افات الصوفية في صحبة الاحداث ومعاشرة الاضداد
ورفق النسوان قال الامام ابو القسم من اصعب الافات
في هذه الطريقة صحبة الاحداث ومن ابتلاه الله بشيء من
ذلك فباجماع من الشيوخ ان ذلك عبد اهانه الله عز وجل
وخذله بل عن نفسه شغله ولو بالف كرامة اهله ثم قال
بعد كلام كثير فليحذر المريد من مجالسة الاحداث
ومخالطتهم فان اليسير منه فتح باب الخذلان وبدا حال
الهجران ونعوذ بالله من قضا السو ومن ادب المريد التبره

وإنما نبهنا ههنا على بعض ما يفهم فيه الخطر والغرر
مما حذر منه المشايخ رضي الله عنهم وبالغوا في التوصية
به والنهي عنه وجميع ذلك صحيح لأن يكون مراد المؤلف
رحمه الله في قوله من جهل المريد أن يسيء الأدب غريبا
أن لا يخلوا منه هذا الموضع من هذا التنبيه لأن ذكر يقع
للمريد كثيرا والله ولي التوفيق **إذا رأيت عبدا أقامه
الله بوجود الأوراد وأدامه عليها مع طول الإمداد فلا
تستحقرن ما منحه مولاه لأنك لم تر عليه سيما العارفين
ولا بهجة المحبين فلولا وارد ما كان ورد** عباد الله
المخصوصون ينقسمون إلى قسمين مقربين وأبرار فالمقربون
هم الذين أخذوا من حظوظهم وإراداتهم واستعملوا
في القيام بحقوق ربهم عبودية له وطلبا لمرضاته
وهؤلاء هم العارفون والمحبون والأبرار هم الذين
بقوا مع حظوظهم وإراداتهم وأقيموا في الأعمال
والطاعات ليجزون عليها برفيع الدرجات في الجنات
وهؤلاء هم الزاهدون والعابدون وكل واحد منهم
ممد في مقامه الذي هو فيه بمدد إلهي اقتضى منهم
القيام بحقوق مقاماتهم على اختلافها فإذا رأيت
عبدا أقامه الله تعالى في أعمال البر الظاهرة ومواصلة
الأوراد المتواترة وأمده في ذلك بالمعونة والتيسير
فذلك من اختيار الله تعالى له فلا تستحقرن ذلك لأجل أنك
لم

تر عليه سيما العارفين من ترك الاختيار والبراءة من الحظوظ
والإرادات بين يدي المريد ولا بهجة المحبين
من التشغف لمرضاة محبوبهم والانبساط والإدلال
بين يدي حبيبهم فلولا الوارد الإلهي الذي ورده
تعالى عليه ما استقام على عمله وورده فهو لم يخرج عن
دائرة عنايته وحيطة رعايته فلم تستحقر خطير ما منحه
وتستقلل كثير ما ربحه وهذه علامة وجود جهلك ونقصان
عقلك وسيأتي من كلام المؤلف رحمه الله تعالى لا يستحقر
الورد إلا جهول **قوما أقامهم الحق لخدمته وقوما اختصهم
بمحبته كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا**
الحق تعالى له الاختيار التام والمشيئة النافذة لا يسأل عما
يفعل وهم يسألون فطائفة أقامهم الحق تعالى لخدمته
حتى طلبوا الجنة وهم الزاهدون والعابدون كما تقدم
وطائفة اختصهم بمحبته حتى طلبوا القربة والدخول إلى حضرته
وهم العارفون والعلماء قال يحيى بن معاذ الزاهد صيد الحق
من الدنيا والعارف صيد الحق من الجنة فإذا شهد العبد
انفراد الله تعالى بهذه الإقامة والتخصيص صح منه ترك ما
ذكرناه من الاستحقار وعلم أن الأمر بيده التدبير والاختيار
قال أبو يزيد رحمه الله اطلع الله تعالى على قلوب أوليائه
فمنهم من لم يكن يصلح لحمل المعرفة صرفا فشغلهم بالعبادة
وذكر الحافظ أبو نعيم رحمه الله في كتابه حلية الأولياء

عن سهل بن عبد الله رضي الله عنه أنه قال إن الله
تعالى يطلع على أهل قرية أو بلدة فيريد أن يقسم لهم
من نفسه قسما فلا يجد قلوب العباد ولا قلوب الزهاد
موضعا لتلك القسمة من نفسه فيمن عليهم بأن يشغلهم (مطلب فتأمل)
بالتعبد عن نفسه وقال أبو العباس الدينوري إن لله
عبادا لم يستصلحهم لخدمته فأشغلهم بمعرفته والإشارة (أي يستصلحهم لمعرفته فشغلهم بخدمته ولله عباد) (يستصلحهم)
بالآية الكريمة التي ذكرها المؤلف رحمه الله جميعه في هذا
المعنى قلما تكون الواردات الإلهية إلا بغتة صيانة (صح)
لها أن يدعيها العباد بوجود الاستعداد الواردات (مطلب الواردات)
الإلهية هدايا من الله تعالى وتحف وكرامات يكرم
بها عباده فلا تكون في الغالب إلا بغتة أي فجأة لئلا يدعوها
ويرون أنفسهم أهلا لها لوجود استعدادهم وتهيئهم
وتحف الله وهداياه مقدسة عن أن تعلل بأمر ومنزهة
عن أن تقابل بأعمال بل هي بمحض كرم وفضل من الكريم
المتفضل من رأيته مجيبا عن كل ما سئل ومعبرا عن كل
ما شهد وذاكرا كل ما علم فاستدل بذلك على وجود جهله (مطلب تأمله إلى آخر المقولة ترشد)
الإجابة عن كل سؤال والتعبير بكل مشهود والذكر لكل معلوم
أمارات على وجود جهل من اتصف بها كما قال أما الإجابة
عن كل سؤال فلا تقتضيها منه الإحاطة بجميع المعلومات (قال الله تعالى وما أوتيتم من العلم إلا قليلا فكيف صح)
وذلك محال في حقه فلا يتصور منه مع هذا الإجابة عن كل سؤال
لولا وجود جهله وأيضا فإنه يجب عليه أن يميز حال السائل

من

من وجود الأهلية لما سأل عنه فيمتنع عن إجابة من لا
أهلية فيه لذلك ويفعل ما فعله رسول الله صلى الله عليه
وسلم فيما روي عنه مع السائل الذي جاء يسأله أن يعلمه
من غرائب العلم فإنه انتهره وقال له ما فعلت في رأس
العلم وفي كذا وفي كذا فأجابه السائل فقال له النبي صلى
الله عليه وسلم اذهب فاعلم ما هنالك ثم تعال حتى أعلمك
من غرائب العلم وكما أخذ الله تعالى على العلماء أن لا يكتموا
العلم أهله كذلك أخذ عليهم أن يصونوه عن غير أهله
فمن لا يبالي بهذا المسلك فهو جاهل وأما التعبير لكل
مشهود فلأن فيه نوعا من إفشاء السر الذي يجب كتمه
وقد قالوا قلوب الأحرار قبور الأسرار والسر أمانة
الله تعالى عند العبد فإشهاره بالتعبير عنه خيانة والله
لا يحب الخائنين وأيضا فإن الأمور المشهودة لا يستعمل فيها
إلا الإشارة والإيماء واستعمال العبارات فيها افتضاح بها
وابتذال لها وفي ذكر ابتذالها وإذاعتها تنزل العبارة عنها
لا تزيدها إلا غموضا وانغلاقا لأن الأمور الذوقية يستحيل
إدراك حقائقها بالعبارات النطقية فيؤدي ذلك إلى الإنكار (النطقية صح)
والقدح في علوم السادة الأخيار قال أبو علي الروذباري
رحمه الله علمنا هذا إشارة فإذا صار عبارة خفي وأما
الذكر لكل معلوم فلعدم تفرقته بين المعلومات وقد يكون
له علم يختص به فإذا ذكره لغيره استغربه وإن كان ينتفع

به هو فقدم تفريقه بين المعلومات فى ذكرها من وجوه
انما جعل الدار الاخرة محلا لجزا عباده المومنين
لان هذه الدار لا تسع ما يريد ان يعطيهم ولان الله
تعالى اجل اقدارهم من ان يجازيهم فى دار لا
بقا لها انما جعل ثواب المومنين فى الدار الاخرة فيما
يظهر لنا لوجهين احدهما ان الدنيا لا تسع ما يريد ان
يعطيهم من انواع النعم حسا ولا معنى اما الحس فلان الدنيا
متدانية المسافة ضيقة الاقطار و يعطي الله تعالى لاحاد
المومنين فى الدار الاخرة فى ملك واحد منهم كما ورد فى الخبر
مسيرة خمسماية عام فلما كثر بخواصهم فتضيق لا محالة مسافة الدنيا
عن كلية جزايهم واما المعنى فلان الدنيا موسومة بالدناة
والنقص فى الخساسة والحقارة والاشياء التى يتنعم بها اهل
الجنة امور شريفة رفيعة كما فى الاخبار ان موضع سوط فى الجنة خير
من الدنيا وما فيها وان نور سوار حورا يطمس نور الشمس
وما اشبه هذا ويكفي فى ذلك قوله فلا تعلم نفس ما اخفي
لهم من قرة اعين جزا بما كانوا يعملون وقول النبي صلى
الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه عز وجل اعددت لعبادي
الصالحين ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر
والثاني ان الله تعالى اجل اقدار عباده المومنين فلم
يجعل لهم الجزا على طاعاتهم فى دار فانية منقضية
منصرمة الاكدار ما يغير وان طالت مدته كلا شي بل اعطاهم
الخلود

مطلب شريف

فى النعيم والبقا الدايم فى دار المقيم وناهيك تسميته اياه
باسمه الكريم وهو الحي الذي لا يموت حاشى لتغيير
فى قوله تعالى وملكا كبيرا انه يرسل الله تعالى ملكا
الى وليه ويقول له استاذن على عبدي فان اذن لك فادخل
والا فارجع فيستاذن عليه من سبعين حجابا ثم يدخل عليه
ومعه كتاب من الله عز وجل مكتوب على عنوانه من الحي
الذي لا يموت الى الحي الذي لا يموت فاذا فتح الكتاب وجد
مكتوبا فيه عبدي اشتقت اليك فزرني فيقول هل جئت بالبراق
فيقول نعم فيركب البراق فيغلب الشوق على قلبه
فيحمله شوقه ويبقى البراق الى ان يصل الى بساط اللقا
ت بحد ثمرة عمله عاجلا فهو دليل على وجود القبول
ثمرة العمل وجدان الحلاوة فيه من النعيم ويتصور ذلك
فى اكثر الاعمال لان العمل تحمله عليه على حال تكره واستثقال
له هذا هو غالب الامر قال بعض العارفين ليس شي
من البر الا ودونه عقبة تحتاج الى الصبر فيها فمن صبر
على شدتها افضى الى الراحة والسهولة وانما هي مجاهدة
النفس ثم مخالفة الهوى ثم مكابدة فى ترك الدنيا ثم
اللذة والتنعم وقال عتبة الغلام كابدت الليل عشرين
سنة ثم تنعمت به عشرين سنة وقال بعض العلما كنت
اقرا فلا اجد حلاوة حتى تلوته كاني اسمعه من رسول الله
صلى الله عليه وسلم يتلوه على اصحابه ثم رفعت الى مقام فوقه

بدل واستثقال

وقال ثابت البناني كابدت القران عشرين سنة وتنعمت به عشرين سنة صح

القرآن صح

جمله

به هو فقدم تفريقه بين المعلومات في ذكرها من وجود
انما جعل الدار الاخرة محلا لجزاء عباده المومنين
لان هذه الدار لا تسع ما يريد ان يعطيهم ولان الله
تعالى اجل اقدارهم من ان يجازيهم في دار لا
بقاء لها انما جعل ثواب المومنين في الدار الاخرة فيما
يظهر لنا لوجهين احدهما ان الدنيا لا تسع ما يريد ان
يعطيهم من انواع النعم حسا ولا معنى اما الحس فلان الدنيا
متناهية المسافة ضيقة الاقطار ولو يعطي الله تعالى لاحاد
المومنين في الدار الاخرة في ملكه واحد منهم كما ورد في الخبر
مسيرة خمسماية عام ورفنا الكنز بخواصهم فتضيق لا محالة المسافة
عن تحليه جزائهم واما المعنى فلان الدنيا موسومة بالدناة
والنقص في الخساسة والحقارة والاشياء التي يتنعم بها اهل
الجنة امور شريفة رفيعة كما في الاخبار ان موضع سوط خير
من الدنيا وما فيها وان نور سوار حوراء يطمس نور الشمس
وما اشبه هذا ويكفي في ذلك قوله فلا تعلم نفس ما اخفي
لهم من قرة اعين جزاء بما كانوا يعملون وقول النبي صلى
الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه عز وجل اعددت لعبادي
الصالحين ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر
والثاني ان الله تعالى اجل اقدار عباده المومنين فلم
يجعل لهم الجزاء على عمالهم في دار فانية منقضية
منصرمة لكدرها ينغصون كالكل مدته كلا شي بل اعطاهم
الخلود

الدنيا

في الجنة صح

مطلب شريف الى اخر البحث

بلا شرو

في النعيم والبقاء الدايم في دار المقيم وناهيك تسميته ايام
باسمه الكريم وهو الحي الذي لا يموت جاء في التفسير
في قوله تعالى وملكا كبيرا انه يرسل الله تعالى الملك
الى وليه ويقول له استاذن على عبدي فان اذن لك فادخل
والا فارجع فيستاذن عليه من سبعين حجابا ثم يدخل عليه
ومعه كتاب من الله عز وجل مكتوب على عنوانه من الحي
الذي لا يموت الى الحي الذي لا يموت فاذا فتح الكتاب وجد
مكتوبا فيه عبدي اشتقت اليك فزرني فيقول هل جئت بالبراق
فيقول نعم فيركب البراق فيغلب الشوق على قلبه
فيحمله شوقه ويبقى البراق الى ان يصل الى ساحة اللقا
من وجد ثمرة عمله عاجلا فهو دليل على وجود القبول
ثمرة العمل وجدان الحلاوة فيه والتنعم والتبصر بذلك
في اكثر الاعمال لا العمل الحبة عليه على حال تكره واستثقال
له هذا هو غالب الامر فان بعض العارفين ليس شي
من البر الا ودونه عقبة تحتاج الى الصبر فيها فمن صبر
على شدتها افضى الى الراحة والسهولة وانما هي مجاهدة
النفس ثم مخالفة الهوى ثم مكابدة في ترك الدنيا ثم
اللذة والتنعم وقال عتبة الغلام كابدت الليل عشرين
سنة ثم تنعمت به عشرين سنة وقال بعض العلما كنت
اقرا فلا اجد حلاوة حتى تلوته كاني اسمعه من رسول الله
صلى الله عليه وسلم يتلوه على اصحابه ثم رفعت الى مقام فوقه

نعاس واستثقال

وقال ثابت البناني كابدت القران عشرين سنة وتنعمت به عشرين سنة صح

القرآن صح

فكنت اتلوه كأني اسمعه من جبريل عليه السلام يلقيه على
رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم جاء الله بمنزلة اخرى فانا
الان كأني اسمعه من المتكلم به فعندها وجدت له لذة عظيمة
ونعيما لا اصبر عنه وما ذكرناه من الحلاوة في النعيم
انما ثمرة الاعمال الصحيحة المستقيمة السالمة من الريا
والدعوى قال ابو تراب اذا صدق العبد في العمل وجد
حلاوته قبل ان يعمله والاعمال الموصوفة بهذه الصفا[ت]
مقبولة بفضل الله تعالى وورد في الخبر لا يقبل الله تعالى
من مسمع ولا مرائي ولا لاعب دليل خطابه ان العمل السالم من
الريا والسمعة مقبول من قوله عز وجل انما يتقبل الله
من المتقين وقبول ~~مستق عز وجل~~ الله تعالى لعمل العبد
ورضاه به هو ثوابه المعجل كما يقول المولف رحمه الله
تعالى بعد هذا وذكر علامة على وجود الجزاء عليه في الدار
الاخرة حسبما ياتي في قوله وجدان ثمرات الطاعات عاجلا
بشاير العاملين بوجود الجزاء عليها اجلا وقال ابو
سليمان الداراني رحمه الله تعالى كل عمل ليس له ثواب
في الدنيا ليس له جزاء في الاخرة فحاصل هذا ان وجدان
الحلاوة علامة على وجود القبول المقتضي لوجود الرضا
والجزاء ولذلك قال الحسن تفقدوا الحلاوة في ثلاث فان
وجدتموها فابشروا وامضوا لقصدكم وان لم تجدوها
فاعلموا ان الباب مغلق عند تلاوة القران وعند الذكر

وعند

فان الخالص فيه وجد حلاوته وقت مباشرته العمل

وعند السجود وزاد غيره وعند الصدقة وبالاسحار وقيل
في قوله ولمن خاف مقام ربه جنتان قال جنة معجلة وهي
حلاوة الطاعة وجنة موجلة هي فنون المثابات وعلو
الدرجات قلت وهذه الحلاوة المذكورة لا تكون الا في
مقام المعرفة الخاصية وهي التي تنافيها المعصية
قيل لبعضهم هل تعرف الله فغضب على القايل وقال اتراني
اعبد من لا اعرفه فقال له اتعصي من تعرفه وقيل لبعضهم
بما تعرف انك عرفته فقال لم اقصد مخالفته الا ورد على
قلبي الحيا منه وقال اسمعيل ابن نجيد رضي الله عنه التهاون
بالامر من قلة المعرفة بالامر فاذا العصيان في حال
العرفان بعيد فان وقعت زلة او هفوة بحكم ما كان امر
الله قدرا مقدورا وجد لا محالة لذلك مرارة والما في
قلبه فوجدان هذه المرارة والالم في المعصية علامة على
صحة ما وجد من الحلاوة والنعيم في الطاعة فهذه هي
الحلاوة التي هي الميزان للاعمال المقبولة وغير المقبو[لة]
كما ذكرناه واما الحلاوة التي يجدها من دون اهل هذا
المقام في بعض العبادات فدخولة معلولة الا انها
من تنشيط العباد للمواظبة على العبادة والحلاوة على
الاطلاق وان وجدها العامل في العمل لا ينبغي له ان
يقف معها ولا ان يفرح بها ولا يسكن اليها وكذلك
ايضا لا ينبغي له ان يقصد بعمله ان ينالها فانها من

والذاذة المناجات والاستيناس بنعوت ... شعات

فقال له

تنشيط

اخلاص

منه اللذة والحلاوة فان ذلك مما يقدح في عبادته ويخرق
ارادته وليكن اعتناؤه بحصولها لتكون مبشرة له
لاعماله ومحكا لاحواله فقد قال ابو اسحق استحلاء
الطاعات سموم قاتلة قال في لطائف المنن وصدق ابو اسحق
رضي الله عنه وانما في ذلك انه اذا فتح لك باب حلاوة
الطاعة تصير فيها متكلا لحلاوتها فتفوتك
صدق الاخلاص في نهوضك لها وتجب دوامها لاتيانا بالوفا
ولكن لما وجدت من الحلاوة والمتعة فتكون في الظاهر
قايما بها ومعه وفي الباطن انما قمت لحظ نفسك وتخشى عليك
ان تكون حلاوة الطاعة جزاء لك تعجلته في الدنيا فتاتي يوم
القيمة ولا جزاء لك **اذا اردت ان تعرف قدرك عنده
فانظر فيما ذا يقيمك** هذا ميزان صحيح وقد ورد عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم انه قال من اراد ان يعلم منزلته
عند الله فلينظر كيف منزلة الله تعالى من قلبه فان الله
عز وجل ينزل العبد عنده بحيث انزله العبد من نفسه
وهذا الانزال المذكور المنسوب الى العبد هو معنى
الاقامة المذكورة لان العبد لا فعل له على التحقيق قال
الفضيل بن عياض رضي الله عنه انما يجيء العبد ربه على
قدر منزلته منه وقال الشيخ ابو طالب المكي رضي الله
عنه فاذا كان العبد ينظر مولاه مكرما ولحرماته معظما
والى محبوبه ومرضاته مسارعا كان الله عز وجل له في اخرته

لوجهه

لوجهه مكرما ولشانه معظما والى مسرته من النعيم المقيم
مسارعا واذا كان العبد بحق مولاه متهاونا وباوامره
متخفيا ولشعائره مستصغرا كان الله تعالى له مهينا
وبشانه متهاونا والى ما يكره من العذاب الاليم مسارعا
والعياذ بالله من ذلك وقال وهب بن منبه قرات في
بعض الكتب يا ابن ادم اطعني فيما امرتك ولا تعلمني بما
يصلحك اني عالم بخلقي انما اكرم من اكرمني واهين من هان
عليه امري لست بناظر في حق عبدي حتى ينظر عبدي في حقي
**متى رزقك الطاعة والقناعة والغنا به عنها فاعلم انه
اسبغ عليك نعمه ظاهرة وباطنة** المطلوب من العبد ثبات
الطاعة في الامر الظاهر والتعلق بالله تعالى في الباطن
وهو الاستغنا به من غيره فان رزق الله العبد هذين
الامرين فقد اسبغ عليه نعمه ظاهرة وباطنة واوصله
الى غاية الامال في الدنيا والاخرة سبحانه جل وعلا
خير ما تطلبه منه ما هو طالبه منك ان كان لا بد من الطلب
فالطلب ما هو طالبه منك من الاستقامة على سبيل العبودية له
فذلك خير لك من طلبك لحظوظك ومرادك لانك حينئذ تكون
به وله ويسعفك بمطلوبك عاجلا من غير تاخير واما ان
طلبت منه حظ نفسك وتبذ مراده فقد يحصل في ذلك تاخير
ومنع مع ما يفوتك حينئذ من حسن الادب في الطلب حكي
عن ابي الحسين الديلمي قال وصف لي بانطاكية انسان اسود

يتكلم على القلوب قال فقصدته فلما رأيته رأيت معه شيئا
من المساحات يريد ان يبيعه فساومته وقلت له بكم
تبيع هذا فنظر الي ثم قال اقعد فانك جايع منذ يومين
حتى اذا بعنا هذا اعطيناك شيئا قال فمضيت الى غيره وتغافلت
كاني لم اسمع ما قال وساومت غيره مساحات بين يديه ثم
رجعت اليه وقلت له بكم تبيع هذا فنظر الي وقال اقعد فانك
جايع منذ يومين حتى اذا بعنا هذا اعطيناك من ثمنه شيئا
قال فوقع على قلبي منه هيبة فلما باع ذلك اعطاني شيئا ومضى
فمضيت خلفه لعلي استفيد منه شيئا فالتفت الي وقال
اذا عرضت لك حاجة فانزلها بالله الا ان يكون لك فيها حظ
فتحجب بها عن الله تعالى ومن دعاء ابي القسم الجنيد رحمه الله
اللهم وكل سوال سالتك فعن امرك لي بالسوال فاجعل
سوالي اياك سوال المحابين ولا تجعلني ممن يعتمد بسواله
مواضع الحظوظ بل سوال القيام بواجب حقك ومن دعائه
ايضا اللهم اني اسالك منك ما هو لك وتصغر عندي كل ما هو
بسخطك اللهم ولا تشغلني بشغل من شغله عنك ما اريده
منك الا ان يكون لك اللهم اجعلني ممن يذكرك ذكر من
لا يريد بذكره منك الا ما هو لك اللهم اجعل غاية مقصدي
اليك ما هو لك ولا تجعل قصدي اليك ما اطلبه منك
الحزن على فوات الطاعة مع عدم النهوض اليها من علامة الاغترار
هذا هو الحزن الكاذب الذي يكون عنه البكاء الكاذب كما قالوا
كم

كم من عين جارية وقلب قاس وهو من مكر الله تعالى
الخفي حيث منعه ما ينفعه واعطاه ما يغتر به من الحزن
والبكا سمعت رابعة رضي الله عنها رجلا يقول واحزناه
فقالت قل واقلة حزناه ولو كنت محزونا لم يتهيأ لك
ان تتنفس واما الحزن الصادق فيحمل على الزهد وهو مقام
من مقامات السالكين وهو يبعث على الانكماش في الاعمال
والنهوض الى الطاعات على كل حال قال الشيخ ابو علي
الدقاق رحمه الله تعالى صاحب الحزن يقطع من السير الى الله
تعالى في شهر ما لا يقطعه من فقد حزنه في سنين وفي الخبر
ان الله يحب كل قلب حزين وفي التورية اذا احب الله عبدا
نصب في قلبه نائحة واذا ابغض عبدا نصب في قلبه مزمارا
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم متواصل الاحزان دائم
الفكرة وقيل الحزن اذا فقد من القلب خرب ومن لم
يذق طعم الحزن لم يذق لذة العبادة فاذا الحزن
الذي يجده العبد من نفسه ان لم يبعثه في النهوض والانكماش
والاجتهاد فذلك من علامات الاغترار وليس بمقام
السالكين الابرار ما العارف فمن اذا اشار وجد
الحق اقرب اليه من اشارته ما العارف فمن لا اشارة
له لفنائه في وجوده وانطوائه في شهوده الاشارة الطف
من العبارة وهي كناية وتلويح وايماء لا تصريح وهي التي
يستعملها اهل هذه الطريقة فيما بينهم عند ذكرهم الاسرار

التوحيد كما تقدم عند قوله من رأيته محبا من كان ساكتا
ومعبرا لما شاهد فالمشير الى الله تعالى الملاحظ
لاشارته وان وجد الله تعالى اقرب اليه من اشارته
غير عارف على التحقيق لان موضوع التفرقة شهود
للاغيار ويكون العارف الفاني في وجوده المنطوي في شهوده
الذي غاب عن الاشارة والتعبير واشار به سيدي الدقاق
عند المريد فقال حقيقة المريد ان يشير الى الله عز وجل
فيجد الله مع نفس الاشارة قيل له فما الذي يستوعب حاله
قال هو الذي يجد الله باسقاط الاشارة وسئل ابو علي
الروذباري رحمه الله عن الاشارة فقال الاشارة
الابانة عما يتضمنه الوجد من المشار اليه لا غيره وفي الحقيقة
ان الاشارة تصحبها العلل والعلل بعيدة من عين الحقائق
وقال الشبلي رضي الله عنه كل اشارة اشار بها الخلق الى الحق
فهي مردودة عليهم حتى يشيروا الى الحق بالحق وليس لهم
الى ذلك طريق وقال ابو يزيد رضي الله عنه ابعدهم من الله اكثرهم
اشارة اليه [الرجا ما قارنه عمل والا فهو امنيه] الرجا
مقام شريف من مقامات اليقين وهو يبعث على الاجتهاد
في الاعمال كما ذكرناه في الحزن لان من رجا شيئا طلبه ومن
خاف من شيء هرب منه واما الرجا الكاذب الذي يفتر صاحبه
عن العمل ويجرئه على المعاصي والذنوب فليس هذا برجا
عند العلماء ولكنه امنية واغترار بالله تعالى وقد ذمهم الله
تعالى

٨٠

تعالى قوما تمنوا مثل هذا واصروا على حب الدنيا والرضا
بها وتمنوا المغفرة على ذلك فسماهم الله خلفا والخلف
الردي من الناس فقال عز وجل فخلف من بعدهم خلف
ورثوا الكتاب ياخذون عرض هذا الادنى ويقولون
سيغفر لنا قال معروف الكرخي رحمه الله تعالى طلب
الجنة بلا عمل ذنب من الذنوب وارتجاء الشفاعة بلا سبب
نوع من الغرور وارتجاء رحمة من لا يطاع جهل وحمق
وقد قالوا من زعم ان الرجاء مع الاصرار صحيح فكذلك
فليزعم ان طالب الربح في الغفر وقدح النار من البحر
صحيح وفي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال
الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من اتبع
نفسه هواها وتمنى على الله وقال الحسن ان قوما الهتهم
اماني المغفرة حتى خرجوا من الدنيا وليس لهم حسنة يقول
احدهم احسن الظن بربي كذب لو احسن الظن بربه لاحسن
العمل وتلا قوله تعالى وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم
اردكم فاصبحتم من الخاسرين وكان يقول عباد الله
اتقوا هذه الاماني فانها اودية النوكى تحلون فيها والله
ما اتى الله عبدا باماني خيرا في الدنيا ولا في الاخرة وكتب ابو
عبيد المنصور الى بعض اخوانه اما بعد فانك قد اصبحت
تامل بطول عمرك وتتمنى على الله الاماني بسوء فعلك وانما تضرب
حديدا باردا [مطلب العارف يزمن الله الصدق في العبودية]

الهلكى يحلون فيها

مطلب العارفين من ربهم اعلا من مطالب غيرهم سوا كانوا
عبادا او زهادا او علما لان مطلب العارفين انما هو الصدق
في العبودية والقيام بحقوق الربوبية فقط من غير مراعات
حظ ولا تطامع نفس وكل من عداهم لم يفارقوا الحظوظ والاعواض
في مطالبهم وقد تقدم من كلام المولف رحمه الله خير ما تطلبه
منه ما هو طالبه منك وما لسيدي ابو مدين قدس الله روحه
شتان بين من همه الحور والقصور وبين من همته رفع
الستور ودوام الحضور بسطك كي لا يبقيك مع القبض وقبضك
كي لا يتركك مع البسط واخرجك عنهما حتى لا تكون لشي دونه
القبض والبسط من الحالات التي يتلون بها العارفون وهما
بمنزلة الخوف والرجا للمريدين والمبتديين وسببهما الواردات
التي ترد على باطن العبد وقوتهما وضعفهما بحسب قدر الواردات
وضعفها والمقصود هنا انهما وصفان ناقصان بالنسبة الى ما فوقهما
فانهما يقتضيان بقاء العبد ووجوده فمن لطف الله بعبده
تلوينه فيهما ثم اخراجه عنهما لغنايه عن نفسه وبقايه بربه
قال فارس القبض اولا ثم البسط ثم لا قبض ولا بسط لان القبض
والبسط يقعان في الوجود واما مع الفناء والبقاء فلا وكان
الجنيد رضي الله عنه يقول الخوف يقبضني والرجا يبسطني والحقيقة
تجمعني والحق يفرقني اذا قبضني بالخوف افناني عني واذا بسطني
بالرجا ردني علي واذا جمعني بالحقيقة احضرني واذا فرقني
بالحق اشهدني غيري فغطاني عنه فهو في ذلك كله محركي غير ممسكني

مطلب القبض والبسط مثل الرجا والخوف

وموحشي

٨١

وموحشي غير مونسي بحضوري لذوق طعم وجودي فليته
افناني عني فمتعني او غيبني عني فروحني وقد تكلم صاحب
كتاب عوارف المعارف في القبض والبسط بكلام بديع
طويل تركت نقله هنا اختصارا فمن اراده فلينظره
هناك العارفون اذا بسطوا اخوف منهم اذا قبضوا ولا
يقف على حدود الادب في البسط الا قليل انما اشتد خوف
العارفين في البسط ما لم يشتد في القبض من قبل ملايمته
لهوى انفسهم بخلاف القبض كما سيقوله المولف الان
فيخافون حينيذ من رجوعهم اليهم وذوقهم لطعم
نفوسهم وفي ذلك الطرد والبعد وقد كتب يوسف بن
الحسين الرازي الى الجنيد رضي الله عنهما لا اذاقك الله
طعم نفسك فانك ذقتها لا تذوق بعدها خيرا ومن بسط الله
عليهم في ذلك ملازمة الادب ودوام الانقباض والانكسار
وذلك امر عسير في هذا الحال ولذلك لا يقف على حدود الادب
في البسط الا قليل كما قال المولف وقد قيل قف بالبساط واياك
والانبساط وقال رجل لابي محمد الجريري كنت على بساط
الانس ففتح علي طريق البسط فزللت زلة فحجبت عن مقامي فكيف
السبيل اليه دلني على الوصول الى ما كنت عليه فبكى ابو محمد
وقال يا اخي الكل في قهر هذه الخطة لكني انشدك ابياتا
لبعضهم فانشا يقول • قف بالديار فهذه اثارهم •
تبكي الاحبة حسرة وتشوقا • كم قد وقفت بربعها متخبرا • مستخبرا

فانك ان ذقتها

بيان البساط

بمن اهلها وسايلا وشغفا • فاجابني داعي الهوى في رسمها
• فارقت من تهوى فعز الملتقا • وسيل بعض المشايخ عن
ذلك الزلة فقال انبساط مع الحق بغير ادب قال الاستاذ
ابو القاسم القشيري رضي الله عنه ومن هذا اخشى الاكابر
والسادة قال في لطايف المنن البسط مزلة اقدام الرجال
فهو موجب لمزيد حذرهم وكثرة لجايهم والقبض
اقرب الي وجود السلامة لانه وطن العبد اذ هو
في اسر قبضة الله واحاطة الحق محيطة به ومن اين
يكون للعبد البسط وهذا شانه والبسط خروج عن حكم
وقته والقبض هو اللايق بهذه الدار اذ هي وطن التكليف
وابهام الخاتمة وعدم العلم بالسابقة ومع المطالبة
بحقوق الله تعالي قال واخبرني بعض الصوفية
قال رايت شيخنا شيخه في المنام بعد موته مقبوضا فقلت
له يا استاذ مالك مقبوضا فقال لي يا بني القبض والبسط
مقامات من لم يوفهما في الدنيا وفاهما في الاخرة
قال وكان هذا الشيخ الغالب عليه في حيوته البسط انتهى
البسط تاخذ النفس منه حظها بوجود الفرح والقبض
لا حظ للنفس فيه في هذا اشارة لما تقدم من ان مراعات
الادب في البسط امر عسير وذلك ان في البسط وجود حظ
للنفس فيستولي عليها الفرح بذلك فلا تتمالك حتى تقع
في سو الادب والقبض ليس فيه حظ للنفس فلذلك

كان

المراد بالاخرة هنا البرزخ من موته الي يوم القيمة

كان اسلم وكان الاستاذ ابو علي الدقاق رضي الله عنه
يقول القبض حق الحق منك والبسط حظ العبد منه
ولان تكون بحقه منك اتم من ان تكون بحظك منه واما اداب
القبض والبسط فلا اعلم الان من استوفى الكلام فيهما من
علما الصوفية ومصنفيهم وانما وجدنا لهم من ذلك
اشارات اليها مجملة كقول الامام ابي القاسم القشيري
رضي الله عنه بعد ان تكلم على لفظي القبض والبسط وتبيين
معانيهما الي ان قال وقد يكون قبض يشكل على صاحبه
سببه يجد في قلبه قبضا لا يدري ما موجبه وما سببه
صاحب هذا القبض التسليم حتى يمضي ذلك الوقت لانه لو
تكلف نفيه او استقبل الوقت قبل هجومه عليه باختياره
زاد في قبضه ولعله يعد ذلك منه سوء ادب واذا استسلم
لحكم الوقت فعن قريب يزول القبض فان الحق سبحانه
قال والله يقبض ويبسط وقد يكون بسط يرد بغتة
ويصادف صاحبه فلتة لا يعرف لها سببا يهز صاحبه
ويستفزه فسبيل صاحبه السكون ومراعات الادب
فان في هذا الوقت له خطر عظيم فليحذر صاحبه مكرا خفيا
كما قال بعضهم فتح علي باب من البسط فزللت فحجبت
عن مقامي انتهى كلام ابي القاسم رحمه الله ثم قد
رايت كلاما مستوفى في اداب القبض والبسط
لسيدي ابي الحسن الشاذلي رضي الله عنه وعنا به فاحببت

ان الله تعالى

لا يدري صح

مطلب شريف في تفصيل القبض والبسط للامام الشاذلي قدس الله روحه

أن أذكره ههنا لتتم به الفائدة التي تعرض لها
المؤلف رحمه الله وإن كان كلام الشيخ أبي الحسن أعم
مما هو عند غيره من أئمة الصوفية قال رحمه الله
القبض والبسط قلما يخلو العبد منهما وهما يتعاقبان
كتعاقب الليل والنهار والحق سبحانه يقتضي منك العبودية
فيهما فمن كان وقته القبض فلا يخلو من أن يعلم سببه
أم لا وأسباب القبض ثلاثة ذنب أحدثته أو دنيا ذهبت
عنك أو نقصت أو ظالم يؤذيك في نفسك أو عرضك أو ينسبك
لغير دين أو غير ذلك فإذا ورد عليك القبض من أحد
هذه الأسباب فالعبودية تقتضي أن ترجع إلى العلم
مستعملا له كما أمرك أما في الذنب فالتوبة والإنابة وطلب
الإقالة وأما فيما ذهب عنك من الدنيا أو نقص فالتسليم
والرضا والاحتساب وأما فيما يؤذيك به ظالم فالصبر
والاحتمال واحذر أن تظلم نفسك فيجتمع عليك ظلمان
ظلم غيرك وظلم نفسك فإن فعلت ما ألزمتك من الصبر
والاحتمال أثابك سعة الصدر حتى تعفو وتصفح وربما بردة
أثابك من نور الرضا ما ترحم به من ظلمك فتدعو له فتجاب
فيه دعوتك وما أحسن ذلك إذا رحم الله بك من
ظلمك فتلك درجة الصديقين الرحماء وتوكل على الله إن الله
يحب المتوكلين وأما إذا ورد عليك القبض ولم تعلم له سببا
فالوقت وقتان ليل ونهار فالقبض أشبه بالليل والبسط
بالنهار

بالنهار فإذا ورد القبض بغير سبب تعلمه فاللازم يجب
عليك السكون والسكوت عن ثلاثة أشياء عن الأقوال
والحركات والإرادات فإن فعلت ذلك فعن قريب يذهب
عنك الليل بطلوع شمس نهارك أو يبدو نجم تهتدي به
أو قمر تستضيء به والنجوم نجوم العلم والقمر قمر التوحيد
والشمس شمس المعرفة وإن تحركت في ظلمة الليل فقلما تسلم
من الهلاك واعتبر بقوله تعالى ومن رحمته جعل لكم
الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم
تشكرون فهذا حكم العبودية في القبض جميعا وأما من
كان وقته البسط فلا يخلو من أن يعلم له سببا أو لا والأسباب
ثلاثة السبب الأول زيادة في الطاعة أو نوال من المطاع
كالعلم والمعرفة والسبب الثاني زيادة في الدنيا بكسب وكرامة
أو هبة أو صلة والسبب الثالث بالمدح والثناء من الناس
وإقبالهم عليك وطلب الدعاء منك وتقبيل يديك فإذا ورد
هذه عليك البسط من أحد هذه الأسباب فالعبودية تقتضي
أن ترى النعمة والمنة من الله عليك واحذر أن ترى
شيئا من ذلك لنفسك وحظها أن تلازم الخوف خوف السلب
مما به أنعم عليك فتكون ممقوتا هذا في جانب الطاعة
والنوال من الله تعالى وأما الزيادة من الدنيا فهي
فخف مما بطن في آفاتها نعمة أيضا لكن لتخف مما يكمن في أوقاتها وأما مدح الناس
لك وثناؤهم عليك فالعبودية تقتضي شكر النعمة بما ستر

عليك وخوف من الله ان تظهر ذرة مما بطن منك فيمقتك اقرب
الناس اليك فهذه اداب القبض والبسط في العبودية فاما
البسط الذي لا يعلم له سببا تحقق العبودية فيه ترك السوال
والادلال والصولة على النساء والرجال والادلال اليهم
الا ان يقول سلم سلم الى الممات فهذه هذه ان
والسلام انتهى ما ذكره الشيخ ابو الحسن وكلامه في ذلك
حسن والحمد لله الذي انعم بما لم نمن وربما اعطاك فمنعك
وربما منعك فاعطاك منع الله تعالى عبده من نيل شهوة
ولذاته والكون مع شيء من عاداته عطا جزيل عند البقاء
معه وانقطعه عن حظوظه واغراضه وحرره منها وعكس
هذا هو المنع على التحقيق وان كان عطا في الظاهر قال
الشيخ محيي الدين بن العربي رحمه الله اذا منعت فذلك
عطاء واذا اعطيت فذلك منع فاختر الترك على الاخذ فالنزاع
على العبد ان يترك التدبير والاختيار لمن بيده ذلك
فلن يعدم منه خيرا متى فتح لك باب الفهم في المنع عاد المنع
هو عين العطا سياتي بيان هذا من كلام المولف رحمه الله
في قوله متى اعطاك اشهدك بره ومتى منعك اشهدك قهره
الى اخره الاكوان ظاهرها غرة وباطنها عبرة فالنفس تنظر
الى ظاهر غرتها والقلب ينظر الى باطن عبرتها الاكوان
~~[illegible]~~ ههنا كل ما يمكن ان يكون للنفس فيه حظ من متاع
الدنيا وزهرتها وهي رائقة المظاهر قبيحة البواطن كما قيل

علي

بيان عقلت

بسوايغ

٨٩

على وجه مليح من ملاحة وتحت الثياب العار لو كان باديا
فهي من حيث ظاهرها حلوة خضرة وبالنظر الى باطنها جيفة
قذرة فالنفس تنظر الى زينتها الظاهرة فتغتر بها حتى تهلك
صاحبها والقلب ينظر الى قبائحها الباطنة فيعتبر بها فيسلم
من كدرها وقد روي في الكتب السالفة ان الحواريين
قالوا لعيسى يا روح الله صف لنا اولياء الله تعالى الذين
لا خوف عليهم ولا هم يحزنون فقال عليه السلام هم الذين
نطق بهم الكتاب وبه نطقوا وبهم علم الكتاب وبه علموا
وبهم قام الكتاب وبه قاموا نظروا الى باطن الدنيا
حين نظر الناس الى ظاهرها وعاينوا آجل الدنيا حين
عاين الناس عاجلها فاماتوا منها ما خشوا ان يميتهم
وتركوا منها ما علموا ان سيتركهم فصار ذكرهم فيها
فواتا وفرحهم فيها حزنا ما عارضهم منها رفضوه وما
اشرف منها بغير الحق وضعوه خلقت الدنيا عندهم
فلم يجددوها وخربت فيما بينهم فلم يعمروها وماتت
في صدورهم فلم يحيوها هدموها وبنوا بها اخرتهم احبوا
ذكر الموت واماتوا ذكر الحياة يحبون الله ويحبون ذكره
ويستضيئون بنوره ويضيئون به لهم الخبر العجيب وعندهم
الخبر العجيب وكان بعض العلما يقول ما سطع لي زينة من
زخرف الدنيا الا كشف لي باطنه فظهر لي عوره وعيبها قال
ابو طالب المكي فهذه عناية من الله تعالى لمن وليه من اوليايه

مطلب صفة اولياء الله

اي اعراض

المتزينين منه فمن شهد الدنيا بأول وصفها لم يغتر بآخره
ومن عرفها بباطن حقيقتها لم يعجب بظاهرها ومن كوشف
بعاقبتها لم يبتهج بزخرفها وكان عيسى عليه السلام يقول
ويلكم علماء السوء مثلكم مثل قناة حش ظاهرها جص
وباطنها نتن إن أردت أن يكون لك عز لا يفنى فلا تستعزن
بعز يفنى العز الذي لا يفنى هو العز الغنا عن الأسباب
كلها بوجود مسببها لأنه باق لا يفنى فالمتعلق به عز لا يفنى
والعز الذي يفنى هو الغنا بالأسباب مع الغيبة عن مسببها
لأنها فانية فالمتعلق بها عز فان والمتعلق بالله عز لا يفنى لا يبقى صح
وليس ذلك إلا أحدهما لأنهما ضدان لا يجتمعان فإن اخترت
العز الباقي بالله لم يقدر أحد أن يذلك يحكى أن
رجلا أمر بالمعروف لهارون الرشيد فحرد عليه هارون
وكانت له بغلة سيئة الخلق فقال اربطوه معها تقتله
برمحها ففعلوا ذلك فلم تضره فقال اطرحوه في بيت
وطينوا عليه الباب ففعلوا ذلك فرئي في بستان وباب البيت
مسدود فأخبر هارون بذلك فأتي بالرجل فقال من أخرجك
من البيت فقال الذي أدخلني البستان فقال ومن أدخلك
البستان فقال الذي أخرجني من البيت فقال اركبوه دابة
وطوفوه في البلد وليقل قائل ألا إن هارون قد أراد أن
يذل عبدا أعزه الله تعالى فلم يقدر وإن اخترت العز
بالأسباب خذلتك واستعبدتك أحوج ما تكون إليها وكنت في غاية

الذل

الذل والهوان حكي عن بعضهم أنه قال رأيت رجلا في الطواف وبين يديه صح
شاكرية يطردون الناس فبعد ذلك بمدة رأيته إنسانا
يتكفف الناس على الجسر ويسأل شيئا قال وكنت أنظر إليه
وشبهته بذلك الرجل فقال أي شيء تنظر فقلت أشبهك
برجل رأيته في الطواف من شأنه كذا وكذا فقال أنا ذلك
تكبرت في موضع يتواضع فيه الناس فوضعني في موضع يترفع
فيه الناس قال في التنوير فإن اعتززت بالله دام
عزك وإن اعتززت بغيره فلا بقاء لعزك إذ لا بقاء لمن
أنت به معتز انتهى قال وأنشد بعض الفضلا لنفسه
ليكن بربك عزك ليستقر ويثبت • فإن اعتززت بمن يموت
فإن عزك ميت • قال ودخل إنسان على بعض العارفين
وهو يبكي فقال له ما شأنك فقال مات أستاذي فقال له ذلك
العارف ولم جعلت أستاذك من يموت وقيل لك إذا اعتززت
بغير الله فقدته أو استندت إلى غيره فحرمته انظر
إلى إلهك الذي ظلت عليه عاكفا لنحرقنه ثم لننسفنه
في اليم نسفا إنما إلهكم الله الذي لا إله إلا هو وسع كل شيء علما
الطي الحقيقي أن تطوى مسافة الدنيا عنك حتى ترى
الآخرة أقرب إليك منك طي مسافة الدنيا إنما يتصور
من العبد إذا أشرق نور اليقين في قلبه فحينئذ تنعدم
الدنيا في نظره وتطوى في اعتباره ويرى الآخرة حاضرة
لديه موجودة عنده بل يراها أقرب إليه منه إذ ذاته

الشاكرية المراد بهم حاشية الملك

فانية منطوية بهذا الاعتبار فمن كانت هذه مشاهدته
لا يتصور منه حب الغايب الفاني وهي الدنيا ويعتد الدنيا بالحاضر
الباقي وهي الاخرة ولذلك كانت اصل الرغبة في الدنيا وايثارها
على الاخرة ضعف اليقين فمن لم يشرق قلبه بنور اليقين
لم يشاهد المكان الكبير ومن لم يشاهده احب الدنيا وهي
لا شي ولم تكن قيمته عند الله تعالى شيا فهذا هو الخبر الحقيقي
لمسافة الدنيا الذي يكرم الحق به اولياءه وبه تتحقق
عبوديتهم للذي هو عز وجل لا طي مسافة الارض الذي ربما
يكون استدراجا ومكرا ولا طي الليالي والايام بالوصال
والصيام وترك الشراب والطعام اذ الذي تمحض طاعة
وهذا وسياتي من كلام المولف رحمه الله لو اشرق نور
اليقين لرايت الاخرة اقرب من ان ترحل اليها ولرايت
محاسن الدنيا قد ظهرت كسفة الفنا عليها العطا من الخلق
حرمان والمنع من الله احسان عطية الخلق لك حرمان
على التحقيق لما فيه من روية الغير الله ووقوفك
مع حظوظك وشهواتك ومنع الله لك احسان لانه الزمك
الوقوف ببابه وعافاك من وجود حجابه وان شيت
قلت العطا من الخلق حرمان لما فيه من وجود حجتك لهم
على ذلك وثقل منتهم في اخر عطيتهم والمنع من الله بمنه
احسان فانه حبيبك وكل ما يفعل المحبوب محبوب ولله در
قال فلا البس النعما وغيري ملبسي ولا اقبل الدنيا وغيري لي
وفي

وفي وصية علي رضي الله عنه لا تجعل بينك وبين الله
منعما واعدد نعمة غيره عليك مغرما وقال بعض الحكما
حمل المنن اثقل من الصبر على العدم وقال اخر عز النزاهة
اشرف من سرور الفايدة جل ربنا ان يعامله العبد
نقدا فيجازيه نسيئة جزا المعاملة لا يختص بالدار
الاخرة بل ربما اظهر الحق تعالى منه لبعض اوليائه في الدنيا
انموذجا يحملهم على الاجتهاد في الاعمال ويتحقق به
وجود قبولها في كل الاحوال وذلك لعظيم كرمه وعميم
فضله جل وعلا كفى من جزائه اياك على الطاعة ان رضيك
لها اهلا هذا بيان جزا الدنيا المعجل وهو انه عرفهم
من عظمته وجلاله وكبريائه ما استحقروا معه انفسهم
ان يكونوا اهلا لان يكلفهم القيام بطاعته ويمدهم
فيها بتيسيرها ومعونته فبان لهم حينئذ حبه واستولى
عليهم قربه فانجلت اذ ذاك نفوسهم واضمحل وجودهم
ووهبت لهم الحياة بعد هذا ونعم هو غاية الجزا ونهاية
العطا عند الحكما العارفين الذين يمنعهم وجدانهم
الى التطلع الى غيره من الحظوظ الاجلة كفى العاملين جزا
ما هو فاتحه على قلوبهم في طاعته وما هو مورده
عليهم من وجود مونسته هذا بيان اخر لما يكرمهم
به من الجزا المعجل وهو ان العاملين الذين يفتح
لهم من المعارف ويورد على قلوبهم من الانواع

الذاكرين ما يتنسمون فيه روح الانس ويتنعمون به في
حضيرة القدس وهذا من علامات وجود الرضوان
الاكبر الذي يتلالا بنيد ونه كل جزاء ويستحقر كان بعضهم
يقول ان التملق بالحبيب والمناجات للقريب في الدنيا
ليس من الدنيا هو من الجنة يظهر لاهل الله تعالى في الدنيا
لا يعرفه الا هم ولا يجده سواهم روحا لقلوبهم وقال
بعض العلماء ليس في الدنيا وقت يشبه نعيم لاهل الجنة الا ما
يجده اهل التملق في قلوبهم بالليل من حلاوة المناجاة
وقال احمد بن ابي الحواري دخلت على ابي سليمان الداراني
رضي الله عنه يوما وهو يبكي فقلت له وما يبكيك فقال
احمد كيف ولا ابكي انه اذا جن الظلام ونامت العيون
وخلا كل حبيب بحبيبه وافترش اهل المحبة اقدامهم
وجرت دموعهم على خدودهم وتقطرت في محاريبهم
اشرف الجليل سبحانه فنادى يا جبريل بعيني من
يلتذ بكلامي واستراح الى ذكري واني لمطلع عليهم
في خلواتهم اسمع انينهم وارى بكاءهم فلم لا تنادي
فيهم يا جبريل ما هذا البكاء هل رايتم حبيبا يعذب
احباءه ام كيف يجمل بي ان اخذ قوما اذا جنهم الليل
تملقوا الي حلفت اذا وردوا علي القيامة لاكشفن
لهم عن وجهي الكريم حتى ينظروا الي وانظر اليهم
من عبده لنيل مرجوه وليدفع مخافته وورود العقوبة

عنه

اعلى ح

بوقت

فنبي ح

عنه فما قام بحق اوصافه عمل العاملين لاجل حصول
الجزاء او فرارا من عقوبة المولى عز وجل معلول ليس من
شان العارفين والمحققين لان قيام العبد بحق
اوصاف مولاه لا يقتضي ان يعمل لاجل حظه من جلب
ثواب او دفع عقاب لانه عبد يستحق عليه مولاه كل شيء
ولا يستحق هو عليه شيئا وهذا اهم علامات المحبة لله تعالى
لان المحب يجتمع الهم بامر محبوبه لامر ذاته الا ما اراد
فعلى العبد ان يعمل لامر ربه عز وجل لاجل جلاله وعظمته
وما هو عليه من محامد صفاته الذي لا يشارك فيها فان
خالف هذا وعمل على طلب حظه لم يقم بحق صفات مولاه
وكان ذلك نتيجة جهله وغفلته وعدم حجبه عن معرفته
قال سهل بن عبد الله التستري رحمه الله ما طلعت
شمس ولا غربت على احد على وجه الارض الا وهم جهال
بالله تعالى الا من يؤثر الله على نفسه وروحه ودنياه
وآخرته وفي اخبار داود عليه السلام ان الله تعالى
اوحى اليه ان اود الاوداء الي من عبدني لغير نوال
لكن ليعطي الربوبية حقها وفيما نقل وهب بن منبه
رضي الله عنه من الزبور ومن اظلم ممن عبدني لجنة او لنار
لو لم اخلق جنة ولا نارا الم اكن اهلا لان اطاع وكما قال
عز وجل وفي اخبار عيسى عليه السلام اذا رايت الفتى مشغوفا
في طلب الرب فقد الهاه ذلك عما سواه ومر عيسى عليه السلام

على طايفة من العباد قد احترقوا من العبادة كانهم الشنا
ن البالية فقال من انتم فقالوا نحن عباد فقال ولاي شي
تعبدتم قالوا خوفنا الله ناره فخفنا منها فقال حق على
الله ان يومنكم مما خفتم منه ثم جاوزهم فمر باخرين اشد
عبادة منهم فقال لاي شي تعبدتم قالوا شوقنا الله الى الجنان
وما اعد فيها لاوليايه فنحن نرجوها فقال حق على الله ان يعطيكم
ما رجوتم ثم جاوزهم ومر باخرين يتعبدون فقال من انتم
قالوا المحبون لله عز وجل لم نعبده خوفا من ناره ولا شوقا
الى جنته ولكن حبا له وتعظيما لجلاله فقال انتم اولياء الله
حقا معكم امرت ان اقيم فاقام بين اظهرهم وفي لفظ اخر
انه قال للاولين مخلوقا خفتم ومخلوقا احببتم وقال للاخرين
انتم المقربون قال الشيخ ابو طالب المكي رضي الله عنه وممن
روي عنه هذا القول واقيم في هذا المقام جماعة من التابعين
منهم ابو حازم المدني كان يقول اني لاستحي من
ربي ان اعبده خوفا من العذاب فاكون مثل العبد السوء
ان لم يخف لم يعمل واستحي ان اعبده لاجل الثواب فاكون
كالاجير السوء ان لم يعط اجر عمله لم يعمل ولكن اعبده محبة
له قال الشيخ ابو طالب وقد روينا معنى هذا الكلام عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم لا يكونن احدكم كالعبد السوء ان خاف عمل
ولا كالاجير السوء ان لم يعط لم يعمل وقال بعض اخوان الاجرة صح
معروف له اخبرني عنك يا ابا محفوظ اي شي هاجك على العبادة

والانقطاع

والانقطاع عن الخلق فسكت فقلت ذكر الموت فقال واي
شي الموت قلت فذكر القبر قال واي شي القبر فقلت ذكرهم
خوف النار ورجاء الجنة فقال واي شي هذا ان ملكا
هذا كله بيده ان احببته انساك جميع هذا وان كان بينك
وبينه معرفة كفاك جميع هذا قال ابو طالب وحدثونا
عن علي بن الموفق قال رايت في النوم كاني ادخلت
الجنة فرايت رجلا قاعدا على مايدة وملكان عن يمينه
وشماله يلقمانه من جميع الطيبات وهو ياكل ورايت
رجلا قايما على باب الجنة يتصفح وجوه قوم فيدخل
بعضهم الجنة ويرد اخرين قال ثم جاوزتهما الى
حظيرة القدس فرايت في سرادق العرش رجلا قد
شخص ببصره ينظر الى الله تعالى لا يطرف فقلت
لرضوان من هذا قال هذا معروف الكرخي عبد الله تعالى
لا خوفا من ناره ولا شوقا الى جنته بل حبا له فقد اباحه
النظر اليه يوم القيمة وذكر ان الاخرين بشر بن الحرث
واحمد بن حنبل رضي الله عنهم قال ابو طالب وروينا عن
رابعة العدوية رضي الله عنها وكانت احد المحبين وكان
الثوري يجلس بين يديها فيقول علمينا مما افادك الله
من طرايف الحكمة وكانت تقول له نعم الرجل انت لولا
انك تحب الدنيا وكان يعترف لها ويسلم قولها وكان عالما
زاهدا الا انه كان يوثر كتب الحديث والاقبال على الناس

وهي ابواب الدنيا وقال لها الثوري يوما لكل عبد شريطة
ولكل ايمان حقيقة فما حقيقة ايمانك فقالت ما عبدته
خوفا من النار فاكون كالعبد السوء ان خاف عمل ولا حبا
للجنة فاكون كالاجير السوء ان اعطي عمل ولكن عبدته حبا له
وشوقا اليه والاثار والحكايات في هذا المعنى كثيرة
لا تنحصر فاذا عمل المريد على ما ذكرناه كان عبدا لله حقا لحبه
فان طلب منه الثواب او استعاذ به من العقاب فانما يطلبه يطلبه
او يستعيذ به انجاز الموعود به وفرارا من عدم
رؤية حظه واتباعا لما احبه منه واذن له فيه من طلبه
لفضله واحسانه وكرمه وامتنانه وهذا وما اشبهه
هو المعنى بالحديث المروي عن ابي هريرة رضي الله عنه انه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل ما تقول في الصلوة
قال اتشهد ثم اقول اللهم اني اسالك الجنة واعوذ بك
من النار اما والله ما احسن دندنتك ولا دندنة معاذ
فقال حولها ندندن لا ان يكون رجاؤه لحصول ذلك وخوفه
من فقده باعثا له على القيام بطاعته وملازمة عبادته
فيكون عمله من ذلك مدخولا معلولا هذا هو مذهب العارفين
والمحققين وعليه تنبني قواعد التصوف وقوله متى اعطاك
اشهدك بره ومتى منعك اشهدك قهره فهو في كل ذلك
متعرف اليك ومقبل بوجود لطفه عليك المطلوب من
العباد ان يعرفوا مولاهم بما هو عليه من الصفات العلية

والاسما

والاسما الحسنى ولا سبيل لهم الى معرفته الا بتعرفه لهم
وتعرفه لهم انما يكون بما ينزل بهم من الشؤون
ويورده عليهم من الاحكام وهي على قسمين ما وافق
الهوى والطبع ويسمى عطاء وما خالفهما ويسمى منعا
فبوجود العطا تشهد صفاته العلية من الجود والكرم
والاحسان واللطف وغير ذلك وبوجود المنع تشهد
صفاته القهرية من الجبرية والكبريا والعزة والاستغنا
الجبروت فينبغي لك ايها العبد ان لا تفرق بينهما ان اردت معرفة
ربك ولم يستترك الحجب حتى اذا منعك كان عطا على
التحقيق فهو في كلتا الحالتين متعرف اليك ومقبل بوجود
لطفه عليك وهذا هو بيان ما تقدم من قوله متى فتح لك
باب الفهم في المنع عاد المنع هو عين العطا والله اعلم
قال سفيان الثوري رضي الله عنه اتيت ابا حبيب البدوي
اسلم عليه ولم اكن رايته قبل فقال لي انت سفيان الثوري
الذي يقال قال قلت نعم اسال الله بركة ما يقال قال
فقال لي يا سفيان ما راينا خيرا قط الا من ربنا قلت اجل
قال فما لنا نكره لقا من لم نر خيرا قط الا منه ثم قال يا سفيان
منع الله اياك عطا منه لك وذلك انه لم يمنعك من بخل ولا عدم
وانما منعه نظر منه واختيار يا سفيان ان فيك لاناسا ومعك
شغلا قال ثم اقبل على غنيمته وتركني انما يؤلمك المنع
لعدم فهمك عن الله فيه اذ كان منع الله سبحانه وتعالى

وعطاوه نعمتين عظيمتين كما ذكرناه الان فينبغي ان
يكون في كليهما قرة عين المريد فان قام باحدهما
وهو المنع وتلذذ بالاخرى وهو العطا فذلك لعدم
فهمه وقصور علمه بالله والا فكان له ان يلتذ
بالعطا ويلتذ بالمنع كما قال ابراهيم الخواص لا يصح الفقر
للفقير حتى يكون فيه خصلتان احدهما الثقة بالله
والاخرى الشكر لله فيما زوى عنه مما ابتلي به غيره
من الدنيا ولا يكمل الفقير حتى يكون نظر الله تعالى له في
المنع افضل من نظره له في العطا وعلامة صدقه في ذلك
ان يجد للمنع من الحلاوة ما لا يجد للعطا لا يعرف غير
باريه الذي خصه بمعرفته وارادته فهو لا يرى سوى
مليكه ولا يملك الا ما كان من تمليكه وكل شي له تابع
وكل شي له خاضع ربما فتح لك باب الطاعة وما فتح لك
باب القبول وقضى عليك بالذنب فكان سببا
في الوصول فينبغي ان لا ينظر العبد الى صور الاشيا ولينظر
الى حقايقها فصورة الطاعة لا تقتضي وجود القبول
لها لما قد تتضمنه من الافات القادحة في الاخلاص
فيها وذلك مانع من وجود القبول لها ووجود صورة
الذنب لا يقتضي الابعاد والطرد بل ربما يكون ذلك سببا
في وصوله الى ربه وحصوله في حضرة قربه كما قيل رب ذنب
ادخل صاحبه الجنة وقد جا في الحديث الصحيح عن ابي هريرة رضي الله عنه
عن

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال والذي نفسي
بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجا بقوم يذنبون
فيستغفرون الله فيغفر لهم وذلك انه يصحبه عند عمله
بالطاعة ان يعجب بها ويعتمد عليها ويتكبر بفعلها ويحتقر
من لم يفعلها ويصحبه عند وقوعه في الذنب اللجا الى الله تعالى
فيه والاعتذار اليه منه واستصغار نفسه وتعظيم من لم
يفعله قال ابو حازم ان العبد ليعمل الحسنة تسره حين
يعملها وما خلق الله من سيئة اضر له منها وان العبد
ليعمل السيئة تسوه حين يعملها وما خلق الله من حسنة
انفع له منها وذلك ان العبد حين يعمل الحسنة تسره فيتمنى
فيها ويرى ان له فضلا على غيره ولعل الله ان يحبطها ويحبط
معها عملا كثيرا وان العبد ليعمل السيئة تسوءه حين
يعملها ولعل الله ان يحدث له بها وجلا حتى يلقى الله
تعالى وان خوفها في جوفه لباق ثم بين المؤلف رحمه
تعالى هذا المعنى بقوله معصية اورثت ذلا وافتقارا
خير من طاعة اورثت عزا واستكبارا الذل والافتقار
هذا وصف العبودية والعز والاستكبار وصفان
لهما لانهما من صفات الربوبية ولا خير في الطاعات
اذا لزم عنها شي مما ينافي صفات العبودية لانها ايضا
تمحوها وتزيلها قال سيدي ابو مدين قدس الله سره
انكسار العاصي خير من صولة المطيع وكان سيدي ابو العباس

مطلب شريف الحكم المقول في الذل والافتقار المثمر ثمرة البكا

المرسي قدس الله سره كثير الرجا لعباد الله الغالب عليه
شهود وسع الرحمة وكان يكرم الناس على رتبهم عند
الله تعالى حتى انه ربما دخل عليه مطيع فلا يحتفل به وربما
دخل عليه عاصٍ فاكرمه لان ذلك الطايع اتى وهو متكبر بعمله
ناظر الفعله وذلك العاصي دخل عليه بكثرة معاصيه
وذلة مخالفته وقد تقدم مثل هذا من قوله لا يعظم
الذنب عندك عظمة تصدك عن حسن الظن بالله فمن هذا
المعنى ما روي عن ابان بن ابي عياش انه قال خرجت
يوما من عند انس بن مالك رضي الله عنهم بالبصرة فرايت
جنازة يحملها اربعة من الزنج ولم يكن معهم رجل
اخر فقلت سبحان الله سوق البصرة وجنازة مسلم لا يشيعها
احد فلاكونن خامسهم فمضيت معهم فلما وضعوها
بالمصلى قالوا تقدم فقلت انتم اولى به فقالوا كلنا
سوا فتقدمت فصليت عليه وقلت ما القصة فقالوا اكترتنا
تلك المراة قال فقصدت فدفنوه فلما كان بعد ساعة
انصرفت تلك المراة وهي تضحك فدخل قلبي شي فقلت
لا ينجيك الا الصدق اخبريني بشان القصة فقالت لي ان
هذا ابني ما ترك شيا من المعاصي الا فعله فمرض ثلثة
ايام فقال لي يا اماه اذا مت فلا تعلمي بموتي جيراني
فانهم لا يحضرون جنازتي ويشمتون بموتي واكتبي على
خاتمي هذا لا اله الا الله محمد رسول الله واجعليه على
كفني

كفني فلعل الله تعالى يرحمني وضعي رجلك على خدي
وقولي هذا جزا من عصى الله فاذا دفنتيني فارفعي يديك
الى الله تعالى وقولي اني رضيت عنه فارض عنه فلما مات فعلت
جميع ما امرني به فلما رفعت يدي الى السما سمعت صوته
بلسان فصيح انصرفي يا اماه فقد قدمت على رب كريم رحيم
غير غضبان علي فانما ضحكت من هذا ومن هذا المعنى
الاخر ما روي ان رجلا من بني اسرائيل اتى عابدا من
بني اسرائيل فوطى على رقبته وهو ساجد فقال له العابد
ارفع فوالله لا يغفر الله لك فاوحى الله عز وجل ايها المتالي — اي الحالف
علي بل انت لا يغفر الله لك قال الحارث المحاسبي رحمه
الله لانه انما تالى على الله عز وجل الا يغفر له لعظم قدر
نفسه عنده وان تلك الاساءة اليه عند الله عز وجل عظيمة لا يغفرها
الله تعالى لعبادته وسجوده لانه عند نفسه عظيم القدر — لعبادته
عند الله عز وجل ومن المعنيين جميعا ما روي عن عيسى
عليه السلام خرج معه صالح من صالحي بني اسرائيل فتبعهما رجل
خاطي مشهور بالفسق فيهم فقعد منتبذا عنهما منكسرا فدعى
الله سبحانه وقال اللهم اغفر لي ودعا هذا الصالح وقال اللهم
لا تجمع بيني وبين ذلك العاصي فاوحى الله تعالى الى عيسى عليه
السلام اني قد استجبت دعاهما جميعا ورددت ذلك الصالح
وغفرت لذلك المجرم وروي عن الشعبي ايضا عن الحكم بن ابي
ايوب ان رجلا كان في بني اسرائيل يقال له خليع بني اسرائيل

لكثرة فساده مرّ برجل من بني إسرائيل يقال له عابد بني
إسرائيل على رأس العابد غمامة تظله فقال الخليع في نفسه
أنا خليع بني إسرائيل وهذا عابد بني إسرائيل فلو جلست
إليه لعل الله عز وجل أن يرحمني به فجلس إليه فقال العابد
في نفسه أنا عابد بني إسرائيل وهذا خليع بني إسرائيل يجلس
إلي فأنف منه وقال قم عني فأوحى الله عز وجل إلى نبي ذلك
الزمان مرهما يستأنفان العمل فقد غفرت للخليع وأحبطت
عمل العابد وفي حديث آخر فتحولت الغمامة على رأس الخليع
قال الحارث المحاسبي رحمه الله وإنما أراد الله عز وجل
من عباده قلوبهم فتكون جوارحهم تبعا لقلوبهم فإذا
تكبر العالم أو العابد وأنف وتواضع الجاهل أو العاصي
وذل هيبة لله عز وجل وفرقا منه فهو أطوع لله عز وجل
من العابد والعالم **نعمتان ما خرج موجود عنهما**
ولا بد لكل مكون منهما نعمة الإيجاد ونعمة الإمداد
نعمة الإيجاد ونعمة الإمداد لفقتان لازمتان لكل مكون
موجود لأنه في ذاته معدوم ومن ثم فنعمة الإيجاد
إزالة العدم السابق ولولا ذلك لم يبرز لعدمها ونعمة
الإمداد إزالة العدم اللاحق ولولا ذلك لتلاشى وفني
وقال سيدي أبو مدين قدس سره الحق تعالى مستبد والوجود
مستمد والمادة من عين الوجود فلو انقطعت المادة انهد
الوجود وهذا توطئة لما يريد بيانه من الفقر الذاتي للعبد

قوله مستبد أي المستقل بذاته

أنعم

أنعم عليك أولاً بالإيجاد وثانياً بتوالي الإمداد
هذا أحد جزئيات الكلية المتقدمة وهو وجودك ودوام
وجودك وإنما لا ينبغي أن يتغافل عنه من النوال هذا
الخير نعمة إيجاد الإيمان ومحبة الطاعة في قلبك
وإمدادهما وكذلك كراهية الكفر والمعصية فإن ذلك
من النعم العظيمة التي لا مدخل للعبد فيها ولا للوسيلة إليها
ولولا تولى الله تعالى له بتلك النعمتين في القسمتين لبقاه
في ظلمات الضلالة وغرق في بحار الجهالات وقد نبه الله
سبحانه على هذا المعنى في كتابه الكريم فقال عز من قائل
ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم وكره إليكم
الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون فضلا
من الله ونعمة قال الإمام أبو القسم القشيري رحمه الله
وإن من أفكر في صنوف الضلال وكثرة طرق المحال وشدة
أغاليط الناس في البدع والأهواء وما ينشعب بكل قوم من
مختلفي النحل والآراء فكر في ضعفه ونقصان عقله
وكثرة تحيره في الأمور وكثرة جهله وتناقض تدبيره في
أحواله وشدة حاجته إلى الاستغاثة بأشكاله في أعماله
لم يرى خالص يقينه وقوة استبصاره في دينه ونقاء وجه
توحيده من غبرة الشرك وصفاء عين عرفانه عن وجه إنكار
علم أن ذلك ليس من طاقته ولا جهده وكده بل بفضل ربه

جمع نحلة وهي الطريقة المعوجة

وسابغ لقوله قال الله تعالى واسبغ عليكم نعمه ظاهرة
وباطنة فصور الظاهر بنعمايه واثار نعمه عليك متظاهرة
والباطن بالايه وزوايد كرمه لك متواترة انتهى
وعلى العبد ان يعرف قدر هذه النعمة في ذكر على علمه
وعقله قال بعض العارفين من نظر في توحيده الى عقله
لم ينجه توحيده من النار وعن ذي النون المصري
ما هو قريب من هذا من كان في توحيده ناظرا الى نفسه
ايانا من رجل فهذا هو شكر هذه النعمة العظيمة قال الشيخ
ابو طالب المكي بعد ان ذكر ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم
من قوله احبوا الله لما اسدى اليكم من نعمه وما يغذوكم
به ايضا فمن افضل ما غذانا به نعمة الايمان والمعرفة
له وغذاؤه لنا منه دوام ذكره ومدده بروح منه وتثبيتنا
عليه في تصريف الاحوال اذ هو اصل الاحوال التي هي مكان
الزوال فلو قلب قلوبنا عن التوحيد كما يقلب جوارحنا
في الذنوب ولو قلب قلوبنا في الشك والضلال كما يقلب نياتنا
في الاعمال اي شي كنا نصنع او اي شي كنا نقول وباي شي
كنا نطمين ونرجوا فهذا من كباير النعم ومعرفته هو شكر
نعمة الايمان والجهل بهذا غفلة عن نعمة الايمان
توجب العقوبة وادعا الايمان انه عن كسب مقتدر
او استطاعة بقوة وحول هو كفر نعمة الايمان واخاف
علي

لم ينجه توحيده من النار حتى يكون نظره اليه في توحيده

وتثبيتنا

على من تو هم ذلك ان يسلب الايمان لانه بدل شكر نعمة
الله كفرا انتهى كلام الشيخ ابي طالب وهو حسن في المعنى
فافتقارك ذاتية وورود الاسباب مذكرات بما خفي
عليك منها والفاقة الذاتية لا ترفعها العوارض
اذا ثبت ان نعمتي الايجاد والامداد لازمتان لك وانك
في ذاتك عدم لولاهما فالفاقة اذا ذاتية لك والاضرار
لازم لوجودك ولو كنت غنيا بوجود النعمتين المذكورتين
فان ذلك امر عرضي والامور الذاتية لا تزيلها الامور
العرضية وانما اورد عليك الاسباب التي تضاد وجودك
وبقاء وجودك ليذكرك بذلك ما خفي عليك من وجود الفاقة
الذاتية لك والاضطرار اللازم لوجودك فتلازم
مركزك وتقوم بحق عبوديتك ولا تجاوز حدك ولهذا
قال بعضهم انما حمل فرعون لان قال انا ربكم الاعلى
طول العوافي والغنا لبث اربعماية سنة لم يتصدع
راسه ولم يحم جسده ولم يضرب عليه عرق فادعى
الربوبية ولو اخذته الشقيقة ساعة واحدة او المليلة
يوما لشغله ذلك عن دعوى الربوبية قال في لطايف
المنن الاضطرار تعطيه حقيقة العبد اذ هو ممكن
وكل ممكن مضطر الى ممده بوجوده وكان الحق سبحانه هو
الغني ابدا فالعبد مضطر اليه ابدا ولا يزايل العبد
هذا الاضطرار في الدنيا ولا في الاخرة ولو دخل الجنة

تنين
فة
لحمه عرق
او المليية

فهو محتاج الى الله تعالى فيها غير انه عمى اضطراره
في المحنة التي فرغت عليه سلابسها وهذا هو حكم الحقايق
اذ لا يختلف حكمها لا في الغيب ولا في الشهادة ولا في الدنيا
ولا في الآخرة فالعلم صفة الكشف اي علم كان وفي اي وقت
كان والارادة صفتها التخصيص اي ارادة كانت وفي اي
وقت كانت ومن انسعة الوارد [illegible] متوقف الاضطرار بيان عاتب
وقد عاتب الله اقواما اضطروا اليه عند وجود اسباب الجاتهم
الى الاضطرار فلما زال اضطرارهم قال سبحانه واذا مسكم زالت صح
الضر في البحر الاية وقال فاذا مس الانسان ضر
دعانا لجنبه الاية وقال من ينجيكم من ظلمات البر
والبحر الايتين الى غير ذلك من الايات الواردات في هذا
المعنى ولما لم تصل عقول العموم الى ما تعطيه حقايق
وجود انهم سلط الحق عليهم الاسباب المثيرة للاضطرار
ليعرفوا قهر ربوبيته وعظم الاهيته انتهى خير اوقاتك
وقت تشهد فيه وجود فاقتك وترد الى وجود ذلتك
انما كانت هذه خير اوقات لك لوجود حضور سرك مع
ربك وانقطاع نظرك عن الوسايط والاسباب الموجبة
لبعدك وحجبك فهي لا محالة خير اوقاتك وهي مواسم
واعياد كرجها يقول المولف رحمه الله بعد هذا الحكاية عن
عطا السلمي انه بقي سبعة ايام لم يذق شيا من الطعام
ولم يقدر على شي فسر قلبه بذلك غاية السرور فقال يا رب

ان

ان لم تطعمني ثلاثة ايام اخر لاصلين لك الف ركعة وقيل
ان فتحا الموصلي رجع ليلة الى بيته فلم يجد عشاء ولا سراجا
ولا حطبا فاخذ يحمد الله تعالى ويتضرع اليه ويقول الهي
لاي سبب وباي وسيلة واستحقاق عاملتني بما تعامل به
اولياءك وقال بشر بن الحرث الحافي بلغني ان بنتا لفتح
الموصلي عريت فقيل له الا تطلب من يكسوها فقال لا [illegible]
حتى يرى الله عريها وصبري عليها قال فكان اذا كانت
ليالي الشتاء جمع عياله ومد كساء عليهم ثم قال اللهم
افقرتني وافقرت عيالي وجوعتني وجوعت عيالي واعريتني
واعريت عيالي باي وسيلة توسلتها اليك وانما تفعل
هذا باوليائك واحبابك فهل انا منهم حتى افرح
قيل ان الفضيل بن عياض بكى في ليلة قرة ثم قال الهي
اجعتني واجعت عيالي واعريتني واعريت عيالي
واقعدتني واقعدت عيالي في بيت ليس لي فيه مصباح
وانما تفعل هذا باوليائك واهل محبتك الهي باي عمل
استحققت هذا منك حتى ادوم لك عليه وقيل للربيع بن خثيم
قد غلا السعر فقال نحن اهون على الله من ان يجيعنا انما
يجيع اولياءه متى اوحشك من خلقه فاعلم انه يريد ان يفتح لك صح
باب الانس به فتح باب الانس بالله هو الاستيحاش من الناس
وكذلك قيل الاستيناس بالناس من علامة الافلاس فافهم
فتح لك هذا الباب توحشت من الاغيار كلها وتحققت الانس

بربك ومعنى الوحشة منها ان تنفر عنها بقلبك وتنقبض
عنها بسرك ولا يكون الاشيا بموقع عندك فلا تجد فيها
مقنعا لحاجاتك الى ربك حيث اطلع على انواع من العجايب
ووجه بني الرغايب وكشف له عن الملكوت الاعلى
فقيل له هل استحسنت منها شيا فقال لم ار شيا استحسنه
فقيل له انت عبد الله حقا فاذا كان العبد على هذا الوصف
كان ذلك علامة على تحققه بمقام الانس ونزوله في حضرة
القدس وسياتي هذا المعنى في قوله في مناجاته انت المونس
لهم حيث اوحشتهم العوالم متى اطلق لسانك بالطلب
فاعلم انه يريد ان يعطيك اطلاق اللسان بالطلب هو
ان يحل عقدة الصمت الذي اوجبه الاستغنا بالاغيار ٧
وعدم روية الفاقة والافتقار فاذا حل عنه العقدة بشهود هذه
فقره وفاقته وانطلق لسانه بالطلب كان ذلك داعيا
بلسان الاضطرار وكان مجاب الدعوة لصدق الموعد
باجابة دعوة المضطر وانه لا يخلف الميعاد واشار بعض
الكبرا لو لم ترد نيل ما ارجو واطلبه من فيض جودك ما علمتني الطلبا
وفي الحديث عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال من اذن له في الدعا منكم فتحت له ابواب
الرحمة وما سيل الله شيا فيعطى احب اليه من ان يسال العفو
والعافية في الدنيا والاخرة وروي عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم انه قال من اعطي الدعا لم يحرم الاجابة قال الشيخ ابو بكر

الخفاف

٦٥

الخفاف وكيف لا يجيبه وهو يحب قبوله ولولا ذلك ما فتح
الدعا وعن انس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا احب الله عبدا صب عليه البلا صبا وسحه عليه
سحا فاذا دعى قالت الملايكة صوت معروف وقال جبريل
يا رب عبدك فلان اقض حاجته فيقول دعوا عبدي فاني احب
ان اسمع صوته فاذا قال يا رب قال الله تعالى لبيك
عبدي وسعديك لا تدعوني بشي الا استجبت لك ولا تسالني
شيا الا اعطيتك اما ان اعجل لك ما سالت واما ان ادخر
لك عندي افضل منه واما ان ارفع عنك به من البلا ما هو
اعظم من ذلك العارف لا يزول اضطراره ولا يكون
مع غير الله قراره معرفة العارفين هي معرفتهم
بانفسهم وبما هي عليها من الفاقة والافتقار
الى العزيز الجبار وبقدر ما يتحققونه بذلك في انفسهم
يكون معرفتهم بالله عز وجل كما جاء في الخبر من عرف
نفسه عرف ربه فلذلك كان العارف لا يفارقه الاضطرار
قال سيدي ابو العباس المرسي في قوله تعالى امن يجيب
المضطر اذا دعاه الولي لا يزال مضطرا قال ابن عطاء
رحمهما الله معنى كلام الشيخ هذا ان العامة اضطرارهم
بمثيرات الاسباب فاذا زالت زال اضطرارهم وذلك
لغفلتهم دايرة الحدث عن مشهودهم فلو شهدوا القبضة الالهية
الشاملة المحيطة لعلموا ان اضطرارهم الى الله تعالى دايم

وانما لم يكن له مع غير الله قرار لوجود وحشته من الاشيا
ونفوره بقلبه عنها كما تقدم وكانه رحمه الله تعالى قصد
بهذا ان يعلمك ان ما تقدم له من الاستحيا من الخلق انما
اللسان بالطلب من الحق نعتان من نعوت العارفين
انار الظواهر بانوار اثاره وانار السرائر بانوار
اوصافه لاجل ذلك افلت انوار الظواهر ولم تافل
انوار القلوب والسرائر ولذلك قيل ان شمس
النهار تغرب بالليل وشمس القلوب ليس تغيب
انوار الظواهر التي بها انارها الحق تعالى هي الادراكات
والاحساسات والحركات التي تتصف بها ظاهر العبد وانوار
السرائر التي بها انارها الحق تعالى هي المعارف والعلوم
واللطائف الادراكات والفهوم التي اشتمل عليها باطنه وسره
وانوار الظواهر هي متعلقة بانوار الاثار الحادثات
وانوارها معانيها ولطائفها المشتملة فيها وانوار السرائر
متعلقة بانوار الصفات الازليات ولاجل اختلاف
المتعلقين في الحدوث والقدم والفنا والبقا كان كما ذكره
المولف رحمه الله من انوارها تعلق بالحادث الفاني غرب
افول انوار ما تعلق بالقديم الباقي انشد المولف البيت
المذكور مستشهدا به على ما ذكره ومعناه بين وقبله طلعت شمس
من احب بليل فاستضاءت فما لها من غروب وفي هذا
تنبيه على ان الامور الباقية هي التي ينبغي ان يعتني بها
ويفرح

نسخ
من افول ما تعلق بالحادث الفاني

٦
بيت وهو ان شمس النهار تغرب بالليل وشمس القلوب ليس تغيب

ويفرح بحصولها ويعتني بترتيبها ومراعات حالها لا ف
الامور الفانية الافلة وحينئذ يكون العبد على ملة
ابرهيم عليه السلام حيث قال لا احب الافلين ويروى ان
رجلا سال سهل بن عبد الله عن القوت فقال هو الحي الذي
لا يموت فقال انما سالتك عن القوام فقال القوام
هو العلم قيل سالتك عن الغذا فقال الغذا هو الذكر
قيل انما سالتك عن طعم الجسد فقال ما لك والجسد دع
من تولاه اولا يتولاه اخرا اذا دخلت عليه علة
فرده الى صانعه اما رايت الصنعة اذا عيبت ردوها
الى صانعها حتى يصلحها وفي معناه انشدوا كمل حقيقتك
التي لم تكمل • والجسم دعه في الحضيض الاسفل • اتكمل
الفاني وتترك باقيا • كملا وانت بامره لم تحفل • والجسم
للنفس النفيسة الة • ما لم تحصله بها لم تحصل • يفنى وتبقى
دايما في غبطة • او شقوة وندامة لا تنجلي • اعطيت
جسمك خادما فخدمته • اتملك المفضول رق الافضل •
شرك كثيف انت في حبلاته • ما دام يمكنك الخلاص فعجل •
من يستطيع بلوغ اعلى منزل • ما باله يرضى بادنى منزل •
يا خادم الجسم كم تشقى بخدمته • وتطلب الربح فيما فيه خسران •
عليك بالنفس فاستكمل فضيلتها • فانت بالنفس لا بالجسم انسان
ليخفف الم البلا عليك علمك بانه سبحانه هو المبلي المبتلي بالاختبار
لك فالذي واجهتك منه الاقدار هو الذي عودك حسن

بربكم ومعنى الوحشة منها ان تشمر عنها بقلبك وتنقبض
عنها بسرك ولا يكون الاشيا بموقع عندك فلا تجد فيها
منفعة لحاجتك الى ربك حين اطلع على انواع من العجايب
ووجد بنيل الرغايب وكشف له عن الملكوت الاعلى
فقيل له هل استحسنت منها شيا فقال لم ار شيا استحسنه
فقيل له انت عبد الله حقا فاذا كان العبد على هذا الوصف
كان ذلك علامة على تحققه بمقام الانس ونزوله في حضرة
القدس ويأتي هذا المعنى في قوله في مناجاته انت المونس
لهم حيث اوحشتهم العوالم متى اطلق لسانك بالطلب
فاعلم انه يريد ان يعطيك اطلاق اللسان بالطلب هو
ان يحل عقدت الصمت الذي اوجبه الاستغنا بالاغيار
هذه وعدم روية الفاقة والافتقار فاذا حل عنه العقدة شهود
فقره وفاقته وانطلق لسانه بالطلب كان اذ ذاك داعيا
بلسان الاضطرار وكان مجاب الدعوة لصدق الموعد
باجابة دعوة المضطر وانه لا يخلف الميعاد وانشد
لو لم ترد نيل ما ارجو واطلبه • من فيض جودك ما علمتني الطلبا •
وفي الحديث عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال من اذن له في الدعا منكم فتحت له ابواب
الرحمة وما سيل الله شيا فقط احب اليه من ان يسال العفو
والعافية في الدنيا والاخرة وروي عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم انه قال من اعطي الدعا لم يحرم الاجابة قال الشيخ ابو بكر

الخفاف

الخفاف وكيف لا يجيبه وهو يحب قبوله ولولا ذلك ما فتح
الدعا وعن انس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا احب الله عبدا صب عليه البلا صبا وسحه عليه
سحا فاذا دعا قالت الملايكة صوت معروف وقال جبريل
يا رب عبدك فلان اقض حاجته فيقول دعوا عبدي فاني احب
ان اسمع صوته فاذا قال يا رب قال الله تعالى لبيك
عبدي وسعديك لا تدعوني بشي الا استجبت لك ولا تسالني
شيا الا اعطيتك اما ان اعجل لك ما سالت واما ان ادخر
لك عندي افضل منه واما ان ارفع عنك به من البلا ما هو
اعظم من ذلك العارف لا يزول اضطراره ولا يكون
مع غير الله قراره معرفة العارفين هي معرفتهم
بانفسهم وبما هي عليها من الفاقة والافتقار
الى العزيز الجبار وبقدر ما يتحققون به من ذلك في انفسهم
يكون معرفتهم بالله عز وجل كما جاء في الخبر من عرف
نفسه عرف ربه فلذلك كان العارف لا يفارقه الاضطرار
قال سيدي ابو العباس المرسي في قوله تعالى امن يجيب
المضطر اذا دعاه المولى لا يزال مضطرا قال ابن عطاء
رحمهما الله ومعنى كلام الشيخ هذا ان العامة اضطرارهم
بمشيدات الاسباب فاذا زالت زال اضطرارهم وذلك
لغلبة دايرة الحس على شهودهم فلو شهدوا قبضة الله
الشاملة المحيطة لعلموا ان اضطرارهم الى الله تعالى دايم

ومما لم يكن له مع غير الله قرار لوجود وحشته من الأشيا
ونفوره بقلبه عنها كما تقدم وكانه رحمه الله تعالى قصد في
بهذا أن يعلمك أن ما تقدم له هذا الانحياش من الخلق إنما
المساق بالطلب منه الحق نعتان من نعوت العارفين

أنار الظواهر بأنوار آثاره وأنار السرائر بأنوار
أوصافه لأجل ذلك أفلت أنوار الظواهر ولم تأفل
أنوار القلوب والسرائر ولذلك قيل إن شمس
النهار تغرب بالليل وشمس القلوب ليست تغيب

أنوار الظواهر التي بها أنارها الحق تعالى هي الإدراكات
والإحساسات والحركات التي تتصف بها ظاهر العبد وأنوار
السرائر التي بها أنارها الحق تعالى هي المعارف والعلوم
واللطائف الإدراكات والفهوم التي اشتملت عليها باطنه وسره
وأنوار الظواهر هي متعلقة بأنوار الآثار الحادثات
وأنوارها معانيها ولطائفها المستكنة فيها وأنوار السرائر
متعلقة بأنوار الصفات الأزليات ولأجل اختلاف
المتعلقين في الحدوث والقدم والفناء والبقاء كان كما ذكره
المؤلف رحمه الله من أنوارها تعلق بالحادث الفاني وعدم
أفول أنوار ما تعلق بالقديم الباقي أنشد المؤلف البيت
المذكور مستشهدا به على ما ذكره ومعناه بين وقبله طلعت شمس
من أحب بليل فاستنارت فما لها من غروب • ومن هذا
تنبيه على أن الأمور الباقية هي التي ينبغي أن يفتتك بها

ويفرح

نسخة من أفول ما تعلق بالحادث الفاني

بيت وهو إن شمس النهار تغرب بالليل وشمس القلوب ليس تغيب

ويفرح بحصولها ويعتني بترتيبها ومراعاة حالها إلا في
الأمور الفانية الآفلة وحينئذ يكون العبد على ملة
إبراهيم عليه السلام حيث قال لا أحب الآفلين ويروى أن
رجلا سأل سهل بن عبد الله عن القوت فقال هو الحي الذي
لا يموت فقال إنما سألتك عن القوام فقال القوام
هو العلم قيل سألتك عن الغذا فقال الغذا هو الذكر
قيل إنما سألتك عن طعم الجسد فقال ما لك والجسد دع
من تولاه أولا يتولاه آخرا إذا دخلت عليه علة
فرده إلى صانعه أما رأيت الصنعة إذا عيبت ردوها
إلى صانعها حتى يصلحها وفي معناه أنشدوا • كمل حقيقتك
التي لم تكمل • والجسم دعه في الحضيض الأسفل • أتكمل
الفاني وتترك باقيا هملا • وأنت بأمره لم تحفل • والجسم
للنفس النفيسة آلة ما لم تحصله بها لم تحصل • يفنى وتبقى
دائما في غبطة • أو شقوة وندامة لا تنجلي • أعطيت
جسمك خادما فخدمته • أتملك المفضول رق الأفضل •
شرك كثيف أنت في حبلاته • ما دام يمكنك الخلاص فعجل •
• من يستطيع بلوغ أعلى منزل • ما باله يرضى بأدنى منزل
• يا خادم الجسم كم تشقى بخدمته • وتطلب الربح فيما فيه خسران
• عليك بالنفس فاستكمل فضيلتها • فأنت بالنفس لا بالجسم إنسان

ليخفف ألم البلاء عليك علمك بأنه سبحانه هو المبتلي لك فالذي
واجهتك منه الأقدار هو الذي عودك حسن

وعسى ان تكرهوا شيئا وهو شر لكم

قوله التقم اي اقبل

اذا علم العبد ان الله تعالى رحيم به ومتعطف عليه وناظر
اليه فكل ما يورده عليه من انواع البلايا والرزايا ينبغي
له ان لا يكترث بذلك ولا يبالي به فانه لم يبعده منه الا خيرا
فليحسن به الظن وليعتقد ان ذلك اختيار له وان له في ذلك
مصالح خفية لا يعلمها الا هو كما قال تعالى وعسى ان تكرهوا
شيئا وهو خير لكم قال ابو طالب المكي في هذه الآية فالعبد
يكره العلة والفقر والخمول والضر وهو خير له في الآخرة
وقد يحب الغنى والعوافي والشهرة وهو شر له عند الله
تعالى واسوء عاقبة وفي معنى قوله تعالى واسبغ عليكم
نعمه ظاهرة وباطنة قيل الظاهرة العوافي والباطنة البلاوي
لانها نعمة في الآخرة فاذا ما يصيب المؤمن فهو
نعمة كما بينا ما يلاقات خله الحمد على نعمة قال في التنوير
انما يقويهم على حمل اقداره شهود حسن اختياره
وانشد فيه لنفسه • وخفف عني ما الاقي من العنا بانك
انت المبتلي والمقدر • وما لامرئ عما قضى الله معدل
وليس له منه الذي يتخير • وكان الاستاذ ابو علي الدقاق
يقول خرجت مرة وكنت في صورة وحشة من ذلك فدخلت
الحمام ففتح على قلبي بشيء من الرضا فكنت التقم كل واحد
من تلك القروح فخرجت ولم يبق منها اثر وقال الاستاذ
ابو القاسم القشيري رحمه سمعت الاستاذ ابا علي الدقاق
يقول في اخر عمره وقد اشتدت به علة فقال هذا من امارات

التأييد

اي القضا

في خلق الله تعالى الخلق

مطلب

وبقي معي العشر وخلقت الجنة فهرب مني تسعة اعشار العشر وبقي معي عشر العشر وخلقت النار فهرب مني تسعة اعشار عشر العشر صح

بدل عمران

التأييد حفظ التوحيد في اوقات الحكم ثم قال
كالمفسر لقوله يشير الى ما تمات فيه من حاله بهوات
بقرضكم بمقاريض القدرة في امضاء الاحكام قطعة
قطعة وانت شاكر حامد وقال الجنيد كنت نائما
عند سري السقطي فانبهني وقال يا جنيد رأيت
كاني قد وقفت بين يديه فقال لي يا سري خلقت الخلق
فكلهم ادعوا محبتي وخلقت الدنيا فهرب مني تسعة اعشارهم
~~اعشارهم العشر وبقي عشر العشر معي~~ فسلطت عليهم
ذرة من البلا فهرب مني تسعة اعشار عشر العشر
فقلت للباقين معي لا الدنيا اردتم ولا الجنة اخذتم
ولا من النار هربتم ولا من البلا فررتم فماذا تريدون
قالوا انك لتعلم ما نريد فقلت لهم اني اسلط عليكم
من البلا بعدد انفاسكم ما لا يقوم له الجبال الرواسي
اتصبرون قالوا اذا كنت انت المبتلي فافعل ما شئت
فهولاء عبادي حقا من ظن انفكاك لطفه عن قدره فذلك
لقصور نظره قصور النظر في عدم روية اللطف في القدر
من ضعف اليقين وقلة حسن الظن بالمقدر الحكيم
اذ لو كمل فكر العبد وقوي بصره لرأى في ذلك من
الفوائد والمصالح ما لا يحصى وما غاب عنه اكثر ولكان
كما روي عن بعض الصالحين العارفين انه قال لقد
مرضت مرضة فاحببت ان لا تزول وكان عمران بن الحصين

قد امتنقى بطنه فلبث ملقى على ظهره سبعا ثلثين سنة
لا يقوم ولا يقعد قد نقب له على سرير من جريد وكان
تحته نقب لغايطه وبوله فدخل عليه مطرف او اخوه
العلا بن الشخير فجعل يبكي لما راى من حاله فقال لم
تبكي قال لاني اراك على هذه الحالة العظيمة قال لا تبكي
فان احبه الي احبه الى الله تعالى ثم قال احدثك بشي لعل
الله تعالى ان ينفعك به واكتم على حتى اموت ان الملايكه
تزورني فآنس بها وتسلم علي فاسمع تسليمها وقال بعضهم
دخلنا على سويد بن منعبه نعوده فراينا ثوبا ملقى فما ظننا
ان تحته شيا حتى كشف فقالت له امراته اهلي فداوك ما نطعمك
وما نسقيك فقال طالت الضجعة ودبرت الحراقيف واصبحت
نضوا ما اطعم طعاما ولا اسيغ شرابا منذ كذا فذكر اياما
ثم قال ما يسرني انه نقص من هذا قلامة ظفر فهولا
شاهدوا في بلاياه عطاياه وفي محنه منته وفي منته
لطفه فاوجب لهم ذلك من الرضا ما هم فيه والتنعم به
والتلذذ ما حملهم على ان لا يحبوا زوال ذلك عنهم
ولا نقصانه ووجوه الالطاف والمنن في البلايا لا تحصى
لكنا نذكر منها ههنا ما يزداد المريد به قوة وحسن
لمن مر به عن وجد ويحمله ذلك على القيام بواجبها
فنقول البلايا التي يبتلي الله تعالى عباده بها منافضة
لاراداتهم ومنقصة لشهواتهم وكلما ازعج النفس ونقصها
والمها

صح
فآنس
نسخة
شعبة

والمها فهو محمود العاقبة من حيث انه ذكر راد له
الى الله تعالى وملازمة بابه بصدق الالتجا والافتقار
وهذا هو اعظم فوايد البلايا وتجدد ذكره بنفسه
كل من نزلت به بلية او اصابته رزية وفيها ايضا
ضعف النفس وذهاب قوتها وبطلان صفاتها اذ بوجود
ذلك يقع العبد في الذنوب والمعاصي وتنال منه
الرغبة في الدنيا والحرص على اتباع الهوى وقد قيل
لا يخلو المومن من علة او عيلة او قلة او ذلة وفي الخبر
عن الله تعالى الفقر سجني والمرض قيدي احبس بذلك
من احببت من عبادي وفيها ايضا تحصيل طاعة القلوب
واعمالها وذرة منها خير من امثال الجبال من اعمال الجوارح
وذلك مثل الصبر والرضا والزهد والتوكل وحب لقا الله
تعالى قيل لعبد الواحد بن زيد رضي الله عنه ههنا
رجل قد تعبد خمسين سنة فقصده فقال حبيبي اخبرني عنك
هل قنعت به قال لا قال فهل انست به قال لا قال فهل
رضيت عنه قال لا قال فانما مزيدك منه الصلوة والصيام
قال نعم قال لولا اني استحي منك لاخبرتك ان معاملتك
له خمسين سنة مدخولة قال ابو طالب المكي اراد بذلك
انه لم يفتح له عملها الى مقامات المقربين فيوجد له
مواجيد العارفين فيكون مزيده من اعمال القلوب
التي يستعملها بكل محبوب مطلوب لان القناعة به حال
الموقنين والانس مقام المحب والرضا وصف المتوكل اي انما

مطلب عظيم
في عمل اعمال القلب
افضل من اعمال الجوارح

انت عنده في طبقة اصحاب اليمين فمن يدرك منه
مزيد العموم من اعمال الجوارح وهذه اشاره الى ما
قلنا من افضلية اعمال القلوب على اعمال الجوارح فمن
وفقه الله تعالى الى منازل هذه المقامات وتوفيه حقها
في البلايا النازلة فقد حصل على كنوز البر وذكر ابو ابرهيم
اسحق بن ابرهيم التجيبي القرطبي المالكي رحمه الله تعالى
في كتاب النصائح له ان عروة بن الزبير ابتلي بقرحة
في ساقه فبلغت الى نشر عظم ساقه في الموضع الصحيح منها
فقال له الاطباء الا نسقيك مرقدا فلا تحس بما نصنع بك فقال
لا ولكن شانكم بها فنشروا الساق ثم حسموها بالنار فما حرك
عضوا ولا انكروا منه حتى مستها النار فما زاد على ان قال
حس واصيب حينئذ بابنه محمد وكان من احب ولده اليه — مثل قول القايل عند الوجع
فلما راى القدم بيد بعضهم قال اما ان الله تعالى يعلم
اني لم امش بها الى معصية قط ثم قال يا غلام اغسلها وكفنها
وادفنها في مقبرة المسلمين ثم جعل يقول اللهم لئن اخذت
لقد ابقيت ولئن ابتليت لقد عافيت ولئن اخذت لطال
ما اعطيت وذكر ابن قتيبة في عيون الاخبار له عن المدايني
قال قدم رجل ضرير من عبس مخطوم الوجه على الوليد
فساله عن سبب ضرره فقال بت ليلة في بطن وادي ولا اعلم
على وجه الارض عبسيا يزيد ماله على مالي فطرقنا سيل
اذهب ما كان من مال واهل وولد الا صبيا رضيعا وبعيرا
صعبا فند البعير والصبي معي فوضعته واتبعت البعير

لاحبسه

لاحبسه فما جاوزت الا ورأس الولد في بطن الذيب
قد اكله فتركته واتبعت البعير فاستدار فرمحني
رمحة حطم بها وجهي واذهب عيني فاصبحت لا ذا مال
ولا ذا اهل ولا ذا ولد ولا ذا ابدن فقال الوليد — بصر صح
اذهبوا به الى عروة ليعلم ان في الناس من هو اعظم
بلا منه وروي عن عبد الواحد بن زيد انه خرج مع
بعض اخوانه الى ناحية من نواحي البصرة هو واهم
السير الى كهف جبل فاذا فيه عبد متقطع بالجذام
يسيل جسده قيحا وصديدا فقالوا يا هذا لو دخلت
البصرة فتعالجت من هذا الذي بك فرفع طرفه الى السما
وقال سيدي باي ذنب سلطت علي هولا يسخطوني
عليك ويكرهونك الي سيدي لك العتبا من ذلك الذنب
واستغفرك منه ولا اعود فيه ابدا ثم اعرض عنا بوجهه
فانصرفنا وتركناه وروي عن بشر بن الحارث الحافي
قال رايت بعبادان رجلا قد قطعه البلا وقد سالت
حدقتاه على خديه وهو في ذلك كثير الذكر عظيم الشكر
لله قال واذا هو قد طرح من جنبه قال فوضعت — صرع صح
راسه في حجري وجعلت اسال الله تعالى ان يكشف ما به
واغتم فافاق فسمع دعاي فقال من هذا الفضولي الذي
يدخل بيني وبين ربي ويعترض عليه في نعمته علي ونحا راسه
من حجري قال بشر فاعتقدت ان لا اعترض على عبد في نعمة اراها

مطلب شريف في نزول المصايب والبلايا بالانسان وما فيها من الثواب وما يقال للمريض الى اخر الحكمة

عليه هذا البلا وقد روي في بعض الاخبار ان
يونس وجبريل عليهما السلام التقيا فقال يونس
لجبريل دلني على اعبد اهل الارض فاتى به على
به على رجل قد قطع الجذام يديه ورجليه فكان واذا
هو يقول متعتني بهما حيث شيت وسلبتهما حيث شيت
وابقيت لي فيك الامل يا بر يا وصول فقال يونس
يا جبريل انما سالتك ان تريني صواما قواما قال
ان هذا كان قبل البلا هكذا وقد امرت ان اسلبه
بصره فاشار الى عينيه فسالتا فقال متعتني بهما حيث شيت
وسلبتهما حيث شيت وابقيت لي فيك الامل يا بر يا وصول
فقال جبريل تعال ندعو وندعو معك ان يرد الله عليك
يديك ورجليك وبصرك فتعود الى العبادة التي
كنت فيها فقال ما احب ذلك فقيل ولم قال اذا كانت
محبته في هذا فمحبته احب الي من ذلك قال يونس
يا جبريل بالله ما رايت احدا اعبد من هذا قال جبريل
يا يونس هذا طريق لا يوصل الى رضاه بشي افضل
منه وفي الخبر اذا احب الله عبدا ابتلاه فان صبر اجتباه
وان رضي اصطفاه وفيها ايضا يحصل له كفارة الذنوب
والخطايا ولا سبيل له الى ذلك الا بما يرد عليه من انواع
البلايا لان العبد قد يقصر عن القيام بوظايف الطاعات
ويتكاسل عن المواظبة على نوافل الخيرات فيكون حينيذ

نسخه متعتني بهما حيث شاء وسلبتهما حيث شاء

هلم صح

محروما

محروما من ثوابها فيحصل له تكفير سيئاته بها وان قدر
عليها ولم يتكاسل عنها فمن له بتخليصها عن الشوايب وسلمها
من الافات والمعايب وحينيذ يبطل عمله ويخيب من
انتفاعه به امله فليحسن العبد ظنه بمولاه وليعلم ان
ما يختاره له خير مما يختاره لنفسه بشهوته وهواه
فقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال للرجل
الذي قال له اوصني قال لا تتهم الله في شي قضاه لك
وذكر مسلم رحمه الله من حديث صهيب رضي الله عنه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عجبا لامر المومن ان
امره كله له خير وليس ذلك لاحد الا للمومن ان اصابته سراء
فشكر كان خيرا له وان اصابته ضراء فصبر كان خيرا
له وذكر البخاري ومسلم رضي الله عنهما في صحيحيهما من
حديث ابي هريرة وابي سعيد الخدري رضي الله عنهما
انهما سمعا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما يصيب
المومن من وصب ولا نصب ولا سقم ولا حزن حتى الهم
يهمه الا كفر الله به من سيئاته وذكر ايضا من حديث عبد
الله بن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ما من مسلم يصيبه اذى من مرض فما سواه الا حط
عنه به من سيئاته كما تحط الشجرة ورقها وذكر البخاري ومسلم
ايضا رحمهما الله من حديث عايشة رضي الله عنها قالت
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مسلم يشاك بشوكة

بيان الشوايب

بيان له خير وليس لاحد

نسخه كله له خير

نسخه كله عجب وليس

فما فوقها الا كتب الله له درجة ومحيت عنه بها خطيئة
وذكر البخاري ايضا رحمه الله عن ابي هريرة رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يرد الله به خيرا
يصب منه وفي حديث انس بن مالك رضي الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل المريض اذا برئ وصح
من مرضه كمثل البردة تقع من السماء في صفائها ولونها
وروي عن عيسى عليه السلام انه قال لا يكون عالما من
لم يفرح بدخول المصائب والامراض على جسده وماله
لما يرجو بذلك من كفارة خطاياه وروي عن النبي صلى الله
عليه وسلم اخبار كثيرة في الحمى والعمى وغير ذلك ذكر
البزار من حديث ابي سعيد الخدري انه دخل على رسول الله
صلى الله عليه وسلم فوضع يده عليه وعليه حمى فوجد حرها
من فوق الثياب فقال ما اشدها عليك يا رسول الله
فقال انا كذلك يشدد علينا البلاء ليضاعف لنا الاجر
قال يا رسول الله اي الناس اشد بلاء قال الانبياء ثم
الصالحون ان كان احدهم ليبتلى بالفقر حتى ما يجد
الا العباءة يحويها وان كان احدهم ليفرح بالبلاء كما يفرح
احدكم بالرخاء وقيل في معنى قوله تعالى فيه رجال يحبون
ان يتطهروا والله يحب المتطهرين اي من الاثام
والذنوب بالحمى والامراض ولما قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم فيما يروى عنه الحمى اذهبي الى قبا وقد روي

روايه اللحاف

وان كان احدهم ليبتلى بالقمل حتى يقتله صح

بعض

اصل صح

بعض الاخبار بذلك انه اهل قبا الانصار وفيه ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم راى يوما شخصا اسود فقال من انت
فقالت ام ملدم اهصر اللحم واشرب الدم وحري من
فيح جهنم صورة الحمى فقال عليه الصلاة والسلام اذهبي
الى الانصار فان لهم علينا حقوقا فاصبح النبي صلى الله عليه وسلم
فلم ير احدا من الانصار حضر الصلاة فطلبهم فقيل له اخذتهم
الحمى فقال قوموا بنا نعودهم وقال لهم الحمى طهارة وكفارة
فقالوا يا رسول الله ادعوا الله حتى يزيدنا منها وذكر مسلم
من حديث جابر رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم دخل على ام السائب او ام المسيب فقال ما لك يا ام
السائب او يا ام المسيب تزفزفين فقالت الحمى لا بارك الله
فيها فقال لا تسبي الحمى فانها تذهب خطايا بني ادم كما يذهب
الكير خبث الحديد وذكر البزار من حديث انس بن مالك
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله
عز وجل قال اذا ابتليت عبدي المؤمن بحبيبتيه ثم
صبر عوضته منهما الجنة يريد عينيه كذا قال في اخر
الحديث من قول احد الرواة والحبيبتان هما العينان
وهما الكريمتان ايضا روى انس بن مالك وابا هلال
كانا في بيت ثابت البناني فقال انس يا ابا محمد امتى فقد
بصرك قال كذا انا صبي لا اعقل قال الا احدثك حديثا حدثنيه
حبيبي رسول الله صلى الله عليه وسلم يرويه عن جبريل

مطلب في النهي عن سب الحمى

عليه السلام ويرويه جبريل عن ربه عز وجل قال يا جبريل
ما جزاء من سلبت كريمتيه قال سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا
قال جزاؤه الخلود في داري والنظر إلى وجهي ومن طريق
هلال بن سويد وهو ابن هلال المذكور أنه سمع أنسا
يقول مر بنا ابن أم مكتوم فسلم فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ألا أحدثكم ما حدثني به جبريل عليه السلام عن
هذا وقرنائه الذين ذهبت أبصارهم قال صلى الله عليه
وسلم حدثني جبريل أن الله عز وجل يقول حق علي من
أخذت كريمتيه ليس له جزاء إلا الجنة وفي حديث بريدة عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال ما أصيب عبد بعد ذهاب دينه بأشد
من ذهاب بصره وما ذهب بصر عبد فصبر إلا لقي الله ولا
حساب عليه وذكر البخاري ومسلم رضي الله عنهما من حديث
ابن عباس رضي الله عنهما أن امرأة سوداء أتت النبي صلى
الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله إني أُصرَع وإني أتكشف
فادع الله لي قال إن شئت صبرت ولك الجنة وإن شئت
دعوت الله أن يعافيك قالت أصبر قالت إني أتكشف
فادع الله أن لا أتكشف فدعا لها إلى غير ذلك مما روي
عن النبي صلى الله عليه وسلم في هذا مما لا يحصى لكثرته وفيه
أيضا تحصل له تجديد التوبة وأداء الحقوق والتباعات
والظلامات وكثرة الاستغفار وحث التذكار وكثرة
ذكر الموت إذ ذاك أبلغ ما يذكر به فقد قيل في كفى

صح واضرابه

الباب ح

بريد

يُريد الموت وقد قيل في قوله تعالى أو لا يرون أنهم يفتنون
في كل عام مرة أو مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون
أي يختبرون بها وفي حديث عائشة وأنس رضي الله
عنهما قيل يا رسول الله هل يكون مع الشهداء يوم القيمة
غير شهيد قال نعم من ذكر الموت كل يوم عشرين مرة وفي لفظ الخبر
الآخر يذكر ذنوبه فيحزنه وقد كان السلف يتوحشون
إذا خرج عنهم عام لم يصابوا فيه بنقص من نفس أو مال
ويقال لا يخلو المؤمن في كل أربعين يوما أن يروع بروعة
أو يصاب بنكبة وكانوا يكرهون فقد ذلك في هذا
العدد من غير أن يصابوا فيه بشيء وفيها أيضا تقع له
خلوة يفوته من الطاعات ومن أفعال العبادات فيكتب له
في مرضه مثل ما كان يعمل من ذلك في صحته وذلك أبلغ
له في الوصول إلى غرضه لأنه من اختيار الله تعالى
وهو خير له مما اختاره لنفسه وفي الخبر يقول الله تعالى
لملائكته اكتبوا لعبدي صالح ما كان يعمله في صحته فإنه في وثاقي
إن أطلقته أبدلته لحما خيرا من لحمه ودما خيرا من دمه
فإن توفيته توفيته إلى رحمتي وفي الحديث الصحيح من حديث
أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم إذا مرض العبد أو سافر كتب له مثل ما كان يعمل صحيحا
مقيما إلى غير ذلك من الألطاف التي لا نعلمها وإنما ذكرنا
هذه المعاني ههنا لأنها لائقة بكلام المؤلف رحمه الله تعالى

مطلب في ذكر الموت كل يوم عشرين مرة وما يكتب للمريض حال مرضه من الأعمال

وكانت معترة له وابيضاضات العبد محتاج اليها غاية الاحتياج
لانه في حال نزول البلايا يتسخط ويجزع ويطعن بتعكّر ويجزع ويتسخط
ايمانه وينتزل لزوال ايقانه فيحتاج الى من يذكره بامثال
هذه المعاني ليحصل له بذلك مقام الرضا وحسن الظن بالله
والتحقيق لهما يرجى له بذلك ان مات من فوره حسن الخاتمة
ووجد لقاء الله تعالى والاعمال بخواتيمها وهذا هو الغرض
هو الذي اوجب لنا في هذا الفصل الاكثار من الحكايات
والاعتبارات من الاحاديث فيه التي رواتها الثقات
لتسكين قلوب اهل البلاء بذلك ويسلكهم الى الله تعالى
واصحاب تلك المسالك والله ولي التوفيق لا يخاف عليك
ان تلتبس الطرق عليك وانما يخاف عليك من غلبة
الهوى عليك الطريق الى الله تعالى واضحة لائحة لان الحق
تعالى هو الذي تولى ذلك وبه انزل الكتب وارسل الرسل
ونصب عليه الادلة والبراهين فلا يخفى على العموم التباسها
عليه وانما يخاف من غلبة الهوى عليه حتى يعميه ذلك عن
رؤيتها قال احمد بن خضرويه البلخي الطريق واضح والحق
لائح والداعي قد اسمع فما التحير بعد الا من العمى سبحان العمى
من ستر سر الخصوصية بظهور البشرية وظهر بعظمة
الربوبية في اظهار العبودية سر الخصوصية هو حقيقة اهل
المعرفة التي اختص بها اولياء الله تعالى بحيث لا يبقى معها وجود
لغير ولا كون وذلك بما جعلهم فيه من التهيئ والقابلية

فمن

فمن لطف حكمة الله تعالى ان ستر ذلك بما اظهره من البشرية
التي من لوازمها وجود الغير والكون ولولا هذا الستر لكان
سر الله مبتذلا غير مصون كما قال في لطائف المنن
ولا بد للشمس من سحاب وللسحاب من نقاب ثم ان من
حقيقة ظهور البشرية الاتصاف بصفة الافتقار والاحتياج
وغير ذلك من اوصاف الحدوث وذلك هو حقيقة التعبد
والتذلل فظهر لنا من ذلك لزوم وجود المعبود وهو
عظمة الربوبية التي ظهرت لنا من وراء حجاب العبودية
ولولا ذلك لكانت باطنا لا تظهر كما قال سيدي ابو الحسن الشاذلي
العبودية جوهرة ظاهرها الربوبية فسبحان اللطيف
الخبير ومن هو على كل شيء قدير والتسبيح الذي ذكره المؤلف
رحمه الله ههنا في غاية المناسبة لما ذكره من المعنى
لا تطالب ربك بتاخير مطلبك ولكن طالب نفسك بتاخير
ادبك اذا دعوت ربك وسالت مطلبا من المطالب ولم
يظهر لك اجابته فحسن به ظنك ولا تطالبه بالوفاء بذلك فانه
يفعل ما يشاء ولا يسال عما يفعل ولكن طالب نفسك بتاخير
ادبك فانها اهل للمطالبة وسوء ادبها من وجوه احدها
انك دعوت لتجاب في دعائك فيحصل لك بذلك غرض وهو
مما يقدح في كمال عبوديتك وسياتي في هذا الفصل عند قوله
لا يكن طلبك تسببا الى العطاء منه فيقل فهمك عنه وليكن طلبك
لاظهار العبودية وقياما باحكام الربوبية والثاني

اعتقاد ك انه لم يستجب لكم ان يظهر لكم عدم الاجابة منه
وليس من شرط الاجابة ان تظهر لكم بل يخفيها عنكم لما في ذلكم ان صح
من المصالح والاجابة اليه امرها يجعلها ما شا مما نعلمه
او نجهله وقد تقدم من هذا المعنى عند قوله لا يكن تاخير
امد العطاء مع الالحاح في الدعا موجبا ليأسك الى اخره والثالث
وهو اشدها عنتا ان تفكر على ربك في حكمه ومطالبتك له
اذا تاخرت اجابتها عليكم ثم ذكر المولف رحمه الله تعالى
الحالة التي اذا كان عليها العبد قام بحق الادب ووصل
الى غاية الارب فقال متى جعلك في الظاهر ممتثلا لامره
ورزقك الاستسلام لقهره فقد اعظم المنة عليك في الباطن صح
هذان الامران هما اللذان يلزمانكم في اقامة العبودية
لربكم لا غير فمتى يسرهما الله تعالى لكم واقامكم في رعايات
احكامها ووفقكم لذلكم فقد اعظم المنة عليكم فلماذا انتشو
وما الذي تلتمس بعدهما ان كنت عبدا حقيقيا قال سيدي
ابو الحسن صحبت اخا لي في الله تعالى في البداية واعتزلنا
في مغارة نمسي ان نكون مع اولياء الله تعالى وان يفتح
الله علينا بما فتح الله عليهم فاقمنا زمانا نقول لعل
في هذه الجمعة لعل في هذا الشهر فلم يفتح الله علينا فنحن كذلك
واذا شيخ على باب المغارة يستاذن فاذنا له فدخل فلما
وقف قلنا له من انت فقال عبد الملك فعلمنا انه من
اولياء الله فقلنا له كيف حالكم فقال كيف حال كيف حالكم

يرددها

يرددها كالمنكر علينا ثم قال كيف حال من يقول لنفسه
في هذه الجمعة اكون وليا في هذا الشهر اكون وليا فلا ولاية
ولا فلاح في الدنيا ولا الاخرة يا نفس لم لا تعبد الله كما امر بل
مخلصة لوجهه قال الله تعالى وما خلقت الجن والانس
الا ليعبدون ثم انصرف عنا فانتبهنا لغلطنا من
اين دخل علينا وعلمنا ان الله رحمنا به فرجعت على نفسي
باللوم والتوبيخ وقلت لها يا نفس من انت وما عملك
وما خطرك انت لا شي وتبنا واستغفرنا الله تعالى [illegible]
ففتح علينا بجوده وكرمه وفضله ليس كل من ثبت تخصيصه ثبت صح
كمل تخليصه التخصيص هنا ان يظهر الحق سبحانه على
بعض عباده اثرة وعنايته وتوليته لخدمته ورعايته
فمنهم من يستمر له ذلك حتى يتحقق بالعرفان ويتخلص
عن رؤية الاعمال والاكوان وهولاء هم خواص المقربين
اهل العلم بالله والحقيقة ومنهم من يوقفه عن بلوغ ذروة
الكمال ويبقيه في حالة بما يليق به من علوم واعمال
وهولاء عامة المقربين وخاصة اصحاب اليمين العباد
والزهاد واهل المجاهدة والاوراد وهولاء وان شاركوا
الاولين فيما يخصهم الحق تعالى من لطائف الكرامات
وفيما يمنحهم اياه من القيام بوظائف الطاعات والعبادات
فلم يتخلصوا من رؤية نفوسهم ولم ينفكوا عن مراعات
حظوظهم بل هم ساكنون الى الاسباب مختلطون بوجود

الحجاب وقد يختص تعالى قوما بإظهار الكرامات على أيديهم
وبسببهم تسلية لأنفسهم وتثبيتا لليقين في قلوبهم
ويمنعها الأولياء لأنهم لا يحتاجون إليها لما هم فيه من الرسوخ
في اليقين والقوة والتمكين كما قال صاحب عوارف المعارف
وقد يكون من لا يكاشف بشيء من معاني القدرة أفضل ممن
يكاشف بها إذ كاشفه الله تعالى بصرف المعرفة والقدرة
أثر القادر ومن أهل القرب القادر لا يستغرب ولا يستكثر
شيئا من القدرة ويرى القدرة تتجلى من سجف حجب
الحكمة وحكي عن الشبلي وقيل له إن أبا تراب ذكر
أنه جاع في البادية فرأى البادية كلها طعاما فقال عبد
رفق به ولو بلغ محل التحقيق لكان كمن قال إني أظل (أبيت)
عند ربي يطعمني ويسقيني وقال في لطائف المنن واعلم
أن الكرامات تارة تظهر للولي في نفسه وتارة تظهر منه
لغيره فإن ظهرت للولي في نفسه فالمراد تعريفه بقدرة
الله تعالى وفردانيته وأحديته وأن قدرته لا تتوقف
على الأسباب وأن العوائد هو حاكم عليها ليست هي حاكمة
عليه وإنما جعل العوائد والأسباب والوسائط
حجب قدرته وسحب شمس أحديته فواقف عندها مخذول
ونافذ منها إليه بالعناية موصول قال وقال الشيخ أبو الحسن
رضي الله عنه فائدة الكرامة تعريف اليقين من الله تعالى
بالعلم والقدرة والإرادة والصفات الأزلية بجميع لا يفترق

وأمر

وأمره لا ينفذ كما أنها صفات صفة واحدة قائمة بذات
الواحد ليستوي من تعرف الله إليه بنوره كمن تعرف
إلى الله بعقله ولأجل أنها تثبت لمن ظهرت له ربما
وجدها أهل البدايات في بداياتهم وفقدها أهل النهايات
في نهاياتهم إذ ما عليه أهل النهايات من الرسوخ في اليقين
والقوة والتمكين لا يحتاجون معه إلى مثبت ولهذا كانت
السلف لم يحوجهم الحق سبحانه وتعالى إلى وجود الكرامات
الحسية لما أعطاهم من المعارف الغيبية والعلوم الإشهادية
ولا يحتاج حينئذ إليهم سائل الكرامة رافعة لزلزلة الشك
من المنة ومعرفة تفضله تعالى فيمن أظهرت عليه وشاهده
له بالاستقامة مع الله تعالى والناس في الكرامات على ثلاثة
أقسام قوم يجعلونها غاية الأمر فإن وجدوها عظموا
من ظهرت عليه وإن فقدوها لم يتوجهوا إلا لتفطن إليه
وقسم قالوا وما هي الكرامات إنما هي خدع تخدع بها أهل
الإرادة لينقطعوا عن حدودهم حتى لا يلحقوا مقاما أبدا
لهم حتى قال أبو تراب النخشبي لأبي العباس الرقي ما تقول
أصحابك في هذه الأمور التي يكرم الله بها عباده فقلت
ما رأيت أحدا إلا وهو مؤمن بها فقال أبو تراب من لم قال
يؤمن بها فقد كفر إنما سألتك عن طريق الأحوال فقلت
ما أعرف لهم قولا فقال أبو تراب بلى قد زعم أصحابك
أنها خدع من الحق وليس الأمر كذلك إنما الخدع في حال

السكون اليها فاما من لم يفرح بها ولم يسكن اليها فتلك
منزلة المربانيين وكان هذا من ابي تراب رضي الله عنه
بعد ان عطش فضرب الارض فنبع الما فقال فتى اريد
ان اشربه في قدح فضرب بيده الارض فناوله قدحا من
زجاج ابيض فشرب وسقانا قال ابو العباس الرقي وما زال
القدح معنا الى مكة قال الشيخ ابو الحسن وانقول الفصل في
ذلك انه لا ينبغي ان تطلب الا دوام الاستقامة مع الله تعالى ومن ظهرت
عليه فاظهرها لانها شاهدة له بالاستقامة مع الله تعالى قال
والقسم الثالث وهو ان تظهر الكرامة على الولي لغيره
فالمراد منه التعريف للعبد الذي شهدها بصحة طريق
هذا الولي الذي ظهرت عليه الكرامة اما ان يكون جاحدا
فيرجع الى الاعتراف او يكون شاكا فيعود الى الايمان او شاكا
في خصوصية هذا العبد فانه يعرف ذلك الله بما فيه
من ودايع الاحسان انتهى كلامه وقال ابو نصر السراج
سالت ابا الحسن بن سالم فقلت ما معنى الكرامات
وهم قد اكرموا حتى تركوا الدنيا اختيارا وكيف
اكرموا بان يجعل لهم الحجارة ذهبا فما وجه ذلك فقال
لا يعطيهم ذلك القدر بها ولكن يعطيهم ذلك حتى
يحتجوا بذلك على انفسهم عند اضطرابها وجزعها من خوف فوات
الرزق الذي قسم الله لهم فيقولون الذي يقدر على
ان يصير تلك الحجارة ذهبا كما هو ذا ننظر اليه البشر يقادر

ان

نصر

ان يصير تلك الحجارة ذهبا يسوق اليك رزقك
من حيث لا تحتسبه فيحتجوا بذلك على تصحيح نفوسهم عند فوت
الرزق وينقطعون بذلك عن ترجح نفوسهم فيكون ذلك سببا
لرياضتها وتاديبا لها قال ابو نصر وقد حكى لنا ابن
سالم في معنى ذلك حكاية عن سهل بن عبد الله رضي الله
عنه انه قال كان رجل بالبصرة يقال له ابن سحق بن احمد وكان
من ابناء الدنيا فخرج عن الدنيا اعني عن جميع امواله وتاب
وصحب سهلا فقال يوما لسهل يا ابا محمد ان نفسي هذه لست
تترك الضجيج والصراخ من خوف فوت القوت والقوام
فقال له سهل خذ ذلك الحجر وسل ربك ان يصيره لك طعاما
تاكله فقال له ومن امامي في ذلك حتى افعل فقال امامك
عليه السلام حيث قال رب ارني كيف تحيي الموتى قال اولم
تومن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي فالمعنى في ذلك ان النفس
لا تطمئن الا برؤية العين لان جبلتها الشك فقال ابراهيم
رب ارني كيف حتى تطمئن نفسي فاني موقن بذلك والنفس
لا تطمئن الا برؤية العين قال فكذلك الاولياء يظهر الله
لهم الكرامات تاديبا لنفوسهم وتهذيبا لها وزيادة
لها انتهى كلام ابي نصر وقال بعض العلماء ما رايت هذه
الكرامات الا على ايدي البله من الصديقين وكان رجل
يصحب سهل بن عبد الله فقال له يوما ربما اتوضو للصلوة
فيسيل الماء من بين يدي قضبان ذهب وقضبان فضة

وتاب

مطلب في قلب الحجر طعاما او ذهبا وفوران الماء الى اخر الحكاية

تحيي الموتى

فقال سهل أما علمت أن الصبيان إذا بكوا أعطوا
خشخاشة ليشتغلوا بها وفي حكاية جعفر الخلدي عن
الجنيد قال جائني أبو جعفر النيسابوري مرة ومعه جاءني
عبد الله ومعه جماعة وكان فيهم رجل أصلع قليل
الكلام فقال يوما لأبي جعفر كان فيمن مضى لهم
الآيات الظاهرة يعني الكرامات وليس لك شيء من ذلك
فقال له أبو جعفر تعال فجاء به إلى سوق الحدادين إلى
كير عظيم محمى فيه حديدة عظيمة فأدخل يده في الكير
فأخذ الحديدة المحماة فأخرجها فبردت في يده فقال
له يجزيك هذا قيل لبعضهم عن معنى إظهار ذلك من
نفسه فقال كان مشرفا على حاله فخشي على حاله أن يتغير
عليه إن لم يظهر له ذلك فخصه بذلك شفقة عليه وصيانة
لحاله وزيادة لإيمانه بل ربما نفر عنها العارفون
ويخاف منها المحققون قال بعض السلف المكر ما يخادع
به الأولياء الكرامات والمعونات وذكر عن أبي حفص
أو غيره أنه كان جالسا وحوله أصحابه فنزل ظبي
من الجبل فبرك عندهم قال فبكى أبو حفص فقيل عن بكائه
فقال كنتم حولي فوقع في قلبي أن لو كان لي شاة لذبحتها لكم
فلما برك هذا الظبي عندنا شبهت نفسي بفرعون حين سأل الله
أن يجري معه النيل فأجراه معه فبكيت وسألته ألا يقاله
مما تمنيت وسببت للظبي وحكي أن بعض الأبدال قال لتلميذ
من

من تلاميذ الشيخ أبي مدين ما بالنا بعثنا على عليتنا شي
وهو نعتنا على عليه إقبال الأمور مع أنا نتمنى لمقامه
ولا يتمنى مقامنا فبلغ ذلك الشيخ أبا مدين فقال له تركنا
مرادنا لمراده وعن بعضهم أنه كان يسير في البادية
فانتهى إلى بير فإذا الماء ارتفع إلى رأس البير فقال
أنا أعلم أنك قادر على هذا ولكن لا أحتمله فلو قبضت لي
بعض الأعراب ليصفعني صفعات ويسقيني شربة ما كان
أسلم لي ثم اعلم أن ذكر الرفق يومئ جهته قال يحيى
بن معاذ الرازي إذا رأيت الرجل يشير إلى الكرامات
والآيات فطريقه طريق الأبدال وإذا رأيته يشير إلى
الآلاء والنعماء فطريقه طريق المحبين وإذا رأيته يشير
إلى الذكر ويكون معلقا بالذكر الذي ذكر فطريقه طريق
العارفين وهو أعلى درجة من جميع الأحوال وقال أبو
يزيد كنت في بدايتي يريني الحق تعالى الكرامات والآيات
ولا ألتفت إليها فلما رأى ذلك جعل لي إلى معرفته سبيلا
لا يستحقر الورد إلا جهول الوارد يوجد في الدار الآخرة
والورد ينطوي بانطواء هذه الدار وأولى ما يعتنى
به ما لا يخلف وجوده الورد هو طالبه منك والوارد
أنت تطلبه منه وأين ما هو طالبه منك مما هو مطلبك منه
الورد عبارة عما يقع بكسب العبد من عبادة ظاهرة
أو باطنة والوارد هو الذي يرد على باطن العبد من

لطائف وأنوار فينشرح بها صدره ويستنير بها سره
فالورد ما هو من العبد للحق تعالى من معاملة وعبودية
والوارد ما هو من الحق سبحانه للعبد من لطف وكرامة والورد
آكد ما يعتني به العبد ويراعيه من الوارد لوجهين
أحدهما أن الورد مختص بهذه الدار لا يقع إلا فيها فهو
منقطع بانقطاعها وفان بفنائها فينبغي للعبد أن يستكثر
من الأوراد قبل فوات أوانها إذ لا يمكنه خلفها إذا فات سنها
والثاني أن الورد هو حق الحق منك والوارد هو حظك
منه وقيامك بحقوقه عليك أولى وأليق بالعبودية من
طلب حظوظك ووقوفك معها فإذا ثبتت مزية الورد على
الوارد باعتبار العبد وكان اختياره من نهاية
الحمد وكان مستحقه هو الحق كما قال في لطائف المنن
اعلموا أن الله أودع أنوار الملكوت في أصناف الطاعات
فأي من فاته من الطاعة صنف أو أعوزه من الموافقة
جنس فقد فقد من النور بمقدار ذلك فلا تهملوا شيئا
من الطاعات ولا تستغنوا عن الأوراد بالواردات
ولا ترضوا لأنفسكم بما رضي به المدعون أجرى الحقائق
على ألسنتهم وخلت أنوارها من قلوبهم وإن الحق بحكمته
جعل الطاعة الجارية على العباد متنوعة لما به الغيب
ثم قام بالطاعة والمعاملة بشرط الأدب لم يحتجب الغيب
عنه ولتطهر من العيب بفتح له باب الغيب ولا تكن
من

وإنما يحجب الغيوب وجود العيوب صح

من يطلب الله لنفسه ولا يطالب نفسه لله فذلك حال
الجاهلين الذين لم يفهموا عن الله ولا واجههم
المدد من الله والمؤمن ليس كذلك بل المؤمن يطالب
نفسه لربه ولا يطالب ربه لنفسه فإن توقف الوقت
عليه استنكا أدبه ولا يستبطئ مطلبه ثم ذكر كلاما كثيرا
وفي كلامه رحمه الله تنبيه بما ذكرنا تأكد أمر الأوراد
وعظم موقعها من الدين وأن مراعاتها من أحسن
سمات العارفين وقد رؤي الجنيد وفي يده سبحة فقيل
له أنت مع شرفك تأخذ بيدك سبحة فقال سبب وصلنا به
إلى ما وصلنا لا نتركه أبدا وكان يدخل كل يوم حانوته
ويسبل الستر ويصلي أربعمائة ركعة ثم يعود إلى بيته
ورؤي بعد وفاته في المنام فقيل ما فعل الله بك فقال طاحت تلك
الإشارات وفنيت تلك العبارات وأبيدت تلك الرسوم
وغابت تلك العلوم وما نفعنا إلا ركعات كنا نركعها
في السحر وحكى أبو محمد الجريري قال كنت عند الجنيد رضي
الله عنهما في حال نزعه وكان يوم جمعة ويوم نيروز
وهو يقرأ القرآن فختم فقلت في هذه الحالة يا أبا القاسم
فقال ومن أولى مني بذلك وهو ذا تطوى صحيفتي
وقال أبو الحسن السراج ذكر الجنيد أهل المعرفة بالله
وما يراعونه من الأوراد والعبادات بعد ما
حفهم به من الكرامات فقال الجنيد العبادة على

العارفين احسن من التيجان على رؤوس الملوك وقال
ابو بكر العطار حضرت الجنيد عند الموت في جماعة من اصحابنا الجنيد ح
قال وكان قاعدا يصلي ويثني رجله اذا اراد ان يسجد
فلم يزل كذلك حتى خرجت الروح من رجليه فثقل عليه حركتهما
فمد رجليه فراه بعض اصحابه فبين حضره ذكر الوقت
وكانت رجلاه قد تورمتا فقال ما هذا يا ابا القاسم
فقال هذه نعم الله اكبر فلما فرغ من صلوته قال له
ابو محمد الجريري يا ابا القاسم لو اضطجعت فقال يا ابا
محمد هذا وقت منة الله اكبر فلم يزل ذلك حاله حتى منية ح
مات رحمة الله عليه ورضوانه وقال الخضيري الناس الخضيري ح
يقولون الموت لا تقول بالنوافل وعلى اوراد من حال الفنا
لو تركت منها ركعة لعوتبت وقال محمد بن ثابت البناني
لما حضرت ابي الوفاة جعلت القنه الشهادة فقال لي
يا بني دعني فاني في وردي السابع قال ابو طالب المكي
ومداومة الاوراد من اخلاق المؤمنين وطريق العابدين
وهي مزيد الايمان وعلامة الايقان وفي الخبر
عائشة رضي الله عنها سئلت عن عمل رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقالت كان عمله ديمة وفي لفظ اخر كان اذا عمل
عملا اتقنه واثبته وفي الخبر المشهور احب الاعمال الى الله
تعالى ادومها وان قل وجاء في الاثر كلام تارة يروى
عن الحسن بن علي وتارة عن البصري ومرة عن عائشة رضي الله

قوله ديمة اي كان اذا عمل عملا يواظب عليه دوما

عنهم

عنهم وبعضهم يحكيه عن النبي صلى الله عليه وسلم في المنام
من استوى يوماه فهو مغبون ومن كان يومه شرا
من امسه فهو محروم ومن لم يكن في مزيد فهو في نقصان
ومن كان في نقصان فالموت خير له وقد يكون اختيار الورد
من المكر والاستدراج للعبد ويكون مبدا ذكر ان
تلوح له خيالات وتظهر له صور كرامات توجب له اعجاب
حاله واختيار بطالته وفي ذكر رفض العبودية بالكلية
وهو امارة لوجود الطرد والبعد والعياذ بالله
وصاحب هذا عظيم الجهالة شديد العماية والضلالة
وقال الجنيد لرجل ذكر المعرفة فقال الرجل اهل المعرفة
بالله يصلون الى ترك الحركات من باب البر والتقرب فقال
الجنيد ان هذا قول اقوام تكلموا باسقاط الاعمال وهذه
عندي عظيمة والذي يسرق ويزني احسن حالا من الذي يقول
هذا وان العارفين بالله اخذوا الاعمال عن الله واليه
راجعون فيها ولو بقيت الف عام لم انقص من اعمال
البر ذرة الا ان يحال بي دونها وانه لاوكد في معرفتي
واقوى في حالي قال السهروردي في كتاب عوارف المعارف
فاما من تعوق بخيال او قنع بمحال ولم يحكم اساس
خلوته بالاحكام فيدخل الخلوة بالزور ويخرج بالغرور
فيرفض العادات ويستحقرها ويسلبه الله لذة المعاملة
ويذهب عن قلبه هيبة الشريعة ويفتضح في الدنيا فيعلم

الصادق ان المقصود من الخلوة التقرب الى الله
تعالى بعمارة الاوقات وكف الجوارح عن المكروهات بعينها
فيصلح للقوم من ارباب الخلوة ملازمة الاوراد وتوزعها
على الاوقات ويصلح للقوم ملازمة ذكر واحد ويصلح لقوم
دوام المراقبة ويصلح لقوم بالانتقال من الذكر الى الاوراد
ولقوم الانتقال من الاوراد الى الذكر انتهى ما يتعلق
بغرضنا من كلام السهروردي وهو مناسب لما ذكره المؤلف
رحمه الله وللتبيين من هذا المعنى ما روي عن سليمان الداراني
واحمد بن عاصم الانطاكي انهما قالا اذا صارت المعاملة الى
القلوب استراحت الجوارح وان كان لها اثره من هم
فان ابا نصر السراج قدره بعد ان حكاه عن ابي سليمان
الداراني فقال هذا والذي قاله ابو سليمان يحتمل معنيين احدهما
انه اراد بذلك استراحة الجوارح من المجاهدات والمكابدات
من الاعمال اذا اشتغل بحفظ قلبه ومراعاة سره من
الخواطر المشغلة والعلائق المذمومة التي تشغل عن ذكر الله
تعالى بقلبه ويحتمل ايضا انه اراد بذلك ان يتمكن من المجاهدة
والاعمال والعبادة ويستانس بها ويستلذ بها بقلبه ويجد
حلاوتها ويسقط عنه التعب ووجود الالام التي كان يجدها قبل
ذلك انتهى كلام ابي نصر ومعناه صحيح والله اعلم وبه التوفيق
ورود الامداد بحسب الاستعداد شروق الانوار على
حسب صفاء الاسرار ورود الموارد الامدادية من الله

تعالى

تعالى على قلب عبده بحسب القوة الاستعدادية المجعولة
فيه وشروق الانوار اليقينية على حسب صفائه من كدر
التعلق بالاثار والركون الى الاعمال الغافل اذا اصبح
نظر ماذا يفعل والعاقل ينظر ما يفعل الله به اول خاطر
يرد على العبد هو ميزان توحيده فالغافل اذا اصبح اول
خاطر يرد نسبة الفعل الى نفسه فيقول ماذا افعل اليوم
فيشتغل بتدبير نفسه مصروفا عن النظر الى مولاه وذلك
لوجود غفلته عنه فهو حقيق بان يكله الله الى نفسه
فيتشتت عليه قلبه وينتقض عليه مراده والعاقل اول خاطر
يرد عليه نسبة الفعل الى الله تعالى فيقول ماذا يفعل
الله بي فهو ناظر الى الله تعالى والى ما يرد عليه وذلك
لوجود عقله ودوام يقظته فلاجرم يكفيه الله تعالى
الاعمال ويفرغه من جميع الاشغال ويرضيه ويغنيه
بما يقيمه فيه من الاعمال او يورده عليه من الاحوال وهذه
سعادة عظيمة ومنة من الله تعالى لمن والاه من جميع عباده
جسيمة قال عمر بن عبد العزيز اصبحت ومالي سرور الا في
مواقع القدر وقال ابو عثمان منذ اربعين سنة ما اقامني
الله تعالى في حال فكرهته ولا نقلني الى غيره فسخطته ومن
اجمل ما رايت في هذا المعنى الذي ذكره المؤلف رحمه الله
وما يصلح ان يحذو على مثاله كلاما قاله متصوف ما ذكر الشيخ
ابو القاسم عبد الرحمن الصقلي في كتاب صفة الاولياء

مطلب في حكاية عجيبة في تفويض جميع الامور لله تعالى

ومن اتباع احوال الاصفيا ما سنده الى ايوب بن بشر الطالقاني
قال حدثنا رجل من اصحابنا قال رايت رجلا في مرج الديلم
ليس معه شي فدنوت منه فسلمت عليه فرد علي السلام فقلت
يرحمك الله اين تريد قال ما ادري قلت ارايت احدا
يريد مكانا لا يدري اين يذهب فقال انا واحد فقلت
اين تلتمس تنوي قال الى مكة فقلت تنوي مكة ولا تدري
اين تذهب قال نعم وذلك اني كم مرة اردت ان اذهب
الى مكة فيردني الى طرسوس وكم مرة اردت طرسوس
فيردني الى شاذان فيبعثني الى مكة ولا ادري قلت فمن
اين المعاش قال لا ادري قلت اخبرني بالطف ذلك
قال من حيث يريد يجيعني مرة ويشبعني مرة ويكرمني
مرة ويهينني مرة ومرة يقول لي ما على الارض ازهد منك
ومرة يقول لي انت لص ومرة ينومني على الفراش
ويطعمني الطيب ويدهن راسي ويكحل عيني ومرة
يطردني الطرد العنيد ولا ينومني الا عند النواويس هي المزابل
قلت يرحمك الله من يفعل ذلك بك قال الله عز وجل
قال فالتقاني بحر فقلت اخبرني رحمك الله كيف هذا قال
انا رجل اسير نهاري فاذا جاء الليل بت فربما اواني
الليل الى قرية فاذا نظر اهلها قال بعضهم لبعض هذا
لص لا تدعوه يبيت في هذه القرية فاذا
صلينا العشاء الاخرة يدخل المسجد رجل فيقول يا نايم

عبادان

الفيف

ما قول

فاقول لبيك فيقول بالعنف قم من ههنا ليس لك ههنا موضع
فاقول له نعم وكرامة فاين ابيت الليلة فيقول خارج
القرية عند النواويس فاقول نعم وكرامة ولا يكون لي ماوى
الا عند النواويس فاذا اصبحت سرت فاواني الليل الى قرية
فاذا راى اهلها قال بعضهم لبعض قد ورد علينا الليلة
رجل زاهد خير فاضل فيقول هذا عندي يبيت ويقول هذا
عندي يبيت فاذا صليت العشاء الاخرة فيقول رجل منهم قم بنا
الى البيت فاقول نعم وكرامة وامضي معه الى المنزل فياتيني
بالطعام الطيب ويدهن راسي ويكحل عيني وياتيني بالفراش
اللين فينومني عليه ولا يدع شيا من البر الا فعله بي حتى اصبح
فهذا حالي مع سيدي فقلت رحمك الله متى قدرت ان تدخل
بغداد فان منزلي في موضع كذا وكذا قال فانا قاعد اذا بانسان
يدق الباب فخرجت فاذا انا بصاحبي فسلمت عليه وادخلته البيت
فقلت له ايش صنع بك مولاك قال آخر ما فعل بي ضربني ضربا شديدا
وقال لي يا لص انظر الى ظهره فاذا باثر الضرب عليه فقلت
اي شي القصة قال كان اجاعني جوعا شديدا فلما بلغت الانبار
جئت الى مقثاة قد نبذ فيه المدود المر فقعدت اكل منه فتبصرني
صاحب المقثاة فاقبل الي بعصاه فجعل يضرب ظهري ويقول يا لص
ما اخرب مقثاتي غيرك منذ كم ارصدك حتى وقعت علينا فانا قد
بما رصد قد اقبل مسرعا اليه فاقلب السوط في راسه وقال
تعمد الى رجل زاهد فتضربه ويقال له هذا يا لص قال فلما

حتى نعله حي

باسرع بين ان كنت عنده لصلاة حضرت زاهدا الاكامد تنتك
مقال فاخذ بيده صاحب المشاة لتذهب الى منزله فما
التابشي من الكرامة شيا فاستحليت فخرجت من عنده وجئت البكار
وقد يكون من معنى نظره الى ما يفعل الله به ان ينظر ما يرد
على قلبه من الاشارة من قلبه فيكون اقدامه واحجامه
بوجود بصيرة وحسن توفيق وهذا ميراث شريف اقتضاه
دوام التجاية وصدق افتقاره قال سيدي ابو مدين
قدس الله روحه احرص ان تصبح وتمسي مفوضا متسلما لعله
ينظر اليك بنظر رحمة وقال بعضهم من اهتدى الى الخلق
لم يهتد لنفسه ومن اهتدى الى نفسه لم يهتدي الى الله
فانظر اذا استقبلك شغل فان عاد قلبك في اول وهلة
الى حولك وقوتك فانت المنقطع عنه وان عاد قلبك الى
الله فانت الواصل الى الله وكلام العالم في نفحته وتخصيص
اهل الوصلة بانهم في كنف الولاية لا يكلهم الى غيره
وقد تبين هذا المعنى بعمرة الحديبية وذلك ان النبي صلى
الله عليه وسلم لما صده المشركون فيها عن مكة ومنعوه من
ان يتم بين اظهرهم نسكه رجع في الحال عن تلك
العمرة ولم يتعرض لهم بما يحصل له به في الظاهر عزة
او نصرة بعد ما كان دعي اليه من بيعة الرضوان تحت الشجرة
وما عزم عليه من مناجزة من حاده من الكفرة والحمل في ذلك وحمل
على ما اظهر الله من الايات العظام بعد بروك ناقته لما اراد

تو

توجيههما الى البيت الحرام وقال حينئذ مظهرا لما قصده
ومقررا لما اعتمده لما حبسها حابس الفيل لا يدعوني اليوم
قريش الى خطة فيها صلة الرحم الا اجبتهم اليها فكان كما قال
صلى الله عليه وسلم صالحهم على وضع الحرب فيما بينهم عشر سنين
ليتقلبوا في الارض امنين فلما انتشبت بينهم الصلح
وانزل الله تعالى سورة الفتح ظهرت الفوايد التي تضمنها
ذلك التدبير الحسن وقرت اعين الصحابة رضي الله عنهم
بما امر الله به اليهم من الالطاف والمنن وقد صح بمعنى جميع
ما قلنا الخبر ونقله الينا علماء الحديث والسير وليكن
مطلب دعاء ماثور من دعا صاحب هذا المقام ومناجاته ليتوافق عقده وقوله
مروي عن امامنا الشافعي رضي الله عنه في جميع تصرفاته اللهم اني اصبحت لا املك لنفسي ضرا ولا نفعا
ولا موتا ولا حيوة ولا نشورا ولم استطيع ان اخذ الا ما
اعطيتني ولا ان اتقي الا ما وقيتني اللهم وفقني لما تحبه
وترضاه من القول والعمل في عافية انك ذو الفضل
العظيم وليكن ايضا ما رايته لسيدي ابي الحسن الشاذلي
قدس الله سره اللهم ان الامر عندك وهو محجوب عني ولا علم
لي امر اختاره لنفسي فكن انت المختار لي واحملني في اجمل
الامور عندك واحمدها عاقبة في الدين والدنيا والاخرة
انك على كل شيء قدير انما استوحش العباد والزهاد من كل
شي لغيبتهم عن الله في كل شي فلو شهدوه في كل شي لم يستوحشوا
من شي العباد والزهاد في حجبة عن ربهم لتكرههم لنفوسهم

ومراعاة حظوظهم فهم يفرون من الاشيا ويستوحشون
منها لانها موجودة في نظرهم والزهاد في المزهود
شاهدون له موجود كما قال سيدي ابو الحسن رضي الله
عنه والله لقد عظمتها اذ زهدت فيها فهم يخافون
منها ان تعوق عليهم اغراضهم ونفوسهم من متابعة
بميلهم اليها وافتتانهم بها ولو كانوا من اهل العلم
بالله والمعية له المرموزة كما هو الاشارة لها وكانت لهم
من ذكره قرة اعينهم ما يشغلهم عن رؤيتهم لنفوسهم
فلا يكون لهم من الاشيا وحشة ولا يخشون منها فتنة
فلا يكون لهم لا منها فانية بتلاشيه لهذا الاعتبار
امرك في هذه الدار بالنظر في مكوناته وسيكشف
لك في تلك الدار عن كمال ذاته رؤية العباد لربهم
عز وجل على حسب تجليه لهم ففي هذه الدار يرونه
ظاهرا في المكونات بانوار بصايرهم لما تجلى لهم
من ورا حجابها وبذلك امرهم بالتفكر فيها وفي الدار
الاخرة يرونه معاينة بانوار بصايرهم من غير حجاب
ولا مانع وهذا غاية الظهور والكشف علم منك انك
لا تصبر عنه فاشهدك ما برز منه علم الصبر عنه انه
من وجود الاختصاص بمعرفته وهو حال شريف يقتضي
وجود المعية الاختصاصية والمعية الاختصاصية تقتضي
دوام المشاهدة والحضور والمشاهد الحقيقية غير

منصوره

متصورة في هذه الدار لما هي عليه من الدناءة والنقص
والفناء والزوال فاكرم الله تعالى عبده لعلمه بعدم
صبره عنه بان اشهده ما برز منه من الاثار والكونات
تسلية بالاثر عن النظر فحصلت له حينئذ المعية الاختصاصية
اللايقة بحاله حتى اذا قعد في مقعد الصدق وحصلت
له عندية الحق خلع عليه خلع التقريب والتكريم وواجهه
بوجه التكريم فحصلت له حينئذ المعية الحقيقية
المشاهدة المرموزة وما ذلك على الله بعزيز لما علم
الحق منك وجود الملل لون لك الطاعات وعلم ما
فيك من وجود الشره فحجرها عليك في الاوقات ليكون
همك اقامة الصلوة لا وجود الصلوة فما كل مصل
مقيم تلوين الطاعات لوجود الملل وتحجيرها في الاوقات
لوجود الشره نعمتان عظيمتان انعم الله بهما على عبده
فان الملل والشره آفتان عظيمتان قاطعتان عن العبد
سبيل عبوديته والملل فترة يعرض للانسان من عمل
تلحقه فيه مشقة فيصبر عليه ويتحمل التعب فيه حتى
يضجر ويسام فيترك ذلك العمل ويرفضه استثقالا
له وهو يعرض للمطيع بعد نشاطه للشيء ومحبته
له والشره مجاوزة الحد في التسارع الى العمل والحرص
عليه والذي يوجب وجود الملل المداومة على نمط
واحد من العبادات فتاباها النفس وتستثقلها فاذا
لونت عليها استحلتها واستخفتها وترقا العبد النهر

وسننها ثمر الغيبة عن شهودها برؤية من تصلى له فيخفف عليه
كلام الامر فيما يجري عليه منه وهو عن ملاحظتها محو فنفوسهم كلام
منه مستقبلة القبلة وقلوبهم مستقرة في حقائق الوصلة
وتمثيل المؤلف رحمه الله بالصلوة دون سائر العبادات
حسن لان ذكر ما يقع فيها وقد يكون ذكر استمرار الكلام
على الصلوة جميا يقوله باثر هذا الصلوة مطهرة للقلوب
من ادناس الذنوب كما روي في الحديث الصحيح عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم من قوله انما مثل الصلوة كمثل نهر عذب
غمر بباب احدكم يقتحم فيه كل يوم خمس مرات فما ترون
ذلك يبقي من درنه واستفتاح لباب الغيوب لان القلوب
اذا تطهرت وتنزلت رفع عنها الحجب والاستار فرأت ما غاب
عنها من الاسرار الصلوة محل المناجاة لان فيها يكون
الثنا والدعا والمناجاه مخاطبة الاسرار عند صفا الاكدار
للملك الجبار ومعدن المصافات وهي زوال الاكدار
الكونية بينك وبين ربك حتى يصفو قلبك وسرك فيصفو
حينئذ شهوده ويجي في ذلك شهوده تتسع فيها ميادين
الاسرار حتى تتكاثر عليك في الظهور وتشرق فيها شوارق
الانوار فيكون قلبك مواعد لنور وهذه العبارات ليست
متقاربة ولما كانت هذه الاحوال التي ذكرها المؤلف
رحمه الله من فوايد الصلوة وثمرتها المقصود دونها هو
تحصيلها كما ذكر المؤلف رحمه تعالى لتكمل الدليل على ما قاله
من ان المأمور به انما هو اقامة الصلوة لا وجود الصلوة

لا يصلح النفس اذا كانت موفرة الا ان تنتقل من حال الى حال
ذا الموجب لوجود الشره صلاحية الاوقات كلها لانواع
العبادات فيها مع شره الحرص عليها وعند وجود الشره
يقع النفور والتقصير فيها فلذلك عين لها اوقاتا
توقع فيها واوقاتا لا توقع فيها وذلك هو معنى تحجيرها
في الاوقات فان كانت الملل والشره واقعين في الصلوة
لم يكن الاتي بها مقيما لها لوقوع التقصير منه فيها ولم
يوصف الا باقامة الصلوة لا بوجود صورة الصلوة فقال
قال سيدي ابو العباس المرسي قدس الله روحه كل
موضع ذكر فيه المصلون في معرض المدح فانه انما جا لمن
لمن اقام الصلوة اما بلفظ الاقامة او بمعنى يرجع اليها
قال الله تعالى الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلوة
رب اجعلني مقيم الصلاة اقم الصلوة واقام الصلوة
والمقيمين الصلاة ولما ذكر جنس المصلين بالغفلة
قال فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون ولم يقل
فويل للمقيمين الصلوة فالاقامة انه اذا صلى المؤمن
صلوة فتقبلت منه ~~الصلوة فالاقامة~~ خلق الله من صلوته
صورة في ملكوته راكعة ساجدة الى يوم القيمة
وثواب ذلك لصاحب الصلوة فاقامة الصلوة حفظ
حدودها ظاهرا وباطنا قال ابن عطا اقامة الصلوة
حفظ حدودها مع حفظ السر مع الله تعالى لا يختلج سره
سواه قال الامام ابو القاسم القشيري وهو القيام

باركانها

وان الصلوة المعتبرة انما هي صلوة الخاشعين لا صلوة الغافلين
التي لا تنتهض لبلوغ هذه المقاصد السنية ولذلك كانت
الصلوة ام العبادات واساس الخيرات قال الله تعالى
اقم الصلوة لذكري فاخبر ان الصلوة المراد منها الذكر
وقد روي معنى ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انما فرضت
الصلوة وامر بالحج والطواف واشعرت المناسك لاقامة
ذكر الله تعالى ولذلك كانت قرة عين حبيب الله صلى الله عليه وسلم
على ما ياتي ذكره ان الكلام عليه حيث تعرض المؤلف رحمه الله
وفي بعض الاخبار ان العبد اذا قام الى الصلوة رفع الله
الحجاب بينه وبينه وواجهه بوجهه وقامت الملائكة
من لدن منكبيه الى الهوا يصلون بصلوته ويؤمنون على دعائه
وان المصلي لينثر عليه البر من عنان السما الى مفرق راسه
وينادي مناد لو يعلم المناجي من يناجي ما انفتل وان ابواب
السماء تفتح للمصلي وان الله تعالى يباهي ملائكته بصفوف
المصلين وفي التورية يا ابن ادم لا تعجز ان تقوم بين يدي
مصليا باكيا فانا الله الذي اقتربت من قلبك وبالغيب رايت
نوري فكانوا يرون ان تلك الرقة والبكا وتلك الفتوح
التي يجدها المصلي في قلبه من دنو الرب من القلب وقال
محمد بن علي الترمذي دعا الله تعالى الموحدين الى هذه
الصلوات الخمس رحمة منه عليهم وهيا لهم فيها الوان
الضيافات لينال العبد من كل قول وفعل شيئا من عطاياه
والافعال كالاطعمة والاقوال كالاشربة وهي عرس الموحدين
هياها

هياها رب العالمين لاهل رحمته في كل يوم خمس مرات
حتى لا يبقى عليهم دنس ولا غبار وقال ابو طالب المكي رحمه
الله حدثت ان المؤمن اذا توضا للصلوة تباعدت عنه
الشياطين في اقطار الارض خوفا منه لانه يتاهب للدخول
على الملك فاذا كبر حجب عنه ابليس وضرب بينه وبينه سرادق
لا ينظر اليه وواجهه الجبار بوجهه فاذا قال الله اكبر
اطلع الملك في قلبه فاذا كان ليس في قلبه اكبر من الله فيقول
الملك صدقت الله في قلبك كما تقول قال فيتشعشع من قلبه
نور يلحق بملكوت العرش فيكشف له بذلك النور ملكوت
السموات والارض ويكتب له حشو ذلك النور حسنات
قال وان الغافل الجاهل اذا قام الى الوضوء احتوشته
الشياطين كما تحتوش الذباب على نقطة العسل فاذا كبر اطلع
الملك في قلبه اذا كان شيء في قلبه اكبر من الله عنده فيقول
الملك كذبت ليس الله في قلبك كما تقول قال فيثور من قلبه
دخان يلحق بعنان السماء فيكون حجابا لقلبه عن الملكوت
قال فيزداد ذلك الحجاب بصلوته وتلتقم الشياطين قلبه ولا تزال
تنفخ فيه وتنفث وتوسوس اليه وتزين له حتى ينصرف
من صلوته لا يعقل ما كان فيها ومعاني هذه الاخبار والاثار
موافقة لمعنى ما ذكره المؤلف رحمه الله تعالى ودالة
عليه فلذلك اوردتها ههنا والله ولي التوفيق برحمته
فصل اعلم ان من اراد ان يعلم وجود الضعف منه فعليه ان اراد دفعها وعلم احتياجه الى
هذا ان يفتقر الى الله تعالى الذي هو دون غيره فيتقلبه ان اراد دفعها

بان جعل الخمسين خمسة وذلك تخفيف عنه لما علم من وجود
ضعفه وتكثير اجر الدنيا بان جعل لخمسة ثواب خمسين وذلك
تفضل منه عليه اذ كان محتاجا اليه فله الحمد والشكر
على ذلك وهذه المعاني مذكورة في حديث الاسرا **متى طلبت**
عوضا على عمل طولبت بوجود الصدق فيه ويكفي المريب
وجدان السلامة تقدم ان العمل لاجل حصول الجزا مدخول
ومعلول وحكينا هنالك من الاثار والحكايات عن العارفين
وارباب القلوب ما فيه مقنع وقد ذكر المولف رحمه الله
هذا المعنى في مواضع متفرقة من هذا الكتاب وما ذكره ههنا
تقبيح لطالب الجزا على العمل ومعنى ما ذكره ان العمل على هذا
الوجه معرض للمطالبة لانه اذا طالب ربه بالجزا عليه طالبه
ربه بوجود الصدق فيه والصدق الوفا بحقه في العمل وادا
توفية ذلك مع كونه طالبا للحظ من ربه متهم لانه لا مرتب
فيكفيه وجدان السلامة من غير مزيد عليها قال الواسطي العبادة
الى طلب العفو عنها اقرب منها الى طلب الاعواض عليها وقريب
منها قول الشاذلي رحمه الله العبادات الى طلب الصفح والعفو
عن تقصيرها اقرب الى طلب الاعواض والجزا عليها وقال
جبر النساج رحمه الله ميراث اعمالكم ما يليق بافعالكم
فاطلبوا ميراث فضله فانه اتم واحسن قال الله تعالى قا
قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون
لا تطلب عوضا على عمل لست له فاعلا يكفي من الجزا على
العمل ان كان له قابلا النفوذ بخلق اعمال العباد واختيار عملها
هو الله تعالى فكيف يطلب العبد الجزا على عمل لا مدخل له فيه
على

الحقيقة ومعنى كون القبول جزا قد تقدم **اذا اراد الله**
ان يظهر فضله عليك خلق ونسب اليك فضل الله تعالى
عظيم فاذا اراد ان يظهره عليك خلق لك الطاعة وحلاك
بها ونسبها اليك وقال لك يا عبدي انت مطيع ومتق ومجتهد
وعامل وسأثيبك على ذلك فاذا شهد العبد هذا الفضل
العظيم واحتوى عليه الخجل والحيا من سيده الكريم وانطلق
لسانه في هذه الحال بالدعا والسؤال وقال يا رب كما تفضلت
علي بخلق الطاعة لي وحليتني بها ووصفتني بصفات جميلة
انا خلي عنها في الحقيقة ووعدتني مع ذلك جزيل الثواب والنجاة
من العقاب فتقبل مني عملي واجزني ما وعدتني كان في ذلك
مصيبا والا فلا يحقق العبد انه لا ينسب لنفسه شيا من محاسن
الصفات ومحاسن الاعمال اذ لا اهلية فيه لذلك واما نسبة
هذه الصفات والاعمال ومساويها فمقتضى الادب ان يضيف
ذلك الى نفسه وان يعرف بان ذلك من ظلمه وجهله قال سهل
بن عبد الله رضي الله عنه اذا عمل العبد حسنة وقال انا يا رب
بفضلك عملت وانت اعنت وانت سهلت شكر الله تعالى ذلك
له وقال يا عبدي بل انت اطعت وانت تقربت واذا نظر
الى نفسه وقال انا عملت وانا اطعت وانا تقربت اعرض الله
تعالى عنه وقال يا عبدي انا وفقت وانا اعنت وانا سهلت
واذا عمل سيئة وقال يا رب انت قدرت وانت قضيت
وانت حكمت غضب المولى جل قدرته عليه وقال له يا عبدي
بل انت اسأت وانت جهلت وانت عصيت واذا قال يا رب
انا ظلمت وانا اسأت وانا جهلت اقبل المولى جل قدرته

لحكم مذام
حقيقة ولا ادبا ح

عليه وقال يا عبدي انا قضيت وانا قدرت وقد غفرت
وقد حلمت وقد سترت لا نهاية لمذاهبك ان ارجعك
اليك ولا تفرغ من الحركات الخارجة عليك من ارجعه
الحق تعالى الى نفسه ووكله الى عقله وحسه فقد طرده
عن بابه وابعده من جنابه وكانت احواله مرذولة معلولة
واعماله مستقبحة مرذولة ومن ارداه اليه واخرجه عليه
فقد اصطفاه لنفسه ورفعه الى حضرة قدسه وكانت احواله
حسنة جميلة واعماله كلها ممدوحة مقبولة كما قال ∘ لما
انتسبت الى جمالك تعرفت ∘ ذاتي وصرت انا ولا انت انا ∘
كن باوصاف ربوبيته متعلقا وباوصاف عبوديتك
متحققا التعلق باوصاف الربوبية ان تشهد وجود كل
لوازم وجودك لا شريك جميع ذلك لك ولا منك وانما
هو عواري عندك فلا ترى وجودك الا بوجوده ولا بقاءك
الا ببقائه ولا عزتك الا بعزته ولا قدرتك الا بقدرته
ولا تمامك الا بغناه الى غير ذلك من الاوصاف ولا يتم لك ذلك
الا بان تتحقق المذكورات متلازمان بل هما شي واحد
لا تعدد فيهما على التحقيق منعك ان تدعي ما ليس لك مما
هو للمخلوقين افيبيح لك ان تدعي وصفه وهو رب العالمين
اورد هذه الكلمة كالدليل على ما ذكره انفا من انه لا حظ للعبد
من صفات مولاه الا التعلق بها فقط وان ادعاه شيا منها من
كباير معاصي القلب ومن مشاركة المربوب للرب ومن
مقتضى الغيرة التي اتصف بها واعلمنا بشانها على لسان رسول
الله صلى الله عليه وسلم حيث قال ما احد اغير من الله تعالى ومن
غيرته

غيرته انه حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن تحريم ذلك
على العبد والتنبيه عليه باستحقاق الطرد والبعد ومن افحش الفواحش
عند العارفين وجود شي من الشركة في قلب العبد
بادعاء شي من اوصاف الربوبية لنفسه عقدا او قولا لان
ذلك منازعة له وتكبرا عليه وفي حديث ابن عباس رضي الله
عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل
الكبرياء ردائي والعظمة ازاري فمن نازعني في واحد
منهما القيته في النار ومعنى المنازعة الدعوى قولا وعبارة
او ضمارا وفعلا واشارة ومعنى الغيرة في حقه سبحانه وتعالى
انه لا يرضى بمشاركة غيره فيما اختص به من صفات الربوبية
وفيما هو حق له من الاعمال الدينية واذا كان الحق تعالى
مانعا لك ومحرما عليك ان تدعي ما ليس لك مما اعطى من
المخلوقين من الاموال وسمى ذلك ظلما وعدوانا فكيف يبيح
لك ان تدعي وصفه وهو رب العالمين لا شريك له لا انت
ولا غيرك فهو اذن من اعظم الظلم واشد العداوة عافانا
الله من ذلك قلت وهذا المعنى هو ~~الغرض الاقصى~~ الذي
قصده المؤلف رحمه الله بهذه المسالة هو الغرض الاقصى
الذي هو منتهى نظر الصوفية وكلما صنفوه ودونوه
وامروا به ونهوا عنه من افعال واقوال واحوال انما هي
وسايل الى هذا المقصد الشريف والمقام المنيف
وشانهم ابدا انما هو العمل على حوت انفسهم واسقاط
حظوظها بالكلية كما قيل الصوفي دمه هدر وملكه مباح وليس
ذلك هو المقصود لهم بالذات وانما غرضهم من ذلك ما يلزم

عنه انفراد الرب تعالى عنهم بالوجود ولوازم الوجود
انفراد الا يشاركونه في شي منها البته كما ذكره انفا وهذا هو
كيميا السعادة الذى اعوز اكثر الناس وسلم ح لم يحظوا منه الا بالا فالا سير
اذ بذلك يستحق المر عبودية الله عز وجل الذى لا مقام اشرف
منه كما قال الشاعر • الستن لحلفا مني تعنيه شرفا • فما وراكل
له قصد ومطلوب • وبهذا المعنى كانت عندهم دقايق خطرات
الخلوات وخفيات هواجس الهوى وكلما يقتضي نقايص
النفس وثبوتها من محبة المقامات وايثار الالطاف والكرامات
ذنوبا عظيمة واخلاقا سيئة قادحة في صدق العبودية
والاخلاص للربوبية فيتوبون من جميع ذلك الى ربهم
ويتعوذون به من شرهم ويخافون من سالفته ومسائلة حكمه
غايته البعد ونهاية المكر والطرد كما قيل • اذا قلت
ما اذنبت قالت مجيبة • وجودك ذنب لا يقاس به ذنب •
ذكر انه كان لبعضهم مملوك نيا زعه على احكامه شكاله
واقرانه فشكا اهل اقليم عاملهم الى الملك فقال تخيروا
من شيتم اوليه عليكم فاختاروا ذلك العبد لما رواميل الملك
اليه فقال الملك راجعوه فان اختار الولاية وليته عليكم
فرغب الغلام في الولاية فامر بكتب المنشور وامر باستقباله
اذا وافى محل ولايته والمبالغة في الحافد بانواع الكرامات
والمبار (؟) ودست بريش عليه ما اورد فيه ثم امر من يقول
اذا اشرف على الموت هذا جزا من اختار الولاية على خدمة ح مولاه
ففي هذا عبرة لاولى الابصار وتبصرة لارباب الاعتبار والى
هذا المعنى الجليل المودي الى سوء السبيل تشير الحكاية

المشهوره

المشهوره المروية عن ابى يزيد حديث يحيى بن معاذ انه
راى ابا يزيد فى بعض مشاهداته من بعد صلوة العشا
الى طلوع الفجر مستوفزا على صدره وقدميه رافعا اخمصيها
مع عقبيه عن الارض ضاربا بذقنه على صدره شاخصا
بعينيه لا يطرق قال ثم سجد عند السحر فاطال ثم قعد
فقال اللهم ان قوما طلبوك فاعطيتهم المشي على الما
والمشي في الهوا فرضوا بذلك واني اعوذ بك من ذلك
وان قوما طلبوك فاعطيتهم كنوز الارض فانقلبت لهم
الاعيان فرضوا بذلك واني اعوذ بك من ذلك واني
اعوذ بك من ذلك حتى عد نيفا وعشرين مقاما من كرامات
الاوليا ثم التفت فراني فقال يحيى قلت نعم يا سيدى
حدثني بشي قال احدثك بشي يصلح لك ادخلني في الفلك الاسفل
فدورني في الملكوت السفلى فاراني الارضين وما تحتها
الى الثرى ثم ادخلني في الفلك العلوى فطوفني في السموات
واراني ما فيها من الجنان الى العرش ثم اوقفني بين يديه
فقال سلني اي شي رايت حتى اهبه لك فقلت يا سيدى
ما رايت شيا استحسنته فاسالك اياه فقال انت عبدي
حقا تعبدني لي صدقا لافعلن بك ولافعلن بك وذكر اشيا فقال
يحيى بن معاذ فهالني ذلك فامتلات به وعجبت منه فقلت
يا سيدى لم لم تسالك المعرفه به وقد قال لك ملك الملوك
سلني ما شيت قال فصاح صيحة وقال اسكت ويلك غيرة عليه

وان قوما طلبوك فاعطيتهم طي الارض فرضوا بذلك واني اعوذ بك من ذلك وان قوما طلبوك فاعطيتهم علم الخطوا فرضوا بذلك صح

منه لا احب ان يعرفه سواه قال الشيخ ابو طالب المكي
رحمه الله بعد ان حكى هذه الحكاية فهذا حال عبد غاب
عن نفسه ماخوذا بذات ربه عز وجل موجودا لها في مقامه
في المقامات فقصرت عن وصفه الصفات وحق له اذ النظر
الى الحبيب الذي حسنت المحاسن كلها من حسنه وتزانت
الزينات جميعها بعد النظر الى زينته وشهد الجمال
الذي تجمل الجمال والمتجملون بجماله ان لا يستحسن سواه
وكيف يحب غيرهما استحسنا وتزين في عينه الا اياه
ام كيف ينظر غير اياه ام كيف يطلب عنده احد ويصبر
مع غير ما طلب بل كيف يهتم بغير ما طلب فهذا نعت عبد
مطلوب بعين ما طلب ووصف شخص محبوب بعين ما احب قال تعالى
الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس انتهى وفي
الاشارات عن الله تعالى يا عبدي اعزل نفسك ينعزل معها عندك
الملك والملكوت فتلحق الدراريف بالملك وتلحق العلوم
بالملكوت فتكون عندي من وراء ما ابدي فلا يستطيعك
ما ابدي لانك عندي واذا كنت عندي كنت عبدي واذا كنت
عبدي كانت عليك منزلتي فلا يستطيعك ما ابدي وان ارسلته
اليك لانه منزلي عليك والى منزلي عليه فاذا جاءك
لم يطقك فاوقد تكرمته فتاذب انت له والعبارات عنهم
في هذا المعنى خارجة عن الحظر لحصر فيما رسمناه منها الكفاية
وانما ذكرنا هذه المعاني وان كانت في الظاهر اعلى من
ان بيننا ولولا كلام المولف رحمه الله تعالى لان مرجع امرنا اليها

اذا

اذا دققنا فيه النظر وتصرفنا فيه بوجوه الفكر وكان باطنه
هو المقصود المعتبر وكلام الصوفية كثيرا ما يجري في هذا
المجرى والله تعالى يجزيهم عنا خيرا ويمن علينا بالفهم عنهم
ويشرح صدورنا باستماع ما يرد منهم ويبدوا عليهم
بمنه وفضله **كيف تخرق لك العوايد وانت لم تخرق**
من نفسك العوايد خرق العوايد بانكشاف عالم الغيبة
لا يكرم الحق سبحانه به الا من خرق عوايد نفسه وفني عن ارادته
وحظوظه فمن لم يصل الى هذا المقام لا يطمع فيها وان ظهر له
ما صورته صورة الكرامة فينبغي له ان يخاف عند ذلك من
الاستدراج والمكر الخفي لا يحب ذكره ولا يطلبه فان طلبه او احبه
فهو دليل على بقايه مع ارادته وحظوظه وعاداته فكيف
تخرق العوايد لمن هذه صفته على سبيل الكرامة وهل هذه
الا محال لا يستقيم قال الشيخ ابو طالب المكي وجميع الانوار
من الغيوب التي وراء الحجب لا استتار لا يظهر عليها الا مطلوب
والمطلوب لا يكون محجوبا عن نفسه مسلوبا فمتى بقيت عليه
من نفسه بقية ونظر الى حركته وسكونه بعينه نظرة خفية
فيسترها عليه رحمة له خافة لو لو تثق بها هلك في حيرة
الهوى وغرق في بحار الدنيا ونفس حبه وعين طلبه اباها
هرجها بدعها واستتارها عنه حتى يكون كارها لظهورها
كراهية ظهور الخلق على معصيته وخايفا منها كخوفه على نفسه
في تظاهرها عليه بهلكته فهنالك حينئذ يبتلى بها ويختبر ليظهر

عنهم وحسن القبول منهم ويفتح اسماعنا للاصغاء اليهم صح

الا

كيف يعمل وكذا الشيخ ابو عبد الله القرشي قال من لم يكن كارها
لظهور الايات وخوارق العادات منه كراهية الخلق لظهور
المعاصي فهي في حقه حجاب وسترها عنه رحمة فاذا من بزخرف
عوائد نفسه لا يريد ظهور شي من الايات وخوارق العادات
له بل تكون نفسه عنده اقل واحقر من ذلك فاذا افنى عن
ارادته جملة وكان له تحقق في روية نفسه بعين الامارة
الحقارة والذلة حصلت له اهلية ورود الالطاف ووجود الاسعاف
وسلك الى مرتبة الصديقين المهيع الناهج وضرب مع اهل
الارادة بالقدح الفالج قال الشيخ ابو العباس بن العريف
اصبحت يوما مهموما فقلت للشيخ ابي القاسم بن رضوان حدثني
بحكاية عسى الله ان يفرج ما بي فقال نعم وصف لي رجل ببعض
السواحل يعرف باي الخيار فقصدته فوجدته على ساحل
البحر فسلمت عليه وجلست فلم يتكلم ولم اكلمه حتى اذا كان
وقت الصلوة اقبل نفر من بعض الاودية متفرقون فاجتمعوا
اليه وتقدم منهم واحد منهم فصلى بهم ثم افترقوا ولم يكلم
احد منهم احدا وجلس الشيخ مكانه وجلست عنده حتى اذا كان
وقت الصلوة اقبل النفر وصلوا ثم انصرفوا احتاجات وقت
صلوة العصر اجتمعوا وصلوا ثم جلسوا بعد ذلك فتذاكروا
في سير الصالحين ومقاماتهم الى قريب الاصفرار ثم
تفرقوا واجتمعوا ثم تفرقوا وجلست عندهم ثلثة ايام وهم
على ذلك ثم وقع في نفسي ان اساله عن مسيلة استفيدها فتقدمت
اليه

مطلب حكاية في معنى المريد والارادة وتحقيقها

العارفين

للمغرب

اليه فقلت ايها الشيخ مسيلة اسالك عنها فقال قال فنظر الجماعة
الي كالمنكرين علي ففزعت منهم فقلت ايها الشيخ متى يعلم المريد
انه مريد قال فاعرض عني ولم يجبني فخفت ان اكون قد
اغضبته فقمت عنه فلما كان في اليوم الثاني قلت لا بد ان
اساله عن المسيلة وعزمت على ذلك فتقدمت اليه وقلت
ايها الشيخ متى يعلم المريد انه مريد فاعرض عني كالاولى
ولم يجاوبني فقمت وعدت في الثالثة وسالته عن المسيلة
بعينها فاجابني وقال لا تقل هكذا انك تريد ان تسال
عن اول قدم يضعه المريد في الارادة فقلت نعم
فقال اذا اجتمع فيه اربع خصال احدها ان تطوى
له الارض وتكون عنده كقدم واحد وان يمشي على
الماء وان يأكل من الكون متى اراد وان لا ترد له دعوة
فعند ذلك يضع اول قدم في الارادة واما متى ما علم
المريد من نفسه انه مريد سقط من حد الارادة قال الشيخ
ابو العباس بن العريف فصحت صيحة كادت نفسي تذهب
معها ثم قلت له اين انا من الارادة يا ابا القاسم وتعجبت
من علو همة هذا الشيخ انتهى واعلم ان اول ما تخرق له
عادة نفسه تسميته باسم مريد مع كونه مسلوب الارادة وما احسن
ما قال الشاعر • تكون مريدا ثم فيك ارادة • اذا لم ترد
شيا فانت مريد • والتحقيق في هذا ان من تمحضت ارادته
لعبودية الله عز وجل بمراعات حقوقه لا لحظ ما وجبت
من ذلك لا ليتوصل به الى نيل حظ له من حظوظه هو الذي يسمى

فقمت

مريدا فلم يسم بذلك الا انه متصفا بالارادة الحقيقية
المتعلقة باشرف المطالب ونهاية الامال والمآرب وذلك
امر وجودي يصح ان يشتق منه اسم لمن قام به ذلك الامر
لا انه يسمى بذلك لاجل ما سلب عنه من الارادة المجازية
المتعلقة بحظوظه لكن لما كان سلب احديهما يقتضي وجود
الاخرى لاقتضاء التواجد صح لذلك ان يطلق اسم
الارادة على ما سلبت منه وتجرد عنه وجوت فيه نظافة
وملاحة وتقية وبهذا يتبين لك صحة كلام ابي يزيد
واستقامته حيث قيل له ما تريد فقال اريد ان لا اريد
فانه ليس بمتحد ولا متناقض كما توهم بعضهم قال في
التنوير واعلم انه قد قال بعضهم ان ابا يزيد لما اراد
ان لا يريد فقد اراد وهذا قول من لا معرفة عنده وذلك ان
ابا يزيد رضي الله عنه انما اراد ان لا يريد لان الله
تعالى اختار له وللعباد اجمع عدم الارادة معه فهو
في ارادته موافق لارادة الله تعالى له ولذلك قال الشيخ
ابو الحسن فكل مختارات الشرع ومرتباته هو مختار لله
ليس لك منه شيء واسمع واطع وهذا موضع الفقه الرباني
والعلم اللدني وهو ارض لتنزل علم الحقيقة الماخوذ
عن الله قال فابان الشيخ بهذا الكلام ان كل مختار الشرع لا ينبغي
اختياره مقام العبودية المبني بعضها على ترك الاختيار
لئلا يخرج عن قانون درك الحقيقة بذلك فيكون ان
الوظايف والاوراد ونوافل السنن ارادتها يخرج بها

العبد

تمام معرفة

١٢١

العبد من صريح العبودية لانه قد اختار فبين الشيخ رحمه الله
تعالى ان كل مختارات الشرع وترتيباته ليس لك منه شيء
فانما انت مطالب ان تخرج عن تدبير نفسك واختيارك
لها لا عن تدبير الله تعالى ورسوله لك فافهم قال فقد
علمت اذا ان ابا يزيد ما اراد ان لا يريد الا ان الله
اراد منه ذلك فلم تخرج هذه الارادة عن العبودية
المقتضاة منه انتهى وقد كان انتاب الكلام في هذا المعنى
حتى اذن بعدم المناسبة بينه وبين المسئلة المنبه عليها
من الكتاب والحديث فيجوز ان تكون بعضه الى بعض لكن
للملكات مقصد ما في هذا التنبيه اغتنام ذكر الفوائد في
مواضعها ومظانها لتقترع مسامع هذا المعنى الغريب فيمتد
اسماع من اراد الله توفيقه ممن بينه وبينه بعد المشرق
من هنا ذلك وكنا سابرين فيه على اوضح المسالك وبالله
تعالى التوفيق **ما الشان وجود الطلب انما الشان**
ان ترزق حسن الادب اذا التزم العبد الطلب جوابه وخطر له
من مولاه ولم يطلب ذلك من غيره فلا يظن انه وفى بما يجب
عليه من حق الربوبية فليس ذلك بالشان المعتبر عند المحققين
وانما الشان ان يتأدب العبد بين يدي مولاه ادبا
حسنا بان يفوض امره اليه ويرضى بما قسم له ولا يطلب
ما ليس له كما يقول المؤلف رحمه الله بعد هذا ويطلب
عبودية ربه منه لا لقصد شيء من حظه فهذان الوجهان
بحسب ادبه ويجب ما له عليه وذلك هو الوفاء بالتحقيق

ما طلب لك شيء مثل الاضطرار ولا أسرع بالمواهب إليك مثل الذلة والافتقار

اضطرار العبد هو أخص أوصاف
عبوديته ولذلك لم يطلب من العبد شيء أحق منه قال أبو محمد
عبد الله بن ... منازل العبودية الرجوع في كل شيء إلى الله تعالى على
حد الاضطرار وفيه أيضا خاصية إجابة الدعاء قال الله تعالى
أمن يجيب المضطر إذا دعاه والاضطرار المطلوب منه أن لا
يتوهم العبد من نفسه شيئا من الحول والقوة ولا يرى
لنفسه شيئا من الأسباب يعتمد عليه أو يستند إليه ويكون
بمنزلة الغريق في البحر والضال في التيه المقفر لا يرى
لغياثه إلا مولاه ولا يرجو لنجاته من هلكته أحدا سواه وقال
بعض العارفين المضطر الذي يقف بين يدي مولاه فيرفع
يديه إليه بالمسألة فلا يرى بينه وبين الله حسنة يستحق بها
شيئا فيقول هب لي يا مولاي بلا شيء والذلة والافتقار أمران
لازمان له وهما موجبان لإسراع مواهب الحق تعالى إلى
العبد المتصف بهما وإليه الإشارة بقوله عز وجل ولقد
نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فذلتهم أوجبت لهم عزتهم
ونصرتهم كما قيل • وإذا تذللت الرقاب تقربا منها
إليك فعزها في ذلها • وقيل حيث أسلمتني الذل والأمر
تلقتني بعين ... قال في لطائف المنن والكتاب للتوفيق
وعلامة صدق الرجوع إليه في كل فعل وترك تحقيق الفقر
والفاقة والانغماس في بحر الذلة والمسكنة بين يديه
واستصحاب ذلك إلى الفراغ من ذكرك أبدا وقد قال سبحانه

ولقد

ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة وقال سبحانه إنما الصدقات
للفقراء والمساكين فلا تدخل جنة بعملك وعلمك وما أعطيت من
نور وفتح فتقول لك قال من خذل فأخبر الله عنه ودخل جنته
وهو ظالم لنفسه قال ما أظن أن تبيد هذه أبدا ولكن ادخلها
كما يبيت لكم ... في أرض لكم ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله
لا قوة إلا بالله وافهم معنى قوله صلى الله عليه وسلم لا حول ولا قوة إلا
بالله كنز من كنوز الجنة وفي رواية أخرى كنز من كنوز تحت
العرش فالترجمة لما هو الكنز المكنون فيها صدق التبري من
الحول والقوة والرجوع إلى حول الله وقوته لو أنك لا تصل
إليه إلا بعد فناء مساويك ومحو دعاويك لم تصل إليه أبدا
ولكن إذا أراد أن يوصلك إليه غطى وصفك بوصفه ونعتك
بنعته فوصلك إليه بما منه إليك لا بما منك إليه الوصول
إلى الله تعالى لا يكون إلا بمحو صفات النفس وقطع علاقات
القلب وشيء من ذلك لا يتصور من العبد من حيث هو لأن ذلك
لجبلته وجبلته ولو لم يكن إلا إرادته وعمله في تحصيل هذا
الغرض بنفسه وهما من جملة المساوي والدعاوي المحتاج
لمحوها قال ... أبو العباس رضي الله عنه لن يصل الولي إلى الله
حتى تنقطع عنه شهوة الوصول إلى الله تعالى يعني انقطاع أدب
لا انقطاع ملل وما ... أبو الحسن رضي الله عنه وأي لو وصول ولن يصل الآخر
الولي إلى الله وبعد شهوة من شهواته أو تدبير من تدبيراته
أو اختيار من اختياراته تلوح الله تعالى عبده وذلك لم يصل
إليه أبدا ولكن إذا أراد الله أن يوصل عبده إليه تولى ذلك
بأن يظهر من صفاته العلية ونعوته القدسية ما يغيب به ذكر

منان بمدده وتقويته عنه ويكون في ذلك علامة على محبته
له كما اشار اليه بقوله في الحديث الصحيح فاذا احببته كنت
سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي
يبطش بها ورجله التي يمشي عليها وعند ذلك لا يكون
له ارادة ولا اختيار الا ما اختاره مولاه واراده فيكون
حينئذ واصلا بما منح الله اليه من الفضل والكرم لا بما من
العبد اليه من الاجتهاد والعمل فجاءت التفضل على من شاء
وقال رضي الله عنه لولا جميل ستره لم يكن عمل اهلا
للقبول العبد مبتلى بنظره الى نفسه وفرحه بعمله من حيث نسبته
اليه وشهود حوله وقوته عليه وهذا لا يحجبه عنه الا ما
شاء ربه وقد يكشف حجابه فيرائي به ويطلب حمد الناس
له وهذا كله من الشرك الخفي القادح في الاخلاص الحقيقي
والاخلاص شرط في قبول الاعمال كما تقدم قال يحيى بن
معاذ رضي الله عنه مسكين ابن آدم جسم معيب وقلب معيب
يريد ان يخرج من معيبين عملا بلا عيب فعمل العبد لما
كان بهذه المثابة لم يكن فيه اهلية لوجود القبول لولا
ستر الله تعالى وعظيم حلمه وبره فليعتمد المريد على فضل
الله تعالى وكرمه لا على اجتهاده وعمله قال الشيخ ابو عبد
الله القرشي رحمه الله اذا طالبهم بالاخلاص تلاشت
اعمالهم واذا تلاشت اعمالهم ازداد فقرهم وفاقتهم
فيبرءوا من كل شيء ومن كل شيء لهم ومنهم انت الى حلمه اذا
اطعته احوج منك الى حلمه اذا عصيته شرف العبد ورفعة قدره
انما يكون بنظره الى ربه عز وجل واقباله عليه وسكونه اليه واعتماده
عليه

نخ وقد لا يكشف

عليه ودناءته وخسته وسقوطه من عين الله تعالى انما يكون
بنظره الى نفسه واقباله على غيره واستناده الى سواه فالعبد
عند عمله بالطاعة معرض لهذه الاخطار من نظره الى نفسه
واستعظام عمله وعجبه بطاعته وسكونه الى معاملته وليته يسلم
فيه من دقائق الرياء والتصنع بخلاف المعصية في جميع هذه الاشياء
فانها تحمله على الحذر والخوف من ربه وتوجب له الاستكانة
والخضوع وشدة الافتقار اليه فلذلك كان العبد الى حلم الله
اذا اطاعه احوج منه الى حلمه اذا عصاه وفي الخبر عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم انه قال اوحى الله الى نبي من الانبياء عليهم
السلام قل للعابدين الصديقين لا يغتروا فاني ان اقم
عليهم عدلي وقسطي اعذبهم غير ظالم لهم وقل للعاصين
الخاطئين لا ييأسوا من رحمتي فانه لا يكبر علي ذنب اغفره
ولهذا المعنى قال ابو يزيد رضي الله عنه توبة المعصية
واحدة وتوبة الطاعة الف توبة الستر على قسمين ستر عن
المعصية وستر فيها فالعامة يطلبون الستر من الله
فيها خشية سقوط مرتبتهم عند الخلق والخاصة يطلبون
الستر منها خشية سقوطهم من نظر الملك الحق العامة يغلب
عليهم شهود الخلق والتصنع لهم والتزين لهم ومحبة
حمدهم وكراهة ذمهم فهم يعملون المعصية ويستخفون
بها ويطلبون الستر من الله عليهم فيها اي في حال كونهم
عاملين بها لئلا يراهم الخلق فيسقطون من اعينهم
وفي امثالهم قال الله عز وجل يستخفون من الناس ولا يستخفون
من الله وهو معهم اذ يبيتون ما لا يرضى من القول قال

الامام ابو القسم القشيري في هذه الاية العالية على قلوبهم
روية الخلق ولا يشعرون ان الحق مطلع عليهم اوليك
الذين وسمهم سمة الله قلوبهم بوسم الفرقة روى
عدي بن حاتم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال
يؤمر يوم القيمة بناس الى الجنة حتى اذا دنوا منها
ونظروا اليها واستنشقوا رائحتها وما اعد الله لاهلها نودوا
ان اصرفوهم عنها فلا نصيب لهم فيها قال فيرجعون بحسرة
ما رجع الاولون بمثلها فيقولون يا ربنا لو ادخلتنا النار
قبل ان تريناها ما اريتنا من ثوابك وما اعددت فيها لاوليائك
كان اهون علينا قال ذلك اردت بكم كنتم اذا خلوتم
بارزتموني بالعظايم واذا لقيتم الناس لقيتموهم مخبتين
تراوون الناس بخلاف ما تعطوني من قلوبكم هبتم الناس
ولم تهابوني اجللتم الناس ولم تجلوني وتركتم للناس
ولم تتركوا لي فاليوم اذيقكم اليم العذاب مع ما حرمتكم
من الثواب وفي بعض الكتب ان لم تعلموا اني اراكم فالخلل
في ايمانكم وان علمتم اني اراكم فلم جعلتموني اهون الناظرين
اليكم وقال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى يعلم
خاينة الاعين وما تخفي الصدور هو الرجل تمر به المراة
فيرى القوم انه يغض بصره فاذا غفلوا نظر اليها ويريهم
انه يغض بصره ويود لو انه اطلع على عورتها ويقدر عليها
وقال ايضا في رواية اخرى هو الرجل يكون في القوم
فتمر بهم المراة فيريهم انه يغض بصره عنها فان راي
من

٣٢
من القوم غفلة لحظ اليها ونظر فاذا خاف ان يفطنوا اغض بصره
فقد اطلع الله من قلبه يود انه نظر الى عورتها هذه حالة شان
المرايين الذين يستخفون بنظر الجبار ويهابون الناس
ان يطلعوا عليهم فيما يرتكبوا من الاوزار والخاصة من
اهل الايمان واليقين براء من هذا الوصف الذميم لا التفات
لهم الى الخلق مدحا ولا ذما وهمتهم مصروفة عن النظر اليهم
والاعتماد عليهم في نفع او دفع ضر وحالهم انما هو القناعة
بعلم الله تعالى ومراقبة نظره فهم يطلبون الستر من الله
عنها في ان يغيبها عن نظرهم ولا يخطرها بقلوبهم فتميل اليها
انفسهم فيعملون بها فيقعوا في مخالفة ربهم والتعرض لمخطه
والسقوط من عينه وشتان ما بين الحالتين والى هذا المعنى
اشار سيدي ابو الحسن في دعايه بقوله اللهم انا نسالك
التوبة ودوامها ونعوذ بك من المعصية واسبابها وذكرنا
بالخوف منك قبل هجوم خطراتها واحملنا على النجاة منها ومن التفكر
في طرايقها وامح من قلوبنا حلاوة ما اجتنيناه منها واستبدلها
بالكراهة لها والطعم لما هو بضدها ومن اكرمه الله بما اكرم
به من ستره فيكن فالحمد لمن ستر لكن الحمد لمن اكرم
وستر كم العبد من الافات والعيوب وستر الله الجميل هو الذي
يحبب الناس اليك فاذا اكرمك احد فلا ينبغي لك ان
ترى لنفسك وصفا محمودا تستحق به الاكرام فتكون جاهلا
بنفسك ولا تحملنك الاغترار روية اكرام الخلق لك لوجود
جهلهم بحالك على ان تحمدهم عليه دون ربك الذي اظهرهم
الى اكرامك وستر عنهم عيوبك واظهر لهم محاسنك فتكون ممن لا

كافر النعمة وسالكا لما يوضع الحكمة في غير موضعه ما صحبك
إلا من صحبك وهو بعيبك عليم وليس ذلك إلا مولاك الكريم خير
من تصحب من يطلبك لا لشيء يعود منك إليه الصاحب
على الحقيقة هو من يريد إحسانه لك ويتم النعمة عليك ولم
يمنعه من ذلك ما يعلم من عيوبك التي تكون بها منكرا وليس
ذلك إلا مولاك وخير ما صاحبك أيضا من يصحبك وآثر
وأراد لك من غير منفعة يرتجيها منك وليس ذلك أيضا إلا مولاك
فاتخذه صاحبا ودع الناس جانبا لو أشرق لك نور اليقين
لرأيت الآخرة أقرب إليك من أن ترحل إليها ولرأيت محاسن
الدنيا قد ظهرت كسفة الفناء عليها نور اليقين تتراءى
به حقائق الأمور على ما هي عليه فيحق به الحق ويبطل الباطل
والآخرة حق والدنيا باطل فإذا أشرق نور اليقين في قلب
العبد أبصر به الآخرة التي كانت غائبة عنه حاضرة لديه
حتى كأنها لم تزل وكانت أقرب إليه من أن يرحل إليها فحقق
بذلك حقيتها عنده وأبصر الدنيا الحاضرة لديه قد انكسف
نورها وأسرع إليها الفناء والذهاب فغابت عن نظره بعد
أن كانت حاضرة فظهر له بطلانها حتى كأنها لم تكن فتوجب له
هذه النظرة اليقينية الزهادة في الدنيا والتجافي عن زهرتها
والإقبال على الآخرة والتهيؤ لحضرتها ووجدان العبد لهذا
هو علامة انشراح صدره بذلك النور كما قال صلى الله عليه وسلم
إن النور إذا دخل القلب انشرح له الصدر وانفتح قيل يا رسول
الله هل لذلك من علامة يعرف بها قال التجافي عن دار
الغرور والإنابة إلى دار الخلود والاستعداد للموت قبل
نزول

نزوله أو كما قال صلى الله عليه وسلم ومن ذلك تموت شهواته
وتذهب دواعي نفسه فلا تأمره ولا تطالبه بارتكاب منهي
ولا يكون له همة إلا المسارعة إلى الخيرات والمبادرة لاغتنام
الساعات والأوقات وذلك لاستشعاره حلول الأجل وفوات
صالح العمل وإلى هذا المعنى الإشارة بحديثي حارثة ومعاذ رضي الله
عنهما روى أنس بن مالك رضي الله عنه قال بينا رسول الله
صلى الله عليه وسلم يمشي إذ استقبله شاب من الأنصار فقال له النبي
صلى الله عليه وسلم كيف أصبحت يا حارثة فقال أصبحت مؤمنا
بالله حقا قال انظر ما تقول فإن لكل قول حقيقة فقال
يا رسول الله عزفت نفسي عن الدنيا فأسهرت ليلي وأظمأت
نهاري فكأني بعرش ربي بارزا وكأني أنظر إلى أهل الجنة يتزاورون
فيها وكأني أنظر إلى أهل النار يتعاوون فيها فقال أبصرت
فالزم عبد نور الله الإيمان في قلبه فقال يا رسول الله ادع الله لي
بالشهادة فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم فنودي يوما في
الخيل يا خيل الله اركبي فكان أول فارس ركب وأول
فارس استشهد فبلغ أمه ذلك فجاءت إلى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقالت يا رسول الله أخبرني عن ابني حارثة فإن
يك في الجنة فلن أبكي ولن أجزع وإن يك غير ذلك بكيت
ما عشت في الدنيا فقال يا أم حارثة إنها ليست بجنة ولكنها
جنة في جنان والحارث في الفردوس الأعلى فرجعت وهي
تضحك وتقول بخ بخ لك يا حارثة وروى بن مالك أنس
أيضا أن معاذ بن جبل دخل على النبي صلى الله عليه وسلم وهو
يبكي فقال له كيف أصبحت يا معاذ قال أصبحت بالله مؤمنا

فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان لكل قول مصداقا ولكل حق
حقيقة فما مصداق ما تقول قال يا نبي الله ما اصبحت الا ظننت صباحا ح
اني لا امسي وما امسيت مساء الا ظننت اني لا اصبح ولا خطوت خطوة قط
الا ظننت الا اتبعها اخرى وكاني انظر الى كل امة جاثية تدعوا
الى كتابها معها نبيها واوثانها التي كانت تعبد من دون الله
وكاني انظر الى عقوبة اهل النار وثواب اهل الجنة قال صلى الله
عليه وسلم عرفت فالزم فهذان الرجلان الفاضلان حارثة
بن ومعاذ بن جبل صدر منهما ما صدر مما ذكرناه من فنون
العبر وشاهدا امر الدارين بمنزلة راي العين فسلمت
اعمالهما من العيوب والافات وحفظا من الهفوات
والسيئات وطهرت منهما الاسرار والقلوب وسارعا في كل
الملك ح امر محبوب وطارت ارواحهما اشتياقا الى لقاء الواحد
الفرد وطابت انفسهما بالموت حتى صار عندهما احلى من الشهد
وكذلك غيرهما من الصحابة وكبار التابعين وائمة الدين
رضوان الله عليهم اجمعين ولقد اجاب معبرا عن حالهم
فاسمع مقال الصادقين مقبولا ان الاولى ما تركوا من دنيا الهوى
وجد والمنية منهم لا معزولا روى انس بن مالك ان
حرام بن ملحان وهو خال انس طعن يوم بير معونة بالرمح
فتلقى دمه بكفه ثم نضحه على راسه ووجهه وقال فزت
ورب الكعبة وكان جبار بن سلمى ممن حضر بير معونة كان ح
مع عامر بن الطفيل ثم اسلم بعد ذلك فكان يقول دعاني
الى الاسلام اني طعنت رجلا منهم فسمعته يقول فزت والله
قال فقلت في نفسي ما فاز اليس قد قتلته حتى سالت بعد ذلك عن
قوله

قوله فقالوا الشهادة فقلت فاز لعمر والله والمطعون ههنا
والله اعلم هو عامر بن فهيرة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
في شان الامراء الثلاثة يوم موتة اخذ الراية زيد فاصيب
ثم اخذها جعفر فاصيب ثم اخذها ابن رواحة فاصيب
ثم اخذها خالد بن الوليد من غير امرة ففتح الله عليه
لكنه قال صلى الله عليه وسلم وما يسرنا انهم عندنا او قال
ما يسرهم انهم عندنا وعيناه تذرفان فلله درهم لقد
حازوا مرتبة مرتضية شريفة ومنزلة عالية منيفة ويقال
لامثالنا الذين عميت البصائر بما يريهم والطمست ابصارهم
في حجبها شموس العوارف ووقعنا في اودية المهالك
والمتالف واغتررنا بهذه الدار الغرارة الفتانة السحارة
فتشبثت بنا مخالبها شباكها وارتكبنا في مغراتها مصايدها واشراكها
من غير شعور منا بحبالها وتزويرها ما لها ولنا في قصدنا اليها
وتعويلنا عليها بمنزلة الظمآن لاح له سراب حسبه ماء
فلما جاءه لم يجد فيه نفعا ولا غنا ثم مع هذا كله ننتسب
الى المريدين وندعي كمال المعرفة واليقين والدخول في غمار
اولياء الله المتقين مع ان احدنا لو خير بين حلول الحين
او البقا في الدنيا مطلقا باستمرار العيش لاختار البقا فيها
على هذه الحالة مع كونه لا يحدث نفسه في اقامة بازدياد
ولا عن معصية بانتقال وهذه كلها اخلاق يهود به لا تليق
بمن ينتسب الى الملة المحمدية قال الله عز وجل مخبرا عن حال
اليهود وكاشفا لاسرارهم وهاتكا لاستارهم ولتجدنهم
احرص الناس على حياة ومن الذين اشركوا يود احدهم لو يعمر

الوسنة وما هو بمزحزحه من العذاب ان يعمر والله
بصير بما يعملون فلو لم ينبه الغافل عن محبة البقاء في هذه الدار
ويامره بايثار دار القرار لاشبهه باليهود الناقضين
للعهود لسنتها وبين باوامر العبود فكان ذكره ابلغ ناهٍ وامر
فنسال عما ورد في ذكره من مواعظ وزواجر نزع الله عن
قلوبنا حجاب الغفلة والغرور وحمانا عن متابعة كل ظلوم
وكفور وحبب الينا لقاه ورزقنا ما رزق اولياه واصفياه
واحباه بمنه وكرمه امين ما حجبك عن الله وجود موجود
معه اذ لا شي معه ولكن حجبك عنه توهم وجود معه
تقدم ان لا موجود سوى الله تعالى على التحقيق وان
وجود ما سواه انما هو وهم مجرد فلا حجاب لك عن الله
تعالى الا توهم وجود ما سواه لا غير فالتوهمات بالجملة
فلا حجاب لك عن الله تعالى اذن وقد استوفى المولى رحمه
الله ذكر جميع الانواع اعتبار ان هذا المعنى قبل هذا قال
لكثايف المعنى وهذه شي بوجود الكائنات اذا نظرت
اليها بعين البصيرة وجود الظلال والظلال لا موجود باعتبار
جميع مراتب الوجود ولا معدوم باعتبار جميع مراتب العدم
واذا ثبتت ظلية الاثار لم تنسخ احدية المؤثر لان
الشي انما يشفع بمثله ويضم الى شكله كذلك ايضا من شهد
ظلية الاثار لم يعوقه عن الله فان ظلال الاشجار في الانهار
لا تعوق السفن عن التسيار ومن هنا يتبين لك ايضا ان
الحجاب ليس امرا وجوديا بينك وبين الله تعالى اذ لو كان
بينك وبينه حجاب وجودي للزم ان يكون اقرب
اليك

اليك منه ولا شي اقرب منه اليه فرجعت حقيقة الحجاب الى
توهم الحجاب فما حجبك عن الله وجود موجود معه وذلك
كرجل بات في مكان وكان البدن فسمع صوت الرياح من
كوة هناك فظنه زئير الاسد فمنعه ذلك من النوم فلما
اصبح لم يجد هناك اسدا وانما نحى اقصعة في تلك الكوة
فما حجبه وجود اسد وانما حجبه توهم الاسد لولا ظهوره
في المكونات ما وقع عليها وجود ابصار لو ظهرت صفاته
اضمحلت مكوناته ظهور الحق سبحانه من وراء حجاب المكونات
هو الذي اوجب ظهورها ووقوع الابصار عليها ولولا وجود
حجابيتها لم يقع عليها ابصار ولتلاشت لوجود التجلي
الحقيقي كما قال لو ظهرت صفاته اضمحلت مكوناته بل لم يكن
هناك مبصر ولا ابصار ولا مبصر كما في الحديث حجابه النار وفي
رواية النور لو كشفها لاحترقت سبحات وجهه
كل من ادركه بصره اظهر كل شي بانه الباطن وطوى وجود كل
شي بانه الظاهر من اسمائه تعالى الظاهر والباطن فاسمه الظاهر
يقتضي ظهور كل شي حتى لا ظاهر معه فينطوي حينئذ وجود كل
شي واسمه الباطن يقتضي ظهور كل شي حتى لا باطن معه فيظهر
اذ ذاك وجود كل شي فالحق تعالى هو الموجود بكل اعتبار
والحمد لله اباح لك ان تنظر ما في المكونات وما اذن لك ان
تقف مع ذوات المكونات قل انظروا ماذا في السموات
ولم يقل انظروا السموات فقال انظروا ماذا في السموات
فتح لك باب الافهام ولم يقل انظروا السموات لئلا يدلك على

امر الله تعالى بالنظر في المكونات ليس لذاتها الا ان ذلك
البعد عن الله تعالى بل لننظر الى ما سواه ولكن نشهد هذا وانما امرهم
بذلك ليتوصلوا بنظرهم فيها اليه لوجود ظهوره فيها والاشارة
الى هذا المعنى في قول الله تعالى قل انظروا ماذا في السموات
والارض والمعنى المقصود في وجود الظرفية ومنها يستفاد وهو
معنى قوله فتح لك باب الافهام فلولا استقلها وقال انظروا
السموات لكان منه دلالة على وجود الاجرام وهي اغيار له
وحجاب البعد منه فكيف يراد ذلك وهو لم ياذن فيه قال
في لطائف المنن فما نصبت لك الكائنات لتراها ولكن لترى
فيها مولاها فمراد الحق منك ان تراها بعين من لا يراها
تراها من حيث ظهوره فيها ولا تراها من حيث كونيتها
قال والثاني هذا المعنى ما ثبت لك المعاني لم ارها لئلا تراها
بعين من لا يراها فارق عنها رقي من ليس ميز بها حالة
دون ان يرى الحجاب مولاها • الاكوان ثابتة باثباته
وممحوة باحدية ذاته • الاكوان من ذاتها عدم محض
كما تقدم وانما حصل لها وصف الثبوت باثبات الله تعالى
لها وحيث وصلها الكونا بالثبوت لها امر عرضي و
عرضت والحق الازل هو وجود احدية الله تعالى واحديته
مبالغة في الوحدة ولا تتحقق الا اذا كانت الوحدة بحيث
لا يمكن ان تكون اشد ولا اكمل منها فمن مقتضى حقيقتها
محو الاكوان وبطلانها بحيث لا توجد اذ لو وجدت لم تكن
احدية ولكان في ذلك تعدد ونسبة كما قال زيد وعمر
واثنى ضد قلت له ليس ذا الكمتوي • فقال ما منك فعلنا • وجود
فقد

وجود فقد وفقد وجد • توحيد حق بترك حق وليوجد
سواه وجود • وقال سيدي من جناب القدس فنائي •
لكن بذاك الغنى عن فقدا عتاني • وردي البقا حتى اغيب
عن جمال حضرته لكاد لعيان • ولحرت فهل كلون من عجايبه
لم الق غير وجود لا محالة تاني • واشد المولف لنفسه في لطايف
المنن رحمه الله يوصي رجلا من اخوانه اسمه حسن فقال
حسن بان تدع الوجود باسره • حسنا فلا يخلو عنه شاغل
ولئن فهمت لتعلمن بانه لا تزل الا للذي هو حاصل • ومتى
شهدت سواه فاعلم انه من وهمك الادني وفي كبر ذاهل •
حسب الالشهود لوجوده • والله يعلم ما يقول القايل •
ولقد اشرت الى الصريح من الهدى • دلت عليه ان فهمت دلايل •
وحديث كان ولم يكن شي غيره • يقضي به الا ان اللبيب العاقل •
لا تغتر الاشياء مثبوتة • ليدم ذنزل وتجمع فاعل •
الناس يمدحونك بما يظنون فيك فكن انت ذاما لنفسك لما تعلمه منها
ذم العبد لنفسه واحتقارها لما يتحقق من عيوبها امر فانها
مطلوب منه لان ذلك يوذن به الى الحذر من غرورها وشرورها
فتصلح بذلك اعماله وتصدق احواله والا فقد عليه وما عتلت
لدخول الافات عليها ولا يصدنك مع ذلك ثناء الناس عليه
ومدحهم له لانه يعلم من عيوب نفسه ما لا يعلمه غيره ثم انهم لما
قاموا بحق ما يجب عليهم من اتهام نفسه وسوء اعتقاده فيها قال بعضهم
من فرح بمدح الناس فقد امكن الشيطان ان يدخل في بطنه
وقال اخر اذا قيل لك نعم الرجل انت فكان احب اليك
من ان يقال بيس الرجل انت فانت والله بيس الرجل وقيل

جانب الحجة قلا حياتي

من المدح لو حسن الظن به ينبغي ايضا ان يقوم هو بحق ما يجب عليه ح

لبعض الصحابة لئن تزال الناس بخير ما أبقاك الله فيهم
فغضب وقال إني لأحسبك عراقيا وقال بعضهم لما مدح قال
اللهم إن عبدك تقرب إلي بمقتك وأشهدك على مقته وقال
اخر اللهم اجعلنا خيرا مما يظنون ولا تؤاخذنا بما يقولون
واغفر لنا ما لا يعلمون قال الإمام أبو حامد الغزالي رحمه
الله وإنما كرهوا المدح خيفة أن يفرحوا بمدح الخلق وهم
ممقوتون عند الخالق فكان اشتغال قلوبهم بحالهم عند الله
تعالى يبغض إليهم مدح الخلق لأن الممدوح هو المقرب
إلى الله تعالى والمذموم على الحقيقة هو المبعد عن الله تعالى
الملقى في النار مع الأشرار فهذا الممدوح إن كان عند الله
تعالى من أهل النار فما أعظم جهله إذ فرح بمدح غيره
وإن كان من أهل الجنة فلا ينبغي أن يفرح إلا بفضل الله تعالى
وثنائه عليه إذ ليس أمره بيد الخلق ومهما تحقق أن الأرزاق
والآجال بيد الله تعالى قل التفاته إلى مدح الخلق وذمهم وسقط
من قلبه حب المدح واشتغل بما يهمه من أمر دينه انتهى كلام
أبي حامد الغزالي رضي الله عنه **الكمّل إذا مدح استحيا من الله**
أن يثني عليه بوصف لا يشهده من نفسه المؤمن الحقيقي هو
الذي لا يشهد من نفسه محمودة يستحق بها أن يمدح أو يثنى عليه
وإنما يشهد ذلك من ربه عز وجل فإذا أثنى الناس عليه وذكروا
محاسنه استحيا من الله تعالى حياء تعظيم وإجلال أن يثني عليه
بصفة ليست فيه فيزداد بذلك مقتا لنفسه واحتقارا لها
ونفورا عنها ونفورا عند رؤية إحسان الله تعالى إليه
وشهود فضله في إظهار المحاسن عليه وهذا هو الشكر الذي به ينال
المزيد

(مطلب فيما يقوله الإنسان عند المدح له من الدعاء)

(لسان المؤمن)

المزيد مع سلامته من السكون إلى ثناء العبيد **أجهل الناس**
من يترك يقين ما عنده لظن ما عند الناس الاغترار
بمدح الناس وثنائهم غاية في الجهل والغباوة وذلك
من علامات الحمق لأن المغتر بذلك يترك يقينه بنفسه
لظن غيره به وهو عالم بأحوال أعلم بنفسه وقد شبه الحارث
المحاسبي الراضي بالمدح بالجاهل الذي يهزأ به ويقال إن
العذرة التي تخرج من جوفك لها رائحة كرائحة المسك وهو
يفرح بذلك ويرضى بالسخرية خلت ولا شك أن الذنوب
والعيوب التي يعلمها العبد من نفسه أنتن وأقذر من العذرة
التي تخرج من جوفه ولا فرق بين الحالين إلا أن ذنوبه
في حال المدح يعلم أن المادح لم يشاركه في معرفة ذنوبه حال
وعيوبه مشاركة ذلك المستهزي للمستهزأ به في معرفة
حال ما يخرج من جوفه فهو لجهله وغباوته رضي بأن يكون
له في قلوب العبيد الجاهلين بحاله قدر وجاه من غير مبالاة
بسقوطه من عين مولاه الذي يعلم من حاله ما لا يعلمه هو
ولا غيره من حيث رضي بالمدحة وفرح بها ولم يقابل ذلك
بالإباء والكراهة هذا إذا كان المادح من أهل العلم والدين
وأما إن كان جاهلا أو فاسقا فلا غباوة أعظم من الرضا
بمدحهم والفرح به قال يحيى بن معاذ الرازي رحمه الله
تزكية الأشرار هجنة بك وحبهم لك عيب عليك وقال بعض
الحكماء إن العامة يثنون عليك فاحذر الوحشة من ذلك وقال
لعلهم رأوا أشياء أعجبتهم ولا خير في شيء يسرهم ويعجبهم
ويروى عن بعض الحكماء أنه مدحه بعض العوام فبكى فقال له

تلميذه ان بكى وقد مدحه فقال انه لم يبعد حتى وافق
بعض خلقي خلقه فلذلك بكيت فانظر هذا فقد نبهك هذا
الحكيم على العلة في ذكر ان ذم الخلق الثنا عليه وفسر ما بعد
فانت عليه بما هو اهله المومن هو الذي لا يرى نفسه
اهلا لان يمدح او يثنى عليه لان موجبات ذلك ليس له منها شي
كما تقدم فاذا الجا الله تعالى السنة الناس بالثنا عليه ولا
اهلية فيه لذلك فينبغي ان يعرف الحق لاهله فيتعهد نفسه
بالثنا على الله بما هو اهله ليكون ذلك شكرا للنعمة الحاصل
له لنعمة بالثنا عليه من غير استحقاق لذلك ولا ثبوت اهلية
الزهاد اذا مدحوا انقبضوا لشهودهم الثنا من الخلق
والعارفون اذا مدحوا انبسطوا لشهودهم ذلك من الملك
الحق تقدم ان الزهاد في غيبتهم عن الله تعالى منهم لا يشاهدون
الا الخلق فاذا مدحوا واثني عليهم شهدوا ذلك من الخلق
فانقبضوا منه لذلك لانهم يخافون من ذنوب نفوسهم من
ربهم لاجل ما يتوقعون من الاغترار بذلك والعارفون
حاضرون مع ربهم فهم لا يشاهدون معه غيره فاذا مدحوا
شهدوا الثنا من ربهم فانبسطوا لذلك وكان مزيدا في حالهم
ومقاماتهم لغيبتهم عن انفسهم كان بعضهم يمدح وهو ساكت
فقيل له في ذلك فقال وما يمنعني ذلك ولست اغلط في نفسي بل
لست في البين والمحرك والمثني هو الله عز وجل وقيل هذا
المعنى في الخبر المروي اذا مدح المومن ربا الايمان في قلبه
قال ابو طالب المكي رحمه الله وفيه طريق العارفين ان يعلوا
الايمان العالي الى الموطن الاعلى فيفرح بذكر المولاه وينضيفه
الملك
اي

اليه وهو الذي تولاه فيرد الصنعة الى صانعها ويشهد من
الفطرة فاطرها فيكون ذكر مدحا للصانع ووصفا للفاطر
لا ينظر الى وصفه ولا يعجب بنفسه انتهى قلت وللمولى رحمه
الله قصايد في مدح شيخه ابي العباس المرسي وكان ينشدها
للشيخ بين يديه ويقع ذلك منه موقعا عجيبا وكان يستفيد
منه بعضها ويقول في بعضها ايدك الله بروح القدس كما
كان يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لشاعره حسان بن
ثابت مع ان حب المدح منهم من الرذايل التي تشبه العقايد
ولهذا النظر والشهود الجمعي استقام لهم من مدحهم لانفسهم
وثنايهم عليها ما لم يستقم لغيرهم كما وقع لجماعة منهم
وقد روي في ذلك عن سيدي عبد القادر الجيلاني وسيدي
ابي الحسن الشاذلي وسيدي ابي العباس المرسي رضي الله عنهم
ونفعنا بهم وعن غيرهم غير شي من ذلك عنهم هو
من الصدق الفسيح وما ذكرنا الا لما ذكرنا ولا يتاول ما وقع
لهم من ذلك بما تاوله به علما الظاهر مدح يوسف عليه السلام
لنفسه وثناؤه عليها بغاية الحفظ والعلم لعدم الحاجة اليه
في هذا المقام والله تعالى اعلم وعلامة الصادق في حب المدح
وان كان صاحب هذا المقام لا يحتاج الى علامة ان لا يكره
ذم الناس له من حيث نسبة ذلك اليهم لانهم مصرفون
في قبضة القدرة فيسع كلهم ويصفح عنهم ولا يجد في قلبه
عليهم ولا يحال عليهم من الاذى اليهم كما قيل رب رام
لي باحجار الاذى لم اجد بدا من العطف عليه
فعسى ان يطلع الله على فرح القوم فيدنيني اليه

متى كنت إذا أعطيت بسطك العطا وإذا منعت قبضك
المنع فاستدل بذلك على ثبوت طفوليتك وعدم صدقك في
عبوديتك القبض عند المنع والبسط عند العطا علامات
بقاء الحظ والعمل على نيله وهو مناقض للعبودية عند
العارفين فمن وجد ذلك فليعرف به عدم صدقه في عبوديته
وأنه طفيلي بين أهل الله تعالى في ادعائه مقاماتهم وهو غير
متأهل لها والطفيلي هو الذي يأتي إلى الولائم والضيافات
فيدخل مع أهلها من غير دعوة وهو منسوب إلى رجل من أهل
الكوفة من بني عبد الله بن غطفان كان يقال له طفيل الأعراس
وطفيل العرس وكان يأتي الولائم من غير أن يدعى إليها
فشبه صاحب الكتاب هذا به قال الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي
أكثر الخلق مع الله تعالى في أحوالهم وإراداتهم على الظنون
ما تحقق منهم إلا القليل ألا تراه تعالى يقول وما يتبع
أكثرهم إلا ظنا فمن تحقق في حاله مع الله تعالى غاب عن كل
ما منه وله من الأحوال والأقوال والأفعال نظرا إلى ما
إليه من رعاية الحق وحياطته وتوليه وكان للحق من حيث
الحق له لا من حيث هو للحق ولكن أكثر العبيد يشيرون
إليه بالمعرفة ويظهرون حال المحبة فإذا ورد عليهم
وارد بلاء أو خلاف مراد رجعت نفوسهم إلى الإشفاق
عليها والاهتمام بها ونسوا ما ادعوا به وما أشاروا إليه
ولو كانوا للحق من حيث الاستحقاق لاستوى عندهم ما أشار بها
إليه جميع الموارد سواء كان منه حصل في بدء أو تمام الوصول
لا تعترض عليه عارضة خلاف وازدهاه حاله عما سواه

إذا

إذا وقع منك ذنب فلا يكن سببا يؤيسك من حصول الاستقامة
مع ربك فقد يكون ذلك آخر ذنب قدر عليك الاستقامة
على العبودية لا ينافيها وقوع الذنب على سبيل الغفلة والهفوة
إذا جرى القدر عليه بذلك وإنما ينافيها الإصرار عليه
فإذا وقع من العبد ذنب فينبغي أن يبادر إلى التوبة منه
ولا ييأس بسبب وقوعه فيه من الاستقامة مع ربه ويرى أن الطرد
والبعد رؤية توجب له القنوط من رحمة الله تعالى ولا ييأس
من روح الله لأنه قد يكون ذلك الذنب آخر ذنب قدر
عليه وقد وقع ذلك وفرغ منه إذا أردت أن يفتح لك
باب الرجاء فاشهد ما منه إليك وإذا أردت أن يفتح لك
باب الخوف فاشهد ما منك إليه الرجاء والخوف حالان عند
المتعبدين فمن أراد أن يفتح له باب الرجاء فليشهد ما من الله
له من الفضل والكرم والإحسان والإرفاق فيتغلب عليه حينئذ
حال الرجاء وإذا أراد أن ينفتح له باب الحزن فيشهد ما منه
إلى الله تعالى من المخالفة والعصيان وسوء الأدب بين يديه فيغلب
عليه حينئذ حال الحزن ربما أفادك في ليالي القبض ما لم
تستفده في إشراق نهار البسط لا تدرون أيهم أقرب
لكم نفعا تقدم أن القبض يؤثره العارفون على البسط
لما فيه من عدم حظ النفس ووجود قدرتهم على الوفا بآدابه
دون البسط فقد تنفتح لهم فيه من أبواب المعارف ما لا
ينفتح لهم في البسط فينبغي للعبد أن يعرف نعمة ربه تعالى
في ليالي القبض كما يعرفها في إشراق نهار البسط كما يعلم أن في الليل
من المنافع ما ليس في النهار فليكل علم ذلك إلى ربه ليحظى نفعه به

الحزن

٧ بيان
لا تدرون

فإنه لا يدري أيهما أقرب إليه نفعا كما أشار إليه بالآية
الكريمة وتشبيه القبض بالليل والبسط بالنهار مجاز
صحيح وقد تقدم نحوه في كلام سيدي أبي الحسن رضي
الله عنه مطالع الأنوار القلوب والأسرار
نجوم العلم وأقمار المعرفة وشموس التوحيد مطالعها
ومواضع شروقها قلوب العارفين وأسرارهم وهذه
هي الأنوار الحقيقية المحسوسة قال في لطائف المنن واعلم
أن الله سبحانه ذو قوى وليا صان قلبه من الأغيار وحرسه
بدوام الأنوار حتى لقد قال بعض العارفين إذا كان الله
سبحانه قد حرس السماء بالكواكب والشهب أن يسترق السمع منها
فقلب المؤمن أولى بذلك يقول الله فيما يحكيه رسول الله صلى
الله عليه وسلم لم يسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب
عبدي المؤمن فانظر رحمك الله هذا الأمر الكبير الذي
أعطيه هذا القلب حتى صار لهذه الرتبة أهلا ولهذا قال
الشيخ أبو الحسن رضي الله عنه لو كشف عن نور المؤمن العاصي
لطبق ما بين السماء والأرض فما ظنك بنور المطيع ولقد
سمعت شيخنا أبا العباس رضي الله عنه يقول لو كشف عن
حقيقة الولي لعُبد لأن أوصافه من أوصافه ونعوته من
نعوته قال ولقد أخبرني بعض المريدين قال صليت خلف
الشيخ صلاة شهدت ما بهر عقلي وذلك أني شهدت بدن
الشيخ والأنوار قد ملأته وانبثت الأنوار من وجوده
حتى إني لم أستطع أن أنظر إليه قال فلو كشف الحق تعالى عن
مشرقات أنوار قلوب أوليائه لانطوى نور الشمس والقمر

في

من المطالع الروحانية بخلاف الأنوار ح

في مشرقات أنوار قلوبهم وأين نور الشمس والقمر من أنوارهم
الشمس يطرأ عليها الكسوف والغروب وأنوار قلوب أوليائه
لا كسوف لها ولا غروب لذلك قال قائلهم إن شمس النهار تغرب
بالليل وشمس القلوب ليس تغيب نور مستودع في القلوب
مدده النور الوارد من خزائن الغيوب
نور اليقين المستودع في القلوب يستمد ويستزيد ضياءه من
النور الوارد من خزائن الغيوب وهو نور الأوصاف
الأزلية كما ذكرنا عن الشيخ أبي العباس المرسي قبل هذا وقد
تقدم من كلام المؤلف رحمه الله أنار الظواهر بأنوار آثاره
وأنار السرائر بأنوار أوصافه نور يكشف لك به عن آثاره
ونور يكشف لك به عن أوصافه النور المتقدم بالحواس
يكشف لك به عن آثاره وهي الكائنات المحدثة وليس لك
إلى ذلك كبير حاجة الآن حيث تستدل بها على المؤثر والنور
المستودع في القلوب يكشف لك عن أوصافه الأزلية حتى تراها
عيانا وفي هذا غاية بغيتك وبه شرف قدرك ومنزلتك
إذ بذلك تتحقق بالمعرفة وترتفع في المشاهدة ولا تحتاج
إلى الدليل بذلك وهذا فرق ما بين النورين قال في لطائف المنن
نور الشمس يشهد به الآثار ونور اليقين يشهد به المؤثر ولنا
في هذا المعنى • هذه الشمس قابلتنا بنور • وشمس اليقين
أبهر نورا • فرأينا بهذه النور كونا • وبهاتيك قد رأينا المنيرا •
ربما وقفت القلوب مع الأنوار كما حجبت النفوس بكثائف الأغيار
القلوب نورانية فتحتجب لوقوفها مع لطائف الأغيار النورانية

من العلوم والمعارف والنفوس ظلمانية تحتجب بسحب
كثائف الاغيار الظلمانية من العادات والشهوات فالقلوب
محجوبة بالانوار لكن النفوس محجوبة بالظلمات والحق
وراء ذلك كله قال الحدا الششتري في قصيدته النونية نقيبنا
للاوهام لما قد اخلت • عليه ومنوز العقل ورتك الحزنا • السجنا
وهمت بانوار فهمنا اصولها • ومنبعها من اين كان فهمنا •
وقد تحجب الانوار للعبد مثلما • تبعد من ظلام نفس حوت ضغنا •
ستر انوار السرائر بكثائف الظواهر اجلالا لها ان
تبتذل بوجود الاظهار وان ينادى عليها بلسان الاشتهار
انوار السرائر انما خبيت عن العيان بما ستر بها من كثائف
الظواهر الرسمية لان الظهور التام ينبغي ان يكون الا لها لانها
رفيعة القدر جليلة الخطر فاجلها عن ان تبتذل لها بالوجود
الظاهر وصانها من ان ينادى عليها بلسان الاشتهار بين
الاغيار فيكون ذلك نوعا من الاهانة بها وقد تقدم مثل
هذا الستر في قوله سبحانه من ستر سر الخصوصية بظهور البشرية
وقال رضي الله عنه سبحان من لم يجعل الدليل على اوليائه
الا من حيث الدليل عليه ولم يوصل اليهم الا من اراد
ان يوصله اليه لا دليل على الله سواه ولا وصول اليه بغيره
وكذلك اولياؤه لما كان الوصول الى الله تعالى بسبب كان اوليائه
المخصوصين منه كذلك لما خلع عليهم الخلع العظيمة وتوجهم
بمنته الجسيمة واصطفاهم لنفسه واختصهم بمحبته واظهر اسرارهم
من الخاص الاغيار وصانت قلوبهم بما اودع فيها من الانوار

لا يكون الا بالعناية والخصوصية ويستحيل ان يكون بطلب ٢

بالقرب ٤

٢١٦

والاسرار فكانوا لذلك ضنائنية في عباده وخبايا في بلاده
كما قال في بعض الاشارات عنه سبحانه اوليائي تحت قبابي
لا يعرفهم احد غيري وهذا من غيرته عليهم لان الحق
تعالى اغير على اوليائه من ان يظهرهم الى من لا يعرفهم
فلم يجعل لاحد دليلا عليهم الا من حيث الدليل عليه ولم
يوصل اليهم الا من اراد ان يوصله اليه لانه يلبسهم لباس
التلبيس بين الانام ويظهرهم بما يخفرهم في اعين الخواص
والعوام فاني يكون لاحد دليل عليهم او وصول اليهم
قال في لطائف المنن فاولياء الله اهل كهف الايوا فقليل
من يعرفهم قال وقد سمعته يعني شيخه ابا العباس رضي الله
عنه يقول معرفة الولي اصعب من معرفة الله فان الله تعالى
معروف بكماله وجماله وحتى متى تعرف مخلوقا مثلك يأكل
كما تأكل ويشرب كما تشرب قال فيه واذا اراد الله ان يعرفك
بولي من اوليائه طوى عنك وجود بشريته واشهدك وجود
خصوصيته وقال صاحب كتاب العامة واظهرهم للخاصة
فلا يعرفهم الا اشكالهم او محبهم ولله تعالى عباد
ضن بهم عن الخاصة والعامة وعباد اظهرهم للخاصة والعامة
ولله عباد يظهرهم في البداية ويسترهم في النهاية ولله
عباد يسترهم في البداية ويظهرهم في النهاية ولله
عباد لا يظهرهم حقيقة ما بينه وبينهم الا الحفظة فمن
سواه حتى يلقونه بما اودع منه في قلوبهم وهم شهداء
الملكوت الاعلى والصفح الايمن من العرش الرحمن يتولى
الله قبض ارواحهم بيده فتطير اجسادهم به فلا يعدو

لطائف ٥

الولي اصعب ٥

انوار القلوب لله سبحانه وتعالى عباد ظن بهم عن ٧

عليها الثرى حتى يبعثوا بها مشرقة منورة البقا المجعول
فيهم ببقاء الابد مع الباقي الاحد عز وجل انتهى وقال
ابو يزيد اولياء الله تعالى عرائس ولا يرى العرائس الا
من كان محرماً لهم واما غيرهم فلا وهم مخدرون
في حجال الانس لا يراهم احد في الدنيا ولا في الاخرة وقال
ابو علي الجوزجاني الولي هو الفاني في حاله الباقي في مشاهدة
تولى الله سبحانه سياسته فتوالت عليه انوار التولي
لم يكن له عن نفسه اخبار ولا مع غير الله عز وجل قرار
وفي الاشارات عن الله تعالى انما سميت الولي وليا لانه
يليني دون ما سواه فهم منزعون ممتنع اليهم الحق تعالى
متى يوصل اليهم غيره ولذلك صدر المؤلف رحمه الله
كلامه بالتنبيه ربما اطلعك على غيب ملكوته وحجب عنك
الاستشراف على اسرار العباد من لطف الله تعالى اخفاء
اسرار الناس بعضهم عن بعض لا سيما سر يقتضي وجود
عيب وهو ظاهر ما ذكره المؤلف هنا بدلالة الكلام الذي
عقبه به وقد يظهر لبعض الناس ما سوى ذلك من الاسرار
الملكوتية ووجه الفرق بينهما ما يذكره المؤلف رحمه الله
ورضي عنه الان ويحتمل ان يريد ما هو اعم مما ذكرناه
ويدخل في ذلك اسرار الولاية اذا اختص الحق تعالى بها
بعض عباده ويكون في ذلك تنبيه على العلة الموجبة لخفاء
الولي حسبما ذكره المؤلف في المسئلة التي فرغنا منها حتى يمتنع
الوصول اليه بطلب وسبب واخفاء ذلك ايضا من عامة
المؤمنين من النعم العظيمة اذ لو ظهرت اسرار الولاية
على

وليا

ولذلك صدر

علي احد الا وجبت عليه ظهرت له حقوق لا يقدر على القيام
بما يجب منها فكان عذري في ذلك وترك القيام بتلك الحقوق ربما
وقع بسبب ذلك في عجز وان لا يقوم لها شيء ومن كلام سهل
بن عبد الله رضي الله عنه وقد سأله بعض تلامذته كيف
تعرف اولياء الله فقال ان الله تعالى لا يعرفهم الا لاشكالهم
او من اراد ان ينفعه بهم ولو اظهرهم حتى يعرفهم الناس
لكانوا حجة عليهم ومن خالفهم بعد علمه كفر ومن قعد عنهم
خرج ولكن الله تعالى جعل اختياره تغطية امورهم رحمة
منه لخلقه ومراعاة ولكن الله قد اخبر بكرامتهم فقال
تعالى الله ولي الذين آمنوا والله ولي المؤمنين فافردهم
به ولو اظهرهم حتى يبرزهم لكان في النظر اليهم حجة وكان
الاستماع لحديثهم فرضا والمعنى الذي ذكرته في هذه المسئلة
فهمته من الكلام الذي ذكره الشيخ ابو طالب في كتاب الذكر
قال فيه بعد ذكر من لطائف المنعم شمول ستره لهم بعضهم
من بعض ونشرهم عند العلماء والصالحين منهم لولا ذلك لما
نظروا اليهم لتحجب الصالحين عنهم ولو اظهر عليهم ابان
يعرفون بها حتى يكون الجاهلون على يقين من ولاية الله
تعالى لهم وقربه منهم لبطل ثواب المحسنين اليهم ولحرم
قبول احسانهم عليهم ولحبطت اعمال المسيئين اليهم فوجب
ذكر ستره ما يحمل العاملين لهم في الخير والشر على الرجاء
وحسن الظن من وراء حجاب الغيب وتاخرت عقوبات الموذ
لهم وقت المعاجلة لما ستر عليهم من عظيم شانهم عند الله
عز وجل وجليل قدرهم ففي سترهم نعم عظيمة على الصالحين

بحجبه وسترهم

في نفوسهم من سلامة دينهم وقلة فتنتهم ونعم حليلة
على المنتهكين لحرمتهم المصغرين لشعائر الله تعالى من
اجلهم اذ كانوا اساءوا اليهم من وراء الحجاب فهذا هو
كذلك خفي من لطف المنعم الوهاب كما جاء في الخبر من آذى لي
وليا فقد بارزني بالمحاربة ثم امام التأييد لوليي فقد
يكون متلذذ لكرمن آذى نبيا وهو لا يعلم بنبوته قبل ان
يخبر انه رسول الله او ان الله عز وجل نبأه فلا يكون وزره
ووزر من انتهك حرمة من كان يعلم انه نبي الله عز وجل العظيم
حرمة النبوة انتهى ما ذكره الشيخ ابو طالب والوجه الاول
اولى في تقرير معنى ما ذكره المؤلف رحمه الله والله سبحانه اعلم
من اطلع على اسرار العباد ولم يتخلق بالرحمة الالهية
كان اطلاعه فتنة عليه وسببا لجر الوبال اليه المطلع على
السرائر التي تقتضي وجود العيب اذا لم يتخلق صاحبه اسرار
بالرحمة الالهية فيستر حرم المؤمنين ويحلم على الخطا لمعيب
ويصفح عن الجاهلين ويحسن الى المسيئين ويرأف بعباد الله
تعالى اجمعين فانه يكون ذلك الاطلاع فتنة عليه لان ذلك
يؤديه الى رؤية نفسه واستعظام امرها والعجب بعمله والتكبر
على غيره وهذا هو اعظم الفتنة ويكون ايضا سببا
الى جر الوبال اليه من دعاية بصفات ربه ومنازعته
كبريائه وعظمته وهذا هو اعظم الوبال وغاية الخزي وغاية
والنكال وفي بعض الاخبار المروية عن رسول الله صلى الله قلب
عليه وسلم ما نزعت الرحمة الا من شقي وفي حديث عبد الله بن
عمرو رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الراحمون
ابن العاص
يرحمهم

يرحمهم ~~الله~~ الرحمن ارحموا من في الارض يرحمكم من في السماء وفي الآثار
عن الله تعالى عبدي اني اذ خلقتك شققت لك من الرحمة شيئا
فلتكن ارحم بالمؤمن من نفسه وقد ادب الله سبحانه وتعالى
خليله ابراهيم عليه الصلاة والسلام في بعض مواطنه العظيمة المعتد ا لم
وعلمه كيف يتخلق الكريم عند الاطلاع على الاسرار روى عن
قتادة بن زهير انه قال بلغنا ان ابراهيم عليه السلام حدث
نفسه انه ارحم الخلق قال فرفعه الله تعالى حتى اشرف على اهل
الارض فابصر اعمالهم وما يعملون فقال يا رب دمر عليهم فقال
الله عز وجل انا ارحم بعبادي منك يا ابراهيم اهبط فلعلهم
يتوبون ويرجعون وعن علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال لما اري الله ابراهيم عليه السلام ملكوت الارض اشرف
على رجل على معصية من معاصي الله تعالى فدعا الله عليه فهلك ثم اشرف
على آخر وآخر فهلكوا فاوحى الله تعالى اليه ان يا ابراهيم
انك مستجاب الدعوة فلا تدعو على عبادي فانهم مني على ثلث
خصال اما ان يتوب فاتوب عليه واما ان اخرج منه نسمة تسبح
لي واما ان يبعث الي فان شئت عفوت عنه وان شئت عاقبته
وقيل ان سبب اراءة الله تعالى له ذلك وليرى هو وليعلم المعنى
الذي يوجب الرحمة من غلظته على العصاة وقلة رحمته لهم وذكر في
بعض التفاسير انه عليه السلام كان يعرج به كل ليلة الى السماء
وهو قوله تعالى وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات
والارض فعرج به ذات ليلة فاطلع على مذنب على فاحشة فقال
اللهم اهلكه يأكل رزقك ويمشي على ارضك ويخالف امرك
فاهلكه الله تعالى فاطلع على آخر فقال اللهم اهلكه فنودي

كونوا عبادي رويدا فاني لما رايتهم عاصين فلما هبطت
ادرى في الناس ما ذكره الله تعالى في كتابه الكريم حيث يقول
اني ارى في المنام اني اذبحك فانظر ماذا ترى فلما شمر لذلك
واخذ السكين بيده قال اللهم هذا ولدي وثمرة فؤادي
واحب الناس الي فسمع قايلا اما تذكر ليلة ليلة كذا التي سالتك
سالتك اهلاك عبدي اوما تعلم اني رحيم بعبادي كما انت شفيق
بولدك فاذا سالتني هلاك عبدي اسالك ذبح ولدك واحدا
بواحد والبادي اظلم حظ النفس في المعصية ظاهر جلي
وحظها في الطاعة باطن خفي ومداواة ما يخفى صعب علاجه
النفس شانها عدم طلب الحظوظ والفرار من الحقوق فهي لا تسعى
الا في ذلك ولو في عملها بالطاعات فضلا من المعاصي ومن
حاسب نفسه وراقب خواطره تبين له مصداق هذا وقد يجد
من النشاط والقوة في نوع من العبادة ما لا يجده في نوع اخر
وان كان هذا الاخر اتم فضيلة منه وما ذاك الا لان حظها
فيه اكثر من الاخر فاهل الخبرة والبصيرة يتهمون انفسهم
اذا الفت بابا من ابواب العبادات لمعرفتهم بخدعها ومكايدها منها
فيشترطون ذلك عليها و ينتقلون فيها وقد حكي عن ابي
محمد المرتعش انه قال حججت كذا وكذا حجة على التجريد
فبان لي ان جميع ذلك كان مشوبا بالحظ وذلك ان والدتي
سالتني يوما ان استقي لها جرة ماء فثقل ذلك على نفسي فعلمت
ان مطاوعة نفسي في الحجات كانت بحظ وشوب من نفسي اذ
لو كانت نفسي فانية لم يصعب عليها ما هو حق في الشرع فهذا
ما يبين ان حظ النفوس في الطاعة موجود ولكنه خفي على العامل
بذلك

فلذلك تعسر مداواته لانه يحتاج الى دقة فهم ونفوذ
ادراك لتتخلص بذلك افات نفسه ولطايف خدعها وخفايا
دخولها فيحملها على تصفية اعماله من ذلك فلا جرم ان كان
ذلك متعذرا ان يجب عليه اتهام نفسه ومما الفته في كل ما تدعو
اليه كاينا ما كان قال الشيخ ابو بكر الخفاف سمعت بعض
مشايخنا يقول عن احمد بن ارقم البلخي قال حدثتني
نفسي بالخروج الى اسبيجاب للغزو فقلت سبحان الله ان الله
يقول ان النفس لامارة بالسوء وهذه تامرني بالخير لا يكون
هذا ابدا ولكنها استوحشت فتريد لقاء الناس فتستروح
اليهم ويتسامع بها فيستقبلونها بالبر والتعظيم فقلت لها
لا انزلك العمران ولا انزل على معرفة فاجابت فاسات
الظن بها وقلت والله اصدق قولا فقلت لها اقاتل القوم
حاسرا فتقتلين اولا فاجابت وعددت اشياء مما اراد بها
به فاجابت الى كل ذلك قال فقلت يا رب نبهني لها فاني لها
متهم ولقولك مصدق فالهمت كانها تقول انك تقتلني
كل يوم مرات بمنعك اياي من شهواتي ولا يدري بي
احد فان قاتلت فقتلت كانت قتلة واحدة فنجوت منك
ويتسامع الناس فيقال استشهد احمد فتكون شرفا لي وذكرا
في الناس قال فقعدت ولم اخرج ذلك العام فهذا
خدع النفس وغرورها اعاذنا الله من شرها وسياتي من
كلام المؤلف رحمه الله اذا التبس عليك امران انظر
اثقلهما على النفس فاتبعه فانه لا يثقل عليها الا ما كان حقا
ربما دخل الرياء عليك حيث لا ينظر الخلق اليك

رياء العبد بالعمل حيث يكون بحضرة من الناس لكن بغير
لا يحتاج الى امارة عليه ورياؤه بعمله حيث لا يراه احد امر
خفي لا يعرف الا بالامارات والعلامات بل هو اخفى من
دبيب النمل ومن اماراته ان يلتمس بقلبه توقير الناس له
او تعظيمه وتقديمه في المحافل والمجالس ومسارعتهم الى
قضاء حوائجه واذا قصر احد في حقه الذي يستحقه عند نفسه
استبعد ذلك واستنكره ويجد تفرقة بين اكرامه واكرام
غيره واهانته واهانة سواه حتى ربما يظهر بعض سخفاء
العقول ذلك على السنتهم فيتوعدون من قصر في حقهم بمعاجلة — بمعاجلة صح
الله له بالعقوبة وان الله تعالى لا يدعهم حتى ينتصر لهم
وياخذ بثارهم فاذا وجد العبد هذه الامارات في نفسه فليعلم
انه مراء بعمله وان اخفاه عن اعين الناس وقد روي
عن علي رضي الله عنه انه قال ان الله تعالى يقول للقراء
يوم القيمة الم تكونوا تبادرون بالسلام الم تكونوا
تقضى لكم الحوائج وفي الحديث الآخر قد استوفيتم اجوركم — لا اجر لكم صح
وقال عبد الله بن المبارك روى وهب بن منبه ان رجلا من
العباد قال لاصحابه انا انما فارقنا الاموال والاولاد مخافة
الطغيان فنخاف ان يكون قد دخل علينا في امرنا هذا من
الطغيان اكثر مما دخل على اهل الاموال في اموالهم ان اذا — احدنا صح
لقي احب ان يعظم لمكان دينه وان سال حاجة احب ان
تقضى له لمكان دينه وان اشترى شيئا احب ان يرخص عليه
لمكان دينه فبلغ ذلك ملكهم فركب في موكب من الناس
فاذا السهل والجبل قد امتلأ من الناس فقال السائح
ما هذا

ما هذا قيل هذا الملك قد اظلك فقال للغلام ائتني بطعام
فاتاه ببقل وزيت وقلوب الشجر فاقبل يحشو شدقه وياكل
اكلا عنيفا فقال الملك اين صاحبكم قالوا هذا قال كيف
انت قال كالناس وفي حديث آخر بخير فقال الملك ما عند هذا
من خير فانصرف عنه فقال السائح الحمد لله الذي صرفك عني
وانت لي ذام ومن هذا النوع من الرياء خاف الكبار وعدوا
انفسهم بسببه من الاشرار لما روي عن الفضيل بن عياض
رضي الله عنه انه قال من اراد ان ينظر الى مراء فلينظر الي
وسمع مالك بن دينار امراة وهي تقول له يا مرائي فقال
لها يا هذه وجدت اسمي الذي اضله اهل البصرة ودخل رجل
على داود الطائي فقال له ما حاجتك قال زيارتك فقال اما
انت فقد عملت خيرا حين زرت ولكن انظر ماذا ينزل
بي انا اذا قيل لي من انت فتزار امن الزهاد انت لا والله امن
العباد انت لا والله امن الصالحين انت لا والله ثم اقبل يوبخ
نفسه ويقول كنت في الشبيبة فاسقا فلما كبرت صرت مرائيا
والله للمرائي شر من الفاسق الى غير ذلك مما روي عنهم في هذا
المعنى ولا يخلو من الرياء الجلي والخفي الا العارفون الموحدون
لان الله تعالى طهرهم من دقائق الشرك وغيبت نظرهم
رؤية الخلق بما اشرق على قلوبهم من انوار اليقين والمعرفة
فلم يرجوا منهم حصول منفعة ولم يخافوا من قبلهم وجود مضرة
فاعمالهم لله خالصة وان عملوها بين اظهر الناس وبمرئى منهم
ومن لم يتخلق بهذا وشاهد الخلق وتوقع منهم حصول المنافع
ودفع المضار فهو مراء بعمله وان عبد الله تعالى في قلة جبل بحيث

لا يراه احد ولا يسمع به وقد تقدم من قول يوسف بن الحسين
الرازي اعز شي في الدنيا الاخلاص وكم اجتهد في ازالة
الريا عن قلبي فكانما ينبت على لون آخر الاستشراف وهو ان
يعلم الخلق بخصوصيته وذلك انه قد يعرض لمن قد كثر عمله وبكا
الخصوصية ههنا ما اختص الحق سبحانه بعض عباده من علم
نافع وعمل صالح وصدق العبودية فيه ان يقنع بعلم الله تعالى
فيه بحاله ولا يتطلع الى ان يعرف بذلك احد من الخلق فيشغله
حينئذ الحيا من ربه ان يتكره عن الاستشراف الى معرفة
الخلق بذلك وليغار على حاله من رؤية الاغيار له ولاجل
ذلك فضل عمل السر على عمل العلانية بسبعين ضعفا
كما ورد في الخبر عن نبينا صلى الله عليه وسلم وقال عيسى عليه
السلام اذا كان يوم صوم احدكم فليدهن راسه ولحيته وليمسح
شفتيه فاذا خرج الى الناس راوا انه لم يصم واذا اعطى
فليعطه بيمينه وليخفها من شماله واذا صلى احدكم فليرخ
عليه ستر بابه فان الله تعالى يقسم الثنا كما يقسم الرزق
وقال حكيم من الحكما علامة الصادق كتمان الطاعة
وقال احمد بن ابي الحواري رحمه الله من احب ان يعرف
بشي من الخير او يذكر به فقد اشرك في عبادته لان من عبد على
المحبة لا يحب ان يرى خدمته غير محبوبه وقال الشيخ ابو عبد الله
القرشي كل من لم يقتنع في افعاله واقواله بسمع الله وبصره
دخل عليه الريا لا محالة وقال بعضهم ما اخلص احد قط الا احب
ان يكون في جب لا يعرف وقال سهل بن عبد الله التستري من
احب ان يطلع الخلق على ما بينه وبين الله تعالى فهو غافل وقال

ابو

ابو الخير الاقطع من احب ان يطلع الناس على عمله فهو مراء
ومن احب ان يطلع الناس على حاله فهو كذاب وقال بعضهم
لمن استوصاه لا تحب ان تعرف ولا تحب ان تعرف انك ممن
لا تحب ان تعرف فعلى العبد اخفاء حاله جهده وان يبالغ
في كتمانه اقصى ما يقدره وقال الحسن ادركت اقواما ما من
احد منهم يستطيع ان يرى شيئا من عمله الا سره وان كان الرجل
ليجلس مع القوم وانه لفقيه وما يعلم به حتى يقوم ولقد ادركت
اقواما ياتي احدهم الزور فيصلي وما يشعر به اهل الزور
ولقد ادركت اقواما وما منهم يقدرون ان يعملوه
سرا فيكون علانية ابدا ولقد ادركت اقواما يجمع
احدهم القران وما يعرف به جاره ولقد ادركت اقواما
يجتهدون في الدعا وما يسمع لهم احد وقال محمد بن واسع
ادركت رجالا كان الرجل يكون راسه مع راس امراته
على وسادة واحدة قد بل ما تحت خده من دموعه لا تشعر به
امراته ولقد ادركت رجالا يقوم احدهم في الصف
فتسيل دموعه على خده ولا يشعر به الذي الى جنبه وفي
رواية عنه ان كان الرجل ليبكي عشرين سنة وامراته معه
لا تعلم فان وقع منه اعلان واظهار في وقت فليستغفر حسد
لمراقبة قلبه وصونه عن ان يعمل فيه الفرح باطلاع الناس
على حاله وليتذكر ذلك على نفسه ويكرهه ولا يرضاه منها
وليجاهد نفسه في ذلك اشد المجاهدة فان خالف هذا واشرف
الى معرفة غير الله بحاله وغفل عن مجاهدة نفسه في حال الظهور
ذكره منه ولو في لحظة خيف عليه ان يعمل الفرح في قلبه فيحبط عمله

في الفتنة فان كان تحقيق الارادة لم يسلم من الوقوع في الريا
الجلي والخفي لان سببه قد استثبت له وان كان قوي الارادة
سالكا سبيل المعرفة لم يسلم من السكوت والركون فيفقد — سالكا
حينئذ الغيرة على الحال ويحط بذلك عن ارادة الكمال
ولهذا كان اسقاط المنزلة عند الناس من ضرورات سالكي
هذه الطريقة كما تقدم عند قوله ادفن وجودك في ارض
الخمول فان تحقق العبد المعرفة وشاهد الوحدانية
الصرفة جاز له الاخبار باعماله والاظهار لمحاسن احواله
بنا منه على نفي الغير واداء لواجب حق الشكر كان بعض السلف
يصبح فيقول صليت البارحة كذا وكذا ركعة وتلوت كذا وكذا
سورة فيقال له اما تخشى من الريا فيقول وهل رايتم
من يراءي بفعل غيره وكان اخر يفعل بفعل مثل ذلك
فيقال له لم لا تكتم ذلك فيقول الم يقل الله سبحانه واما
بنعمة ربك فحدث وانتم تقولون لا تحدث فان قصد من
هذا حاله الى اظهار ايثه عبادة ودعايهم الى الله فاظهر
احواله واعماله للاقتدا به والاهتدا بهديه فهو خارج
عن النمط الاول كله وداخل في حكم هذا النوع الثاني وعلانيته
هذا افضل من سره لانه سلم من الافات التي تعرض لها غيره
وحصلت منه الفوايد التي تضمنها الجهاره وجهره وقد
جا في الخبر السر افضل من العلانية والعلانية افضل لمن
اراد الاقتدا وهذا ارجح الوجوه عند العلما في قوله صلى
الله عليه وسلم للرجل الذي ساله عن فرحه باطلاع الناس على
بعض اعماله لك اجران اجر السر واجر العلانية وقد
فعل

فعل ما ذكرناه من الجهار الطاعة جماعة من الصحابة والتابعين
رضي الله عنهم متعنا من ذكره وقايعهم خشية الاطالة وكان
ذلك منهم لاجل هذا الغرض ومقاصدهم هذا العبد مقام النصيحة
لعباد الله والدعاء لهم الى الله ولاجرم كان له الدرجات
العلى عند الله لانه من ايمة المتقين له وقد اخبر الله
تعالى بجزايهم وذكره عقيب دعايهم بذلك فقال عز من
قايل اولئك يجزون الغرفة بما صبروا ويلقون فيها
تحية وسلاما خالدين فيها حسنت مستقرا ومقاما قال في لطايف
المنن اعلم ان مبنى امر الولي على الاكتفا بالله والقناعة بعلمه
والاغتناء بشهوده قال الله تعالى ومن يتوكل على الله فهو
حسبه وقال سبحانه اليس الله بكاف عبده وقال الم يعلم
بان الله يرى وقال اولم يكف بربك انه على كل شي شهيد — والانفراد بالملك
فمبنى امرهم في بداياتهم على الفرار من الخلق واخفا — الحق صح
الاعمال وكتم الاحوال تحقيقا لفنايهم وتثبيتا لزهدهم
وعملا على سلامة قلوبهم وحبا في اخلاص اعمالهم لسيدهم
حتى اذا تمكن اليقين وايدوا بالرسوخ والتمكين
وتحققوا بحقيقة الفنا وردوا الى وجود البقا فهنالك
ان شاء الحق اظهرهم وان شاء سترهم وان شاء اظهرهم
هادين لعباده اليه وان شاء سترهم فاقتطعهم عن كل
شي اليه والظهور للولي ليس بارادته لنفسه لكن بارادة
الله تعالى له بل مطلبه ان كان له مطلب الخفا [illegible]
فلما لم يكن الظهور مطلبهم واراد سبحانه اظهارهم لما خصهم
تولاهم في ذلك بتاييده وجوار دات مزيده لتقوم

صلى الله عليه وسلم يا عبد الرحمن بن سمرة لا تطلب الامارة
فانك ان اعطيتها من غير مسئلة اعنت عليها وان اعطيتها
عن مسئلة وكلت اليها ومن تحقق منهم بالعبودية لله تعالى
لم يطلب ظهورا ولا خفاء بل ارادته وقوفه على اختيار سيده
وقال الشيخ ابو العباس من احب الظهور فهو عبد الظهور
ومن احب الخفاء فهو عبد الخفاء ومن كان عبد الله فسواء عليه
الظهره او اخفاه غيب نظر الخلق اليك بنظر الله اليك
وغب عن اقبالهم عليك بشهود اقباله عليك هذا المعنى
هو حقيقة صدق عبودية العبد لله الذي اشار اليه في
المسئلة التي قبل هذه وهو ان لا يكون له شعور بما من
الخلق اليه من نظر واقبال ولا تشوق اليه ولا طلب له وانما
يكون شعوره وتشوقه وطلبه ما من الله اليه من نظره اليه
واقباله عليه فتغيبه في الجانبين باعلاهما وذكر بان
يعلم ان ما من ~~الحظو~~ الخلق اليه امر وهمي باطل ينقاد
اليه كل ذي عقل قاصر يوجب له هذا الانقياد انواعا
من الكبائر والرذائل من الاختلاط في اهواء الناس
وتحسين مواقع نظرهم منه بالتصنع والتزيين لهم وتربية
الجاه والحشمة لديهم تكبرا وتعظما عليهم ومعاشرتهم
بالنفاق والمداهنات وتخالف الاسرار والاعلانات وهذا عذاب
اليم تعجله من دنياه اذ يفوته بذلك راحة قلبه وتعب نفسه
ويسلبه ثوب القناعة والعز ويلبسه لباس الطمع والذل
فتردي بذلك همته وتقل قيمته ولعذاب الاخرة اكبر وقد
قال الشاعر من راقب الناس مات غما وفاز باللذة الجسور

وراى

وراى سهل بن عبد الله رجلا من الفقراء يبكيه فقال له شيا
فقال يا استاذ لا اقدر على هذا من اجل الناس فالتفت سهل
الى اصحابه فقال لا ينال العبد حقيقة من هذا حتى يكون
باحد وصفين حتى يسقط الناس من عينه فلا يرى في الدار الا هو
وخالقه فان احدا لا يقدر ان يضره ولا ينفعه او تسقط نفسه
من قلبه فلا يبالي باي حال يرونه انتقص ام من له بحصول
ما ارادوه منهم واغراضهم مختلفة وطبايعهم متباينة
فربما استحسن من نفسه شيا لم يستحسنه غيره وربما ارتضى
شيا ما لا يرتضيه اخر فهو يعمل بزعمه فيما ينفعه عند الناس
وهو ساع فيما يضره عندهم وعند الله تعالى مع مقاسات
التعب والنصب في نفسه وفي الحكاية المذكورة عن لقمان
وابنه تنبيه على هذا المعنى ذكر ان لقمان دخل ذات
يوم السوق وهو راكب حمارا وابنه يسوقه فقال الناس
جبن ركوبه شيخنا ايرتفق على صبي فاركبه خلفه فقالوا اثنان
على حمار هلا زاد ثالثا فنزل لقمان وبقي الولد فقالوا شيخ
يمشي وصبي راكب فنزل يمشي مع والده وساقا جميعا الحمار
فقالوا حمار فارغ وهذان يسوقانه وكان غرض لقمان
ان يرى ابنه شان الناس مع من يراعي نظرهم وانه لا يسلم
منهم على اي حالة يكون فرضاء الناس غاية لا تدرك
واحمق الناس من طلب ما لا يدرك فهذا حال من انقاد الى الاوهام
من ضعفاء العقول وسخفاء الاحلام واما من كان له عقل وافر وحلم
فاخر فلا يميل الا الى ما هو حق ووجود صدق فهو ما من
الله اليه من نظر واقبال وجزيل عطاء وعظيم نوال فهو

يعمل فيما يوديه الى هذه المطالب من غير اكتراث الى لوم
لائم وعيب عايب ويقول بلسان حاله ان الذى تكرهوه
مني ذاك الذى يشتهيه قلبي ويقول ايضا ما قاله محمد
بن اسلم ما لى ولهذا الخلق كنت فى صلب ابى وحدى ثم صرت
فى بطن امي وحدى ثم دخلت فى قبرى وحدى ويأتينى منكر
ونكير ويسألاني وحدى فان صرت الى خير صرت وحدى
وان صرت الى شر صرت وحدى واوقف بين يدى الله
وحدى ويوضع عملى وذنوبي فى الميزان وحدى فان بعثت
الى الجنة بعثت وحدى وان بعثت الى النار بعثت وحدى
فما لى وللناس وقد سيل الحارث بن اسد المحاسبي رضى الله
عنه عن علامة الصادق فقال الصادق هو الذى لا يبالي
لو خرج كل قدر له من قلوب الخلق من اجل صلاح قلبه ولا يحب
ان يطلع الناس على مثاقيل الذر من حسن عمله ولا يكره ان
يطلع الناس على السيء من عمله فان كراهته لذلك دليل على
انه يحب الزيادة عندهم وليس هذا من اخلاق العارفين
من عرف الحق شهده فى كل شي فلا يتوحش من شي
ويستانس به كل شي كما تقدم من نعت العارفين ومن
فنى به غاب عن كل شي فلا يكون منه على الاشياء اعتماد ولا له
اليها استناد ومن احبه لم يوثر عليه شي من مراداته
وشهواته وهذه الامور التى ذكرها المولف هى علامات
بلوغ هذه المقامات العلية وبها تصح وتكمل فمن لم يجدها
فى نفسه فلا ينبغى له ان يدعى تلك المقامات وليعمل
على مجاهدة نفسه فيما يصححها ويكملها وانما
حجب

حجب الحق عنك شدة قربه منك شدة القرب حجاب كما ان
شدة البعد حجاب لان شدة قربه منك موجبة لاضمحلالك وذهابك
واضمحلال الذاهب لا مناسبة بينه وبين الثابت الموجود فليس
يراه قال فى لطايف المنن فعظم القرب هو الذى غيب
عنك شهود القرب قال الشيخ ابو الحسن رحمه الله حقيقة
القرب ان تغيب فى القرب عن القرب لعظم القرب كمن يشم
رايحة المسك فلا يزال يدنو وكلما دنى منها تزايد ريحها
فلما دخل البيت الذى هو فيه انقطعت الرايحة عنه
وانشد بعض العارفين . كم ذا تموه بالشعبين والعلم .
والامر اوضح من نار على علم . اراك تسأل عن نجد وانت
بها . وعن تهامة هذا فعل متهم . انما احتجب لشدة
ظهوره وخفى عن الابصار لعظم نوره هذه عبارة
تداولها الناس وضربوا لها مثلا بالشمس وذكروا ان
الشمس لنورها اقوى من سائر الانوار المحسوسة وقوة
نورها هو الذى حجب الابصار الضعيفة عن ادراكها فقد صار
ظهورها الذى اوجب وجود نورها حجابا لها وليس الحجاب
على الحقيقة منها فان الظاهر لذاته لا يحجبه ذاته وانما
الحجاب عليه من غيره والحجاب ههنا ضعف البصر عن مقاومة
فيضان النور فالحق تعالى احتجب عن الخلق بشدة ظهوره
وخفى عن الابصار لعظيم نوره وانشدوا فى هذا المعنى
. لقد ظهرت فلا تخفى على احد . الا على اكمه لا يعرف القمرا .
. لكن بطنت بما اظهرت محتجبا . وكيف يعرف من بالعزة استترا .
. بالنور بل بعض ما نرى من صورة . وبه وجود الكاينات بلا امترا .

لكنه تخفى لعزة ظهوره حساً ويدركه البصير من الورى
فإذا نظرت بعين عقلك لم تجد شيئاً سواه على الذوات
مصورا وإذا طلبت حقيقة من غيره فبذيل جهلك لا تزال
معثرا. ومما يرضي الله عنه لا يكن طلبك تسبباً إلى العطا
منه فيقل فهمك عنه وليكن طلبك لإظهار العبودية
وقياماً بحقوق الربوبية لم يأمر الله تعالى عباده
بالطلب له والسؤال منه إلا ليظهر افتقارهم إليه ويشير لهم
بالتضرع والخضوع بين يديه ليكون ذلك إظهاراً للعبودية
وقياماً بحقوق ربوبيته لهم لا لأن يتوسلوا به إلى حصول
ما طلبوه ونيل ما رغبوه مما لهم فيه منفعة وحظ هذا هو
فهم العارفين عن الله عز وجل ويدل على هذا المعنى ما ذكره
المؤلف الآن قال أبو نصر السراج رحمه الله سألت بعض
المشائخ عن الدعاء وجهه لأهل التسليم والتفويض فقال يدعوا
الله عز وجل على وجهين أحدهما يريد بذلك تزيين الجوارح
الظاهرة بالدعاء لأن الدعاء ضرب من الخدمة يريد أن يزين
جوارحه بهذه الخدمة والثاني أن يدعوا ائتماراً لما أمره الله
تعالى من الدعاء انتهى وقد قيل ما يريده الدعاء إظهار الفاقة
بين يديه وإلا فالرب يفعل ما يشاء ومقتضى هذا أن لا ينقطع
سؤاله ولا رغبته وإن أعطاه جميع ما طلب وإن أناله كل سؤل وإذن
وأن لا يفرق بين العدم والوجود والمنع والعطا فيما يرجع
إلى إظهار الفاقة والفقر فيكون عبد الله في الأحوال كلها كما
أنه ربه في الأحوال كلها وقبيح بالعبد أن يعرف وجهه عن باب
مولاه بما ينيله من شهوته وهواه قال سيدي أبو الحسن رضي الله
عنه

عنه لا يكن همك في دعائك الظفر بقضاء حاجتك فتكون محجوبا
وليكن همك مناجات مولاك قال الإمام أبو القاسم القشيري
رضي الله عنه شر الناس من يبتهل إلى الله تعالى عند هجوم
البلا بخلوص الدعا وشدة التضرع والبكا فإذا زالت
شكايته وقعت عنه آفته ضيع الوفا ونسي البلا وقابل الرفد
بنقض العهد وأبدل العقد برفض الرد أولئك الذين
أبعدهم الله في سابق الحكم وخذلهم في ستر أهل الرد
وقد قيل بالأدب يلجأ إلى الانتصاب بين يدي معبود كل
خير كان منه عطا ينبغي أداؤه ويقصر عنه كيف يكون
طلبك اللاحق سببا في عطائه السابق هذا دليل على
نفي السببية المذكورة لأن ما طلبه العبد أمر سابق في الأزل
تقديره وطلبه أمر لاحق فيما لا يزال وكيف يكون اللاحق
سببا في وجود السابق وهل المسبب أبدا إلا متقدم على السبب
جل حكم الأزل أن ينضاف إلى العلل هذا دليل آخر
على ما ذكره وهو أن حصول ما طلبه الداعي حكم من الله تعالى
في الأزل فلا يكون سببه الدعا والسؤال لأن أحكام الله تعالى
تجل عن أن تضاف إلى علة أو سبب من قبل أن له الإرادة
المطلقة والمشيئة النافذة فصنعته علة كل شي ولا علة لصنعه
كما قال العارفون المحققون عنايته فيك لا لشي منك
وأين كنت حين واجهتك عنايته وقابلتك رعايته
لم يكن في أزله إخلاص أعمال ولا وجود أحوال
بل لم يكن هناك إلا محض الإفضال وعظيم النوال
عناية الله بك في الأزل حين لم تكن حين لا حين غير معللة

بشيء كاين منكم من اخلاص اعمال او وجود احوال تتوسل
بجميع ذلك اليه وان كنت اذ ذاك وانت عدم محض بل لم
يكن هناك الا محض كرمه وافضاله وعظيم احسانه ونواله
لا غير قال الواسطي رضي الله عنه اقسام قسمت ونعوت
اجريت كيف تستجلب بحركات او تنال بسعايات علم ان
العباد يتشوفون الى ظهور سر العناية فقال يختص
برحمته من يشا وعلم انه لو خلاهم وذلك لتركوا
العمل اعتمادا على الازل فقال ان رحمة الله
قريب من المحسنين ظهور سر العناية التي مقتضاها الرحمة
هو تخصيص المشية في قوله عز من قايل يختص برحمته من يشا ولا علة
له من العبد والاحسان المنسوب اليه في قوله تعالى ان رحمة
الله قريب من المحسنين امارة وعلامة على تلك العناية
وليس بعلة موجبة وانما اسند الرحمة اليه وعلقها به ليلا
يتكل العباد على السابقة ويتركوا العمل الذي هو مقتضى
العبودية الواجبة عليهم الى المشية يستند كل شي
وتنوع ما لم يشا ممالها ولا تستند هي الى شي لاستحالة
وجود النقص فيما يجب له من الكمال وهذه العبارات التي
ذكرها المولف رحمه الله من اول الفصل الى هنا بلغت الغاية
في الحسن واستغنت بكثرة دلالتها ونكرارها عن البيان والشرح
وفيها اشارة الى احكام الازل وفقد الاسباب والعلل
محن على العبد ان يبني عليها اعماله واحواله فيلزم العبودية
والافتقار وعدم التدبير والاختيار لمن بيده ذلك وهذا
هو ادب التوحيد جعلنا الله من اهله بمنه وفضله قال ابو بكر
بن

بن محمد بن موسى الواسطي رضي الله عنه ان الله لا يقرب
فقيرا لاجل فقره ولا يبعد غنيا لاجل غناه وليس للاعراض
عنده خطر حتى بها يصل وبها يقطع ولو بذلت الدنيا
والاخرة ما وصلكم اليه بهما ولو اخذتهما ما قطعكم
بهما قرب من قرب من غير علة وقطع من قطع من غير علة
كما قال الله تعالى ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور
وقال ايضا ما خالفه احد ولا وافقه وكلهم مستعملون
بمشيته وقدرته الى ان يكون له الوفاق والخلاف وهو
مقلب الليل والنهار بما فيهما وهو العالم على الاشيا وبالاشيا بثبا
في بقائها وفنائها لا بدونه وجد ولا بوحشة فقد بل بلا
فقد ولا وجد مما هي رسوم تحت الرسوم وقال رضي
الله عنه ربما دلهم الادب على ترك الطلب اعتمادا على
قسمته واشتغالا بذكره عن مسئلته قد يكون من الادب
ترك السوال والطلب لمن هو مستغرق في الاذكار راض
بما يجري عليه من تصاريف الاقدار وهو احد مذاهب
القوم قال الامام ابو القاسم القشيري رضي الله عنه
واختلف الناس في اي شي افضل الدعا ام السكوت
والرضا فمنهم من قال الدعا في نفسه عبادة قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم الدعا مخ العبادة فالاتيان بما هو عبادة
افضل من تركها ثم هو حق الحق سبحانه وتعالى فان لم
يستجب للعبد ولم يصل الى حظ نفسه فلقد قام بحق الربوبية
لان في الدعا اظهار فاقة العبودية وقد قال ابو حازم الاعرج
لان احرم الدعا اشد علي من ان احرم الاجابة وطايفة قالوا

السكوت والجمود تحت جريان الحكم اتم والرضا بما سبق من
اختيار الحق اولى ولهذا قال الواسطي اختيار ما جرى
لك في الازل خير لك من معارضة الوقت وقد قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم مخبرا عن الله تعالى من شغله ذكري عن
مسألتي اعطيته افضل ما اعطي السائلين وقال قوم يجب
ان يكون العبد صاحب دعاء بلسانه وصاحب رضى بقلبه
ليأتي بالامرين جميعا قال الامام ابو القاسم والاولى
ان يقال ان الاوقات مختلفة ففي بعض الاحوال الدعاء
افضل من السكوت وهو الادب وفي بعض الاحوال السكوت
افضل من الدعاء وهو الادب وانما يعرف ذلك في الوقت
لان علم الوقت يحصل في الوقت فاذا وجد بقلبه اشارة
الدعاء فالدعاء به اولى واذا وجد اشارة الى السكوت
فالسكوت له اولى ويصح ان يقال ينبغي ان لا يكون ساهيا
عن شهود ربه تعالى في حال دعائه ثم يجب ان يراعي حاله
فان وجد من الدعاء زيادة بسط في وقته فالدعاء له اولى
وان عاد الى قلبه في وقت الدعاء شبه زجر ومثل القبض
فالاولى ترك الدعاء في هذا الوقت وان لم يجد في قلبه
لا زيادة بسط ولا حصول زجر فالدعاء وتركه ههنا سيان
وان كان الغالب عليه في هذا الوقت العلم فالدعاء اولى
لكونه عبادة وان كان الغالب عليه في هذا المعرفة والحال
فالسكوت والسكوت اولى ويصح ان يقال ما كان للمسلمين
فيه نصيب او للحق سبحانه فيه حق فالدعاء اولى وما كان لنفسه
فيه حظ فالسكوت اتم وفي الخبر المروي ان العبد ليدعو الله
تعالى

تعالى وهو يحبه فيقول يا جبريل اخر حاجته فاني احب ان اسمع
صوته وان العبد ليدعو وهو يبغضه فيقول يا جبريل اقض
حاجته فاني اكره ان اسمع صوته انتهى كلام ابي القاسم وهو
حسن بديع وهو اوفى مما ذكره المؤلف رحمه الله
انما يذكر من يجوز عليه الاغفال وانما ينبه من يمكن منه الاهمال
اورد هذا الحكمة دليلا على ما ذكره من ان ترك الطلب قد
يكون من الادب وذلك لان في الطلب اشعارا بتجويز الاغفال
عليه فيقع بذلك التذكير له وتلويحا باحتمال وجود الاهمال
منه فيكون ذلك تنبيها له وجميع ذلك محال على الحق
تعالى عن ذلك علوا كبيرا فلاجل هذه العلة كان ترك
الطلب عند هؤلاء ادبا وقد سئل الواسطي ان يدعو فقال
اخشى ان دعوت ان يقال لي ان سألتنا ما لك عندنا
فقد اتهمتنا وان سألتنا ما ليس لك عندنا فقد اسأت
الثناء علينا وان رضيت اجرينا لك من الامور ما قضينا
لك في الدهور وروي عن عبد الله بن منازل انه قال
ما دعوت منذ خمسين سنة وما اريد ان يدعو لي احد
لانه ما منع على الطبق ورود الفاقات اعياد المريدين
الاعياد عبارة عن الاوقات العائدة على الناس بالمسرات
والافراح وهم مختلفون في ذلك فمنهم من مسرته وفرحه
بوجود حظه ونيل شهوته وغرضه وهذا هو حال عامة
المسلمين ومنهم من مسرته وفرحه بفقدان حظوظه
واعواز امانيه واغراضه وهذا هو حال الخاصة
من المريدين لان مدار امرهم انما هو على مراعاة

فاوبهم وتصفية اسرارهم من كدورات الاغيار والاثار
ولا يتاتى لهم ذلك الا بوجود انهم لما بفقرهم من ضروب
الفاقات وانواع الحاجات والضرورات فتراهم
يوثرون الفقر على الغنى والشدة على الرخا والذل
على العز والمرض على الصحة اذ يحصل لهم بذلك رقة
وحلاوة لا يعرف قدرها الا هم لانها من وجودهم القرب
ربهم ورويتهم له في حال فقدان حظهم كما بعضهم
فكلما ازدادوا فاقة زادهم مولاهم قربة وقد كان
بعضهم يطوف حول الكعبة وهو يقول مولى ترى بشملتي كما
ترى وصبية باليه كما ترى وامراتي عريانة كما ترى
يا من يرى الذي بنا ولا يرى اما ترى ما حالي اما ترى
فسمعه بعضهم فجمع لهم كسرا ودفعها اليه فقال له اليك
عني لو كان معي شي لما امكنني ان اقول هذا القول قال في
التنوير وفي البلايا والفاقات من اسرار الالطاف
ما لا يفهمه الا اولوا البصاير الم ترى ان البلايا تخمد
النفوس وتذلها وتدهشها عن طلب حظوظها وتقع مع
البلايا وجود الذلة ومع الذلة يكون النصرة ولقد نصركم
الله ببدر وانتم اذلة وقال ابو اسحق الهروي من
اراد ان يبلغ الشرف كل الشرف فليختر سبعا على سبع
فان الصالحين اختاروها حتى بلغوا سنام الخير ان
يختاروا الفقر على الغنى والجوع على الشبع والدون
على المرتفع والذل على العز والتواضع على الكبر
والحزن على الفرح والموت على الحياة وقد تقدم عن قول
المولف

المولف رضي ان الفاقات بسط لحقه على قدره ثم ذكر القشيري نظيره
الشفا في هذا المعنى فواجب اذا ان يكون ورود الفاقات
اعياد المريدين كما قال فاذا فقدوا ذكر بموانسات
الاسباب استشعروا وجود الحجاب وبعدهم عن محال
الاقتراب فحزنوا لذلك وتاسفوا وودوا لو عاد
عليهم الحال الاول ومن هذا المعنى ما حكي عن خير النساج
قال دخلت بعض المساجد فاذا فيه فقير فلما راني تعلق
بي وقال ايها الشيخ تعطف علي فان محنتي عظيمة فقلت وما
هي قال فقدت البلا وقرنت بالعافية فنظرت فاذا هو
قد فتح عليه بشي من الدنيا وقال بعضهم ان الفقير الصادق
ليحتز من الغنا حذرا ان يدخله الغنا فيفسد عليه
فقره كما ان الغني يحتز من الفقر حذرا ان يدخل عليه
فيفسد عليه غناه وقد تقدم من حكايات عن السلمي وفتح
الموصلي والفضيل بن عياض والربيع بن خثيم ما يوافق
ما ذكرناه وانشدوا في ذكر اعياد المريدين والعارفين
وقيل للغلامي علام الورود بادي رضاه منه قالوا غدا العيد
ما انت لابسه فقلت خلعة ساق حبه جرعا • فقر وصبر
هما ثوباي تحتهما • قلب يرى الفه الاعياد والجمعا •
احرى الملابس ان تلقى الحبيب به • يوم التزاور في الثوب
الذي خلعا • الدهر لي ماتم ان غبت يا املي • والعيد
ما كنت مرأى ومستمعا • ربما وجدت من المزيد في
الفاقات ما لا تجده في الصوم والصلوة وورود الفاقات
يحصل للمريد بها مزيد كثير من صفا القلب وطهارة السر وقد

لا تحصل له بالصوم والصلوة لان الصوم والصلوه قد يكون
له فيهما شهوه وهوى كما تقدم وحلاوات هذا سبيله لا يؤمن
فيه دخول الآفات فلا يفيده تحليه ولا تزكيه بخلاف ورود
الفاقات فانها مباينة الهوى والشهوة على كل حال وقد
تقدم نحو من هذا المعنى عند قوله اذا فتح لك وجهة من
التعريف فلا تبال معها ان قل عملك الى اخره الفاقات بسط
المومن الفاقات تحضره مع الخوف وتجليه على بساط ذنا هيك
بما يكون في ذلك المحاضرة والمجالسة من المواهب الربانية
والنفحات الرحمانية ان اردت ورود المواهب عليك
صحح الفقر والفاقة لديك انما الصدقات للفقراء هذا
مناسب لما ذكره الآن وذكره الآيه عقيبه اشاره بديعه
وتصحيح الفاقة والفقر هو التحقق باوصاف العبودية المذكوره
في المسألة التي تأتي باثر هذه ومما يتعلق بظاهر الآية
استشهد بها المولف رحمه الله على طريقة الفقراء ما قال بعضهم
صدق الفقير اخذ الصدقة ممن يعطيه لا ممن تقبل على يديه
فالحق تعالى هو المعطي على الحقيقة لانه جعلها لهم فان قبلها
من الحق فهو الصادق في فقره بعلو همته ومن قبلها من
الوسايط فهو المتوسم بالفقر مع دناة همته تحقق باوصافك
يمدك باوصافه تحقق بذلك يمدك بعزه تحقق
بعجزك يمدك بقدرته تحقق بضعفك يمدك بحوله
وقوته هذا مناسب لما ذكره من الفاقات والمواهب
وقد تقدم التنبيه على هذا المعنى عند قوله كن باوصاف
ربوبيته متعلقا وباوصاف عبوديته متحققا قال سيدي
ابو

ابو الحسن الشاذلي بعد كلام ذكره وتصحيح العبودية بملازمة
الفقر والعجز والضعف والذل لله تعالى واضدادها اوصاف
الربوبية فما لك ولها فلازم اوصافك وتعلق باوصافه
وقل من بساط الفقر الحقيقي يا غني من للفقير غيرك ومن
بساط الضعف يا قوي من للضعيف غيرك ومن بساط العجز
يا قادر من للعاجز غيرك ومن بساط الذل يا عزيز من
للذليل غيرك تجد الاجابة كانها طوع يديك واستعينوا بالله
واصبروا ان الله مع الصابرين انتهى كلام سيدي ابي الحسن
رضي الله عنه وهو معنى ما ذكره المولف رحمه الله ههنا
واكثر كلام المولف جار على منهاج كلام ابي الحسن رضي الله
عنهما ونفع بهما امين وقال رضي الله عنه ربما رزق
الكرامة من لم تكمل له الاستقامة الكرامة الحقيقية
انما هي حصول الاستقامه والوصول الى كمالها ومرجعها
الى امرين صحة الايمان بالله عز وجل واتباع ما جا به
رسول الله صلى الله عليه وسلم ظاهرا وباطنا فالواجب على
العبد ان لا يحرص الا عليها ولا يكون له همة الا في الوصول
اليها واما الكرامة بمعنى خرق العادة فلا عبره بها
عند المحققين اذ قد يرزق ذلك من لم تكمل له الاستقامه
قال سيدي ابو الحسن الشاذلي رضي الله عنه انما هما
كرامتان جامعتان محيطتان كرامة الايمان بمزيد
الايقان وشهود العيان وكرامة العمل على الاقتدا والمتابعة
ومجانبة الدعوى والمخادعة فمن اعطيهما ثم يشتاق الى غيرهما جعل صح
فهو عبد مفتر كذاب او ذو خطا في العلم والعمل بالصواب

كمنه الكريم بشهود المالك على نعت الرضا وكل كرامة لا يصحبها
الرضا فجعل اشتاق الى سياسة الدواب وخلع الرضا وكل
كرامة لا يصحبها الرضا عن الله ومن الله فصاحبها مستدرج مغرور
وناقص او هالك مثبور وقال سيدي ابو العباس المرسي
رضي الله عنه ليس الشان من تطوى له الارض فاذا هو بمكة
وغيرها من البلدان انما الشان من تطوى عنه اوصاف
نفسه فاذا هو عند ربه وذكر عن سهل بن عبد الله الكراما
فقال وما الايات وما الكرامات هي شي تنقضي لوقتها
ولكن اكبر الكرامات ان تبدل خلقا مذموما من اخلاق
نفسك بخلق محمود وقال بعض المشايخ لا تعجبوا ممن لم
يضع في جيبه شيا فيدخل يده في جيبه فيخرج منه ما يريد
ولكن تعجبوا ممن يضع في جيبه شيا فيدخل يده في جيبه
فلا يجده فلا يتغير قيل لابي محمد المرتعش ان فلانا
يمشي على الما فقال عندي من مكنه الله من مخالفة هواه
فهو اعظم من المشي على الهوا والما وقال ابو يزيد رضي
الله عنه لو ان رجلا بسط مصلاه على الما وتربع في الهوا
فلا تقتدوا به حتى تنظروا اتبعه تجدونه في الامر والنهي
وقيل له فلان يقال انه يمر في ليلة الى مكة فقال الشيطان
يمر في لحظة من المشرق الى المغرب وهو في لعنة الله وقيل
له ان فلانا يمشي على الما فقال الحيتان في الما والطير في
الهوا اعجب من ذلك وقال الجنيد رضي الله عنه وعامة حجاب
قلوب الخاصة المختصة بهم رؤية النعم والتلذذ بالعطا
والسكون الى الكرامات وقد تقدم مثل هذا منه قوله

ليس

كمل

ليس كل من ثبت تخصيصه كمل تخليصه من علامة إقامة
الحق لك في الشيء إدامته إياك فيه مع حصول النتائج
لا اعتبار بما يقوم منه العبد بنفسه من عمل او حال وانما
العبرة بما يقيمه فيه ربه وعلامة اقامة الله تعالى عبده
في الشيء ان يديمه عليه وتحصل له ثمرته ونتيجته وينبني
على هذا اذا انواع معاملات وقد اشرنا الى نحو
من هذا عند قول المؤلف رحمه الله ارادتك التجريد مع
اقامة الله تعالى اياك في الاسباب الى اخره من عبر من بساط
احسانه اصمتته الاساءة ومن عبر من بساط احسان
الله اليه لم يصمت اذا اسا من شاهد احسان نفسه
وعمله بطاعة ربه انبسط لسانه بالنصيحة والموعظة
لعباد الله فان وقعت منه ~~اساءة~~ هفوة فعقت منه اساءة ومخالفة
انقمع عن ذلك وصمت لما يعتريه من الخجل والحياء وهذه
طريقة اهل التكليف الذين ينظرون الى ما هو منهم
الى الله تعالى من عمل صالح او طالح ومن شاهد احسان
الله اليه وغاب عن رؤية احسانه هو انبسط لسانه في
الحالين من غير فرق لان مشاهدته لوحدانية الله وفيضه
اوجبت جراته على ذلك وقد قيل جراة الجنان تنطق اللسان
وتخلق العنان وهذه طريقة اهل التعريف الذين
ينظرون الى ما من الله تعالى اليهم قلت وما ذكرته هنا
من لفظي التعريف والتكليف وما نبهت به على بساط الكلام
اللطيف اشرت به الى مسيلة عظيمة مهمة ينبني عليها اداب
واحكام جمة وهي مسيلة في حر انفسهم ومن احكامها مسيلة

بيان اصمتته

التعبير التي اقتصر المؤلف رحمه الله عليها في فضل العقل ولم
يذكر معها سواها مما ينبني على ذلك الاصل وقد نبه
عليها في لطائف المنن واتى فيها بكلام حسن فرأينا ان
ننقله ههنا بكماله ليتبين به مقصودنا في تفصيله واجماله
قال فيه وقال رضي الله عنه يعني شيخه ابا العباس الناس
على ثلاثة اقسام عبد شهوده ما منه الى الله وعبد شهوده
ما من الله اليه وعبد هو شهوده ما من الله الى الله قال
ومعنى كلام الشيخ هذا ان من الناس من يكون الغالب عليه
شهود تقصيره واساءته فيقوم مقام المعتذر بين يدي
الله وتلازمه الاحزان ونحا الغم والاستحياء ويستولي
عليه الكمد كلما بدت منه سيئة او كشف له عن اوصاف سوء وعبد
آخر الغالب عليه شهوده ما من الله اليه من الفضل والاحسان
والجود والامتنان فهذا تلازمه المسرة بالله والفرح
بنعمة الله قال الله تعالى قل بفضل الله وبرحمته فبذلك
فليفرحوا هو خير مما يجمعون فالاول حال العباد والثاني
حال اهل العناية والوداد والاول شان اهل التكليف
والثاني شان اهل التعريف الاول حال اهل اليقظة والثاني
حال اهل المعرفة فلذلك قال الشيخ ابو الحسن رضي الله
عنه العارف من عرف شدائد الزمان في الالطاف الجارية
من الله عليه وعرف اساءته في احسان الله اليه فاذكروا
آلاء الله لعلكم تفلحون وقال رضي الله عنه قليل العمل
مع شهود المنة من الله تعالى خير من كثير العمل مع رؤية
التقصير من النفس وقال بعض اهل المعرفة لا يخلو شهود

التقصير

التقصير من الشرك في التقدير وقال الشيخ ابو الحسن رضي الله
عنه خرجت ليلة من الليالي فلاعوذ برب الناس الى ان انتهيت
الى قوله من شر الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور
الناس من الجنة والناس فقيل لي شر الوسواس وسواس
يدخل بينك وبين حبيبك ينسيك الطافه المحسنة ويذكرك
افعالك السيئة ويقلل عندك ذات اليمين ويكثر عندك
ذات الشمال ليعدل بك عن حسن الظن بالله ورسوله
الى سوء الظن بالله ورسوله فاحذر هذا الباب فقد اخذ منه
كثير من الزهاد والعباد واهل الجد والاجتهاد ولذلك
فلا تجد الزاهد والعابد الا مكمودا حزينا لانه علم
ان الله سبحانه وتعالى كلفه بالعبودية وحمله اعباءها
والزمه ما اشفقت منه السموات والارض والجبال فابين
ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوما
جهولا فعاين الزهاد ثقل ما حملوا ولم ينفذوا الى شهود
لطف الحامل للاثقال عمن بما دون المتوكلين عليه فلذلك
لزمهم الكمد واستولى عليهم الحزن واهل المعرفة
بالله علموا انهم حملوا من التكليف امرا عظيما وعلموا
ضعفهم عن حمله والقيام به متى وكلوا الى انفسهم
قال الله عز وجل وخلق الانسان ضعيفا وعلموا انهم
اذا رجعوا الى الله عز وجل حمل عنهم ما حملهم قال
الله تعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه فرجعوا اليه
بصدق الرجوع فحمل عنهم الاثقال فساروا الى الله
محمولين في محفات المنن مروح عليهم بنسمات اللطف

مهم

والآخرون سائرون إلى الله حاملين لأثقال التكاليف فتارة
المشقات وتحول عليهم المخافات فإن شاء أدركهم
بلطفه فأخذ بأيديهم من شهود معاملتهم إلى شهود
سابق توفيقه لهم فخابت لهم الأوقات واستغرقت
عليهم العنايات بهم متعلقات وأما القسم الثالث فهم
الذين أمرهم الله تعالى بشهود ما من الله إلى الله هؤلاء هم
أهل التوحيد والإخلاص في ميادين التفريد وأهل
القسم الأول هم الذين غلب عليهم شهود ما منهم إلى الله
لم يخرجوا عن الأخذ بالشرك وإن خرجوا عن ذلك فهم لا ينفكون
أقبلوا على أنفسهم موبخين لها شاهدين لتقصيرهم وإن ثم
فلو لم يشهدوا إلا الفعل لها ومنها ما توجهوا لها بالتوبيخ
إذا قصرت فلذلك قال ذلك العارف الذي سبق قوله
لا يخلو شهود التقصير من الشرك في التقدير فإن قلت
إذا كان توبيخ النفس وذمها يستلزم رؤية الشرك فكيف
نصنع والله تعالى قد ذم النفس وأمرنا بتوبيخها إذا
قصرت وذمها بهذا إذا كانت كذلك فالجواب أن ذمها
لأن الله تعالى أمر بذمها من غير أن نشهد لها قدرة
أو نضيف إليها فعلا لأثر لها في الفاعلية وأما القسم الثاني
وهم الذين شهدوا ما من الله إليه فهم وإن كان خيرا
من القسم الأول ولكنه لا يخلو من إثبات لنفسه إذ رأى
نفسه مهداة إليها هدايا الحق فلولا إثباته لنفسه
ما شهد ذلك فلأجل هذا ثبت المعنيين أثر أهل الله
تعالى القسم الثالث وهو أن يكون بشهود ما من الله
إلى

إلى الله فافهم انتهى كلامه رحمه الله ولا خفاء بما تضمنه
من الفوائد الجليلة والمقاصد النبيلة دعانا قرب المناسبة
إلى ذكره على ما نحن عليه في هذا الموضع والله الموفق لا رب غيره
تسبق أنوار الحكماء أقوالهم فحيث صار التنوير
وصل التعبير الحكماء هم العارفون بالله تعالى العالمون
به والأنوار المضمونة التي لهم هي أنوار علمهم وهي
قوة يقينهم فإن الأمور كلها بيد الله تعالى لا شريك
له فيها فإذا أرادوا إرشاد عباد الله تعالى ونصيحتهم
بإذن من الله تعالى سبقت أنوار قلوبهم إلى الله تعالى بالالتجاء
والافتقار إليه في أن يتولى لهم أمر قلوب عباده بأن يجعل
فيها أهلية واستعدادا للقبول لما يريدون أن يوردوه عليهم
من كلام الحكمة فيحييهم إلى ذلك فإذا تكلموا به تلقته
قلوبهم التي وصل إليها ثمار أنوار أسرار الحكماء كما تتلقى
الأرض الميتة وابل المطر فينتفعون بذلك أتم انتفاع
وقد أوصى لقمان الحكيم ولده فقال يا بني إنه يحيي القلوب
قد يبقى بشيء جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك فإن
الله يحيي القلوب الميتة بنور الحكمة كما يحيي الأرض الميتة
بوابل السماء وإنما جعلنا الحكماء هم العارفين بالله تعالى
العالمين به لأنهم خائفون من الله تعالى وفي بعض
الآثار رأس الحكمة مخافة الله والخوف من ثمرات
العلم بالله قال الله تعالى إنما يخشى الله من عباده العلماء
والعلم الموجب للخشية هو العلم بالله تعالى فقط فالحكماء هم
العارفون بالله تعالى وإن كانوا ضعفاء في سائر العلوم

الذهبية كليلة المستهمر في البيات عمتها كلام يبرز وعليه
كسوة القلب الذي منه برز اللسان ترجمان القلب
فاذا صفا من الاكدار وتزكى من الاغيار واشرقت فيها الانوار
كانت ترجمانية لسانه على حسب ذلك فيتكلم بالكلام النوراني
الذي يلج اذان السامعين فتنفتح اقفال قلوبهم فيستجيبوا
لنداء حبيبهم روى الحافظ ابو نعيم رحمه الله عن سعيد
بن عامر قال كان قاض يجلس قريبا من مجلس محمد بن واسع
فقال له يوما وهو يوبخ جلساءه مالي ارى القلوب لا تخشع ومالي
ارى العيون لا تدمع ومالي ارى الجلود لا تقشعر فقال محمد
بن واسع يا عبد الله ما ارى القوم اتوا الا من قبلك ان
الذكر اذا خرج من القلب وقع على القلب قلت وقد
حاز المؤلف رحمه الله قصب السبق في هذا المعنى الذي
ذكره ومن يسر من كلامه في هذا الكتاب وفي غيره وحصل له
من التاثير المحمود شاهد ما قلناه وكفى شهادة شيخه ابي العباس
احمد المرسي رحمه الله على عظيم قدره وعنايته له برهانا
على ذلك قال في لطائف المنن وكنت قلت لبعض تلامذة
الشيخ يعني ابا العباس اريد ان انظر الى الشيخ من عنايته وجعلني
في خاطره فقال اذكر للشيخ فلما دخلت على الشيخ قال رضي الله
عنه لا تطالبوا الشيخ بان تكونوا في خاطره بل طالبوا انفسكم
ان يكون في خاطركم فعلى مقدار ما يكون عندكم تكونوا
عنده ثم قال اي شيء تريد ان تكون والله ليكونن لك
شان عظيم والله ليكونن لك شان عظيم قال فكان من فضل
الله سبحانه ما لا انكره قال واخبرني سيدنا جمال الدين ولد
الشيخ

ليكونن لك كذا وكذا
لم اثبت منه الا قوله
صح

الشيخ قال قلت للشيخ هم يريدون ان يصدروا ابن عطاء الله
في الفقه فقال الشيخ هم يصدرونه في الفقه وانا اصدره
في التصوف قال ودخلت عليه فقال اذا جاءك الفقيه ناصر
الدين يجلسك في موضع جدك ويجلس الفقيه من ناحية وانا
من ناحية وتتكلم ان شاء الله في العالمين فكان ما اخبر
به قال وسمعته رضي الله عنه يقول اريد ان استنسخ كتاب
التهذيب لولدي جمال الدين فذهبت انا فاستنسخته
من غير ان اعلم الشيخ وابتدأت بالجزء الاول فقال اما هذا
فلتة كتاب التهذيب استنسختموه كلكم فاخذه فلما نهض
ليقوم قال اجعله بالنية الاولى لا ينقضه عليه احد تجد هذا
ان شاء الله في خيرانك فلما اتيته بالجزء الثاني لقيني بعض
اصحابه بمنزلي من عنده قال قال الشيخ عنكم ان قرأه
لا جعله عينا من عيون الله يقتدى به في علم الظاهر
والباطن فلما اتيته بالجزء الثالث ونزلت من عنده
لقيني بعض اصحابه وقال اطلعت عند الشيخ فوجدت عنده
مجلدة حمراء فقال هذا الكتاب استنسخه لي ابن عطاء الله
والله ما ارضى له بجائحة ولكن من زيادة التصوف قال
واخبرني بعض اصحابه قال قال الشيخ يوما اذا جاء ابن الفقيه
الاسكندراني فاعلموني به فلما اتيت اعلموا الشيخ بذلك
فقال تقدم فتقدمت الى بين يديه ثم قال جاء جبريل
عليه السلام الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه ملك الجبال
حين كذبته قريش فقال له هذا ملك الجبال قد امره
الله ان يطيعك امر لك في قريش فقال له صلى عليه ملك الجبال

ثم قال يا محمد ان شئت ان اطبق عليهم الاخشبين فعلت
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ولكن ارجو ان يخرج الله
من اصلابهم من يوحد الله ولا يشرك به شيئا فصبر عليهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم رجاء ان يخرج الله من اصلابهم
كذلك صبرنا على هجر هذا الفقيه لاجل هذا الفقيه قال
وخرجت يوما من عند الفقيه المكين الاسمر وخرج معي
ابو الحسن الحربيري من اصحاب الشيخ ابي الحسن فسلمت
عليه وسلم علي ببشاشة واقبال فقلت له من اين تعرفني
قال وكيف لا اعرفك كنت يوما جالسا عند الشيخ ابي العباس
وكنت انت عنده فلما نزلت قلت له يا سيدي انه ليعجبني
هذا الشاب انقطع فلان وقلّ عن الملازمة وهذا الشاب
ملازم قال فقال الشيخ يا ابا الحسن لن يموت هذا الشاب
حتى يكون داعيا يدعو الى الله تعالى وكان ما قال الشيخ
قال وكنت [illegible] كثيرا ما يجري علي الوسواس في الطهارة
فبلغ ذلك الشيخ فقال بلغني ان بك وسواسا في الوضوء
قلت نعم قال رضي الله عنه هذه الطائفة تلعب بالشيطان
لا ان الشيطان يلعب بها ثم مكثت اياما ودخلت عليه
فقال ما حال ذلك الوسواس قلت على حاله فقال ان
كنت لا تترك الوسواس لا تقعد تأتينا فشق
ذلك علي الشيخ وقطع الله الوسواس عني قال وكان رحمه
الله ورضي عنه يلقن للوسواس سبحان الملك الخلاق ان يشأ
يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز قال
وعملت قصيدة اخرى باشارته جوابا لقصيدة مدحها انسان
من

امدحه بها فقال حين
انشدت ايدك الله
بروح القدس قال
ثم عملت له قصيدة

من الاخميم فلما قربت عليه قال رضي الله عنه صحبني هذا الفقيه
وبه مرضان وقد عافاه الله منهما ولا بد ان يجلس ويتحدث في العالمين
يشير الشيخ الى مرضي الله عنه الوسوسة قال فلقد انقطع عني ببركات
الشيخ حتى صرت اخاف ان اكون تركت التوسعة التي اجد بها
قد تساهلت في بعض الامر والمرض الآخر كانت لي آلام بدا
سي
تكون ذلك اليه فدعا لي فعافاني الله وشفاني قال ومن ليلة
من الليالي مهموما فرأيت الشيخ في المنام فشكوت اليه ما انا
فيه فقال اسكت والله لاعلمنك علما عظيما فلما انتبهت
جئت الى الشيخ فقصصت عليه الرؤيا فقال هكذا يكون ان
شاء الله تعالى قال رجع يوما من السفر فخرجنا للقائه فلما
سلمنا عليه قال يا احمد كان الله لك وحفظك وسلك بك
سبيل اوليائه وحال بينك وبين خلقه قال فلقد وجدت
بركة هذا الدعا وعلمت انه لا يمكنني الانقطاع عن الخلق
والامر داعيهم للقوله وحال بيني وبين خلقه قال وكنت انا
لامره من المنكرين وعليه من المعترضين لا لشيء سمعته
منه ولا لشيء صح نقله عنه حتى جرت مقاولة بيني وبين
بعض اصحابه وذلك قبل صحبتي اياه وقلت لذلك الرجل
ليس الا اهل العلم الظاهر وهؤلاء القوم يدعون
امورا عظاما وظاهر الشرع يأباها فقال ذلك الرجل
بعد ان صحب الشيخ تدري ما قال لي هذا الشيخ يوم تخاصمنا
قلت لا قال دخلت عليه فاول ما قال لي هؤلاء كالحجر ما اخطأك
منه خيرهما اصابك فعلمت ان الشيخ قد كوشف بامرنا ولعمري
لقد صحبت الشيخ اثني عشر عاما فما سمعت منه شيئا ينكره

ثم قال يا محمد ان سيت ان الحق عليهم الا خبيث فعلت
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ولكن ارجو ان يخرج الله
من اصلابهم من يوحد الله ولا يشرك به شيئا فصبر عليهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم رجاء ان يخرج الله من اصلابهم
كذلكم صبرنا على حجر هذا الفقيه لاجل هذا الفقيه قال
وخرجت يوما من عند الفقيه المكين الاسمر وخرج معي
ابو الحسن الحريري من اصحاب الشيخ ابي الحسن فلما
عليه وسلم علي ببشاشة واقبال فقلت له من اين تعرفني
قال وكيف لا اعرفك كنت يوما جالسا عند الشيخ ابي العباس
وكنت انت عنده فلما نزلت قلت له يا سيدي انه ليعجبني
هذا الشاب انقطع فلان وفلان عن الملازمة وهذا الشاب
ملازم قال فقال الشيخ يا ابا الحسن لن يموت هذا الشاب
حتى يكون داعيا يدعو الى الله تعالى وكان ما قال الشيخ
قال وكنت دخلني كثيرا ما يجري علي الوسواس في الطهارة
فبلغ ذلك الشيخ فقال بلغني ان فلان وسواسا في الوضوء
قلت نعم قال رضي الله عنه هذه الطائفة تلعب بالشيطان
لا ان الشيطان يلعب بها ثم مكثت اياما ودخلت عليه
فقال ما حال ذلك الوسواس قلت على حاله فقال ان
كنتم لا تبرحوا تتركوا الوسواس لا تعودوا تاتونا فشق
ذلك على الشيخ وقطع الله الوسواس عني قال وكان رحمه
الله ورضي عنه يلقن للوسواس سبحان الملك الخلاق ان يشا
يذهبكم ويات بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز قال
وعملت قصيدة اخرى باشارته جوابا لقصيدة مدحه بها انسان
من

امدحه بها فقال حين انشدت ابدع الله بروح القدس قال ثم عملت له قصيدة

من لا الرحيم فلما قربت عليه قال رضي الله عنه صحبني هذا الفقيه
وبه مرضان وقد عافاه الله منهما ولا بد ان يجلس ويتحدث في العالمين
بشر الشيخ مرضي الى الله عنه الوسوسة قال فلقد انقطع عني ببركات
الشيخ حتى صرت اخاف ان اكون تركت التوسعة التي اجدها
قد تساهلت في بعض الامر والمرض الاخر كان لي الم بسرا
فشكوت ذلك اليه فدعا لي فعافاني الله وشفاني قال ومن ليلة
من الليالي مهموما فرايت الشيخ في المنام فشكوت اليه ما انا
فيه فقال اسكت والله لاعلمنك علما عظيما فلما انتبهت
جئت الى الشيخ فقصصت عليه الرؤيا فقال هكذا يكون ان
شاء الله تعالى قال وجا يوما من السفر فخرجنا للقائه فلما
سلمنا عليه قال يا احمد كان الله لك ولطف بك وسلك بك
سبيل اوليائه وحال بينك وبين خلقه قال فلقد وجدت
بركت هذا الدعا وعلمت انه لا يمكنني الانقطاع عن الخلق
والامر ردهم للقوله ويحال بين خلقه قال وكنت انا
لامره من المنكرين وعليه من المعترضين لا لشي سمعته
منه ولا لشي صح نقله عنه حتى جرت مقاولة بيني وبين
بعض اصحابه وذلك قبل صحبتي اياه وقلت لذلك الرجل
ليس الا اهل العلم الظاهر وهولا القوم يدعون
امورا عظاما وظاهر الشرع يأباها فقال ذلك الرجل
بعد ان صحب الشيخ تدري ما قال لي هذا الشيخ يوم تخاصمنا
قلت لا قال دخلت عليه فاول ما قال لي هو لا كالحجر ما اخطا
منه غير ما اصابك فعلمت ان الشيخ اوشو باحرنا وكم
لقد صحبت الشيخ اثني عشر عاما فما سمعت منه شيئا ينكره

ظاهر العلم من الذي كان ينقله منه من يقصد الاذى فكان
سبب اجتماعي معه ان قلت في نفسي بعد ان ~~خرجت~~ جرت
المخاصمة بيني وبين ذلك الرجل دعني اذهب الى
هذا الرجل فصاحب الحق له امارات لا يخفى شانه فاتيته
الى مجلسه فوجدته يتكلم في الانفاس التي امر الشارع بها
فقال الاول اسلام والثاني ايمان والثالث احسان
وان شئت قلت الاول عبادة والثاني عبودية والثالث
عبودة وان شئت قلت الاول شريعة والثاني حقيقة
والثالث تحقق او نحو هذا فما زال يقول وان ~~شئت~~
شئت قلت الى ان انبهر عقلي وعلمت ان الرجل انما يغترف
من فيض بحر الهي ومدد رباني فاذهب الله ما كان عندي
ثم انتبت تلك الليلة الى المنزل فلم اجد شيئا ينقبل
الاجتماع بالاهل على عادتي ووجدت معنى غريبا لا ادرك
ما هو فانفردت في مكان انظر الى السماء والى نجومها
وما خلق الله فيها من عجايب قدرته فحملني ذلك على العود
اليه مرة اخرى فاتيته فاستوذنت عليه فلما دخلت عليه
قام وتلقاني ببشاشة واقبال حتى دهشت خجلا واستصغرت
نفسي ان اكون اهلا لذلك فكان اول ما قلت يا سيدي
انا والله احبك فقال احبك الله كما احببتني ثم شكوت
اليه ما اجده من هموم واحزان فقال احوال العبد
اربعة لا خامس لها النعمة والبلية والطاعة والمعصية
فان كنت بالنعمة فمقتضى الحق منك الشكر وان كنت
بالبلية فمقتضى الحق منك الصبر وان كنت بالطاعة

فمقتضى

فمقتضى الحق منك شهود المنة وان كنت بالمعصية فمقتضى
الحق منك وجود الاستغفار قال فقمت من عنده كانما كانت
تلك الهموم والاحزان ثوبا نزعته قال ثم سالني بعد
ذلك بمدة كيف حالك فقلت افتش على الهموم لا اجدها فقال
ليلي بوجهك مشرق وظلامه في الناس سارى • والناس
في سدف الظلام ونحن في ضوء النهار • الزم فوالله ان
لزمت لتكونن مفتيا في المذهبين يريد مذهب الشريعة
اهل العلم الظاهر ومذهب اهل الحقيقة اهل العلم الباطن
انتهى ما نقلته من لطايف المنن وانما اوردت ذلك
ههنا على طوله ليعرف منه قدر المولف رحمه الله
وليدفع بواضح برهانه جحد الكاشح وتعنت المتعسف
ولنتعرض من ذلك لنزول الرحمة من الله تعالى علينا وموالات
منحه وعطاياه لدينا وقد قيل عند ذكر الصالحين تتنزل
الرحمة مع ما في ذلك من قرب المناسبة لمعنى ما اورده المو
من الكلام الجاري به قصب السبق بين من عاصره من الايمة
والاعلام واما شيخه ابو العباس وشيخ شيخه ابو الحسن فحالهما
اوضح من نار على علم ولقد طرزت بحلا اسمهما الكتب والدفاتر
وزينت بماثرهما وعلومهما الالسنة والاقلام والصحف
والمعابد ولولا خشية الملالة وكراهة الاطالة لذكرنا من
ذلك ما يبهر عقول السامعين والمطالعين ويرغم
انوف الجاحدين • سيكفيك عن ذكر الجمال الاشارة • ودعه
مصونا بالجمال محجبا • من اذن له في التعبير فهمت
في مسامع الخلق عبارته وجليت اليهم اشارته

الماذون له في التعبير هو الذي يتكلم لله وبالله وفي الله
ولذلك كان كلامه صوابا قال الجنيد رضي الله عنه عند الصواب
كل نطق عن اذن اشار بهذا والله اعلم الى قوله تعالى لا
يتكلمون الا من اذن له الرحمن وقال صوابا فاذا قرع اسماع
السامعين كلامه فهمته صراحا في مسامعهم عبارته فلم
يفتقر الى معاودة ولا تكرار وجليت اليهم اشارته فلم
يحتاجوا معها الى الخطاب ولا التكرار بخلاف غير الماذون له
في ذلك قيل لحمدون بن احمد بن عمارة القصار ما بال كلام
السلف انفع من كلامنا قال لانهم تكلموا لعز الاسلام ونجاة
النفوس ورضاء الرحمن ونحن نتكلم لعز النفس وطلب الدنيا
وقبول الخلق **ربما برزت الحقايق مكسوفة الانوار
اذا لم يؤذن لك فيها بالاظهار** من لم يستكمل الاوصاف
المذكورة ولم يؤذن له في اظهار شي من الحقايق الربانية
فان اظهرها برزت مكسوفة الانوار لما غشيها من ظلمة
رؤية الاغيار فمجتها اذان السامعين وانكرتها قلوبهم
وعلامة استكمال الاوصاف المذكورة ان يفتح له باب
التعبير مع وجود السلامة من افات النطق قال في لطايف
المنن من احد مواهب الله تعالى لاوليايه وجود
العبارة قال وسمعت شيخنا ابا العباس يقول الولي يكون
مشحونا بالعلوم والمعارف والحقايق لديه مشهودة حتى
اذا اعطي كان كالاذن من الله له في الكلام قال وسمعت
شيخنا ابا العباس يقول كلام الماذون له يخرج وعليه
كسوة وطلاوة وكلام الذي لم يوذن له يخرج مكسوف
الانوار

الانوار حتى ان الرجلان ليتكلمان بالحقيقة الواحدة فتقبل
من احدهما وترد على الاخر **عبارتهم اما لفيضان
وجد او لقصد هداية مريد فالاول حال السالكين
والثاني حال ارباب المكنة والمتحققين** انما يقع
التعبير منهم معظما بما لعوت به من الامور الغيبية والامور
الاشهادية لاحد معنيين اما لغلبة الوجد عليهم وفيضانه
وهم معذورون في ذلك لوجود الغلبة عليهم وهذا
حال السالكين من اهل البداية واما لقصد هداية
مريد فيلزمهم ذكر ما فيه من فايدة الارشاد والهداية
وهذا حال اهل التمكين والمتحققين من اهل النهاية فان
عبر السالك لا من غلبة وجد كان في ذلك نوع من الدعوى وان
عبر المتمكن عن غير قصد هداية مريد كان في ذلك افشاء
سر لم يوذن له فيه وايضا فحاله يقتضي وجود الصمت وعدم
النطق لانه في حضرة الحق سبحانه وتعالى يتلقى ما يرد على سمع
قلبه من عجايب العلوم وغرايب الفهوم فكيف يبدر منهم
نطق او تعبير على غير الوجه المذكور والصمت من اداب
الحضرة قال الله تعالى وخشعت الاصوات للرحمن فلا تسمع الا همسا
**العبارة قوت لعايلة المستمعين وليس لك الا ما انت له
اكل** المستمعون موسومون بالفقر والحاجة الى معنى ما يستمعون
اليه من المواعظ والحكم وهو قوت قلوبهم وغذاء ارواحهم
كما ان المستطعمين والسوال موسومون بالفقر والحاجة الى
الاقوات لابدانهم وكما ان الاقوات نوع مختلفة فلا يصلح لواحد
منهم الا ما يصلح للاخر من الاطعمة والاشربة لاختلافها كما يعلمهم

وامزجتهم فكذلك اقوات هولاء الاخرين مختلفة فلا يصلح
لواحد منهم من العبارات التي تتضمن وجود القوت المعنوي
ما يصلح للاخر لاختلاف امزجتهم وتباين مشاربهم فاذا
سمعت عبارة من عالم او عارف واحد من اهل هذا الطريق
ولم تحظ منها بشي فاعلم انها لا تصلح لقوتك وغذايك وهي
صالحة لقوم اخرين ومما ينتظم في هذا السلك ان يقرع
اسماع بعض الناس العبارة من بعض الاشخاص فيفهم
منه معنى لم يقصده المتكلم او بيتا شعريا فيجد بذلك تاثيرا
عجيبا وقد يقع ذلك لجماعة من الناس فيفهم كل واحد منهم
ما لا يفهمه الاخر ويحصل لهم بذلك التاثر مع ان المتكلم
لم يرد شيا من ذلك وربما تمضي الحال وقد سمع ارباب القلوب
من الجمادات ويتعدون به لبعض الحالات قال في لطايف المنن
وربما يفهم فهم من المعنى غير ما قصد واضعه كما اخبرنا الشيخ
الامام المعتبر الامام تقي الدين محمد بن علي القشيري قال كان
ببغداد فقيه يقال له الجوزي يقرر اثنا عشر علما فخرج يوما
قاصد المدرسة فسمع منشدا يقول • اذا العشرين من شعبان
ولت • فواصل شرب ليلك بالنهار • ولا تشرب باقداح
صغار • فان الوقت ضاق عن الصغار • فخرج هايما على وجهه
حتى اتى مكة ولم يزل بها مجاورا حتى مات قال وقرا على
الشيخ مكين الدين الاسمر قول القايل • لو كان لي مسعد
بالراح يسعدني • لما انتظرت لشرب الراح افطار • يا من
يلوم على صهبا مصفقة • خذ الجنان ودعني اسكن النار • فقال
انسان هناك لا يجوز قراة هذه الابيات فقال الشيخ مكين الدين
الاسمر

الاسمر للقاري اقرا فهما هذا رجل محجوب والشيخ مكين الدين
هذا هو الذي شهد له ابو الحسن الشاذلي رضي الله عنهما بانه
من السبعة الابدال قال ويكفيك في هذا ان ثلثة سمعوا مناديا
ينادي يا سعتر بري ففهم كل واحد منهم مخاطبة عن الله تعالى
خوطب بها في سره فسمع الواحد اسع ترى بري وسمع
الاخر الساعة ترى بري وسمع الاخر ما اوسع بري فالمسموع
واحد واختلفت افهام السامعين كما قال تعالى تسقى بما
واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل وقال سبحانه
قد علم كل اناس مشربهم فاما الذي سمع اسع ترى
بري فهو مريد ذاعيا النهوض الى الله تعالى بالاعمال
فيستقبل الطريق بالجد وقيل له اسع الينا فعن قليل
ترى برنا بوجود المواصلة واما الثاني فكان سالكا
الى الله في ولته الاوقات فخاف ان تفوته الوصلة فقيل له
ترى بجاعد قلبه لما احرقته نار الشوق الساعة ترى بري
واما الاخر فعارف كشف له عن وسع الكرم فخوطب من حيث
انشهد فسمع ما اوسع بري قال وقال الشيخ محيي الدين
بن عربي رحمه الله دعانا بعض الفقرا الى دعوة بزقاق
القناديل بمصر فاجتمع بها جماعة من المشايخ فقدم الطعام
وبعض الاوعية وهناك وعا زجاج قد اتخذ للبول ولم
يستعمل فقرب فيه رب المنزل الطعام للجماعة واذا الوعاء
يقول الان اذ اكرمني الله باكل هولا السادة منه لا ارضى لنفسي
ان اكون بعد ذلك محلا للاذى ثم انكسر نصفين قال الشيخ
محيي الدين فقلت للجمع سمعتم ما قال الوعا قالوا نعم

قال بعضهم فأعادوا القول الذي تقدم فقال فقلت قوله
غير ذلك قالوا وما هو قلت قال لكم قلوبكم فرغها
الله بالا بيان فلا ترضوا بعد ذلك أن تكون لنجاسة المعصية
وحب الدنيا جعلنا الله وإياكم من أولى الفهم عنه والتلقي
منه قلت وهذه المنازع كلها مما تتلمح ونستطرف وتتأثر
بها القلوب السليمة وتنقاد لها النفوس الكريمة وقد جرت
عادة أئمة الطريق بتتبعها وإيرادها في محالها فلا حرج
علينا إذا في ذكر بعض ذلك إذا كانت له مناسبة تامة ووجدت
فيها فائدة خاصة أو عامة وبالله التوفيق لا رب غيره
ربما عبر عن المقام من استشرف عليه وربما عبر عنه
من وصل إليه وذلك ملتبس إلا على صاحب بصيرة
كما أن الواصل إلى مقام من مقامات اليقين يعبر عنه كذلك
يعبر عنه من استشرف عليه ولم يتحقق فيه بالمنازلة والوصول
والتباس ذلك على من ليس له بصيرة ظاهرة وأما ذوو
البصيرة فلا يخفى عليهم ذلك لأنه يدرك في الكلام صورة
المتكلم الباطنة وما هو عليه من كمال أو نقص وقد قيل
تكلموا تعرفوا ولا ينبغي للسالك أن يعبر عن وارداته
فإن ذلك يقل عملها في قلبه ويمنعه وجود الصدق
مع ربه الواردات الإلهية لا ينبغي للسالك أن يعبر عنها
اختيارا منه بل يخفيها ويصونها فلا يطلع عليها أحدا إلا شيخا
مرشدا لأن نفسه لها في ذلك لذة وانشراح فتتقوى به صفاتها
فيقل بسبب ذلك عمل الواردات في قلبه من التأثير المحمود
ولأجل غلبة أحكام نفسه ورؤيتها حظها يمنعه ذلك من وجود
صدقه

صدقه مع ربه وقد تقدم هذا المعنى في قوله استشرافك أن
يعلم الخلق بخصوصيتك دليل على عدم صدقك في عبوديتك
لا تمدن يدك إلى الأخذ من الخلائق إلا أن ترى أن المعطي
فيهم مولاك فإذا كنت كذلك فخذ ما وافقك العلم
هذه قاعدة عظيمة يحتاج إليها السالكون المتجردون
ليبنوا عليها أحوالهم فيما يصل إليهم من الرزق
على أيدي الخلق وقد ذكرها المؤلف رحمه الله بعبارة
بديعة محمودة موجزة جمع فيها جملة المعاني التي يحتاج
إليها من ذكرنا فلنبسط كلامه في ذلك على حسب عادتنا
معه على الوجه الذي ذكرناه في مقدمة هذا التنبيه وهو
قصدنا في جميع ما تكلمنا عليه من مسائل الكتاب ونقول
على حسب ذلك أرزاق العباد المعتادة لهم تنقسم
إلى قسمين أحدهما رزق يصلون إليه بأسباب وأعمال
وتصرفات كالتجارات والصناعات وغيرهما وهذا
حال أهل الأسباب والثاني رزق يصل إليهم على أيدي
الخلق من غير عمل ولا سعي وهذا حال أرباب التجريد
ولكل واحد من القسمين آداب وأحكام تخصه فأحكام
القسم الأول وآدابه لم يتعرض له المؤلف رحمه الله
وهي المذكورة في الفقه وغيره فواجب على كل من دخل
في شيء من الأسباب تحصيل علمه والعمل من حيث هو وأحكام
القسم الثاني وآدابه هي التي تعرض لها المؤلف رحمه الله
وأجمل جميع ذلك في مراعاة شرطين وجعلهما شرط

ما وافق العلم

مطلب عظيم شريف في قاعدة الأخذ والإعطاء ظاهرا وباطنا إلى آخر السوادة

وأجمل

صحة الاخذ الشرط الاول ان لا يرى العطا الا من مولاه عز وجل
وهذا هو الاصل وانما شرطه في الاخذ لانه مقتضى
حال من تحقق التوحيد وتخليص التجريد وبه يصح له مقام
القناعة والتوكل ويسقط عن قلبه هم الرزق وتنزل به
عنه علاقات الخلق وان لم يكن على هذا الوصف كان عبدا
للناس موليا قلبه اليهم فيكثر طمعه فيهم ورغبته فيما في
ايديهم واستشرافه اليهم فيقع بسبب ذلك في كباير الذنوب
من معاصي القلب والجوارح مثل المداهنة والنفاق والريا
والتصنع والتلبيس والغش وعدم النصيحة وقلة الشفقة وغير
ذلك من الصفات المذمومة المناقضة للعبودية لله عز وجل
قال يحيى بن معاذ رضي الله عنه من تفتح باب المعاش بغير
مفاتيح الاقدار وكل الى المخلوقين ولا يكفي في ذلك الروية
المذكورة ان يكون علما وايمانا فقط بل لابد ان تكون حالا
وذوقا دعا بعض الناس شقيقا البلخي وكان في جملة من اصحابه
نحو خمسين رجلا فوضع الرجل طعاما واسعا وانفق نفقة
كثيرة فلما قعدوا قال لهم شقيق ان هذا الرجل يقول
من لم يرني صنعت هذا الطعام وانا قدمته اليه فطعامي
عليه حرام فقاموا كلهم وخرجوا الا شابا كان فيهم تخلف
مشاهدته عنهم فقال صاحب المنزل لشقيق رحمه الله
ما اردت بهذا قال اردت اختبر توحيد اصحابي كلهم
لا يرونه فيما صنع ولا ينظرون اليه فيما قدم الا ذلك الرجل
وحده وانما اشترطنا في روية العطا منه لابد ان تكون حالا
وذوقا لان ذلك هو اللايق بحال المتجرد كما ذكرنا لان التجريد
حال

وتنزاد
وتتزاد

حال
حال شريف لا يدخل فيه بالاختيار والتعمد لان ذلك من
اتباع هوى النفس وطلب الحظ والراحة وانما يقيم الحق تعالى
فيه من اراده بعد اهل التقوى والمراقبة بعد كمال
شغله بالله تعالى وجده في الهرب من كل ما يقطع عن الله
فحينئذ يسلبه الحق تعالى عن تدبيره واختياره ويكاشفه
بوحدانيته في ايراده واصداره ~~واختياره~~ وكذا
ويكون ترك الاسباب بحكم الوقت واشارة الحال
روي ان ابا حفص النيسابوري كان حدادا وكان
ابو حفص ح غلامه يوما ينفخ عليه الكير فادخل يده في النار واخرج
الحديد من النار فغشي على غلامه وترك ابو حفص الحانوت
واقبل على امره وكان يقول رضي الله عنه تركت العمل
فرجعت اليه فتركني العمل فلم ارجع اليه وقال ابراهيم
الخواص لا ينبغي للصوفي ان يتعرض للقعود عن الكسب
الا ان يكون رجلا مغلوبا قد ازعجته الحال عن المكاسب واما
من كانت الحاجات به قايمة ولا يقع له عزوف تحول بينه
وبين التكلف فالعمل اولى به والكسب يسعى احل له وابلغ
لان القعود لا يصلح لمن لم يستغن عن التكلف وقال الشيخ ابو عبد
قايمة ح الله القرشي ما دامت الاسباب في النفس فالاكتساب اولى
وقال بعض المنقطعين كنت ذا صنعة جليلة فاريد مني
تركها فجال في صدري من امر المعاش فهتف بي هاتف
لا اراك تنقطع الي وتتهمني في رزقك ان اخدمك وليا من
اوليايي [illegible] وقد اشترط رسول الله صلى الله
عليه وسلم في صحة قبول العطا عدم الاستشراف الى الناس ولا يكاد

يحصل هذا الشرك لمن ذكرناه من اهل التجريد الا لهذه
المروية المذكورة روى زيد بن خالد الجهني قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من جاءه معروف من اخيه
من غير مسئلة ولا استشراف نفس فليقبله فانما رزق
ساقه الله اليه وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
من وجه اليه شي من هذا الرزق من غير مسيلة ولا استشراف
فلياخذه وليوسع في رزقه فان كان عنه غنيا فليدفعه
الى من هو احوج منه وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطيني العطا فاقول اعطه
يا رسول الله افقر مني فقال الرسول صلى الله عليه وسلم خذه فتموله
او تصدق به وما جاءك من هذا المال وانت غير مشرف ولا سايل
فخذه والا فلا تتبعه نفسك قال سالم فمن اجل ذلك
كان ابن عمر رضي الله عنهما لا يسال احدا شيا ولا يرد شيا
اعطيه فالاستشراف الى الناس مذموم قادح في التوحيد
فلا ينبغي ان ياخذ المريد عطاء على هذا الوجه وروي ان
احمد بن حنبل رضي الله عنه خرج ذات يوم الى شارع باب
الشام فاشترى دقيقا ولم يكن في الموضع من يحمله فوافق
ايوب الحمال فحمله ودفع اليه احمد اجرته فلما دخل الدار
بعد اذنه له اتفق ان اهل الدار قد خبزوا ما كان عندهم
من الدقيق وتركوا الخبز على السرير ينشف فراه ايوب الحمال
وكان يصوم الدهر فقال احمد لابنه صالح ادفع الى ايوب
من الخبز فدفع اليه رغيفين فردهما فقال احمد ضعهما وصبر
قليلا ثم قال خذهما والحقه بهما فلحقه فاخذهما فرجع صالح

متعجبا

متعجبا فقال له احمد عجبت من رده واخذه قال نعم قال
رجل لما راى الخبز فاستشرفت نفسه اليه فلما اعطيناه مع
الاستشراف رده ثم ايس فرددناه اليه بعد الاياس
فقبله واما الاستشراف الى الرزق مع قطع نظره عن الخلق
فلا يضره ذلك لانه خلق ضعيف ذو فاقة ورزقه معلوم
ولا بد منه فاستشرافه الى الرزق في الحقيقة استشراف
الى الرازق ولا ينافي ذلك حقيقة العبودية وكذا ان
كثر منها الاستشراف الى الرزق وشغلت صاحبها عن
دوام المحاضرة والمناجاة مع الحق فليصرفها عن ذلك صرفا
جميلا ولينبهها لها من التعلق والتوثيق بالله تعالى سبيلا
قال الشيخ ابو محمد عبد العزيز المهدوي رضي الله عنه كنت
في بدايتي واقفا بين العشائين اصلي وانا فارغ بلا سبب حتى
جاءتني النفس فقالت لي السلام عليك قلت لها وعليك السلام
ما تريدي العشا قالت فادهشتني بدايتها فتوقفت ثم الهمني الله
تعالى ان قلت لها اتدري له موضعا قالت لا قلت اشر هو
او متى هو قالت لا قلت لها انا رب او عبد قالت عبد قلت
فالعبد يقدر على شيء ما هذا الا الكفر والشرك الذي اتيتيني
به اهربي الى خالقك فاطلبي منه العشا لانه خالقك والقادر
على كل شيء فيعطيك ويجيب لك ما تطلبيني فتطعمني فتاكلي
فما لك واياي وما هذه الحيرة فاقهربت الى خالقها فجاءت
ثم مكث كثير فاكلنا قال وكذا يجب عليها ومن هنا تثبت الاقدام

وذكر ايضا مسئلة عظيمة مفيدة تتضمن كيف يكون حال الفقير
بالنسبة الى الرزق وما يحتاج اليه بسببه من الرزق وجعلها
من قواعد والاراد[illegible] فرأينا ذكرها في هذا الموضع من
الواجب المتعين ليتحقق في العمل بها من يقف عليها من
مريد متدين قال رضي الله عنه اعلم ان الفقير لا يخلو
اما ان يكون جالسا او ماشيا او قاعدا الجالس فان موضع جلسته
التيه وهو مكانه وزمانه فخرق سجادته لا يتعداها ولا يكون
التفاته لوقت ولا الى سبب معلوم لانه لا يدري الاوقات ما هي
ولا يحدها ولا يدري متى هي ولا وقتها ويعلم ان جميع الاشياء
تطلبه وتحتاج اليه لانها خلقت لاجله وهو خليفة فيها وقد
فرغ من جميعها فالالتفات والاهتمام فيما ذكر يكون سوفا للاقدام
تجري عليه ولا كسب له ولا سبب في التحصيل ثم قال واما الماشي
من الفقراء وهو الذي يكون في سفر او غيره فلا يتجاوز همته خطوته
مثاله ان يكون ماشيا فيخطر له الفكر والالتفات اليه من
بلد او شخص او مطعم او مشرب فيهلك ويظفر به العدو
وتنزل قدمه فان تمادى في التعلق بشيء من هذه الخطوات
والسوانح وشبهها اي شيء منها وفقده ومات مات قاتل نفسه
وذلك انه يكون في يوم صائف ووهج وقد اصابه العطش الشديد
فتعرض له ما فيجري العرق فيروح عليه ان اسرع ليلحق ذلك
الما ليشرب منه فيزول عطشه فان مشى واتى لهذا الخاطر
فيجي الموضع فيجده سرابا فيفار ويظفر به ويقول له الان

تموت

تموت فيقتله من ساعته فيموت قاتل نفسه اذ كان جاهلا
بربه وآياته ولم يعرف دواءه من دائه ولا تعلم العلم
ولا سأل العلماء ليتقي به على نفسه فالحكمة اذا جاءه هذا
الخاطر بالتروح من العدو في سفره من الشرعة الى الماء والركون
الى الاغيار [illegible] او [illegible] ان يعرض
على العدو وان الله تعالى يمكنه ان يتوفاني قبل لحوقه
في الضرورة بجميع في ذلك وعلمه ويقول له ايضا قال النبي
صلى الله عليه وسلم من مشى الى الجمع فليمش رويدا وقال من تأنى
اصاب او كاد ومن عجل اخطأ او كاد والعجلة من الشيطان
ومن هذا الشيء فلا يشك شاك انه كما ينبغي للفقراء والشيطان
بهذه القواعد من العلم انهم ينقطعون ولا حجة عنهم
بعد الاستعانة بالله والتعلق به ثم يقول له ايضا انكر
ان الله تعالى قادر على ان يطعمني ويسقيني ان شاء الله ينبع
لي عينا الساعة قبل وصولي لذلك الما فيفترق له الشيطان
بالضرورة ثم فاذا كان هذا كذلك فالله سبحانه اعلم بمصالحي
ومنافعي من كل مخلوق فاذا حصل هذا العلم ورجع يمشي منانيا
همته مع خطوته نال الخير وما يرد عليه من ربه فان توصل الى الخاطر
له اولا او راه من بعد ولم يجد ما تعلق به خاطره
اولا من صاحب او طعام بقي على اصله لا تغير عنده ولا تردد
ويظفر بالعدو وقتله كما فعل ايضا الشيطان بغيره الذي هو
انتهى ما اردنا ذكره من كلام هذا الامام وهو عندي من
نفيس الكلام المقرب غاية المرام لما تضمنه من المعاني البديعة

والانفاس الرفيعة ولما فيه من تجريد التوحيد والاداب
المرضية مع العبيد فوجب ان يكتسب ويدرس ويعمل
به الفرض الذي تقدم والله تعالى اعلم وحكم الشرط الثاني
ان لا ياخذ الا ما يوافق العلم وهذا شرط لازم للمتجرد
ايضا قال الشيخ ابو طالب المكي رضي الله عنه وينبغي
لمن لا معلوم عنده من الاسباب ان يتورع في اخذها ويتخير
المعطين له كما يتخير اهل المكاسب لان لله سبحانه وتعالى
في كل شيء حكما والقعود عن المكاسب يسقط احكامها والقاعد
عن الطلب لا يسقط احكام الطالب ولا يرد العلم عما يحتاج
اليه علم ولم تكن سيرة الفقراء الصادقين ياخذون من كل
احد ولا في كل وقت ولا ياخذ كل ما يعطون مما كانوا ينتهون
~~الا ان يكونوا ممن ذكرها المؤلف رحمه الله تعالى~~
يخرجونه الى غيرهم انتهى وموافقة العلم التي ذكرها
المؤلف رحمه الله تعالى على قسمين هو موافقة العلم
الظاهر وموافقة العلم الباطن اما موافقة العلم الظاهر
فان لا ياخذ الا من يد بالغ عاقل تقي ورع في الحديث
لا تاكل الا طعام تقي ولا ياكل طعامك الا تقي فلا ياخذ من
يد ظالم ولا عامل بالربا ولا جاهل بما يحل ويحرم من وجوه
المكاسب ولا ياخذ من يد صبي ولا عبد غير ماذون له ولا معتوه
واما موافقة العلم الباطن بان لا ياخذ الا ما كان من وجه الرفق
والمعونة فلا ياخذ الا ما هو مفتقر اليه في الحال ولا غنا له
عنه

اقتار
...هم ورياسته وحاجاته من غير اسراف ولا اقتار ولا باس
ان ياخذ ما يزاد على ذلك ان كان في خلقه سخا وبذل وايثار
وتخلق بمحاسن الاخلاق لا ليتوصل به الى حظ عاجل من جاه
او رياسة او قبول عند الناس ولا ياخذ ما يعطاه على الابتلاء
والاختبار لها اما الابتلاء فان ياتيه قبل وقته او زايدا
على حاجته فان اخذه فليخرجه امن بذلك من افة الادخار
واما الاختبار فان لا ياخذ شيئا كان قد نوى تركه لله
تعالى من شهوة كان مبتلى بها قد ملكته واسرته ومنعته
القيام بحقوق ربه فليوف بعهد الله تعالى وليدفع
ذلك عن نفسه ان خاف انحلال عزمه وفساد نيته وان لم
يخف ذلك فلياخذه وليخرجه الى غيره وهذا اشد شيء على
النفس وهو من اعظم درجات اهل الوصول ولا ياخذ من
منان ولا فخور ولا مظهر لعطيته ولا ياخذ ممن يثقل
على قلبه قبول عطيته فقد قيل لا تاكل الطعام ممن يرى
لك الفضل عليه في اكله ولا تاكل الطعام من يد من يرى انه
وديعة عنده ولا تاكل الطعام زاهد لانه يشح به ولا تاكل
الطعام من يرى اكل صاحبه افضل من الطعام وقد روى انه
اهدى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم سمن واقط وكبش فقبل السمن
والاقط ورد الكبش وكان يقبل من بعض الناس ويرد على
بعض وقال لقد هممت ان لا اقبل الا من قرشي او انصاري او ثقفي
او دوسي قال ابو طالب المكي رحمه الله وقد هذا جماعة من التابعين

جاء الى فتح الموصلي صرة فيها خمسون درهما فقال حدثني
عطاء عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من اتاه رزق من غير مسألة
فرده فانما يرده على الله عز وجل ثم فتح الصرة واخذ منها
درهما ورد سائرها وكان الحسن يروي هذا الحديث عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم وحدثنا عنه ان رجلا اهدى اليه
كيسا فيه الوفر ورزمة فيها من دقيق خراسان فرد ذلك
فقال له بعض اصحابه في ذلك فقال من جلس مثل مجلسي هذا
وقبل من الناس شيئا مثل هذا لقي الله تعالى يوم القيمة وما له
عند الله من خلاق وكان الحسن يقبل من اصحابه وكان
ابرهيم التيمي يسال اصحابه الدرهم والدرهمين ويعرض
عليه غيرهم المئين فلا يأخذ منهم وكان بعض العباد
اذا دفع اليه بعض اهل الدنيا الشي يقول له اضعه عندك
وانظر على قلبي حالي كيف انا عندك بعد الاخذ افضل او دون
ذلك واصدقني فان قال له عندي الان افضل منك قبل
ذلك قبله منه وان اخبره بعد الاخذ ما مثل ما كنت
قبل ذلك بنقصانه في قلبه لم يقبله منه وكان بعضهم
يرد على اكثر الناس صلاتهم فعوتب في ذلك فقال صدقاتهم
ما ارد عليهم الا اشفاقا عليهم ونصحا لهم يذكرون
ذلك ويحبون ان يعلم فتذهب اموالهم وتحبط اجورهم
ويروى عن الاعمش انه قال جاء شاب من العرب
الى ابرهيم النخعي بالف درهم فقال يا ابا عمران خذها

التيمي

الدراهم

الدراهم والله ما هي عن ذي سلطان ولا من كذا ولا كذا فقال
له ابرهيم بارك الله لك وجزاك خيرا فلما ولى قلت له
يا ابا عمران ما منعك ان تأخذها والله ما لامرأتك
قميص فقال صدقت يا سليمان ولكن هذا شاب من العرب
لم يحنكه العمر ولم تحنكه الادب فكرهت ان يحاسب
نفسه فيقول اعطيت ابرهيم النخعي الف درهم فيحبط
الله اجره وتذهب دراهمه ومن ذهب الى هذا سفيان
الثوري كان يشترط على البعض ان يأخذ منه ان لا
يذكره اشفاقا عليه لانه احله بلاغ ذهاب اجره
لانه قيل في معنى قوله تعالى لا تبطلوا صدقاتكم بالمن
والاذى فقال المن ان يذكره والاذى ان يظهره
وقال الجنيد رضي الله عنه الرجل الخراساني الذي
جاء بمال وسأله ان يأكله فقال الجنيد بل افرقه على
الفقرا فقال الرجل انا اعلم بالفقرا منك ولم اختر
هذا فقال الجنيد وانا اؤمل ان اعيش حتى آكل هذا
فقال له اني لم اقل لك انفقه في الخل والبقل انما قلت
لتنفقه في الطيبات والوان الحلاوات فكلما نفذ اسرع
كان احب الي فقال الجنيد ومثلك لا يحل ان يرد عليه فقبله
فقال الرجل ما ببغداد احد اعظم منة علي منك فقال الجنيد
وما ينبغي لاحد ان يقبل منه شيئا الا من كان مثلك
وكان السري السقطي يوصل الى احمد بن حنبل رضي الله عنهما

الشيء فيرده فقال له السري يا احمد احذر آفة الرد فانها
اشد مخافة من الاخذ فقال احمد اعد علي ما قلت فاعاده
فقال احمد ما رددت عليك الا وعندي قوت شهر
فاحبسه لي عندك فاذا كان بعد شهر فانفذه الي وعلى الجملة
فلا ينبغي ان ياخذ المريد الا من يد زاهد عارف فبذلك
يسلم من الآفات ويكفي من جميع المؤنات قال ابو بكر الكتاني
منذ اربعين سنة اصحب هؤلاء فما رايت رفقا لاصحابنا الا من
بعضهم لبعض وحمد مجلسهم ومن لم يصحبه التوفيق والورع
في نقد الامر لحال الحرام المحض وان اراد ان يسال امثاله
فلا فليفعل قال ابو طالب المكي كان بشر بن الحارث لا يقبل
من الناس شيئا وكان بعضهم يقول احب ان اعلم من اين ياكل
فقال من يخبر امره انا ادري من اين ياكل كان له صديق
عاقل يعني نظيره في العقل والدين لان بعضهم كان لا يقبل
الا من المتظاهر ولا يقبل ممن لا يتاع وهذا الصديق العاقل
الذي يأكل هو ما يقوم بكفايته ولم يكن يظهر امره ولا يلتقي
معه السري بن مغلس السقطي رحمه الله قال بشر ما سالت
احدا قط شيئا من الدنيا الا سريا السقطي لانه قد صح عندي
زهده في الدنيا فهو يفرح بخروج الشيء من يده ويتبرم
ببقائه عنده فاكون قد اعنته على ما يحب وكان سري
يوجه الى احمد بن حنبل يقول ذلك الفتى المعروف بحب الغذاء
ان لا يعجبني امره وان بلغت به الحاجات كل مبلغ واشرف
على

على الضعف وتحققت الضرورة وسأل مولاه فلم يقدر له شيء
ووقته يضيق عن الكسب لشغله بحاله فعند ذلك يقرع
باب السبب ويسأل من دونه هو لا من جهة حاله حاكي
الاثر من جاع فلم يسأل فمات دخل النار وقد سأل الناس
عند الحاجة والفاقة نبي الله موسى والخضر عليهما السلام
لقوله تعالى استطعما اهلها وكان ابو حفص الحداد وهو شيخ
الجنيد يسأل من باب او بابين بين العشائين ويكون ذلك
معلومه عند حاجة من يوم او يومين وكان له مقام
في الزهد والتوكل قال ابو طالب ولم يعب هذا عليه عموم
ولا خصوص ونقل عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه انه كان
يمد يده عند الفاقة ويقول شيء لله ونقل عن
ابراهيم بن ادهم رضي الله عنه انه كان معتكفا بجامع البصرة
مدة وكان يفطر في كل ثلاثة ايام ليلة وليلة افطاره يطلب
من الابواب وكان الثوري يسأل في البوادي من الحجاز الى
صنعاء اليمن قال وكنت اذكر لهم حديثا في الضيافة قال
فيخرجون الطعام فاتناول حاجتي واترك ما بقي وليجتنب
المريد الاكل بالدين وقبول ارفاق الشوان فان قيل
كيف يرد ما يعطاه في الوجوه التي حكمتم عليه بعدم الاخذ
فيها وهو ان يأخذ من يد ربه كما تقدم وهذا المراد للذي كمل
الا اذا دعي الله فكيف يستقيم ذلك فالجواب ان القيام بحق
الشريعة والطريقة لا بد منه والتوحيد لا ينافي ذلك وقد قيل

العامة لا يخفى نور معرفته منهم ورعه وكان ياخذ من
العلم بحال لو نظاهر امر الحكم فهو مردود ووجه صحة الرد
للعطاء عند مشاهدة التوحيد ظاهرا اذ لا فرق في ذلك
بين يدي المعطي ويد الاخذ فكما يشهد الاخذ يد الله
تعالى في العطاء منه يد المعطي فياخذ ما يعطاه من موافقة
العلم اتباعا لاذن الله تعالى وامره فيشهد يد الله
تعالى في المنع عند يد نفسه بالرد مخالفة العلم فلا
ياخذه ولا يقبله اتباعا لنهي الله تعالى عن ذلك وعدم
اذنه كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم في الكبش الذي
اهدي اليه مع السمن والاقط وكما فعله فتح الموصلي والحسن
البصري مع روايتيهما الحديث الذي ذكر فيه ابن رشد
الفقيه رحمه الله تعالى وقد تقدم ذكره بلفظه
عن الجنيد في ذكر الخياط والله تعالى الموفق لصالح
الاعمال وانما اطلت الكلام في هذه المسيلة لان الحاجة ماسة
اليها وليعلم من ذلك ان جميع تفاريعها وما يلحقها داخلة
في كلام المؤلف رحمه الله على طريق الايجاز والاختصار فكلامه
فيها من بديع الكلام ومستحسنه ولشيخه ابي العباس المرسي
في معنى ما ذكره كلام بديع مختصر منتزع من كتاب الله
عز وجل نقله عنه في لطائف المنن قال رضي الله عنه
للناس اسباب وسببنا نحن الايمان والتقوى قال الله
ولو ان اهل القرى امنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات

من

صناعته

من السماء والارض وقد جود المؤلف رحمه الله بغاية
واحسن سياقته في مقصد الارشاد والهداية ربما استحيا
العارف ان يرفع حاجته الى مولاه اكتفاء بمشيئته فكيف
لا يستحي ان يرفعها الى خليقته تقدم ان من الادب
ترك الطلب والسؤال من الله اكتفاء بمشيئته ورضا بسابق
قسمته وان العارفين المحققين يستحيون من الله تعالى
في ذلك فكيف لا يستحيون من مولاهم عز وجل عند سؤالهم
المخلوقين وهذا دابهم في ذلك واستحياؤهم من ربهم
الاواجب عليهم فالانبياء لا يرون منهم شيئا ولا يرفعون
اليهم حاجة لانهم فقراء محتاجون ومولاهم هو الغني
الحميد وقد تقدم بعض هذا المعنى عند قوله لا تتعدين همتك
الى غيره فالكريم لا تتخطاه الامال قال سهل بن عبد الله
رضي الله عنه ما من قلب ولا نفس ~~ابليس~~ الا والله مطلع
عليه في ساعات الليل والنهار فايما نفس او قلب راى
فيه حاجة الى سواه سلط عليه ابليس وقال الاستاذ ابو
علي الدقاق من علامات المعرفة ان لا تسال حوائجك
قلت او كثرت الا من الله مثل موسى عليه الصلاة والسلام
اشتاق الى الرؤية فقال رب ارني انظر اليك واحتاج مرة
الى رغيف فقال رب اني لما انزلت الي من خير فقير وذكر
الامام ابو القاسم القشيري ان بعض الفقراء كان ياتي كل
يوم ويقف بحذاء الكعبة بعدما يطوف ماشاء الله ويخرج من جيبه

رقعة ينشرها فلما كان بعد ايام وعدت بعد ذلك ثم تباعد
ومات مما تعففه من رمقه ونظرت في الرقعة واذا فيها
واصبر لحكم ربك فانك باعيننا قال فكان الرجل اصابته
الفاقة فصبر ولم يظهر حاله لمخلوق حتى مات وقال ابو بكر
الجوهري رحمه الله كنت معتقلا على تبرج احرس
فمر بي رجل عليه جبة صوف متخرقة فقمت اليه مسلما وعانقته
واجلسته وجاريته معه في فنون من العلم وكان قدماه
حافيتين فقلت له لم لا تسال اصحابنا في نعل يقيك من الحفا
فقال يا اخي لرد امس بالحبال وجر عين الشمس بالعقال
ونقل ماء البحر بالغربال اهون من موقف السؤال ان تحاجي
من المخلوقين النوال ثم اخرجني من باب المدينة فانتهى بي
الى صخرة منقورة فاذا عليها مكتوب كل من كد يمينك وعرق
جبينك فان ضعف يقينك فاسال المولى يعنك قال في
التنوير واعلم رحمك الله ان رفع الهمة لسالكي طريق الاخرة
عن الخلق وعدم التعرض لهم ازين لهم من الحلى للعروس
وهم احوج اليه من الماء لحيوة النفوس ومن خلعت عليه
خلعة فحفظها وصانها حري بان تدوم له ولا تسلب عنه
والمدنس لخلع المواهب حري ان لا تترك له فالله الله
ايها الاخ ايمانك بطمعك في المخلوقين ولا تجعلنه اعتمادك
الا على رب العالمين وكن ايها الاخ ابراهيميا فقد قال ابو
ابرهيم عليه السلام لا احب الافلين وما سوى الله افلا اما
وجودا

وجودا وامكانا وقال سبحانه ملة ابيكم ابرهيم اي اتبعوا
ملته فواجب على المومن ان يتبع ملة ابرهيم ومن ملته
رفع الهمة عن الخلق فانه يوم زج به في المنجنيق تعرض
له جبريل فقال الك حاجة فقال اما اليك فلا واما
الى الله فبلى قال فسله قال حسبي من سوالي علمه بحالي فانظر
كيف رفع همته عن الخلق ووجهها الى الملك الحق فلم
يستغث عليه السلام بجبريل ولا احتال على السوال من
الله بل راى ربه اقرب اليه من جبريل عليه السلام ومن
سواله فلذلك سلمه من نمروذ ونكاله وانعم عليه
بنواله وافضاله وخصه بوجود اقباله ومن ملة ابرهيم
معاداة كل من يشغل عن الله وصرف الهمة بالرد الى الله
لقوله تعالى فانهم عدو لي الا رب العالمين والمعنى
ان اردت الدلالة عليه فهو في الياس من الناس ولقد قال
الشيخ ابو الحسن ايست من نفع نفسي لنفسي فكيف لا ايس من
نفع غيري لنفسي ورجوت الله لغيري فكيف لا ارجوه
لنفسي فهذا هو الكيميا والاكسير الذي من حصل له
نما لا فاقة معه وعز لا ذل معه وانفاق لا نفاد له وهو
كيميا اهل الفهم عن الله تعالى قال الشيخ ابو الحسن صحبني
انسان وكان ثقيلا علي فباسطته يوما فانبسط وقلت له يا ولدي
ما حاجتك ولم صحبتني قال يا سيدي قيل لي انك تحسن الكيميا
فصحبتك لا تعلم منك ذلك فقلت صدقت وصدق من حدثك

ولكن إذا أكرهه لا تقبله فقال له إنه فقلت له نظرت إلى
الخلق فوجدتهم على قسمين أعداء وأحباء فنظرت إلى الأعداء
فعلمت أنهم لا يستطيعون أن يشوكوني بشوكة لم يردها الله
بها فقطعت نظري عنهم ثم تعلقت بالأحباء فوجدتهم
لا يستطيعون أن ينفعوني بشيء لم يرده الله به فقطعت
إياسي منهم وتعلقت بالله تعالى فقيل لي إنك لا تصل إلى
حقيقة هذا الأمر حتى تقطع إياسك منا كما قطعته من غيرنا
أن نعطيك غير ما قسمناه لك في الأزل وقال مرة أخرى كما سئل
عن الكيمياء فقال أخرج الخلق من قلبك واقطع ياسك من ربك
أن يعطيك غير ما قسم لك قال وليس يريد الحق من العبد كثرة
عمله ولا مداومته على ورده إنما يريد الحق عليه نوره وفهمه عن مولاه
مرجعه والحياشة إليه بقلبه وتحرره من رق الطمع وتحليته
بحلية الورع وبذلك تحسن الأعمال وتزكو الأحوال قال الله
سبحانه وتعالى إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم
أيهم أحسن عملا فحسن الأعمال إنما هو بالفهم عن الله
والفهم هو ما ذكرناه من الاغتناء بالله والاكتفاء به والاعتماد
عليه ورفع الحوائج إليه والدوام بين يديه وكل ذلك من
ثمرة الفهم عن الله تعالى انتهى ما يتعلق بغرضنا من كلام
صاحب كتاب التنوير وهو من الكلام النفيس الخطير وأنت رحمك
الله إذا تأملته بعين بصيرتك تأملا صحيحا في غاية منيتك
وسريرتك علمت منه أن ما تضمنه عظيم الموقع وأنه مستمد
منا

منا أبرزناه في هذا الموضع إذ هو منوط بالإيمان والتوحيد
ومحتاج إليه كل سالك ومريد فمن رعاه حق
رعايته وصرف إلى العمل بمقتضاه عنان عنايته فقد تحقق
بحقائق الإيمان وكان من أولياء الله تعالى بمكان ومن
أهمله وضيعه وجهل قدره وموضعه خيف عليه من الوقوع
في الشرك الخفي والجلي والتحقق بذلك أن يطرد عن باب
مولاه العلي فيقوى طمعه في الخلق وتضيق عليه متسعات
أبواب الرزق كما قال بعض العارفين المكاشفين
خيل لي في النوم أو اليقظة أو يقظة كالنوم لا تبد فاقة
إلى غيري فأضاعفها عليك مكافأة لسوء أدبك وخروجك
عن حد عبوديتك إنما ابتليتك بالفاقة لتفزع
منها إلي وتتضرع بها لدي وتتوكل فيها علي سبكتك بالفاقة
وحكمت لنفسي بالغنى فإن وصلتها لي وصلتك بالغنى وإن
وصلتها بغيري قطعت عنك مواد معونتي فمن وكلته إلى نفسه ومن
وحسمت أسبابك وكلتها إليك أتشق وتفهم من يأنف من قبول الرزق
أسبابك على أيدي الخلق ولم ترتفع همته عن ذلك وإن لم يكن سؤال
ولا طلب كما حكي عن حماد بن سلمة رحمه الله قال كان في جواري
امرأة أرملة لها أيتام وكانت ليلة ذات مطر فسمعت
صوتها تقول يا رفيق ارفق بي فاكتفى بذلك إنها أصابتها
نفسي فاقة وصبرت حتى احتبس المطر فحملت معي عشرة دنانير
ودفعت عليها الباب فقالت حماد بن سلمة فقلت نعم

خالصا لتصير ذهبا فلا تزيفن بعد السبك وسمتك بالفاقة ح

من أسبابي طردا عن بابي ح

فقلت كيف الحال فقالت بخير وعافية احتبس المطر
وذي الصبيان فقلت خذي هذه الدنانير واصلحي بها
بعض شانك قال فصاحت بنية لها خماسية اتريد يا حماد
ان تكون بيننا وبين معبودنا ثم قالت لامها اما رفعت
صوتك بالمحراب السحر علمت ان الله يودبنا بالمطار الرزق
على يدي مخلوق وذكر الشيخ ابو عبد الرحمن السلمي عن
عباد بن دهقان قال كنت عند بشر بن الحارث وهو يتكلم
في الرضا والتسليم فاذا هو برجل من المتصوفة فقال له
يا ابا نصر انقبضت عن اخذ البر من ايدي الخلق لاقامة الجاه
فان كنت متحققا بالزهد منصرفا عن الدنيا فخذ من ايديهم
ليمحي جاهك عندهم واخرج ما يعطونك الى الفقراء وكن
بعقد التوكل فاخذ قوتك من الغيب فاشتد ذلك على اصحاب
بشر فسمع ايها الرجل الجواب الفقراء ثلثة فقير لا يسأل
وان اعطي لا ياخذ فذلك من الروحانيين اذا سأل الله
تعالى [illegible] اعطاه وان اقسم على الله ابر قسمه وفقير
لا يسأل وان اعطي قبل فذلك من اوسط القوم عقده
التوكل والسكون الى الله تعالى وهو ممن توضع له
الموائد في حظيرة القدس وفقير جالس الصبر ومدافعة
الوقت فاذا طرقته الحاجة خرج الى عبيد الله وقلبه الى الله
بالسؤال فكفارة سؤاله الصدقة فقال الرجل رضيت رضي
الله عنك وقال رضي الله عنه اذا التبس عليك امران فانظر

اثقلهما

فقال بشر بيان من الروحانيين

مطلب في ميزان الانفس شريف

اثقلهما على النفس فاتبعه فانه لا يثقل عليها الا ما كان حقا
هذا ميزان صحيح باعتبار غالب الانفس لانها مجبولة
على الجهل والشره فشانها ابدا انما هو طلب الحظوظ
والفرار من الحقوق بما تقدم عند قوله حظ النفس في
المعصية ظاهر جلي وحظها في الطاعة باطن خفي فاذا وجد
المريد من نفسه ميلا وخفة عند بعض الاعمال دون البعض
اتهمها وانكر ما مالت اليه وخف عليها وعمل بما اثقلته
قال بعض العارفين منذ عشرين سنة ما سكن قلبي الى نفسي
ساعة واحدة وسكون القلب الى النفس هو اتباعها الاخف
عليها دون الاثقل وهو معدود عندهم من نفاق القلب
ومن بقي عليه شيء من دواعي الهوى وان قل لا يومن عليه مثل
هذا فخفة العمل على النفس انما تكون لاجل موافقة هواها
وهواها لا يميل الا الى الباطل فاذا التبس عليك امران
واجبان او مندوبان ولم تعلم ايهما اوجب او افضل لتقدمه
على الاخر فانظر اثقلهما على نفسك فاعمل به وانما قلنا باعتبار
غالب الانفس لان النفس المطمئنة لا توصف بالجهل ولا بالشره
فقد يخف عليها العمل لا يدل ذلك على انه باطل فليلتفت
نظر العبد حينئذ الى ما هو اكثر فائدة واعظم مزيدا
فليقدمه على غيره وقد ذكر الشيخ ابو طالب المكي حكاية
عجيبة في شره ~~[illegible]~~ النفس وكونها لا تميل الا الى الباطل
قال حدثني بعض اخواني عن بعض اهل هذه الطريقة قال قدم

اشتغلته

مطلب حكاية عجيبة في شره النفس

علينا بعض الفقراء فاشترينا من جار لنا لحما مشويا ودعوناه
اليه في جماعة من اصحابنا فلما مد يده اخذ لقمة وجعلها
في فيه ثم لفظها ثم اعتزل وقال كلوا انتم قد عرض لي عارض
منعني من الاكل فقلنا لا ناكل ان لم تاكل فقال انتم اعلم
اما انا رجل فقير آكل ثم انصرف قال وكرهنا ان ناكل
دونه فقلنا لو دعونا الشوا فسالناه عن اصل هذا اللحم
ولعل له سببا مكروها قد عوناه فلم نزل نساله حتى اقر
انه كان ميتة وان نفسه شرهت الى بيعه حرصا على ثمنه
فشواه ووافق انكم اشتريتموه قال فرقناه للكلاب
ثم قال اني لقيت الرجل بعد وقت فسالته ما شرهت لاي
معنى تركت الاكل وباي عارض فقال اخبركم ما شرهت نفسي
الى طعام منذ عشرين سنة للرياضة التي رضتها به فلما قدمتم
هذا شرهت نفسي اليه شرها ما عهدته قبل فقلت ان في
الطعام علة فتركت اكله لاجل شره النفس اليه قال الشيخ ابو
طالب المكي فانظر رحمك الله كيف اتفقا في شره النفس عن
قصة واحدة ثم اختلفا في التوفيق والخذلان فعصم
العالم بالورع والمحاسبة وترك الجاهل مع شره النفس
بالحرص وترك المراقبة اعني البايع اللحم وعصم الاخر
للتوفيق بحسن الادب وهو قمع شره النفس عن الاكل بعد
صاحبهم ثم تركه ورك البايع بعد وقوعه بصدق المشتري
وحسن نيته انتهى وثم ميزان اخر اصح واكثر تحقيقا

من

مطلب ميزان اخر عجيب نفيس الاخر الموازنه

من الاول وهو ان يقدر نزول الموت به في اي عمل يسره
ان يكون مشغولا به اذ ذاك فهو حق وما عداه باطل
قال في لطائف المنن والموت ميزان على الافعال والاحوال
كما هو ميزان في دائرة الرتب اما الرتب فكما تقدم
يعني انه علامة صحيحة على مرتبة الولاية واما الافعال
والاحوال فاذا التبس عليك امر لا تدري هل يرضي الله
تعالى تركه او فعله او حالة انت بها لا تدري هل قمت
فيها بحق الله او قمت فيها بهواك فاورد الموت على ما انت
فيه من افعال واحوال فكل حالة وعمل تثبت مع تقرر
ورود الموت عليها ولم تنهزم فهو حق وكل حالة وعمل
هزمها الموت فهي باطل اذ الموت حق والحق يهزم
الباطل ويدمغه لقوله بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه
فاذا هو زاهق قال ان ربي يقذف بالحق علام الغيوب
وقل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا وما انت
فيه قائم بالحق لم يهزمه الموت اذ هو حق والموت حق والحق
لا يهزم الحق قال وقد تجاريت الكلام انا وبعض من
يشتغل بالعلم في انه ينبغي اخلاص النية فيه ولا يشتغل
به الا لله فقلت الذي يقرا العلم لله هو الذي اذا قيل له
غدا تموت لا يضع الكتاب من يده انتهى قلت وهذا
هو فصل الخطاب ونهاية الصواب فان العبد في هذه الحالة
لا يصدر منه الا العمل الصالح الخالص من شوائب الرياء ومما زجة

ذلك النفوس واتباع الهوى وهذا هو المطلوب من
العبد ولا يستتم له ذلك إلا أن يتحقق بما يقدره من
حلول الموت وحصول الفوت وهذا هو معنى قصر
الأمل الذي هو أصل حسن العمل وهو أن لا يقدر لنفسه
وقتا ثانيا يكون فيه حياته وعند ذلك يخلص عمله من
الآفات ويتطهر من أنواع الرعونات لأن توقع الموت
في كل نفس ولحظة يهدم عليه جميع ذلك كما ذكره المولف
رحمه الله تعالى وكل عمل لم يسلم فيه مما قلنا من تقدير
وقوع ذلك إن لم يكن متحققا به فلا يسلم مما ذكرناه فإذا
تبعد من الآجال من هو يأخذ في علم متعين عليه الأخذ
فيه لا يجتني ثمرته إلا في ثاني حال ويكون في حال الراحة
متمكنا من التقطع لطاعة تزيد مصلحتها على مصلحة ما أخذ
فيه من العلم فيفوز بثوابها ويتنجز له حصول التقرب
بها الآن في ذلك فوت نفعه ومجاوزة حظه وآفة ذلك
أنه قد يتعرض له في حال أخذه فيه غرض دنياوي يكون
احتظاء نفسه به أكثر فيقدمه على ما كان أخذ فيه ويشتغل
به من غير مبالاة بما يفوته من ذلك وإنما عبرنا بلفظ
الأخذ ليدخل فيه تعلم المتعلم وتعليم المعلم فإن الأمر
فيهما واحد وكل عمل لا إخلاص فيه ليس بالله ولا لله مردود
على صاحبه مضروب به وجهه وبهذا يتبين لك غرور أكثر
الخلق في علومهم وأعمالهم الآن رحم الله تعالى والعيان شاهد

مطلب

دقيقة مهمة متعينة في عدم الإخلاص في أخذ العلم

أكثر

أكثر الناس عند نزول الموت بهم يندمون على ما أسلفوه
من عمل ويودون أن لو نسئ لهم في الأجل وهيهات هيهات
نعوذ بالله من الغفلة في زمان المهلة فإنها مبدأ كل
عمل فاسد ومنشأ وجود الفترة والجهالة لكل عالم وعابد
وما ذكرنا من معرفة اختلاف درجات الأعمال ليقدم
الفاضل منها على المفضول لا يحصله إلا المتمكن بنور
اليقين وجبله على النصيحة له في الدين وكان له حظ موفور
وافر من الخوف والحذر وموافقة مولاه في كل ورد
وصدر ولا شك أن هذه المرتبة عزيزة المنال متعذر
إدراكها على الآحاد من الرجال وسبيل من يحصل البطالة
ممن ذكرناه أنه إذا كان منصفا أن يستعين بنظر من هو
أصح منه حالا وأصوب مقالا وفعالا ويفوض جميع أموره
إليه ويعتمد إشارته في كل ما يشير به عليه وعلامة
إنصافه وجود اتهامه لنفسه وعدم اعتماده على عقله
وحدسه ومن لم يكن منصفا فإن الكلام معه هذيان وضرب
في حديد بارد وسيأتي مزيد تنبيه على غرور الآخذين
في العلم في موضع أليق من هذا والله أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب
من علامة اتباع الهوى المسارعة إلى نوافل الخيرات
والتكاسل عن القيام بالواجبات هذا من الأمور
التي يتبين فيها خفة الباطل وثقل الحق على النفس
وما ذكره هو حال أكثر الناس فترى الواحد منهم إذا اعتقد

التوبة لا همة له الا في نوافل الصيام والقيام وتكرار
المشي الى بيت الله الحرام وما اشبه هذا من النوافل وهو
مع ذلك غير متدارك لما فرط فيه من الواجبات ولا متحلل
لما لزم ذمته من الظلامات والتباعات وما ذلك الا انهم
لم يشتغلوا برياضة نفوسهم التي تاخذ عنهم ولم يخالفوا
بمجاهدة اهوائهم التي استرقتهم وملكتهم ولو اخذوا
بذلك لكان لهم فيه اعظم شغل ولم يجدوا فسحة لشي بل
من الطاعات والنفل قال بعض العلماء من كانت الفضائل
اهم اليه من اداء الفرائض فهو مخدوع وقال محمد بن ابي
الورد هلاك الناس في حرفين اشتغال بنافلة وتضييع
فرض وعمل بالجوارح بلا مواطاة القلب عليه وانما حرموا
الوصول لتضييعهم الاصول وقال الخواص انقطع الخلق
عن الله بخصلتين احدهما انهم طلبوا النوافل وضيعوا
الفرائض والثانية انهم عملوا اعمالا بالظاهر ولم ياخذوا
انفسهم بالصدق فيها والنصح لها وابى الله ان يقبل من عامل
عملا الا بالصدق واصابة الحق قال الشيخ ابو طالب المكي
رضي الله عنه فافضل شي للعبد معرفته نفسه ووقوفه على حدوده
واحكامه لحالة التي اقيم فيها وابتداؤه بالعمل بما افترض
عليه بعد اجتنابه ما نهي عنه ويعلق تدبيره في جميع
ذلك ورع يحجزه عن التهور في ذلك ولا يشتغل بتحليل فضل
حتى يفرغ من فرضه لان الفضل لا يصح الا بعد حوز السلامة

مطلب حرموا الوصول لتضييع الاصول

كما

كما لا يخلص الربح للتاجر الا بعد حصول راس المال فمن
تعذرت عليه السلامة كان من الفضل ابعد ومن
الاعتذار اقرب انتهى قيد الطاعات باعيان الاوقات
كي لا يمنعك عنها وجود التسويف ووسع عليك
الوقت كي تبقى لك حصة الاختيار انعم الله عليك
فيما امرك به من الطاعات المتوقتة بالاوقات بنعمتين
عظيمتين احدهما تقييدها لك باعيان الاوقات لتوقعها
فيها فتفوز بثوابها ولو لم يفعل لسوفت بها ولم
تعملها لخوف حتى تفوت فيفوتك ثوابها والنعمة
الثانية توسيع اوقاتها عليك ليبقى لك نصيب من
الاختيار حتى تاتي بالطاعات في حال سكون وتمهل
من غير حرج ولا ضيق فله الحمد على نعمه علم قلة نهوض
العباد الى معاملته فاوجب عليهم وجود طاعته فساقهم [متعهم]
اليه بسلاسل الايجاب عجب ربك من قوم يساقون
الى الجنة بالسلاسل لما علم الله تعالى قلة نهوض
العباد الى معاملته الواجبة له عليهم من اقامة العبودية
لمشاهدة الربوبية في حال الطواعية منهم اذ في ذلك قرة
اعينهم وغاية نعيمهم اوجب عليهم وجود طاعته على حال
الكراهية منهم لاجل ما خوفهم به ان لم يفعلوا فساقهم بسلاسل
الايجاب به وتحذيره اليه واستدرجهم بذلك الى ما فيه نعيمهم
مما علم انهم به وفعل بهم ما يفعل بالصبي الا ترى كيف يؤدب

ويجري على اسلوبه الدعاء مقتضي طبعه وجبلته ويلزمه امور
شاقة عليه فيفعلها وهو كاره لذلك والغرض انما حصول
على منافعه التي هو جاهل بها فاذا كبر وعقل عرف ذلك عيانا
وقد عجب ربك من قوم يساقون الى الجنة بالسلاسل
كما نقل ان اسارى الكفار حين يريدون منهم الدخول في الاسلام
فيقادون الى الجنة بالسلاسل في رقابهم وهذا احد حديث
يروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم هكذا عجب الله من اقوام
يقادون الى الجنة بالسلاسل قلت وتعبير المؤلف رحمه
الله بالسلاسل والسوق بها واشعاره ذلك في التكاليف
الواجبة التي الزمها العباد القيام بها من بديع الاستعارة
كما قال الشاعر • وليس لعهد الدار يا ام مالك • ولكن
احاطت بالرقاب السلاسل • وكذا تمثيله بالحديث
المذكور فيه ذكره والاشارة الى مقصوده في غاية الحسن
قال بعض العلماء يجوز ان يكون معنى التعجب المنسوب الى الله
تعالى فيه اظهار عجب هذا الامر لخلقه لانه بديع الشان
وهو ان الجنة التي اخبر الله تعالى بما فيها من النعيم
المقيم والعيش الدائم فيه والخلود فيه الذي من حكم من
سمع به من ذوي العقول ان يسارع اليها ويبذل المجهود
في الوصول اليها ويتحمل المكاره والمشقات لنيلها وهم كانوا
يمتنعون من ذلك ويرغبون عنها ويزهدون فيها حتى
يقادون اليها بالسلاسل كما يقاد الى المكروه العظيم

ابو خراش الهذلي

الذي

الذي تنفر منه الطبايع وتتالم منه الابدان وتكرهه النفوس
وقد قرا جماعة من القرا بل عجبت ويسخرون بضم التاء
ومن حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد عجب الله من فلان
وفلانة في قصة الانصاري الذي قال لامراته اكرمي ضيف
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو حديث مشهور فالتعجب
منسوب الى الله قد ورد في الكتاب والسنة فهو اذا من
الصفات السمعية **اوجب علينا وجود خدمته وما اوجب**
علينا الا وجود جنته هذه عبارة حسنة موافقة لمعنى
ما تقدم والمقصود من هذا كله الاعلام بان الله تعالى
غني عن خلقه لا تنفعه طاعتهم ولا تضره معصيتهم وان التكاليف
كلها انما وجبت عليهم لما يرجع اليهم من مصالحهم لا غير
قلت وما ذكره المؤلف رحمه الله هو حال عامة الناس
الذين من شانهم التاني وعدم الانقياد للاوامر والنواهي
ولذلك احتاجوا الى التخويف والتحذير والموالاة للحض
والمبالغة في التكثير واما الخاصة منهم فلم يحتاجوا الى شي
من ذلك لان الله تعالى شرح صدورهم ونور بصايرهم وكتب
في قلوبهم الايمان وحبب اليهم الطاعة وبغض اليهم العصيان
فلم يقتصروا على ما اقتصر عليه المذكورون من فعل الواجبات
واجتناب المحظورات فقط بل زادوا الى ذلك المبادرة
الى اعمال الطاعات والمسارعة الى نوافل الخيرات وبالجملة
صارت اعمالهم قربات وذلك لتمام حريتهم وصحة عبوديتهم

انواع

نفس العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه قال في التنوير
وإنما جعل سبحانه الإيجاب على العباد علماً منه بما هم عليه
من وجود الضعف وبما نفوسهم متصفة به من وجود الكسل
فأوجب عليهم ما أوجب لأنه لو خيّرهم فيما أوجب عليهم لم يكونوا
فاعلين إلا قليلاً فاقهم فأوجب عليهم وجود لما عنده في
التحقيق ما أوجب عليهم إلا دخول جنته فساقهم إلى الجنة بسلاسل
بالسلاسل قال واعلم رحمك الله أنا تلحظنا الواجبات
فرأينا الحق سبحانه جعل في كل ما أوجبه تطوعاً من جنسه
سنة أي النوافل كان ليكون ذلك التطوع من ذلك الجنس جابراً
لما عساه أن يقع من الخلل في قيام العبد بالواجبات
ولذلك جاء في الحديث أنه ينظر في فرض صلاة العبد فإن
نقص منها شيء كمل من النوافل فافهم رحمك الله هذا
ولا تكن مقتصراً على ما فرض الله عليك بل لتكن فيك
همة توجب إقبالك على معاملة الله فيما لم يوجبه عليك
ولو كان العباد لا يجدون في منازلهم إلا فعل الواجبات
والواجب ترك المحرمات لفاتهم من الخير والمنة ما لا يحصره
حاصر ولا يحزره حازر فسبحان الفاتح على العباد باب المعاملة
والمهيئ لهم أسباب المواصلة قال واعلم أن الحق سبحانه
علم أن في عباده ضعفاء وأقوياء فأوجب الواجبات وبين
المحرمات فالضعفاء اقتصروا على القيام بما أوجب والترك
لما حرم وليس في قلوبهم من سلطان الحب ووجود الشغف ما يحملهم
على

الإيجاب عجب ربك من قوم يساقون إلى الجنة بسلاسل

١٧

على المعاملة من غير إيجاب فمثلهم كمثل العبد يعلم
السيد منه أنه إن لم يكن خارجه لم يهد إليه شيئاً فلذلك
وقت سبحانه الأوراد ووظف الوظائف العبودية وعرف
ذلك بالطالع والغارب والزيادة والنقص والصيرورة كالظل
[illegible] مثله في الصلوات وفي الحول في الأموال النامية
العين والماشية وبوقت حصول المنفعة في الزرع
والثمار حقه يوم حصاده وبعشر ذي الحجة وبشهر رمضان
في الصيام فوظف الوظائف ووقتها وجعل للنفوس فيها فسحة
الحظوظ والسعي في الأسباب وأهل الله أهل الفهم عنه
جعلوا الأوقات كلها وقتاً واحداً والعمر كله نهجاً إلى الله
قاصداً فعلموا أن الوقت كله له فلم يجعلوا شيئاً منه لغيره
ولذلك قال الشيخ أبو الحسن رضي الله عنه عليك بورد
واحد وهو إسقاط الهوى ومحبة المولى وأبت المحبة أن تستعمل
محباً إلا فيما يوافق محبوبه وعلموا أن الأنفاس أمانة
الحق عندهم وودائعه لديهم فعلموا أنهم مطالبون
برعايتها فوجهوا هممهم لذلك وكانت لله الربوبية الدائمة
كذلك حقوق ربوبيته عليك دائمة فربوبيته غير مؤقتة
بالأوقات وحقوق ربوبيته عليك ينبغي أن تكون أيضاً
كذلك لذلك قال الشيخ أبو الحسن رضي الله عنه أن لكل وقت
سهماً يقتضيه الحق منك بحكم الربوبية انتهى من استغرب
أن ينقذه الله من شهوته وأن يخرجه من وجود غفلته
فقد استعجز القدرة الإلهية وكان الله على كل شيء مقتدراً

الكاملة صح

من استفزته الشهوة واستولت عليه الغفلة فلا ينبغي له
ان يستغرب ان ينقذه الله من اسر شهوته وان يخرجه
من وجود غفلته كما شاهد من الحكام من ذكر فيه فان
في ذلك نسبة العجز الى القدرة الالهية جل الله تعالى
المتصف بالاقتدار على كل شيء وهذا من الاشياء وليعلم العبد
ان قلوب العباد ونواصيهم بيده فلا يقنط ولا ييأس وليقصد
باب مولاه بالذلة والافتقار فعساه يسهل عليه ما يستصعبه
ويظهر فيه ما استعر به وما ذلك على الله بعزيز وليعتبر
في هذا المعنى بالحكايات التي تروى عن الصالحين الذين
تقدمت لهم في مبدا امرهم الزلات ووقعت منهم قبل
توبتهم الهفوات فتداركهم الله تعالى بلطفه واستنقذهم
بجوده وعطفه فاصلح اعمالهم واحوالهم وابدلهم سيئاتهم
حسنات ورفعهم من اسفل سافلين الى اعلى الدرجات
كل ذلك في اقرب زمان واقصر مدة واوان والحكايات
في هذا المعنى عن الفضيل بن عياض وعبد الله بن المبارك
وابي عقال ابن علوان وغيرهم رضي الله عنهم معروفة مشهورة
ومن اغرب ما رايت في هذا المعنى ما رواه محمد بن الحسن بن
معقل عن عمه وهب بن منبه ان رجلا قتل نفسا فجاء الى سائح
من سائحي بني اسرائيل فسأله عن ذلك فقال اقرع لك السائح
من الارض عرجونا يابسا فغرسه فيما حياله ثم قال له اذا اخضر
هذا العرجون قبلت توبتك واراد السائح بذلك تيئيسه
من التوبة لعظيم ذنبه فاخذ الرجل العرجون وهو

يجمع

يجمع في التوبة فتاب وجعل يعبد الله تعالى زمانا ويدعو حتى
اخضر له العرجون باذن الله تعالى وقدرته واغرب
من هذا واعجب ما خرجه مسلم في صحيحه من حديث ابي سعيد الخدري
رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال فيمن كان قبلكم رجل
قتل تسعة وتسعين نفسا فسأل عن اعلم اهل الارض فدل على
راهب فاتاه فقال انه قتل تسعة وتسعين نفسا فهل له من توبة
فقال لا فقتله فكمل به المائة ثم سأل عن اعلم اهل الارض
فدل على رجل عالم فقال انه قتل مائة نفس فهل له من توبة فقال
نعم ومن يحول بينك وبين التوبة انطلق الى ارض كذا وكذا
فان بها اناسا يعبدون الله عز وجل فاعبد الله معهم ولا ترجع
الى ارضك فانها ارض سوء فانطلق حتى نصف الطريق اتاه ملك
الموت فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب
فقالت ملائكة الرحمة جاء تائبا مقبلا بقلبه الى الله وقالت
ملائكة العذاب انه لم يعمل خيرا قط فاتاهم ملك في صورة
ادمي فجعلوه بينهم فقال قيسوا ما بين الارضين فالى ايتهما
كان ادنى فهو له فقاسوه فوجدوه ادنى الى الارض التي اراد
فقبضته ملائكة الرحمة قال قتادة قال الحسن ذكر لنا انه
لما اتاه الموت ناء بصدره وقال يحيى بن دينار وكان يقال
ما وفق الله عبدا للعمل الا وهو يريد ان يتقبله منه ولا وفق
الله عبدا للنزوع عن ذنب الا وهو يريد ان يغفر له وذكر في كتاب
القاضي يونس بن عبد الله المعروف بابن الصفار رحمه الله في

التبرو التيسير لصالح العمل انه اخبره ثقة من اهل العلم
قال كان رجل من اهل الادب له اصحاب تجمعهم بهم مجالس
مكروهة فدعوه ذات يوم فلم يجبهم فقالوا له ما يمنعك
من اجابتنا فقال دخلت البارحة في الاربعين وانا استحي
من سني ان الزم المزيد والعبادة قال وروي عن عمر بن عبد
العزيز قال وجبت حجة الله على ابن الاربعين وذكر
فيه ايضا عن معيشة بن شُمَيّ قال كان رجل من بني اسرائيل يعمل
بالخطايا فبينما هو ذات يوم يسير ذكر ما سلف من عمله فقال
اللهم غفرانك فمات على تلك الحالة فغفر له وذكر فيه
ايضا عن رجل انه راى في منامه شيخا وجماعة من الشعرا
قد احدقوا به يسالونه فقال له ايها الشيخ اخبرني باحكم
بيت قالته العرب فانشد في المعنى • صبا ما صبا حتى
علا الشيب راسه • فلما علاه قال للباطل ابعد •
قال فوالله لقد نفعني الله عز وجل بهذا البيت ما ذكرته
عند شهوة او خطيئة الا ارتدعت عنها وارجو ان لا يفارقني
الانتفاع به ما بقيت ان شا الله تعالى وفي الكتاب
المذكور حكايات مستحسنات في هذا المعنى فطالع ذلك
فيه والله المستعان لا رب غيره وما اورد الظلم عليكم الظلم
ليعرفكم قدر ما منّ به عليكم الظلم اضداد الانوار
فما من نور الا وفي مقابلته ظلمة وبالظلمة يعرف قدر نورها
والشي يعرف بضده كما قيل • وبضدها تتبين الاشياء • فما اورده
عليكم

عليكم من ظلمات الحجبة والغيبة في ليالي الهجر والفرقة فانما ذلك
ليعرفكم قدر ما منّ عليكم من انوار التجلي والحضور في نهار
القربة والوصلة فجميع ذلك نعم سابقة عليكم من غير علم بذلك
من لم يعرف قدر النعم بوجدانها عرفها بوجود فقدانها
اكثر الناس لا يعرفون قدر النعم الا اذا فقدوها لاجل غلبة
الغفلة عليهم حين وجودها عندهم قال سري السقطي من لم
يعرف قدر النعم سلبها من حيث لا يعلم وقال الفضيل عليكم
بمداومة الشكر على النعم فقل نعمة زالت عن قوم فعادت
اليهم وقال بعض البلغاء اذا كانت النعمة وسيمة فاجعل الشكر
لها تميمة وقال شكر النعمة عصمة من حلول النقمة وفي معنى
هذا قيل انما يعرف قدر الماء من بلي بعطش البادية
لا من كان على شاطي الاودية الجارية وقيل ايضا الولد العاق المصر
على تابيه انما يعرف قدر الاب يوم وفاة ابيه وقيل نعم الله
تعالى مجهولة وتعرف اذا فقدت ومن دعا بعض الصالحين
اللهم عرفنا نعمك بدوامها ولا تعرفنا اياها بزوالها قلت ولاجل
غلبة الجهل بالنعم الا عند الفقد وتضييع الشكر عليها
من العبد امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنظر الى من
هو اسفل منا لئلا نزدري نعمة الله علينا والسعيد
من وعظ بغيره قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما روى
عنه ابو هريرة رضي الله عنه انظروا الى من هو اسفل منكم
ولا تنظروا الى من هو فوقكم فهو اجدر ان لا تزدروا نعمة

الله عليكم وروي ايضا انه صلى الله عليه وسلم انه قال
اذا نظر احدكم الى من فضل عليه في المال والخلق فلينظر الى
من هو اسفل منه ممن فضل عليه في المال قال ابو حامد رضي
الله عنه كان بعض الصوفية وظف على نفسه كل يوم ان يحضر
دار المرضى فيشاهدهم ويشاهد عللهم ومحنهم ويحضر
حبس السلطان ويشاهد ارباب الجنايات ومحنهم في السجن
لاقامة العقوبات ويحضر المقابر فيشاهد هذه العبرة وتأسفهم
على ما لا ينفع مع اشتغال الموتى بما هم فيه وكان يعود الى بيته
ويشتغل بالشكر طول النهار على نعم الله عليه في تخليصه من تلك
البلايا انتهى وكان الربيع بن خيثم حفر في داره قبرا وكان
يضع في عنقه غلا وينام في لحده ثم يقول رب ارجعون
لعلي اعمل صالحا ثم يقوم ويقول يا ربيع قد اعطيت ما سألت
فاعمل قبل ان تسأل الرجوع فلا ترد وهذا كله موافق
لامر رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديثين المذكورين
والطريق السعيد اي تعرف الصحيح لنعم الموجودة لديه ابلغ
منه فاذا عرف نعم الله تعالى اشتغل بالشكر عليها من قبل
ان تزال عنه ولا يكون له سبيل اليها وقد تقدم كلام
المؤلف من لم يشكر النعم فقد تعرض لزوالها ومن شكرها
فقد قيدها بعقالها **لا تدهشك واردات النعم عن القيام
بحقوق شكرك فان ذلك مما يحط من وجود قدرك**
اذا ترادفت نعم الله عليك فلا ينبغي ان تدهشك عن

القيام

القيام بشكرها من حيث ترى عجز نفسك عن توفية ذلك
وان لا قبل لك به فتتركه فان الله تعالى رفع قدرك واعلى
امرك وجعل القليل منك كثيرا واشهدك من حسن توليه لك
ونسبة افعالك اليه ما يؤذن بعظيم سيادتك ورفع قدرك
فلم تبخس حقها وتحطها عن قدرها فتراها عاجزة عن الشكر
والقيام بمقتضى الامر لاجل وجه الادب والاتيان من الشكر
بما وجب كان الامر في ذلك اليها قال سهل بن عبد الله ما من
نعمة الا والحمد افضل منها والنعمة التي الهم بها الحمد افضل
من الاولى لان بالشكر يستوجب المزيد وفي اخبار داود عليه
السلام الهي ابن ادم ليس فيه شعرة الا وتحتها نعمة وفوقها
نعمة فمن اين يكافئك فاوحى الله تعالى اليه يا داود اني
اعطي الكثير وارضى باليسير وان شكر ذلك ان تعلم ان ما بك
من نعمة فمني وكتب بعض عمال عمر بن عبد العزيز اليه اني
بارض قد كثرت فيها النعم حتى لقد اشفقت على من قبلي ضعف
الشكر فكتب اليه عمر رضي الله عنه اني قد كنت اراك اعلم بالله
مما انت ان الله تعالى لم ينعم على عبد نعمة فحمد الله عليها
الا كان حمده افضل من تلك النعمة لو كنت لا تعرف الا في كتاب الله
تعالى المنزل قال الله تعالى ولقد اتينا داود وسليمان
علما وقالا الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين
وقال تعالى وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا حتى اذا
جاؤوها وفتحت ابوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها

خالدين وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده واي نعمة افضل
من دخول الجنة تمكن حلاوة الهوى من القلب هو الداء
العضال القلب محل الايمان والمعرفة واليقين وهذه
هي الادوية لامراضه التي اوجبها وجود الهوى والشهوة
فاذا تمكنت الداء من القلب لم يبق للدواء محل فلذلك
اعضل امره وتعذر برؤه لا يخرج الشهوة من القلب
الا خوف مزعج او شوق مقلق الشهوة المتمكنة من القلب
لا يخرجها الا وارد قوي قاهر غالب يرد عليه وذلك
اما خوف مزعج او شوق مقلق وما عدا هذين الامرين
لا يستقل له بذلك كما لا يحب العمل المشترك كذلك
لا يحب القلب المشترك العمل المشترك لا يقبله والقلب
المشترك لا يقبل عليه العمل المشترك هو المشوب بالرياء
والتصنع والقلب المشترك الذي فيه محبة غير الله
تعالى والسكون اليه والاعتماد عليه فالعمل المشترك معتمد
بنظر صاحبه الى الناس والقلب المشترك معتمد بنظر
صاحبه الى نفسه فالعمل المشترك لا يحبه ولا يقبله ولا يثيب
عليه لفقد الاخلاص منه والقلب المشترك لا يحبه ولا
يقبل عليه ولا يرضى به لعدم وجود الصدق فيه فمن
صح اعماله بالاخلاص واحواله بالصدق كان محبوبا لله
تعالى مثابا مرضيا عنه والا فلا وقال رضي الله عنه الانوار اذن لها
في الوصول والانوار اذن لها في الدخول الانوار الواردة

على

على القلب من خزائن الغيوب تنقسم الى قسمين انوار
اذن لها في الوصول الى ظاهر القلب فقط وانوار اذن لها
في الدخول الى صميم القلب ~~فقط والانوار~~ وسويدائه فالانوار
الواصلة الى ظاهر القلب يتباعد العبد منها نفسه وربه ودنياه
واخرته ويكون تارة مع نفسه وتارة مع ربه ويكون ليسعى
في العمل لاخرته ويكون ليعمل في امور دنياه والانوار الداخلة (خلة)
الى صميم القلب وسويدائه لا يكون فيها الا وجود الله عز وجل
فلذلك لا يحب سواه ولا يعبد الا اياه قال بعض العارفين
اذا كان الايمان في ظاهر القلب كان العبد محبا للاخرة
والدنيا وكان مرة مع الله تعالى ومرة مع نفسه فاذا دخل
الايمان باطن القلب ابغض دنياه وهجر هواه وخلفها اخر (العبد ح)
اذا كان الايمان في ظاهر القلب يعني على الفؤاد كان العبد
يحب الله حبا مشتركا فاذا دخل الايمان باطن القلب وكان
في سويدائه احبه الحب البالغ قال الشيخ ابو طالب المكي رحمه
الله تعالى ومحنة ذلك ان ينظر فان كان يوثر الله تعالى على
جميع هواه وغلبت محبته على هواه حتى تصير محبة الله على محبة العبد
من كل شيء فهو محب لله تعالى حقا كما انه مومن به حقا وان رايت
قلبك دون ذلك فذلك لنقص المحبة بقدر ذلك قال بعض
العلماء ظاهر القلب محل الاسلام وباطنه مكان الايمان
فمن ههنا تفاوت المحبوب في المحبة لفضل الايمان على الاسلام
وفضل الباطن على الظاهر ربما وردت عليك الانوار فوجدت

القلب محشواً بصور الآثار فارتحلت من حيث نزلت
فرّغ قلبك من الأغيار يملأه بالمعارف والأسرار
الأنوار الإلهية قد تمر على قلبك فلا تجد فيه موضعاً لاستقرارها
لما غلب عليه من رعونات البشرية وما تحكم فيه من صور الآثار
الكونية فترتحل من حيث تنزل لأنها مقدسة مطهرة فإن
أردت حلول الأنوار فيه وتجلي المعارف والأسرار ففرغه
من الأغيار وامح عنه صور الآثار قال تعالى والذين جاهدوا
فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين وقد تقدم
من كلام المؤلف رحمه الله كيف يشرق قلب صور الأكوان منطبعة
في مرآته لا تستبطئ منه النوال ولكن استبطئ من نفسك
وجود الإقبال تقدم التنبيه على هذا المعنى عند قوله لا تتهم
ربك بتأخير مطلبك ولكن اتهم نفسك بتأخير أدبك والعبارتان
متفقتان معنى وإن اختلفتا لفظاً حقوق في الأوقات
وحقوق الأوقات حقوق في الأوقات يمكن قضاؤها
وحقوق الأوقات لا يمكن قضاؤها إذ ما من وقت يرد
عليك إلا ولله عليك فيه حق جديد وأمر أكيد فكيف
تقضي فيه حق غيره وأنت لم تقض حق الله فيه
الحقوق الكائنة في الأوقات هي وظائف العبادات
الظاهرة من صلاة أو صيام وغيرهما فمن فاته شيء منها
في وقته المعين له أمكنه قضاؤه في وقت آخر إذ قد جعل
له في ذلك مجال رحب يستدرك فيه ما يفوته من تلك
الحقوق

الحقوق والحقوق المضافة إلى الأوقات هي المعاملات
الباطنة التي تقتضيها أحوال العبد وواردات قلبه المتلونة
عليه ووقت كل عبد عند وروده عليه إذ لله تعالى على كل عبد عند كل حال
يحل به ووارد يرد عليه حق جديد وأمر أكيد ولا يسعه
إلا أن يكون يوفيه إذ ذاك فإن قلبه لا يحتمل لقضائه
ولا يمكنه ذلك فعلى العبد أن يكون مراقباً لقلبه حتى يقوم
بمراعاة تلك الحقوق التي لا يمكنه قضاؤها وإن فاتت فاتت قال
سيدي أبو العباس المرسي قدس الله روحه أوقات العبد
أربعة لا خامس لها النعمة والبلية والطاعة والمعصية ولله
عليك في كل وقت منها سهم من العبودية يقتضيه الحق منك بحكم
الربوبية فمن كان وقته الطاعة فسبيله شهود المنة من الله
عليه أن هداه لها ووفقه للقيام بها ومن كان وقته النعمة
فسبيله الشكر وهو فرح القلب بالله ومن كان وقته
البلية فسبيله الرضا بالقضاء والصبر والرضى رضى النفس
عن الله تعالى والصبر مشتق من الإصبار وهو الغرض للسهام
وكذلك الصابر ينصب نفسه غرضاً لسهام القضاء فإن ثبتت
لها فهو صابر والصبر ثبات القلب بين يدي الرب وفي
الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من أعطي فشكر وابتلي
فصبر وظلم فغفر وظلم فاستغفر ثم سكت رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقالوا ما له يا رسول الله فقال أولئك لهم الأمن
وهم مهتدون أي لهم الأمن في الآخرة وهم مهتدون في الدنيا

٧
ما هو عليه من ذلك فالعبد مطالب بحقوق جميع ذلك عند ح

مطلب نفيس في أوقات العبد أربعة لا خامس لها

ما فات من عمرك لا عوض له وما حصل لك منه فلا قيمة له

عمر العبد ميدان للاعمال الصالحة المقربة له من الله تعالى
والموجبة له جزيل الثواب في الدار الاخرة ومقرون السعادة التي
لا نهاية لها يكدح العبد ويسعى من اجلها وليس له الا ما سعى كما قال تعالى
وان ليس للانسان الا ما سعى فكل جزء يفوته من العمر خاليا من
عمل صالح فيفوته من السعادة بقدره ولا عوض له منه قال الجنيد
رحمه الله الوقت اذا فات لا يستدرك وليس شي اعز من الوقت
وكل جزء يحصل له من العمر غير خال من ذكر يتوصل به الى ملك
كبير لا يفنى ولا قيمة لما يوصل الى ذلك لانه في غاية الشرف
والنفاسة ولاجل هذا عظمت مراعاة السلف الصالح لانفاسهم
ولحظاتهم وبادروا الى اغتنام ساعاتهم واوقاتهم ولم
يضيعوا اعمارهم في البطالة والتقصير ولم يقنعوا من
انفسهم لمولاهم الا بالجد والتشمير وقد قال امير المومنين
علي بن ابي طالب رضي الله عنه بقية عمر المومن ما لها ثمن
يدرك فيها ما فات ويحيى بها ما امات وقد نظمه بعض الشعراء
فقال • بقية العمر عندي ما لها ثمن • وان غدا غير محسوب ويحيي ما امات صح
من الثمن • يستدرك المرء فيها ما فات • ويمحو السوء بالحسن
وقال رجل لعامر بن عبد الله بن قيس رضي الله عنه وهو يريد
الجمعة قف حتى اكلمك فقال لولا اني ابادر لوقفت عليك
فقال له وما تبادر قال ابادر خروج روحي وقال الحسن
البصري ادركت اقواما كانوا على ساعاتهم اشفق منكم على دنانيركم

ودراهمكم

ودراهمكم يقول كما لا يخرج احدكم دينارا ولا درهما الا فيما
يعود عليه نفعه فكذلك كانوا لا يحبون ان يخرج ساعة من
اعمارهم الا فيما يعود عليهم نفعه وقال السري السقطي
خرجت من بغداد اريد الرباط الى عبادان لاصوم بها
رجب وشعبان والتقيت في طريقي علي الجرجاني وكان من
الزهاد الكبار فحضرنا وقت افطاره وكان معي ملح مدقوق
واقراص فقال لي ما لك هذا قوت ومكلف الوان من الطعام
لا تفلح ولن تدخل سنن المحبين فنظرت الى مزوده كان
معه فيه سويق الشعير يسف منه فقلت ما دعاك الى هذا
قال حسبت بين المضغ والسف سبعين تسبيحة فما مضغت
الخبز منذ اربعين سنة وفي الخبر ما من ساعة تاتي على العبد
لا يذكر الله فيها الا كانت عليه حسرة ويقال ان العبد تعرض
عليه ساعاته في اليوم والليلة فيراها خزائن مصفوفة
اربعا وعشرين خزانة فيرى في كل خزانة نعيما ولذة وعطاء
وجزاء المكافات او دع خزانة تمت ساعاته في الدنيا من الحسنات
فيسره ذلك ويغتبط به فاذا امرت به في الدنيا ساعة لم
يذكر الله تعالى فيها فيراها في الاخرة خزانة فارغة لا شيء
فيها ولا جزاء عليها فيسوءه ذلك ويتحسر كيف فاته حتى لم يدخر
فيها شيئا من جزاء من خور الثمر يلقي في نفسه الرضا والسلوت
وجاء في الخبر ان اهل الجنة بينما هم في نعيمهم اذ سطع لهم نور
من فوق اضاءت منه منازلهم كما تضيء الشمس لاهل الدنيا فينظروا

رجالٌ من فوقهم إلى عليين ترونهم كما ترون الكوكب الدري
في أفق السماء وقد فضلوا عليهم في الأنوار والجمال والنعيم
المقيم كما فضل القمر على سائر النجوم فينظرون إليهم يطيرون
على نجب تسرح بهم في الهواء يزورون ذا الجلال والإكرام
فينادونهم يا إخواننا ما أنصفتمونا كنا نصلي كما تصلون
ونصوم كما تصومون فما هذا الذي فضلتم به علينا فإذا
النداء من قبل الله تعالى إنهم كانوا يجوعون حين تشبعون
ويعطشون حين ترون ويعرون حين تلبسون ويذكرون
حين تسكتون ويبكون حين تضحكون ويقومون حين تنامون
ويخافون حين تأمنون فلذلك فضلوا عليكم فذلك قوله
تعالى فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا
يعملون وقال أبو علي الدقاق رضي الله عنه رأى بعضهم
مجتهدا فقيل له في ذلك فقال ومن أولى مني بالجهد وأنا
أطمع أن ألحق الأبرار الكبار من السلف قال الله تعالى
وفي ذلك فليتنافس المتنافسون وفي معناه أنشدوا
السباقَ السباقَ قولا وفعلا حذرِ النفسَ حسرةَ المسبوقِ
ما أحببت شيئا إلا كنت له عبدا وهو لا يحب أن تكون لغيره
عبدا المحبة للشيء تقتضي الانقياد له وشدة العلاقة به وأن
لا يتفرغ عنه كما قيل حبك الشيء يعمي ويصم وذلك معنى
استعباده لمحبه فمن أحب غير الله عز وجل فقد استعبده
ذكر الغير كما بينا ما كان والله تعالى لا يحب أن تكون لغيره
عبدا

كما قيل في الحديث الصحيح وهو حبك الشيء يعمي ويصم

للمحب

عبدا ولا يرضى بذلك تعس عبد الدرهم والخميصة
والقطيفة والزوجة قال محمد بن إسماعيل رحمه الله كتب
إلى أخ إن استطعت أن لا تكون لغير الله عبدا فاخرج
من العبودية أبدا فافعل وقال الجنيد إنك لن تكون
له على الحقيقة عبدا وشيء مما دونه لك مسترق وإنك
لن تصل إلى صريح الحرية وعليك من حقيقة عبوديته
بقية وقيل عبد من لم يبق عليه من الدنيا إلا مقدار
نواة فقال المكاتب عبد ما بقي عليه درهم ومن الحكايات
في هذا المعنى ما ذكر عن أبي عبد الله الرازي نزيل نيسابور
قال كساني ابن الأنباري صوفا ورأيت على رأس الشبلي
قلنسوة ظريفة تليق بذلك الصوف فتمنيت في نفسي أن
يكونا جميعا لي فلما قام الشبلي من مجلسه التفت إلي فتبعته
وكان عادته إذا أراد أن أتبعه أن يلتفت إلي فلما دخل
داره دخلت فقال انزع الصوف فنزعته فلفه وطرح القلنسوة
عليه ودعا بنار فأحرقهما ومثل هذه الحكايات ينكره من لم
يعرف مقصده في ذلك شيء كثير ورد عنه لا تنفعه طاعتكم
ولا تضره معصيتكم فإنما أمركم بهذه ونهاكم عن هذه
لما يعود عليكم الحق تعالى غني عن أعمال العاملين لأنه
منزه عن الأعراض والأغراض فلا تنفعه طاعتكم ولا تضره
معصيتكم وإنما أمركم ونهاكم لما يعود عليكم من المصالح
والمنافع في الدارين لا لغيره وذلك على سبيل التفضل منه

مطلب حكاية عن الشبلي

من غير ايجاب عليه وقد تقدم التنبيه على هذا المعنى
عند قوله تعجب ربك من قوم يقادون الى الجنة بالسلاسل
قال في لطايف المنن اعلم رحمك الله ان الله لما امر العباد
بشي وجوبا او ليقتضيه منهم ندبا الا والمصلحة لهم في ذلك
الامر ولم يقتض منهم ترك شي تحريما او كراهة الا والمصلحة
لهم في تركه امرهم وجوبا وندبا ولسنا نقول كما قال من
عدل به عن طريق الهدى انه يجب على الله تعالى رعاية مصالح
عباده بل انما نقول ذلك على عادة الحق وشرعته التي تفضلها
مع عباده على سبيل التفضل فليت اذ قالوا يجب على الله
مصالح عباده قلت فهذا الموجب عليه ثم انا نظرنا فرايناه ما
هو واجب او مندوب اليه يستلزم الجمع على الله وكل منهي
عنه او مكروه يتضمن التفرقة عنه فاذن مطلوب الله من عباده
وجود الجمعية لكن الطاعات هي اسباب الجمع ووسايله
فلذلك امر بها والمعصية هي اسباب التفرقة ووسايلها فلذلك
نهى عنها لا يزيد في عزه اقبال من اقبل عليه ولا ينقص من
عزه ادبار من ادبر عنه عزة الله صفة من صفات ذاته
وصفات ذاته في غاية الكمال والتمام فهي منزهة عن الزيادة
والنقصان وسببية العلل وقال رضي الله عنه وصولك
الى الله وصولك الى العلم به والا فجل ربنا ان يتصل به شي
او يتصل هو بشي الوصول الى الله تعالى الذي يشير اليه
اهل هذه الطريقة هو الوصول الى العلم الحقيقي بالله تعالى

وهذا

مطلب عجيب في امر الله للعبد في الفعل والترك والطلب راجعة للعبد

عليه صح

مطلب في معرفة الوصول الى الله تعالى التي يعبر عنها اهل هذه الطريقة دايما ما المراد به

وهذا هو غاية السالكين ومنتهى سير السايرين واما
الوصول المفهوم بين الذوات فهو متعال عنه قال
الجنيد رحمه الله متى يتصل من لا شبيه له ولا نظير له
بمن له شبيه ونظير هيهات هذا الظن عجيب الا بما لطف
اللطيف من حيث لا درك ولا وهم ولا احاطة الا اشارة
اليقين وتحقيق الايمان قال الشيخ ابو حفص عمر بن محمد
بن عبد الله السهروردي صاحب كتاب عوارف المعارف
رضي الله عنه واعلم ان الاتصال والمواصلة اشار
اليها الشيوخ وكل من وصل الى صفو اليقين بطريق
الذوق والوجدان فهو رتبة في الوصول ثم يتفاوتون
فمنهم من يجد الله بطريق الافعال وهو رتبة في التجلي
فيفنى فعله وفعل غيره لوقوفه مع فعل الله تعالى
ويخرج في هذه الحالة عن التدبير والاختيار وهذه رتبة
في الوصول ومنهم من يوقف في مقام الهيبة والانس بما
يكاشف قلبه من مطالعة الجلال والجمال وهذا تجلي بطريق
الصفات وهو رتبة من الوصول ومنهم من يرقى الى مقام
الفناء مشتملا على باطنه انوار اليقين والمشاهدة يعني في
شهوده عن وجوده وهذا ضرب من تجلي الذات لخواص
المقربين وهذه رتبة في الوصول وفوق هذا رتبة حق
اليقين ويكون من ذلك في الدنيا لمح وهو سريان نور
المشاهدة في كلية العبد حتى تحظى به روحه وقلبه ونفسه حتى قالبه

هو

صفو

مغيبا

وهذا من اعلى رتب الوصول فاذا تحققت الحقايق يعلم
العبد من هذه الاحوال الشريفة انه في اول المنزل فاين
الوصول هيهات منازل طريق الوصول لا تنقطع ابد الاباد
في عمر الاخرة الابدي فكيف في العمر القصير في الدنيا وفي
قرب كرمه ان تكون شاهد القرب والا فمن اين
انت ووجود قربه القرب الحقيقي قرب الله منك قال الله
تعالى واذا سالك عبادي عني فاني قريب وقال تعالى ونحن
اقرب اليه منكم ولكن لا تبصرون وقال عز من قايل ونحن اقرب
اليه من حبل الوريد وحكمة من ذكر انما هو شاهد تكرمه لقربه
نفسك فتستفيد بهذه المشاهدة شدة المراقبة وغلبة الهيبة
والتادب باداب الحضرة واما انت فلا ينبغي لك الا وصف
البعد وشهوده من نفسك كما يقول العراقي بعد هذا الهي
ما اقربك مني وما ابعدني عنك **الحقايق ترد في حال**
التجلي مجملة وبعد الوعي يكون البيان فاذا قراناه
فاتبع قرانه ثم ان علينا بيانه حقايق العلوم اللدنية
التي تقذفها الحق سبحانه في اسرار العارفين عند براءتهم
من الدعوى وتحررهم من رق الاشيا وتعرضهم بالالتجا
والافتقار ربما يفتح عليهم المولى بكرمه الحق تعالى لحقيقتها
موهوبة لهم من غير تعلم ولا دراسة وعند ورودها عليهم
وتجليها لهم مجملة لا تتبين لهم معانيها ولا يدركون جهة
حقيقتها فاذا وعوها وتصرفت فيها اذهانهم بالاعتبار

والتامل

ساه فتستفيد

موعره تكون ح

١٧٩

والتامل تبين لهم معانيها وظهر لهم موافقتها لما بايديهم
من العلوم العقلية والنقلية من غير مخالفة حتى ان بعضهم
ربما يجري على لسانه وبنانه كلام كثير من غير ان يلقي
له بالا فاذا فتش من ذكره ورسمه بعد حين يتصفحه وتياملة
يجده صحيحا مستقيما وقد اخبرني بعض من ذكرت له قدم
صدق في هذه الطريقة بمن نفعه قال الامام ابو القاسم
القشيري واصحاب الحقايق يجري بحكم التعريف عليهم
شي لا علم لهم به على التفصيل وبعد ذلك يكشف وجهه
فربما يجري على لسانهم شي لا يدرون وجهه ثم يعلمون فراغهم
عن النطق به يظهر لقلوبهم برهان ما قالوه من شواهد
العلم اذ تحقيق ذلك بجريان الحال في ثاني الوقت انتهى
كلام ابي القاسم رحمه الله وهو موافق لما ذكره المولف
رحمه الله والله اعلم وكانهما اشارا بذلك الى المسيلة
المتعارفة بينهم من موافقة الحقيقة للشريعة وقد
عبروا عن ذلك بعبارات فقد سيل محمد ابن طاهر
الابهري عن الحقيقة فقال الحقيقة كلها علم فسيل عن
العلم فقال كله حقيقة وقال الشبلي الالسنة ثلاثة لسان
علم ولسان حقيقة ولسان حق فلسان العلم ما تادى
الينا بالواسطة ولسان الحقيقة ما اوصله الله
الى الاسرار بلا واسطة ولسان الحق ليس اليه طريق
وقال رويم اصح الحقايق ما قارن العلم وقال ابو بكر

لهم ثم

مطلب عجيب في بحث الحقايق انها كلها علم

الدقاق كنت في تيه بني اسرائيل فوقع في قلبي ان علم
الحقيقة يخالف علم الشريعة فاذا شخص تحت شجرة
ام غيلان صاح بي وقال يا ابا بكر كل حقيقة تخالف
الشريعة فهي كفر واشارة المولف رحمه الله بالاية
الكريمة حيث ذكرها الى هذا المعنى بينة متى وردت
الواردات الالهية اليك هدمت العوائد عليك
ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها الواردات
الالهية على العبد تمحو عنه جميع رعوناته وتهدم عليه
مستوعاداته ولها سلطنة عظيمة على ذلك فاذا اوردت
على قلبه مشحون بانواع الخبايث والرذايل ازالت
ذلك بمرة واثبتت عوضا من ذلك احوالا علية واوصافا
رضية انشد سيدي ابو العباس المرسي رضي الله عنه
في هذا المعنى . لو عاينت عيناك حين تزلزلت
ارض النفوس ودكت الاجبال . لرايت شمس الحق
يسطع نورها . حيث التزلزل والرجال رجال .
الارض ارض النفس والجبال جبال العقل والشمس شمس
المعرفة والاشارة بالاية الى هذا المعنى بينة
الوارد ياتي من حضرة قهار لاجل ذلك لا يصادمه شي الا دمغه
بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق
الوارد موسوم بسمة القهر والغلبة لوروده من حضرة
القهار الغالب على امره لاجل ذلك لا يصادمه شي

من

١٨

من رعونات البشرية الا دمغه وازاله وهو ايضا
حق ورد على باطل والباطل لا يثبت له مع الحق والاشارة
الى هذا المعنى بينة كيف يحتجب الحق بشي والذي
يحتجب به هو فيه ظاهر وموجود حاضر قد اشبع المولف
رحمه الله الكلام على هذا المعنى في اول الكتاب
واتى فيه بالعجب العجاب وقد نبهنا عليه هناك لا تياس
من قبول عمل لم تجد فيه وجود الحضور فربما قبل من
العمل ما لم تدرك ثمرته عاجلا العمل الذي لا يجد
صاحبه حضورا فيه ينبغي ان لا ييأس من قبوله فان
ذلك الى الله تعالى فقد يقبل من العمل ما لا يدرك
ثمرته عاجلا من وجود حضور او حلاوة او غير ذلك
ولو لم يكن الا قصده التقرب به وسقوطه عن نظره
وقد تقدم التنبيه على هذا المعنى عند قوله لا عمل
ارجى للقبول لا تتركن واردا لا تعلم ثمرته فليس
المراد من السحابة الامطار وانما المراد منها وجود
الاثمار الوارد مراد لثمرته لا لوجدانه ذلك نفسك
فيه كما ان السحابة مرادة لوجود الامطار الذي
اقتضاه وجود الامطار لا لمجرد امطارها وثمرة
الوارد انما هو تاثر القلب به وتبدل صفاته المذمومة
بصفات محمودة كما تقدم فان لم تعلم وجود ثمرة
فيك فلا تركن الى الوارد ولا تفرح به فان ذلك نوعا

لا تتركن
او لا تزكين

من الاغترار والحذر مما يلبسه الاكمام فكن على حذر منه
لا تطلبن بقاء الواردات بعد ان بسطت انوارها واودعت
اسرارها فلك في الله غنى عن كل شيء وليس يغنيك عنه شيء
انوار الواردات المنبسطة على العبد تكليفات ظاهرة وباطنة
بكيفيات العبودية واسرارها المودعة فيه بما لاح
له من عظمة الربوبية جل جلاله فاذا فارقك الوارد بهذه
الفوائد فلا تطلبن بقاءه في حال كونه ولا تاسف على فقده
اذا فقدته فان في الله غنى عنه وعن غيره وليس لك غنى عن
الله تعالى بشيء من الاشياء كما قال الشاعر لكل شيء
اذا فارقته عوضا . وليس لله ان فارقت من عوض
قال ~~ابو العلم~~ العباس بن عطاء الله ايا سائل ان لا تلاحظ
مخلوقا وان تجد الى ملاحظة الحق سبيلا ويدخل في هذا
المعنى الذي ذكره ابن عطاء الله جميع الاغيار من الانوار
والمقامات والاحوال والدنيا والآخرة والنعم الباطنة
والظاهرة فلا تلاحظ شيئا من ذلك ولا تركن اليه ولا
تعتمد عليه بغنى او ذهب فان ذلك قادح في اخلاص
التوحيد قال في التنوير اعلم ان الباري سبحانه انما ابرز حكم
في الحال لتأخذ منها لا لتأخذ منك وانما جاءت تحمل هدية
التعريف من الله اليك فيها فتوجه اليها باسمه المبدي
فابداها وابقاها حتى اذا وصلت اليك ما كان فيها فادت
الامانة توجه اليها باسمه المعيد فارجعها وتوفاها فلا
تطلبن

تطلبن بقاء رسول الملك بعد ان بلغ الرسالة ولا امين بعد ان بلغ
امانته وانما يقتضي المدعون بزوال الاحوال وبعدهم
عن مراتب الانزال هنالكم تبدو العوارض وتنفك الاستار
فكم من مدع الغنى بالله وانما غناه بطاعته او بنوره
او فتحه وكم من مدع العز بالله وانما عزه بمنزلته
وصولته على الخلق فعتمدا على ما ثبت عنده من معرفته
فكن عبدا لله لا عبد العلل والحاجات فالله لكم ربا ولا علة
فكن عبدا له ولا علة لتكون له حاجات لكم انتهى وقال سيدي
ابو العباس المرسي عبد هو في الحال بالحال وعبد هو في الحال بالمحول
فالذي هو في الحال بالحال عبد الحال والذي هو في الحال بالمحول
عبد المحول وامارة من هو في الحال بالحال ان يأسى عليها اذا
فقدها ويفرح بها اذا وجدها والذي هو في الحال بالمحول
لا يفرح بها اذا وجدها ~~والذي هو في الحال~~ ولا يحزن عليها
اذا فقدت وفي الاشارات عن الله سبحانه لا تركنن الى شيء
دوننا فانه وبال عليك وقاتل لك فان ركنت الى العلم
تتبعناه عليك وان اويت الى العمل رددناه عليك وان
وثقت بالحال وقفناك معه وان انست بالوجد استدرجناك
فيه وان لحظت الى الخلق وكلناك اليهم وان اعتززت
بالمعرفة نكرناها عليك فاي حيلة لك واي قوة معك فارضنا
لك ربا نرضاك لنا عبدا تطلعك الى بقاء غيره دليل على
عدم وجدانك له واستيحاشك لفقدان ما سواه دليل على
عدم وصلتك به

وجود العبد المريد ووصوله اليه هو غاية مطالبه ومنتهى اماله
وما ربه يفوز بالنعيم ويحظى بالمكان العظيم وعند ذلك ينسى
كل محبوب ويلهى عن كل مفروح به ومرغوب وهذه هي صفة
اهل التفريد الذين اشتهروا في ذكر كلام الله المجيد كما روى
عن ابي عبيدة البسري قال سالت رجلا بالشام ما الذي
اجلسك في هذا الموضع فقال وما سوالكم عن شي ان طلبته لم
تدركه وان لحقته لم تقع عليه قلت تخبرني ما هو فقال علمي
بان مجالسة الله تستغرق نعيم الجنات ثم قال اواه قد كنت ان
انت تعنيني لعرفت ومن الخلق هربت فاذا انا كذاب في مقالتي
لو كنت محبا لله صادقا ما اطلع على احد فقلت اما علمت
ان المحبين خلفا الله في ارضه ستانسين بخلقه يبعثهم
على طاعته فصاح صيحة وقال يا مخدوع لو شممت رائحة
الحب وعاين قلبك ما وراء ذلك من القرب ما احتجت ان
ترى فوق ما رايت ثم قال يا سما ويا ارض اشهدا انه ما علي
خطر على قلبي ذكر الجنة والنار قط ان كنت صادقا فامتني
فوالله ما سمعت له كلاما بعدها وخفت ان يسبق الى الظن
مني قتله فتركته ومضيت فبينما انا على ذلك اذا انا بجماعة
فقالوا ما فعل الفتى فكتمتهم ذلك فقالوا ارجع فان الله
قد قبضه فصليت معهم عليه فقلت لهم من هذا الرجل ومن
انتم قالوا ويحك هذا انه كان يمكث المجلس على قلب ابرهيم
الخليل عليه السلام فقلت من انتم قالوا نحن المخصوصون

من

منذ لا بدال فقلت علموني شيا قالوا لا تحب ان تعرف ولا تحب
ان يعرف انك ممن لا تحب ان يعرف وفي مثل هذا الحال انشدوا
كانت لقلبي اهوا مفرقة • فاستجمعت اذ راتك النفس اهوائي
فصار يحسدني من كنت احسده • وصرت مولى الورى مذ صرت مولائي
وتركت للناس دنياهم ودينهم • شغلا بذكرك يا ديني ودنيائي
وقد سيل ابو سليمان الداراني عن اقرب ما يتقرب به
العبد الى الله تعالى فقال اقرب ما يتقرب به اليه ان يطلع
الله على قلبه ولا يريد من الدنيا والاخرة غيره فهذه
هي العلامة الصادقة والدلالة القاطعة على التحقيق بهذا
المقام العظيم فان كان له شعور بشي من الاغيار المحبوبة
فتطلع الى لقائها واستوحش لفقدها فذلك دليل على عدم
تحققه بذلك فليعرف منزلته وحده وليعمل في تصحيح المقام
جهده • وقال رضي الله عنه النعيم وان تنوعت مظاهره
انما هو شهوده واقترابه والعذاب وان تنوعت
مظاهره انما هو وجوده حجابه بحسب العذاب وجود الحجاب
واتمام النعيم بالنظر الى وجه الله الكريم منظاهر
النعيم المتنوعة نوعا وردت انواع الثواب في الدار الاخرة
من الحور والقصور والولدان والغلمان والماكل والمشارب
والملابس الى غير ذلك من انواع المسرات واللذات
ومظاهر العذاب المتنوعة نوعا وردت انواع العقاب
فيها من الحميم والجحيم والزقوم والعقارب والحيات والسلاسل

والاغلال والانكال وغير ذلك من انواع الالام والعقوبات
ولم وجود النعيم والعذاب بسبب وجودات هذه الاشياء
ومشاهدتها للمنعم والمعذب وما شاذ لك لما تفهمته وظهر
تبيانه وجود قرب الله تعالى وشهوده للمنعم ووجود
حجابه واعراضه عن المعذب فعلم ان الاحزان بعينها النعيم
والعذاب على التحقيق ما يجده القلوب من الهموم
والاحزان فلا جدوى ما سعت من وجود العيان وجدان
الهموم والاحزان الدنياويه والاخراويه من نتائج
رؤية النفس واعتبارها وبقاء حظها وهو الذي منع العبد
من وجود العيان فلو فني عن رؤية نفسه وذهبت
مراعات حظه لتكفر بوجود العيان ولم يكن له هم
ولا احزان البتة بل يكون متصل الحبور دائم الفرح الحبور
والسرور كما قال تعالى ان الله معنا فالمعية المذكورة
لا يجتمع معها حزن وهو ما قلناه من وجود العيان والله
اعلم درجة فوق حق اليقين كما قال الشاعر شعر العيان العيان ح
على حق انني صار اليقين من العيان توهما. قال الشبلي
رحمه الله من عرف الله لا يكون له غم ابدا وقد اوحى
الله الى داود عليه السلام يا داود قل لمحبتي من خلقي ان
يكونوا روحانيين وللروحانية علم لا يفتقروا وانما
مصابيح قلوبهم يا داود لا تمزج الهم قلبك فينقص
ميراث حلاوة الروحانيين ويأتي من كلام المؤلف
اوحى

اوحى الله الى داود بي فافرح وبذكرى فتنعم وبشارة
القلب منور المعرفة واحتظابه بموجود العيان والرزق
يخرج منه الهم ويمحو الروحانية ان في وجود الهموم
والاحزان لمن لم يبلغ هذا المقام اذ لم يقدر على
دفعها عن نفسه فوائد جزيلة لا ينبغي ان تستحقر
من قبل انها موجبة لجمود النفس وصفاء القلب وزوال الاشر
والبطر وفرح بالدنيا ثم هي كفارات ان كانت في الامور
الدنياويه ودرجات ان كانت في الامور الاخراويه
والهم متعلق بما يكون في المستقبل والحزن متعلق
بما يكون في الماضي ومن تمام النعمة عليك ان يرزقك
ما يكفيك ويمنعك ما يطغيك وجدان الكفاية من
الرزق وعدم الزيادة عليها والنقصان منها من نعم
الله تعالى التامة الكاملة على العبد لما له في ذلك من حصول
جميع المصالح الدينية والدنياويه اما مصالح الدين في عدم
الزيادة على الكفاية فظاهر اذ لو وجدها لربما وجب
ذلك طغيانا كما قال تعالى كلا ان الانسان ليطغى ان
راه استغنى فالاستغنا هو وجود للزيادة على الكفاية
وهو سبب الطغيان والطغيان اصل كل معصية لله عز وجل
وقصة ثعلبة بن حاطب حين طلب الدعا من رسول الله صلى الله عليه و سلم
ان يرزقه الله مالا وما آل اليه امره مشهور وقال سعد
ابن ابي وقاص سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول

خير الرزق ما يكفي وخير الذكر الخفي وفي حديث أبي الدردا
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما طلعت الشمس إلا بجنبتيها
ملكان يناديان يسمعان الخلائق غير الثقلين أيها
الناس هلموا إلى ربكم ما قل وكفى خير مما كثر وألهى
وأما مصالح الدنيا في ذلك فيأتي التنبيه عليه في قول
المؤلف رحمه الله ليقل ما تفرح به يقل ما تحزن عليه وأما
مصالح الدين عند وجود الكفاية وعدم النقصان منها فمن
أجل توصله إلى الاستعانة بها على طاعة الله تعالى ولأجل
ذلك عظمت النعمة بها على العبد قال الله تعالى وابتغ فيما
آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا أي
لا تنس نصيبك في الآخرة أن تتوصل إليه بما آتاك الله
من الدنيا وأما مصالح الدنيا في ذلك فظاهرة لا يحتاج
إلى تنبيه عليها إذ بذلك يحصل طيب العيش وراحة القلب
والبدن وصيانة الوجه من ذل السؤال عند وجود الحاجة
والفاقة فعلى العبد أن يشكر الله تعالى على هذه النعمة
العظيمة ويقنع بما أباح له من هذه المنة الجسيمة
فيتعجل بذلك راحة نفسه والاستغنا عن بني جنسه
ويحصل له بذلك حلاوة الزهد في الأمور العاجلة وتخلي
القلب عن زهرتها فإن طلب الزيادة من الدنيا ولم يقنع
بما قسم له منها جر عليه من اقتحام المهالك ارتكاب الحرص
والطمع إلى ذلك قال بعض العارفين [illegible]

(وفي رواية ولا غربت)

قدر

قدر ما زوى عنه من الدنيا ابتلي بأحد وجهين إما بحرص
مع فقر ينقطع فيه حسرات أو رغبة في غنى تنسيه شكر ما أنعم
به عليه وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ليس
الغنى عن كثرة العرض وإنما الغنى غنى النفس وغنى النفس
عن الدنيا شرف الأولياء المختارين وعز أهل التقوى
من المؤمنين المحسنين ولقد صدق الشاعر في قوله • غنى
النفس ما يكفيك من سد خلة • فإن زدت شيئا عاد ذاك الغنى
فقرا • يحكى عن بنان الحمال أنه قال كنت بمكة مجاورا على
بني شيبة سبعة أيام لم آكل شيئا فنوديت في سري
إن من أخذ من الدنيا فوق ما يكفيه أعمى الله عيني قلبه
وقال عبد الواحد بن زيد ذكر لي أن في خراب الأبلة
جارية مجنونة تنطق بالحكمة فلم أزل أطلبها حتى وجدتها
في خربة جالسة على حجر وعليها جبة صوف وهي محلوقة
الرأس فلما نظرت إلي قالت من غير أن أكلمها مرحبا بك
يا عبد الواحد قلت رحمك الله وعجبت من معرفتها بي
ولم ترني قبل ذلك فقالت ما الذي جاء بك ههنا قلت
لتعظيني قالت واعجبا لواعظ يوعظ ثم قالت يا عبد
الواحد إن العبد إذا كان في كفاية ثم مال إلى الدنيا
سلبه الله حلاوة الزهد فيظل حيران [illegible] فإن كانت
له عند الله نصيب عاتبه وحيا في سره فقال عبدي أردت
أن أرفع قدرك عند ملائكتي وحملة عرشي وأجعلك

(على حكاية الجارية العاقلة)

[illegible]

ذليلا لا ولي لي واهلها عتبي في ارض فملت الى بعرض
من اعراض الدنيا وتركتني فاورثتني بذلك الوحشة بعد
الانس والذل بعد العز والفقر بعد الغنى ارجع الى عليه ارجع الى ما
ما كنت لا تعرفه من نفسك قال ثم تركتني وولت عني وانقضت
وبقلبي حسرة منها وفي بعض الكتب ان اهون ما اصنع بالعالم
اذا مال الى الدنيا ان اسلبه حلاوة مناجاتي وذكر ابو
ابرهيم اسحق بن ابرهيم التجيبي القرطبي المالكي في كتاب تنبيه على هذه الحكاية
النصائح له عن ابي عبد ربه الشابي ثم الدمشقي انه كان
من اكثر اهل دمشق مالا فخرج مسافرا فامسى الى جانب
نهر ومرعى فنزل به قال فسمعت صوتا يكثر حمد الله
تعالى في ناحية المرج فاتبعته فوافيت رجلا ملفوفا
في حصير فسلمت عليه فقلت من انت يا عبد الله فقال رجل
من المسلمين فقلت ما حالك هذه قال حال نعمة يجب علي
حمد الله عليها قال فقلت وكيف انما انت في حصير قال
وما لي لا احمد الله وقد خلقني فاحسن خلقي وجعل منشاي
ومولدي في الاسلام والبسني العافية في اركاني وستر
على ما اكره ذكره او نشره فمن اعظم نعمة ممن امسى ثناه
مثل ما انا فيه فقلت له ان رايت رحمك الله ان تقوم ما انا
معي الى المنزل فانا نزول على النهر ههنا قال ولم قلت
تصيب من الطعام ونعطيك ما يغنيك عن لبس الحصير قال ما لي
فيه من حاجة فراودته على ان يتبعني فابى فانصرفت

وقد

١٨٥

ومقتها

وقد تقاصرت نفسي ومقتها اذ لم اخلف رجلا بدمشق
يكاثرني في غنى وانا التمس الزيادة فقلت اللهم اني اتوب
اليك من سوء ما انا فيه فبت لا يعلم اعواني ما اجمعت عليه فلما
كان السحر رحلوا الخيل رحلتهم فيما مضى فقدموا الى دابتي
فصرفتها الى دمشق فقلت ما انا بصادق في التوبة ان مضيت
الى متجري فسالني القوم فاخبرتهم فعاتبوني على المضي
فابيت فلما قدم دمشق وضع يده يتصدق بماله فما زال
يفرقه في سبل الخيرات حتى تضرر فما وجد عنده الا
قدر ثمن الكفن زاد غيره الى ابرهيم وكان يقول يعني
ابا عبد ربه المذكور والله لو ان نهركم يعني نهر دمشق
سال ذهبا ما خرجت اليه ولا اخذت شيئا منه ولو قيل لي
من مس هذا العمود مات لقمت اليه ومسسته شوقا
الى الله ورسوله ليتبين ما تقدم من حقيقة ما تحزن عليه
درء المفاسد اهم عند العقلاء من جلب المصالح فمن زوى
الله عنه فضول الدنيا ورضي بذلك وقنع منها باليسير
ولم يتطلع الى زيادة من مال او جاه فهو كامل العقل
حسن التنظر لنفسه لانه رفع عن نفسه مفسدة وجود الحزن
بتركه لما يفيد حصول مصلحة الغنى الذي يزول عن قريب
واعتاض منه ذكر الراحة الدائمة كما قيل ومن سره
ان لا يرى ما يسوءه فلا يتخذ شيئا يخاف له فقدا فان صلاح
المرء يرجع كله فسادا اذا الانسان جاز به العمر او قيل لبعضهم

لبرك تغتم فقال لاني لا اقتني ما يغمني فقده فالمفروح به هو
المحزون عليه ان قليلا فقليلا وان كثيرا فكثير كما قيل
على قدر ما اولعت بالشي حزنه ويصعب نزع السهم مهما
تمكنا ويحكى انه حمل الى بعض الملوك قدح من فيروزج
مرصع بالجوهر لم ير له نظير ففرح الملك فرحا شديدا فقال
لبعض الحكماء عنده كيف ترى هذا قال اراه مصيبة او فقرا
قال وكيف ذلك قال ان انكسر كانت مصيبة لا جبر لها وان
سرق صرت فقيرا اليه ولم تجد مثله وقد كنت قبل ان يحمل
اليك في امن من المصيبة والفقر فاتفق انه انكسر القدح
يوما فعظمت مصيبة الملك فيه او اعظم منها نازل بكل من له
علاقة بشيء من اسباب الدنيا فانها ان لم تؤخذ منه بغصب
او سرقة او جائحة نازلة فلا بد ان يؤخذ منها بالموت
الهادم للذات المنغص للشهوات فان كان له الف محبوب
مثلا نزل به عند الموت الف مصيبة في وقت واحد لانه كان
يحبها كلها وقد سلبت منه في كرة واحدة ولذلك كان الزهد
في الدنيا من قضايا العقل قال سهل بن عبد الله رضي الله
عنه للعقل الف اسم ولكل اسم الف اسم واول كل اسم
منه ترك الدنيا وقال الحسن كيف يسمى عاقلا وهو يمسي
ويصبح في الدنيا ومباهات ابنائها في المطاعم والمنازل
والملابس والمراكب اولئك هم الخاسرون اولئك هم
هم الغافلون اولئك هم الجاهلون وانشدوا

فقال صدق الحكيم ليته لم يحمل الينا وامثال هذه المصيبة صح

ايها

ايها المرء ان دنياك بحر طافح موجه فلا تامنها
وسبيل النجاة فيها مستنير وهو اخذ الكفاف والقوت منها
وقال ابو على الثقفي اف من اشغال الدنيا اذا اقبلت
واف من حسراتها اذا ادبرت والعاقل لا يركن الى شيء
اذا اقبل كان شغلا واذا ادبر كان حسرة وقد قيل
في معناه • ومن يحمد الدنيا لشيء يسره فسوف لعمري
عن قليل يلومها • اذا ادبرت كانت على المرء حسرة •
وان اقبلت كانت كثيرا همومها • وقال ابو القاسم
الجنيد رضي الله عنه متى يكون الرجل موصوفا بالعقل قال
اذا كان للامور مميزا ولها متصفحا وعما يوجبه عليه
العقل باحثا ليتميز بذلك الطلب الذي هو اولى ليعمل
به ويؤثره على ما سواه فاذا كان كذلك فمن صفته ركوب
الفضل في كل احواله بعد احكام العمل بما فرض الله
عليه وليس من صفة العقل اغفال النظر لما هو احق
واولى ولا من صفتهم الرضا بالنقص والتقصير فمن كانت
هذه صفته بعد احكام ما يجب عليه من عمله ترك التشاغل
بما يزول وترك العمل بما يفنى وينقضي وذلك صفة
كل ما احتوت عليه الدنيا وكذلك لا يرضى ان يشغل نفسه
بقليل زائل ويسير حائل يصده التشاغل به والعمل
له عن امور الاخرة التي يدوم نعيمها ونفعها ويتأبد
على العامل له حظه ومثوبته وبكثرة زائل متروك مفارق

الثقفي صح

سرورها ويتصل بقاءها وذكر ان الذين يدوم نفعه ويبقى صح

موروث يحاق مع ترك سوء العاقبة فيه ومحاسبة الله
عليه وكذلك صفة العاقل المتصفح الامور بعقله والاخذ
منها بالوفرة قال الله تعالى الذين يستمعون القول فيتبعون
احسنه اولئك الذين هداهم الله واولئك هم اولوا الالباب
يذكر وصفهم الله تعالى وذووا الالباب هم ذووا العقول
وانما وقع الثنا عليهم بما وصفهم الله به لاخذ باحسن
الامور عند اجتماعها واحسن الامور هو افضلها وابقاها
على اهلها نفعا في العاجل والاجل والى ذلك ندب الله
عز وجل من عقل في كتابه انتهى كلام الجنيد وهو في
غاية الحسن ونهاية التحقيق وفيه مناسبة لما كنا بصدده
من التنبيه على كلام المولف رحمه الله فرايت ذكره
هاهنا لا تبقى والله تعالى الموفق للصواب بمنه ان اردت
ان لا تعزل فلا تتولى ولاية لا نه وما كان هذه
من امثلة ما تقدم لان الولاية مالها الى الحزن بسبب
وقوع العزل بعدها ومقتضى نظر العقل ترك الولاية
المغروم بها لئلا يقع في العزل به المحزن ان رغبتك
البدايات زهدتك النهايات ان دعاك اليها
ظاهر نهاك عنها باطن مبدايات الامور وظواهرها
ترغب الجاهل فيها وتدعوه اليها لانها رايقة الحسن مليحة
الظاهر فيغتر الجاهل بذلك فيقوده الى ما فيه ضرره
وهلاكه ونهايات الامور وبواطنها تزهد العاقل

ونهاه

ونهاه عنها لما شهده من سماجتها وقبح باطنها
فيعتبر العاقل بذلك فيهرب منها ولو من شرفها وقد
تقدم هذا المعنى عند قوله الاكوان ظاهرها غرة
وباطنها عبرة قال وهب بن منبه صحب رجل بعض
الرهبان سبعة ايام ليستفيد منه شيا فوجده مشغولا
عنه بذكر الله تعالى والفكرة لا يفتر فلما التفت
اليوم السابع فقال يا هذا قد علمت ما تريد
حب الدنيا راس كل خطيئة والزهد فيها راس كل خير
والتوفيق نجاح كل خير فاحذر راس كل خطيئة وارغب في
راس كل خير وتضرع الى ربك ان يهب لك نجاح كل خير
قال ولكني اعرف ذلك قال كان جدي رجلا من الحكماء
فوشبه الدنيا بسبعة اشيا شبهها بالماء المالح يغر ولا يروى
ويضر ولا ينفع وبظل الغمام يغر ويخذل وبالبرق
الخلب يغر ولا ينفع وبسحاب الصيف يغر ولا ينفع
وبزهر الربيع يغر بنضرته ثم يصفر فتراه هشيما وباحلام
النائم يرى السرور في منامه فاذا استيقظ لم يجد في
يده الا الحسرة وبالعسل المشوب بالسم الزعاف
يغر ويقتل فتدبرت هذه الاحرف السبعة سبعين
مرة ثم زدت فيها حرفا فشبهتها بالغول التي تهلك
من اجابها وتترك من اعرض عنها فرايت جدي في النوم
فقال لي يا بني انت مني وانا منك فقلت بأي شي يكون

الزهد في الدنيا قال باليقين واليقين بالصبر والصبر
بالعبر والعبر بالفكر ثم وقف الراهب وقال خذها
ولا أراك تلقى إلا متجردا بالفعل دون قول فكان ذلك
آخر العهد به وقال محمد بن علي الترمذي لم تزل
الدنيا مذمومة في الأمم الخالية عند العقلاء منهم
وطالبوها مهانين عند الحكماء الماضين وما قام داع في
أمة إلا وقد حذرهم متابعة الدنيا وجمعها الكتب كلها
ألا ترى مؤمن آل فرعون كيف قال اتبعوني أهدكم سبيل
الرشاد ثم قال إنما هذه الحياة الدنيا متاع أي لن تصل
إلى سبيل الرشاد وفي قلبك محبة الدنيا وطلب لها
والحكايات والآثار في أحوال الدنيا وغرورها وشرورها
أكثر من أن تحصى ولا شيء أبين في ذلك من قول الله
تعالى في صفتها اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة
وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد كمثل غيث
أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون
حطاما وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله
ورضوان وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور ومنها
جعلها محلا للأغيار ومعدنا لوجود الأكدار
تزهيدا لك فيها وورود الأغيار والأكدار الدنيا وفيه
على العبد نعم من الله تعالى عليه لأن ذلك لا محالة يدعوه
إلى الزهادة في الدنيا والتجافي عنها ويفرق عنه وجود
الغباوة

وما بيان
الغباوة والجهالة لأجل تمسكه بالخيال من يستنضر به الحال
والمال لأن الموجب لرغبته فيها وحرصه على نيلها إنما هو
ما يتوهمه فيها من الحصول على منيته وبغيته وقضاء غرضه من
شهوته ونهمته من غير مكدر ولا منغص ولو تصور له حصوله
على هذه الأشياء على ما يحبه ويهواه كان ينبغي له أن يرغب
عنها عوضا عن الرغبة فيها إن كان عاقلا لأن مآل أمرها
إلى الفناء والزوال والانقضاء والارتحال وقد قالوا
شر لا يدوم خير من خير لا يدوم وقال الشاعر أشد
الغم عندي في سرور • تيقن عنه صاحبه انتقالا • أرى
الدنيا على من كان فيها • تدور فلا تدوم عليه حالا •
ثم هي مانعة له من سعادة الآخرة والقرب من الله تعالى
الذي هو غاية المطلب ونهاية رغبة الراغبين
فكيف وهو معرض فيها لأنواع المصائب والفجائع ووقوع
الأغيار وهم الأكدار فما من أحد فيها إلا وهو في كل حال
ووقت غرض لأسهم ثلاثة سهم نعمة وسهم بلية وسهم
رزية فإذا نزل به ذلك عادت النعمة نقمة وانقلبت
الحبرة عبرة وصارت الفرحة ترحة وهكذا شأن الدنيا
أبدا فلا يبقى مرجوها لخوفها ولا يبقى خيرها بشرها
ولقد صدق الشاعر • إن الليالي لم تحسن إلى أحد
إلا أساءت إليه بعد إحسان • وقد صدق ابن نباتة
قال ما قام خيرك بأزمان شره • أولي نبا ما فاد منك وما أكنى •

زينت اذا اعطى استرد عطاءه • واذا استقام بدا له معوجا •
وقد كتب علي بن ابي طالب الى سلمان الفارسي رضي الله عنهما
انما مثل الدنيا مثل الحية لين مسها قاتل سمها فاعرض
عنها وعما يعجبك منها لقلة ما يصحبك منها ودع عنك همومها
لما تيقنت من فراقها وكن اسر ما تكون احذر ما تكون
منها فان صاحبها كلما اطمان فيها الى سرور اشخص منها الى
مكروه وقال بعض البلغاء ان الدنيا كاحلام المنام ونعيمها
وسرورها كظل الغمام واحداثها كصواب السهام وشهدها
كشرب السمام وفتنتها كالامواج الطوام وقال ابو
العتاهية • هي الدار دار الاذى والقذى • ودار الفناء
ودار الغير • ولو نلتها بحذافيرها لمت ولم تقض منها الوطر •
ايا من يؤمل طول البقاء • وطول الخلود على غرر اذا
ما كبرت وفات الشباب • فلا خير في العيش بعد الكبر •
وانشد ابو منصور الثعالبي • تنح عن الدنيا فلا تخطبنها •
ولا تخطبن قتالة من تناكح • فليس يفي مرجوها بمخوفها
ومكروهها اما تاملت راجح • لقد قال فيها الواصفون
فاكثروا وعندي لها وصف لعمري صالح • سلاف قضاراها
زعاف ومركب • شهي اذا استلذذته فهو جامح •
وشخص جميل يؤنس الناس حسنه • ولكن له اسرار سوء
قبائح • فاذا علم العبد هذا كله علم يقين وتمكن من قلبه
غاية التمكين لم يتصور منه مع ذلك وجود رغبة البتة

لانه

لانه اذا كان يجمع بين خيبتين وخسارتين ويا تيه
الموت وهو صفر اليدين من الدارين وذلك هو
الخسران المبين قال ابو هاشم الزاهد رضي الله عنه
ان الله وسم الدنيا بالوحشة ليكون انس المريدين به
دونها وليقبل المطيعون اليه بالاعراض عنها واهل
المعرفة بالله من الدنيا مستوحشون والى الاخرة
مشتاقون وقيل اوحى الله الى الدنيا تضيقي وتشددي
على اوليائي وترفهي وتوسعي على اعدائي تضيقي على
اوليائي حتى لا يشتغلوا بك عني وتوسعي على اعدائي حتى
يشتغلوا بك عني فلا يتفرغوا للذكرى علم ان ذلك لا تقبله
النفس المجردة فذوق من ذاقها ما يسهل عليك
وجود فراقها النفس المجردة لا يقبله الا من لم يتحكم فيه
حب العاجلة والانس بلذاتها الفانية وكان الذي لم
الجمع سهل الانقياد واما من رسخت فيه تلك الجواذب
وتمكنت منه بالكلية وكانت البنية السجية صعبة لمقادة
فلا بد من قصد هدايته وارشاده من زيادة عمل
النفس والوعظ وهو وجود ما يقهره ويجبره وليزدك
الامام ذكرناه فاعرف قدر النعمة عليك بذلك واعمل
بمقتضاها والجا لربك في حكمته وقدرته وحسن تحكمه
وقد تقدم بعد المعنى عند قوله من لم يقبل على الله
بملاطفات الاحسان قيد اليه بسلاسل الامتحان

مطلب في تضييق الدنيا على الحبيب

العلم النافع الذي ينبسط في الصدر شعاعه وينكشف به
عن القلب قناعه العلم النافع هو العلم بالله تعالى وصفاته
واسمايه والعلم بكيفية التعبد له والتادب بين يديه
فهذا هو العلم الذي ينبسط في الصدر شعاعه فينفتح
وينشرح للاسلام وينكشف عن القلب قناعه فتزول
منه الشكوك والاوهام وفي حكمة داود عليه السلام
العلم في الصدر كالمصباح في البيت قال محمد بن علي الترمذي
العلم النافع هو الذي قد تمكن في الصدر وتصور وذلك
ان النور اذا اشرق في الصدر تصورت الامور حسنها
وسيئها ووقع بذلك العلم في الصدر فهو صورة الامور
فياتي حسنها ويجتنب سيئها كذلك العلم النافع من نور
القلب خرجت تلك العلامات الى الصدر وهي علامات
الهدى والعلم الذي قد تعلمه فذلك علم اللسان انما
هو شيء قد استودع الحفظ والشهوة غالبة عليه قد احاطت
به واذهبت بظلمتها ضوءه وقال ابو محمد عبد العزيز
المهدوي العلم النافع هو علم الوقت وصفا القلب
والزهد في الدنيا وما يقرب من الجنة وما يباعد من النار
والخوف من الله والرغبة فيه وآفات النفوس وطهارتها
وهو النور المشار اليه انه نور يقذفه الله في قلب من يشاء
دون علم اللسان والمنقول وقال مالك بن انس رضي الله
عنه ليس العلم بكثرة الرواية وانما العلم هو نور

مطلب معرفة العلم النافع

والمعقول صح

يقذفه

يقذفه الله تعالى في القلوب انتهى وانما منفعة العلم
ان يقرب العبد من ربه ويبعده عن رؤية نفسه وذلك
غاية سعادته ومنتهى طلبه وارادته قال الجنيد رحمه
الله العلم ان تعرف ربك ولا تعدو قدرك وهذه
عبارة مختصرة وجيزة جمع فيها مقصود علوم الصوفية
وهو معرفة الله تعالى وحسن الادب بين يديه وهذه
هي العلوم التي ينبغي للانسان ان يستغرق فيها عمره
الطويل ولا يقنع منها بكثير ولا قليل وقد قال سيدي
ابو الحسن الشاذلي من لم يتغلغل في هذه العلوم يعني
علوم الصوفية مات مصرا على الكبائر وهو لا يعلم
وما سوى هذه العلوم فلا يحتاج اليها الا بقدر ما يجب
مداومته عليها وقد استعاذ رسول الله صلى الله عليه وسلم
في الخبر المشهور من علم لا ينفع ثم ذكر المؤلف رحمه الله عبارة
اخرى في شان العلم النافع وتعريفه بلازمه فقال خير
علم ما كانت الخشية معه خير العلوم ما يلزم من وجود
الخشية لله تعالى لان الله تعالى اثنى على العلماء بذلك فقال
عز من قائل انما يخشى الله من عباده العلماء فكل علم
لا خشية معه فلا خير فيه فلا يسمى صاحبه عالما على الحقيقة
قال الربيع بن انس في قوله تعالى انما يخشى الله من عباده
العلماء قال من لم يخش الله فليس بعالم الا ترى ان داود
عليه السلام قال ذلكم بانك جعلت العلم خشيتك والحكمة

الايمان بك فما علم من لم يخشك وما حكمة من لم يومن
بك فاذن لكلا يتعوا المنتفت فان هذا العلم الذي هو مطلوب
الله الخشية له وشاهد الخشية موافقة الامر اما علم
تكون معه الرغبة في الدنيا والتملق لاربابها وصرف
الهمة لاكتسابها والجمع والادخار والمباهاة والاستكثار
وطول الامل ونسيان الاخرة فما ابعد من هذا العلم عليه
من ان يكون من ورثة الانبيا وهل ينتقل الشي الموروث
الى الوارث الا بالصفة التي كان بها عند الموروث عنه
ومثل من هذه الاوصاف اوصافه من العلما كمثل الشمعة
تضي لغيرها وهي تحرق نفسها جعل العلم الذي علمه من هذا
وصفه حجة عليه وسببا في تكثير العقوبة اليه وكان سهل
بن عبد الله رضي الله عنه يقول لا تقطعوا امرا من الدين
والدنيا الا بمشاورة العلما تحمد والعاقبة عند الله
تعالى قيل يا ابا محمد من العلما قال الذين يوثرون
الاخرة على الدنيا ويوثرون الله عز وجل على انفسهم وقد
قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه في وصيته وشاور في امرك
الذين يخشون الله تعالى وقال الواسطي ارحم الناس
العلما لخشيتهم من الله تعالى وخوفهم رحما علمهم الله
عز وجل قال في التنوير في قوله صلى الله عليه وسلم طالب العلم
تكفل الله له برزقه اعلم ان العلم حيثما تكرر في الكتاب العزيز
او في السنة انما المراد به العلم النافع الذي تقارنه
الخشية

الخشية وتكتنفها المخافة قال الله سبحانه وتعالى انما يخشى الله
من عباده العلما فبين ان الخشية تلازم العلم وفهم من
هذا ان العلما انما هم اهل الخشية وكذلك قوله والذين
اوتوا العلم والراسخون في العلم وقل رب زدني علما
وقوله صلى الله عليه وسلم ان الملايكة لتضع اجنحتها لطالب العلم
وقوله العلما ورثة الانبيا وقوله هنا طالب العلم تكفل
الله برزقه انما المراد بالعلم في هذه المواضع العلم
القاهر للهوى القامع لها وذلك متعين بالضرورة لان
كلام الله تعالى وكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم اجل من ان
يحمل على غير هذا وقد بينا ذكره في غير هذا الكتاب والعلم
النافع هو ما يستعان به على طاعة الله ويلزمه المخافة من الله
تعالى والوقوف على حدود الله تعالى وهو علم المعرفة بالله
ويشمل العلم النافع العلم بالله والعلم بما به امر الله
واذا كان تعلمه لله انتهى وقد تقدم المعيار الصادق
على صحة دعوى المتعلم والتعلم لله عند قوله اذا التبس عليك
امران وقال الشيخ ابو عبد الرحمن السلمي كل علم يورث
صاحبه الخشية والتواضع والنصيحة للخلق والشفقة عليهم
ولا يحمله على حسن معاملة الله ودوام مراقبته وطلب الحلال
وحفظ الجوارح واداء الامانة ومخالفة النفس ومباينة
الشهوات فذلك العلم الذي لا ينفع وهو الذي استعاذ منه
النبي صلى الله عليه وسلم فقال اعوذ بك من علم لا ينفع ووصف

الله تعالى العلماء بالخشية فقال إنما يخشى الله من عباده
العلماء وقال رجل للشعبي أيها العالم فقال إنما العالم
من يخشى الله تعالى وقال بعض السلف من ازداد علما
فليزده وجعا وقال رجل للجنيد رضي الله عنه أي العلم
أنفع فقال ما دلك على الله وبعدك عن نفسك فقال هو العلم
النافع ما يدل صاحبه على التواضع ودوام المجاهدة ورعاية
السر ومراقبة الظاهر والخوف من الله تعالى والإعراض
عن الدنيا وعن طالبيها والتقلل منها ومجانبة أبواب
أربابها وتركها جانبا على من فيها من أهلها والنصيحة
للخلق وحسن الخلق معهم ومجالسة الفقراء وتعظيم
أولياء الله تعالى والإقبال على ما يعنيه فإن العالم
إذا أحب الدنيا وأهلها وجمع منها فوق الكفاية بعده
عن الآخرة وعن طاعة الله بقدر ذلك قال الله عز وجل
يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا وهم عن الآخرة هم
غافلون وقال صلى الله عليه وسلم من أحب دنياه أضر بآخرته
ومن أحب آخرته أضر بدنياه فآثروا ما يبقى على ما يفنى
وقال فضيل بن عياض رضي الله عنه العالم طبيب الدين
وداء الدنيا الدين إذا كان الطبيب جر الداء إلى نفسه
فمتى يبرئ غيره فإذا وفق الله العالم من العلماء
للإقبال على الله وعلى أوامره والإعراض عن الدنيا
وما فيها فإنما يلزمه أن يعرف نعم الله عليه في ذلك
وأن

وأن ذلك بتوفيق الله تعالى لا بمجاهدته فإن مجاهدته
أيضا ومعرفته لنعم الله عليه بزيادة توفيق الله فإذا
كان العالم بهذه الصفة من الدين كان إماما مقتدى به في أحكام
الظاهر وأحوال الباطن يهتدي بنوره كل من صحبه ويستضيء
بعلمه كل من اتبعه ويكون حجة لله على عباده وبركة في
بلاده ومن قاده علمه إلى طلب الدنيا وطلب العلو فيها وطلب
الرياسة واستتباع الخلق فهو العلم الذي هو غير نافع وهو
العالم المغتر ولا حسرة أعظم من أن يهلك بما يرجو به نجاته
ونحن نعوذ بالله من الخذلان انتهى العلم إن قارنته
الخشية فلك وإلا فعليك العلم الذي تلازمه الخشية لك
لأنك تنتفع به في دنياك وآخرتك وليس ذلك إلا ما ذكرناه
والعلم الذي لا خشية فيه عليك لأنك تستضر به فيهما وهذا
هو الفرق بين علماء الآخرة وعلماء الدنيا من حيث أن علماء
الآخرة موصوفون بالخشية والزهد وعلماء الدنيا موسومون
بالأمن والعزة وقد بين علماؤنا حال الفريقين وأوضحوا
أمرهم بالنعوت والعلامات وأطالوا في ذلك النفس لما
شاهدوا من انتشار الفساد في الأرض بسبب جهل الناس
بالعلم النافع أي شيء هو فمن أراد الشفاء في ذلك واستيفاء
الكلام عليه وما في ذلك من الأخبار والآثار فعليه النظر
في كتاب العلم من كتاب إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي
رضي الله عنه ولنأت بذكر ما ذكره المؤلف رحمه الله ههنا

مطلب في طلب العلم النافع

وقد قال الفضيل بن عياض رضي الله عنه كان العلماء ربيع
الناس اذا نظر اليهم المريض ايسره ان يكون صحيحا واذا
نظر اليهم الفقير لم يود ان يكون غنيا وقد صاروا
اليوم فتنة على الناس قال هذا في زمانه الصالح فكيف لو
ادرك زماننا هذا فانا لله وانا اليه راجعون واعلم انه
قد ورد في الكتاب والسنة من فضل العلم والعلماء ما لا يحصى
كثرة ولا يرجى حصول ذلك الا لمن نيته وصحت نيته في ذلك
ان يكون غرضه فيه طلب مرضات الله تعالى ومبتغيا له فيما ينفع
عمره واختياره الخروج عن ظلم الجهل الى نور العلم فهذه
هي النية الصحيحة التي يحمد عليها عاقبتها اجلا ويجني ثمرتها
في طاعة الله عاجلا وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
كل يوم لا ازداد فيه علما يقربني من الله عز وجل فلا بورك
لي في طلوع شمس ذلك اليوم وقال الحسن كان الرجل اذا طلب
العلم لم يلبث ان يرى ذلك في تخشعه ولباسه وبصره
ولسانه وصلاته وهديه وزهده وان كان الرجل ليصيب (ليصيبه)
الباب من ابواب العلم فيعمل به فيكون خيرا له من الدنيا
وما فيها لو كانت له فيضعها في الاخرة وليأتين على الناس
زمان يشتبه فيه الحق والباطل فاذا كان كذلك لم ينفع
الا دعاء كدعاء الغريق وقال سفيان الثوري انما يتعلم
العلم ليتقى به الله وانما فضل العلم على غيره لانه يتقى
الله به فان اختل هذا المقصد وفسدت نية طالبه بان

يستظهر

يستظهر به التوصل الى منال دنياوي من مال او جاه فقد
بطل اجره وحبط عمله وخسر خسرانا مبينا قال الله عز
وجل من كان يريد حرث الاخرة نزد له في حرثه ومن
كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الاخرة من
نصيب وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يروي عنه
ابو هريرة رضي الله عنه من تعلم علما لا يبتغى به وجه
الله تعالى لا يتعلمه الا ليصيب به عرضا من الدنيا لم يجد
عرف الجنة يوم القيمة يعني ريحها وكان الحسن يقول
والله ما طلب هذا العلم احد الا كان حظه منه ما اراد به
وقال الحسن عقوبة العالم موت القلب قيل وما موت
القلب قال طلب الدنيا بعمل الاخرة فاذا انضاف الى
هذا الغرض ان يتصدى به الى تولي الاعمال السلطانية
كاينة ما كانت او يتوصل به الى اكتساب مال حرام
او شبهة فقد تعرض لغضب الله تعالى وسخطه وباء باثمه
واثام المقتدين به وكان الجهل اذ ذاك خيرا له من
العلم واحمد عاقبة قال ابو عمر بن عبد البر وروينا عن
الاوزاعي قال شكت النواويس الى الله عز وجل ما تجد
من نتن جيف الكفار فاوحى الله اليها بطون علماء السوء
انتن مما انتم فيه قال وروينا عن فضيل بن عياض
[illegible] القران قال بلغنا ان الفسقة من العلماء
ومن حملة القران يبدأ بهم يوم القيمة قبل عبدة

النواويس هي القبور

الاوثان قال فيه ابن عيينة افلان من علم ليس كمن لا يعلم
قلت والغالب على طلبة العلم في هذه الاعصار هذا الوصف
المذموم لان حب الدنيا قد استولى عليهم واستهواهم الحرص
على التقدم والترائس قد ملكهم فاصمهم واعمى ابصارهم
ولذلك امارات وعلامات لا تحصى ولا تخفى وفي الحديث
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال يخرج في اخر الزمان
رجال يختلون الدنيا بالدين يلبسون للناس جلود الضان
من اللين السنتهم احلى من العسل وقلوبهم قلوب الذئاب
يقول الله تبارك وتعالى ابي يغترون ام علي يفترون
فبي حلفت لابعثن على اولئك فتنة تدع الحليم منهم حيرانا
رواه عنه ابو هريرة وروى ابو الدردا انه صلى الله عليه
وسلم انه قال انزل الله تعالى في بعض الكتب او اوحى الله
تعالى الى بعض الانبيا عليهم السلام قل للذين يتفقهون
لغير الدين ويتعلمون لغير العمل ويطلبون الدنيا
بعمل الاخرة ويلبسون للناس مسوك الكباش وقلوبهم
كقلوب الذياب السنتهم احلى من العسل وقلوبهم
امر من الصبر اياي يخادعون وبي يستهزئون لاتيحن
لهم فتنة تدع الحليم فيهم حيرانا وفي بعض الاخبار
المروية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ياتي على الناس
زمان لا يبقى من القران الا رسمه ولا من الاسلام
الا اسمه قلوبهم خربة من الهدى ومساجدهم عامرة
من

الرواية
يجترئون
سمه

من ابدانهم فقرب من بطن السما يومئذ علما وهم منهم تخرج
الفتنة واليهم تعود وانما العلم النافع المتفق عليه
فيما سلف وخلف انما هو العلم الذي يؤدي صاحبه الى الخوف
والخشية وملازمة التواضع والذلة والتخلق باخلاق
الايمان وتوافق الاسرار والاعلانات الى ما يتبع ذلك
من بغض الدنيا والزهادة فيها وايثار الاخرة عليها
والموالاة في الله والمعاداة فيه والحرص على التفطن
للاسباب الباعثة له على الاستقامة ولزوم الادب بين
يدي الله تعالى فيراعيها حفظا وطلبا ومعرفة الاسباب
المفسدة له عن ذلك فيرفضها رفضا ويهرب الى غير
ذلك من الصفات العلية والمناحي السنية فبهذا كله يحصل
له فوايد العلم وثمراته الدنيوية والاخراوية
فان خلا طالب العلم عنها او بعضها كان ما يطلبه على حقيقته
كان حجة عليه وان كان من مباحات وما لا واصلا اليه والعياذ
بالله من ذلك قال في لطايف المنن وربما غر الغافل من طلبة
العلم قول من قال طلبنا العلم لغير الله فابى ان يكون الا
لله وليس في هذا القول ما يستروح اليه من طلب العلم
للرياسة والمنافسة وانما اخبر هذا القايل عن امر منّ
به عليه وفتنة سلّمه الله منها لا يلزم ان يقاس عليه فيها
غيره وذلك بمنزلة من به مرض مزمن في المعا اعيا علاجه
الاطبا فاتفق عليه حلقه فاخذ خنجرا وضرب به مراق بطنه ليقتل

نفسه فعاد في ذكر المعا فقد خرج الكلام منه فهذا
لا يستصوب العقلاء فعله وان نجحت عاقبته وليست سلامة
العواقب رافعة للعتب عن المقتحمين التقحم الى التهلكة ليس
المغرر بمحمود وان سلم وقال في موضع اخر ولا يغرنك
ان يكون به انتفاع للبادي والحاضر فقد قال صلى الله
عليه وسلم ان الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر ومثله
من تعلم العلم لاكتساب الدنيا وتحصيل الرفعة فيها
كمثل من رفع العذرة بملعقة من الياقوت فما اشرف
الوسيلة وما اخس المتوسل اليه ومنهم من قطع الاوقات
في طلب العلم فمكث اربعين سنة او خمسين سنة يتعلم العلم ولا
يعمل به كمثل من قعد هذه المدة يتطهر ويجدد الطهارة
فلم يصل صلوة واحدة اذ مقصود العلم العمل كما ان المقصود
بالطهارة وجود الصلوة ولقد سال رجل الحسن البصري
عن مسيلة فافتاه فيها فقال الرجل للحسن قد خالفك الفقهاء
فزبره الحسن وقال ويحك وهل رايت فقيها انما الفقيه
الذي فقه عن الله امره ونهيه قال وسمعت شيخنا ابا العباس
المرسي يقول الفقيه من انفقا الحجاب عن عيني قلبه
انتهى والرجل الذي سال الحسن البصري هو فرقد السبخي
والله اعلم وقد روي عنه في صفة الفقهاء كلام اتم مما ذكره
صاحب كتاب لطائف المنن قال فرقد السبخي سالت الحسن عن
مسيلة فاجابني فيها فقلت ان الفقهاء يخالفونك فقال ثكلتك
امك

امك فرقد وهل رايت فقيها بعينك انما الفقيه الزاهد
في الدنيا الراغب في الاخرة البصير بدينه المداوم على عبادة
ربه الورع الكاف نفسه عن اعراض المسلمين العفيف
عن اموالهم الناصح لجماعتهم المجتهد في العبادة المقيم
على سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم الذي لا ينبزهن هو
فوقه ولا يسخر ممن هو دونه ولا ياخذ على علم علمه
الله حطاما قلت وعلى المعلم ان يتفقد احوال المتعلم
منه فلا يبذل علمه الا لمن يتوسم فيه الخير والصلاح
اذ بذلك يستقيم النيات والمقاصد الذي ذكرناها ولا
يبذله لمن سوى ذلك فمن علم جاهلا او جهله قال رجل لسفين
الثوري رضي الله عنه لو انك نشرت ما معك من العلم رجوت
ان ينفع الله به بعض عباده وتوجر على ذلك فقال سفين
والله لو اعلم بالذي يطلب هذا العلم لا يريد به الا ما عند
الله لكنت انا الذي اتيه في منزله فاحدثه بما عندي
مما ارجو ان ينفعه الله به وقد سئل بعض العلماء
عن شيء فلم يجبه فقال له السائل اما سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال من كتم علما نافعا جاء يوم القيمة
ملجما بلجام من نار فقال له اترك اللجام واذهب
فان جاء من يستحقه وكتمته فليلجمني به وفي قوله عز من قائل
ولا تؤتوا السفهاء اموالكم تنبيه على حفظ العلم ممن
يفسده ويستضر به اوى كما فيه ومن منح الجهال علما

بدينه

٩٥

مطلب في شروط المعلم للعلم النافع الى اخر سواده ومعه ذكر العلم غير النافع

تمامه ومن منع المستوجبين فقد ظلم

إضاعة وقد حكي عن بعض الأمم السالفة أنهم كانوا يختبرون
المتعلم مدة في أخلاقه فإن وجدوا فيه خلقا رديا منعوه
التعلم أشد المنع وقالوا إنه يستعين بالعلم على مقتضى
الخلق الردي فيصير العلم آلة شر في حقه وقد قالت الحكما
زيادة العلم في الرجل السوء كزيادة الماء في أصول الحنظل
كلما ازداد ريا ازداد مرارة وهذا كله صحيح مجرب فينبغي
إذن للعالم أن لا يهمله بل يراعيه ويمتثله ولا اعتبار
بما يتوهمه في تعليمهم من وجود المصالح على تقدير حصول
توفيق الله تعالى لهم لأن يعملوا ببعض ما يتعلمونه من
العلم الصحيح إن كانت لهم ولاية حكم أو غير ذلك فإن
المفاسد التي تقع بسبب ذلك لهم في خاصة أنفسهم والمفا
التي تتعدى منهم إلى غيرهم أكثر ودرء المفاسد التي تقع
أهم عند العقلاء من جلب المصالح أما المفاسد التي تختص
بهم فهي تقوية صفاتهم الذميمة وأخلاقهم اللئيمة
بما يطلبونه من العلم لأنهم يستشعرون منه أن التوصل
إلى جميع مطالبهم الدنيوية على غاية الكمال والتمام
فإذا استشعروا ذلك توجهوا بهممهم إليه وعكفوا
بالجد والاجتهاد عليه ولولا هذا الاستشعار لم يتصور
منهم ذلك فإذا حصلوا على شيء من ذلك وظهرت مخايل
وصولهم إلى أغراضهم المذكورة فرحوا بذلك واغتبطوا
به وكلما ازدادوا علما ازدادوا فرحا واغتباطا
بما هم فيه وهذا الفرح والاغتباط في غاية الذم منهم لأن ذلك

متعلق

متعلق بأسباب الدنيا وهي بمنزلة السموم القاتلة الذي
يوجبون قسوة قلوبهم وقوتها ويبعدها عن التأثر بالمواعظ
والحكم كافة إذا قسي القلب لم تنفعه موعظة كالأرض التي
أسبخت لم ينفعها المطر وعند ذلك تنتعش نفوسهم وتقوى
صفاتها وتحكم آثار ذلك على ظواهرهم من التكالب على
الدنيا والركون إلى من هي عنده من أبنائها المترفين
وليس لهم ما يتوسلون به إليهم سوى علمهم فيحتالون
على تحصيل إقبالهم عليهم وصرف وجوههم إليهم والتملق
عندهم بأنواع الحيل ولا يسلمون في ذلك من الريا والتصنع
والنفاق والمداهنة ويجرهم ذلك إلى أنواع من المحظورات
وضروب من العصيان مع ما يحصل بهم في ذلك من الذل والهوان
فإذا نالوا ذلك أو بعضه حصل لهم مقصود نفوسهم وسكنوا
من جميع حركاتهم وخرجوا من الحرية إلى استعباد الأغنياء
واستبدلوا بالجهل النافع العلم الضار وقد قال الفضيل
بن عياض رضي الله عنه لو أن أهل العلم أكرموا أنفسهم وشحوا
على دينهم وأعزوا العلم وصانوه وأنزلوه حيث أنزله
الله لخضعت لهم رقاب الجبابرة وانقاد لهم الناس
وكانوا لهم تبعا وعز الإسلام وأهله ولكنهم أذلوا أنفسهم
ولم يبالوا بما نقص من دينهم إذا سلمت لهم دنياهم
فبذلوا علمهم لأبناء الدنيا ليصيبوا بذلك ما في أيدي
الناس فذلوا وهانوا على الناس انتهى ولله در الشاعر
يقولون لي فيك انقباض وإنما ۝ رأوا رجلا عن موقف الذل أحجما

إذا قيل هذا مورد قلت قد أرى • ولكن نفس الحر تحتمل الظما •
ولم أبتذل في خدمة العلم مهجتي • لأخدم من لاقيت لكن لأخدما •
أأشقى به غرسا وأجنيه ذلة • إذا فاتباع الجهل قد كان أحزما •
ولو أن أهل العلم صانوه صانهم • ولو عظموه في النفوس لعظما • تجهما
ولكن أهانوه فهان ودنسوا • محياه بالأطماع حتى تجهما • اى قبحا
وقال وهب بن منبه لعطاء الخراساني كان العلماء قبلنا قد
استغنوا بعلمهم عن دنياهم فكانوا لا يلتفتون إلى دنيا
غيرهم وكان أهل الدنيا يبذلون لهم دنياهم رغبة في
علمهم رغبة في دنياهم فأصبح أهل الدنيا قد زهدوا في
علمهم لما رأوا من سوء موضعه عندهم وقال ذو النون المصري
كان الرجل من أهل العلم يزداد بعلمه بغضا للدنيا وتركا
لها فاليوم يزداد الرجل بعلمه للدنيا حبا ولها طلبا
كان الرجل ينفق ماله على علمه ويكتسب الرجل اليوم بعلمه
مالا وكان يرى على طالب العلم زيادة في باطنه وظاهره
فاليوم ترى على كثير من أهل العلم فساد في الظاهر والباطن
فانظر رحمكم الله إلى ما ذكره هؤلاء الفضلاء تجده لازما
لطلبة هذا الزمان وليس الخبر كالعيان ثم بعد وقوع
هذه المفاسد بهم وتوغلهم فيها في سواد بهم بتعذر
عليهم سلوك الطريق الحق لا استحكم في قلوبهم من علل ما
سوء الخلق فقد قيل التعمق في الباطل قطع لأمال الرجوع
منه فكلما كان بعد المسافة من الحق أتم كان اليأس
من الرجوع حقا أوجب وأعظم الوبال عليهم اغترارهم

فأصبح أهل العلم فينا اليوم يبذلون لأهل الدنيا علمهم صح

بحالهم

بحالهم وتحسينهم لسيئ أعمالهم واعتقادهم أنهم سالكون
سبيل النجاة في الدار الآخرة ونيل الثواب فيها وأنهم الذين هم صح
حازوا الرتب الشريفة والمناقب المنيفة التي اختص بنيلها
العلماء الذين هم ورثة الأنبياء وليس منهم من المعرفة
197 وعلوم التحقيق ما يخرجون به من هذا الغرور لأنهم لم
يسلكوا الطريق ذلك ولم يهتدوا لما هنالك فهذا هو الفساد
الذي يختص بهم ولا يشاركون غيرهم فيه وأما الخطر المفاسد
التي تتعدى إلى غيرهم فإنهم من كان ظاهره وما يقاسه شر
من مثالة نفسه أشد ملكه واعتقدته أشد اعتقاد هل
يبقى عليه شيء من الشر أو نوع من أنواع الفساد إلا ويقع
فيه إذا تمكن منه ومن دقيق ما يسري عنهم من
الفساد من غير قصد منهم لذلك وقوع الاغترار للجهلة
والأغمار بمشاهدة حالهم فإنهم يشاهدونهم قد حازوا
من زينة الدنيا ما أرادوه ويتوهمون أنهم نالوا
شرف الآخرة بما أفادوه واستفادوه فيحملهم ذلك
على الاقتداء بهم في طلب المحرمات كانوا ممن فيه قابلية
لذلك فيقعوا فيما وقعوا فيه من المهالك أو يؤديهم
ذلك إلى محبتهم وموالاتهم واتخاذهم أربابا يسمعون
منهم ويطيعونهم في أوامرهم ونواهيهم فيخرج
بهم استحسانهم من حالهم إلى الحال الرفيع وهو مسارقة
طباعهم الدنية وأخلاقهم الردية فإن النفوس المعاشرة

قابلة لذلك ومهياة له بمنزلة الصبي الذي ترسخ فيه
اخلاق ابايه ومنازعهم واد ابهم وعند ذلك — ومذاهبهم
يبكل في حقهم ما هو مقصود بعثة الرسل من التزهيد
في الدنيا والترغيب في الاخرة وحب الفقرا والمسكنة
وايثار التواضع والذلة والتخلق باخلاق الايمان
والاسلام وشدة الحذر من ارتكاب المناهي والا ثام
ثم يبول ذلك بهم الي الشرك الخفي الجلي ويحيق بهم
المكر السيء والعياذ بالله ويكون وبال جميع ذلك راجعا
الى المعلم لتيسيرا اسباب ذلك على يديه ولقد صدق ابن — عبد الله
المبارك رضي الله عنه حيث يقول وهل افسد الدين الا الملوك
واحبار سوء ورهبانها وباعوا النفوس ولم يربحوا ولم
تغل في البيع اثمانها لقد رتع القوم في جيفة يبين — وقبح
لذي العقل انتانها وروي عن حذيفة بن اليمان انه — اضاءة
اخذ حصاة بيضا فوضعها في كفه ثم قال ان هذا الدين قد — استضاء
استضا اضاة هذه ثم اخذ كفا من تراب فجعل يذره على الحصاة
حتى واراها ثم قال والذي نفسي بيده ليجيين اقوام
يدفنون الدين هكذا كما دفنت هذه الحصاة ولتسلكن
سبيل الذين كانوا من قبلكم حذو القذة بالقذة
والنعل بالنعل قلت ومنشا وجود هذه المفاسد خراب
بواطنهم وظلمة قلوبهم بسبب فقد اليقين منها وانكار
انوار الايمان فيها وافلاسهم من حقايق ذلك وعدم

احتكاكهم — دافلاسهم

فصاروا

احتكاكهم بشي منه فصاروا بذلك ماسورين لهواهم
منقادين لاغراضهم واراهم فقدت بذلك نياتهم
ومقاصدهم والاعمال بالنيات فاذا كانت النيات
١٦٨ صالحة كانت الاعمال صالحة وترتب عليها اثار صالحة وانعكس
من ذلك على القلوب مزيد اشراق وحميد اخلاق تؤذن
ذلك بوجود القرب من الله تعالي ونيل درجة الحب
منه واذا كانت النيات فاسدة كانت الاعمال فاسدة
ايضا وترتب عليها اثار فاسدة وانعكس من ذلك على القلوب
زيادة ظلمة وزيادة همة تقتضي البعد من الله وحصول
المقت منه وطلب العلم عمل من الاعمال معرض للصحة والا — عتلال
وليت شعري هولا الذين انفرقوا اعمارهم في طلب العلم
والاثم وانتعبوا انفسهم بالدراسة والنظر وقطعوا
ايامهم ولياليهم بالجوع والسهر وسمحت نفوسهم بفراق
ملذوذاتها والبعد عن جميع مالوفاتها هل بعثهم على
ذلك باعث الدين او باعث الهوى ولا شك ان باعث
الدين غير متصور منهم بما هو حال في حقهم لما قدمنا
من خراب البواطن وظلمة القلوب وكيف يتصور ذلك
منهم وهم لم يعملوا على تخليصهم من التكاليف الواجبة عليهم
في ظواهرهم وبواطنهم بل لم يعرفوا ذلك البتة وان ادعوا
انهم على احوال لا تجب عليهم فيها حكم محتاجون الى تعرفه والفتيا
به فهم مخدوعون ومن اين لهم بذلك والعلم به لا يحصل ضرورة

فلابد لهم من الاستفادة به ولا غنا لهم به بهذا ايضا وانما كان
يتصور منهم باعث الدين لو توفرت اغراضهم كلها عليهم
ووصلوا الى ما يمكنهم الوصول اليه من شهواتهم ولذاتهم
بسبب تامة اسباب الدنيا ثم يصرفون ما فضل من اوقاتهم
عن محاولة هذه المطالب وتيلها الى طلب العلم عوضا عن البطالة
التي يتنبض بها صاحبها ويدعوه فراغه من اشغال دنياه
الى تضييع ذلك الوقت بلهو ولعب او ارتكاب معصية
وذنب لا البطالة التي تكون فيها استراحة لنفسه واجمام
لعقله وحسه فهي بهذه الحال قد يبعث باعث الدين من امثال
هولا واما الحال التي وصفناها فلا يتصور عليها باعث الدين
الا الدنيا المجردة المجاوزة للحد في الذم والمقت لمنزلة
من هو حريص على الاتساع في الدنيا والحصول على غاية ملاذها
فلا يتعبه فيما يوصله الى ذلك وان كان فيه هلاكه فتراه
يرتكب الاخطار ويخوض لجج البحار ويجوب البراري والقفار
ويهون عليه في جنب ما يومله كل مشقة تصيبه وبلية تنزل
به ولو لم يفعل هذا لم يحصل الا على سد الرمق والاقتصار
على البلغ والعلق فكذلك هولا الذين كلامنا فيهم لو لم
يتصوروا في خواطرهم الحصول على كليات اغراضهم من
اتساع مالهم وجاههم في دنياهم ووصولهم مع ذلك
الى رفيع الدرجات في عقباهم لم يبلغوا ذلك المبلغ
في الاجتهاد ولا اقتصروا على بعضه وهذه كلها امور مبنية

لا اشتغال

لا اشتغال فيها عندنا لذي تمييز وفهم والمانع لاكثر
ممن يتسبب الى العلم من العمل بمقتضى ما ذكرنا خفاه عليهم
كيف وهم يعتقدون صحته ويعلمون حاصله وحقيقته
في الاحيان عند ما يتخلى عن قلوبهم بعض ظلماتها وتنزاح
عن عيونهم غمراتها انما بتذكير مذكر من الخلق او واعظ
واعظ في قلوبهم من قبل الحق ثم يرجعون في سائر اوقاتهم
الى مالوفاتهم ومعتاداتهم والمانع لهم من ذكر انفراد
الله بالمشية والقدرة واستبشاره بالخذلان والنصرة
فاذا اراد الله ان يضل عبدا من عباده لم ينصره عقله ولم ينفعه
علم قال الله تعالى ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من
الله شيئا وفي مثل هذا الموطن تبطل احكام الاسباب وتحقق
ارباب الحقائق العظمة والجلال والعزة والكمال لرب
الارباب فليعتبر بما ذكرناه ارباب البصاير والابصار
وليعلموا احكام الواحد القهار لعلهم يتذكرون بهذه
الى منهج التحقيق حين ينفتح عليهم من سواء الطريق مصايب
قوم عند قوم فوايد وليتق العبد اذا نظر اليهم
وليعتبر بما جرى من سوء القضاء عليهم الحمد لله الذي عافاني
مما ابتلاهم به وفضلني عليهم تفضيلا فقد روي عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من راى مبتلى فقال
الحمد لله الذي عافاني مما ابتلى به هذا وفضلني عليه
وعلى كثير ممن خلق تفضيلا عافاه الله من ذلك البلا كائنا

حاصل فعلى المعلم الناصح لنفسه السالم في عقله وحدسه العامل
على تصحيح اعماله وهمة المشفق على دينه الذي هو متوكل
بالحمية ودمه ان يتامل هذه المفاسد ويمعن بها النظر
في ذلك بما يدققه في اكثر المسائل التي يحتاج اليها ولا يعول
على التعليم في هذه الازمنة دون انه العلم الجزم منه حتى
يقطع بوجوب ذلك عليه من غير تردد ولا تجويز وقوع
خطاء في نظره ولا سبيل له الى هذا ولا يسعه خلاف ذلك
اذا كان منصفا قال بعضهم رايت سفيان الثوري
حزينا فسالته عن ذلك فقال وهو يرمز ما صرنا الا متجرا
لابناء الدنيا قلت وكيف ذلك قال يلزمنا احدهم حتى
اذا عرف بنا اخذ عنا حديثا جعل عاملا او حاجبا او قهرمانا
او جابيا فيقول حدثنا سفين الثوري وعليه ايضا ان
يحرص على مخالفة نفسه فيما يدعوه اليه من التعليم لان كلما
تستحليه ويوافق غرضها مصحوب بالافات والعلل التي
تقدح في الاخلاص عن اخلاص الاعمال شرك في وجود القبول
وعند ذلك يذهب عمله بالحلاوة ولا ينال بعينه طايلا وقد تقدم
من كلام علي بن ابي طالب رضي الله عنه كونوا لقبول العمل
اشد اهتماما منكم للعمل عند قوله ما قل عمل بر من قلب
زاهد وتقدم ايضا الكلام على اتهام النفس في دعايها
الى ما ظاهره خير عند قوله اذا التبس عليك امران فلتعلم
الحزم في ذلك من بشر بن الحرث الحافي كان يقول ان تشتهي

ان

ما توهمه من المصالح الناشية عن تعليم بزعمه ويدقق ح

بزمان صحبه

النفس ح

الى العلم

ان احدث ولو ذهب عيني شهوة الحديث لحدثت وكان سبب
تركه طلب الحديث انه سمع ابا داود الطيالسي يحدث
عن شعبة انه كان يقول الاكثار من الحديث يصدكم عن
ذكر الله وعن الصلوة فهل انتم منتهون فلما سمعه قال
انتهينا انتهينا ثم ترك الرحلة في طلب الحديث واقبل
على العبادة وروي ايضا مثل هذا الكلام عن مسعر بن
كدام فاذا كان الاكثار من الحديث بهذه المثابة عند
اماثل المحدثين في زمانيهما مع ما فيه من الفوايد الاخروية
فما ظنك بغيره من محدثات العلوم ومبتدعاتها ولقد
ذكر الشيخ الحافظ ابو عمر بن عبد البر باسناده الى عبد الله
بن مسلمة القعنبي رحمه الله تعالى قال دخلت على مالك
بن انس رضي الله عنه فوجدته باكيا فسلمت عليه فرد علي
السلام ثم سكت عني فقلت يا ابا عبد الله ما الذي ابكاك
فقال لي يا ابن قعنب انا لله على ما فرط مني ليتني جلدت بكل
كلمة تكلمت بها في هذا الامر سوطا ولم يكن فرط مني ما فرط
من هذه الراي وهذه المسائل وقد كان لي سعة فيما سبقت
اليه قال هذا فيما كان اخذا فيه من المسائل المحققة المبنية
على اصول صحيحة عند ملتقفه فما الظن بما انتشر بعده من
الهذيان الذي جار بحكم العادة واقتفاء العصبية واقتفاء الا
الناس على الضلال وتقليد الرؤسا الجهال دينا قويما
وصراطا مستقيما على كل واحد من العالم والمتعلم ان يستقل بما هو

يستقل

وتمادى

اطلعهم عليه مما هو ما مور به ومسؤل عنه من مراقبة ربه
واصلاح نفسه وقلبه ففي ذلك شغل شاغل عما يفرق همه
ويعمي قلبه وبنيته ذكر ربه عز وجل قال ابن وهب ذكر
طلب العلم عند مالك بن انس رضي الله عنه انا به فقال ان طلبه
لحسن اذا صحت فيه النية ولكن انظر ما يلزمك من حين
تصبح الى حين تمسي ومن حين تمسي الى حين تصبح فلا توثرن
عليه شيا وكان الثوري يقول لاهل العلم الظاهر طلب هذا
ليس من زاد الاخرة وكان يقول ليس طلب الحديث من عدة
الموت لكنه علة يتشاغل به الرجال وكان يقول لو ان
للشيطان فيه نصيبا ما ازدحم عليه بعض العلم فقد نبذه
فقصدت التنبيه في هذا الموضع الدقيق مهما من هذا التنبيه لمن وليتنبه
من سبق له من الله تعالى زوال العمى عنه عن بصره ومراجعة
خوفه وحذره من المعلمين والمتعلمين وليتنبهن بها
كلام المولف رحمه الله عليه في التبيين وبالله الذي لا اله
سواه نستعين متى الممك اقبال الناس عليك او توجههم
بالذم اليك فارجع الى علم الله فيك فان كان لا يقنعك
علمه فمصيبتك بعدم قناعتك بعلمه اشد من مصيبتك
بوجود الاذى منهم العبد لا ينبغي ان يكون مطمح نظره
الا الى مولاه فلا يفرح الا باقباله عليه ولا يحزن الا لاعراضه
عنه ولا ينظر الى المخلوقين في اقبال ولا اعراض ولا مدح ولا ذم
فانهم لا يغنون عنه من الله شيا وقد تقدم هذا المعنى في
قوله

ينظر الله اليك

قوله غيبة نظر الخلق اليك وغيبة اقبالهم عليك بشهود
اقباله عليك فمتى المك عدم اقبالهم عليك او توجههم
بالذم اليك فليرجع الى ما بينه وبين ربه فان كان قانعا
بعلمه راضيا بقسمه كان له في ذلك اعظم سلوان عما يفوته
من جهة المخلوقين بل لا يجد وقعا في قلبه لما عسى ان يكون
منهم من اقبال او اعراض وان لم يكن راضيا باذى الناس
له بل لا مصيبة له من اذى الناس البتة عنده ومن عرف
سر ذلك عرف غاية ما ذكره المولف رحمه الله الان قال ابرهيم
التيمي لبعض اصحابه ما يقول الناس في فقال يقولون
انك مراي فقال الان طاب العمل فقال بشر رضي الله
عنه التقي والله يعلم فلم يحب ان يدخل بعمل الله علم غيره وقال
بشر الحافي سكون النفس الى قبول المدح لها اشد عليها من المعاصي
العامر ان الاذى عليهم ليلا تكون ساكنا اليهم اراد
ان يزعجك عن كل شيء حتى لا يشغلك عنه شيء وجود اذاية
الناس للعبد نعمة عظيمة عليه لا سيما ممن اعتاد منه الملاحظة
والاكرام والمبرة والاحترام لان ذلك يفيده عدم السكون
اليهم وترك الاعتماد عليهم وفقد الانس بهم فيتحقق
بذلك عبوديته لربهم عز وجل قال سيدي ابو الحسن الشاذلي
قدس الله روحه اذاني انسان مرة فضقت ذرعا لذلك
فنمت فرايت يقال لي من علامة الصديقية كثرة اعدائها
ثم لا يبالي بهم وقال بعض العارفين الصحة من العدو صح الله

ولا تاسفا فمصيبته بتركها اعظم من مصيبته

يضرب به القلوب اذا ساكنت غيره لولا ذلك لرقد القلب
في ظلال العز والجاه وهو حجاب عن الله عظيم وقال سيدي ابو
محمد عبد السلام شيخ سيدي ابي الحسن رضي الله عنهما في دعائه
اللهم ان قوما سألوك ان تسخر لهم خلقك فسخرت لهم
خلقك فرضوا منك بذلك اللهم واني اسألك اعوجاج
الخلق علي حتى لا يكون ملجأي الا اليك وقال ابو الحسن
الوراق النيسابوري الانس بالخلق وحشة والطمأنينة
اليهم حمق والسكون اليهم عجز والاعتماد عليهم وهن
والثقة بهم ضياع واذا اراد الله بعبد خيرا جعل انسه به
وبذكره وتوكله عليه وصان سره عن النظر اليهم وظاهره
عن الاعتماد عليهم وقد قالوا ان الزهاد يخرجون المال عن
الكيس تقربا الى الله تعالى واهل الصفا يخرجون الخلق والمعارف
من القلب تحققا بالله قال في لطائف المنن اعلم ان اولياء
الله تعالى حكمهم في بداياتهم ان يسلط عليهم الخلق
ليطهروا من البقايا وتكمل فيهم المزايا كي لا يساكنوا
هذا الخلق باعتماد او يميلوا اليهم باستناد ومن اذاك
فقد اعتقك من رق احسانه ومن احسن اليك فقد
استرقك بوجود امتنانه ولذلك قال صلى الله عليه وسلم من
اسدى اليكم معروفا فكافئوه فان لم تقدروا فادعوا
له كل ذلك ليتخلص القلب من رق احسان
الخلق وليتعلق بالملك الحق قال وقال الشيخ ابو الحسن
رضي

رضي الله عنه اهرب من خير الناس اكثر مما تهرب من شرهم
فان خيرهم يصيبك في قلبك وشرهم يصيبك في بدنك ولان
تصاب في بدنك خير لك من ان تصاب في قلبك ولعدو تصل
به الى الله خير لك من حبيب يقطعك عن الله وعد اقبالهم
عليك بلاء واعراضهم عنك نعماء الا تراهم اذا اقبلوا
افتتنوا قال وتسليط الخلق على اولياء الله في مبادئ طريقهم
سنة الله في احبابه واصفيائه قال الشيخ ابو الحسن اللهم
ان القوم قد حكمت عليهم بالذل حتى عزوا وحكمت عليهم
بالفقد حتى وجدوا فكل عز يمنع دونك نسألك بدله ذلا
تصحبه لطائف رحمتك وكل وجد يحجب عنك فنسألك عوضه فقدا
تصحبه انوار محبتك قال ومما يدلك ان هذه سنة الله
في احبابه واصفيائه قوله تعالى وزلزلوا الاية وقوله
حتى اذا استيأس الرسل الاية وقوله ونريد ان نمن
على الذين استضعفوا في الارض الايتين وقوله اذن للذين
يقاتلون بانهم ظلموا الى غير ذلك من الايات الدالة
على هذا المعنى الشهير ولذلك من استجلى حالهم وسالك مقامهم
فمن سنة الله تعالى مع اوليائه تشويشه ذلك عليهم وهو
من غيرته عليهم لئلا تلتفت لغيره ولئلا تستفيد
سواه قال الامام ابو القاسم القشيري ومن المطالع المشكلة
السكوت الى الخلق بما يلاقيك به من فنون تقريبهم وكانه
في خلال ما يناجيك يناجيك فانه بهذه الطريقة يصيدك ويطردك

ونحتها خدع خافية ومن ادركته السعادة كاشفه بشهود
جلاله وجماله لا باثباته في لطيف احواله وما يخصه به من
افضاله واقباله واداء الطاعات على وجه الاستقلال معدود
عنده من الشهوة الخفية ومن هذا المعنى ما ذكر عن سيدي
ابو الحسن الشاذلي قدس الله روحه لما دخل على شيخه
ابي محمد عبد السلام اول ما لقيه وساله عن حاله قال له
اشكو الى الله من برد الرضا والتسليم كما تشكو انت من حر
التدبير والاختيار فقد ذقته وانا الان فيه واما شكواك
من برد الرضا والتسليم فلم افهمه فقال اخاف ان تشغلني
حلاوتهما عن الله سبحانه وتعالى وقال سيدي ابو العباس
المرسي ان للحق حجابا من اللطف يعني السكون اليه والوقوف
عنده وشدة الفرح به ولذلك قال السري السقطي لو ان
رجلا دخل الى بستان فيه من جميع ما خلق الله تعالى من
الاشجار عليها من جميع ما خلق الله تعالى من الاطيار فخاطبه
كل طير منها بلغته وقال السلام عليك يا ولي الله فسكنت
نفسه الى ذلك كان في يديها اسيرا وقال بعضهم لا يكون
الصوفي صوفيا حتى لا تقله ارض ولا تظله سماء ولا يكون له قبول
عند الخلق ويكون مرجعه في كل احواله الى الحق وقيل
الفقير من لا دنيا له ولا اخرة فان عرض عليه ما كان فليس من هذا
رجاي وان كان الى رضوان قال لا التفت اليه وليس هو رجاي
وان قلت من هو وما الذي يدهمه به قال ليس بيد غيري
بشي

فقال الشيخ ابو الحسن اما شكواي من حر التدبير والاختيار صح

شيخ وقال محمد بن حسان رضي الله عنه بينما انا ادور في جبال
لبنان اذ خرج شاب قد احرقته السموم والرياح فلما نظر
الي ولى هاربا فتبعته وقلت تعظني بكلمة فقال احذره فانه
غيور ولا يحب ان يرى في قلب عبده سواه وكتب الجنيد رضي
الله عنه الى بعض اخوانه من اشار الى الله وسكن الى غيره
ابتلاه الله وحجب ذكره عن قلبه واجراه على لسانه فان
انتبه وانقطع عمن سكن اليه ورجع الى ما اشار اليه كشف
الله ما به من المحن والبلوى وان دام على سكونه نزع
الله من قلوب الخلق الرحمة عليه والبسه لباس الطمع فتزداد
رغبته منهم مع فقدان الرحمة من قلوبهم فتصير حياته
عجزا وموته كمدا ومعاده اسفا ونحن نعوذ بالله من
السكون لغيره اذا علمت ان الشيطان لا يغفل عنك
فلا تغفل انت عمن ناصيتك بيده الشيطان عدو مسلط
على الانسان ومقتضى ذلك ان لا توجد منه غفلة ولا فترة
عن المقربين والاغواء والاضلال قيل لبعضهم اينام
ابليس فقال ابليس لو نام لوجدنا راحة فاذا علمت
انه لا يغفل عنك فلا تغفل انت عمن ناصيتك بيده
وهو الله عز وجل وذلك بتحقيق عبوديتك له وتوكلك
عليه وافتقارك في كل احوالك اليه واستعاذتك به من
شره وشر وعده فبذلك تتخلص من سلطنته وتنجو من اذايته
قال الله تعالى ان عبادي ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك

وكيلا وقال عز وجل انه ليس له سلطان على الذين امنوا
وعلى ربهم يتوكلون فمن تحقق بهذه الصفات العلية من
الايمان بالله والاستعاذة والاستجارة به كيف يكون للعدو والعبودية له
الله عليه سلطان والله حبيبه ووليه حافظه وناصره ولولا ما والتوكل عليه
امرهم الله تعالى بالاستعاذة منه ما استعاذوا منه ومن واللجاء والافتقار
هو حتى يستعاذ بالله منه قال سيدي ابو العباس في قوله اليه صح
تعالى ان الشيطان لكم عدو فقوم فهموا من هذا الخطاب
انه امرهم بعداوة الشيطان فشغلهم ذلك عن محبة الحبيب
وقوم فهموا منه ذلك ان الشيطان لكم عدو وانا لكم حبيب
فاشتغلوا بمحبته فكفاهم من دونه وقال ابو حازم رضي
الله عنه ومن الشيطان حتى يهاب والله لقد اطيع فما نفع
ولقد عصي فما ضر وقال بعضهم الشيطان مدبر هذه الدار
بمعنى يتسبب فيه اقذار النفس ويهيج الشرور وانواع
الفساد والمعاصي اليه اذ يأمر الله عز وجل وبهذا سر الجاده
كما قال تعالى وما انسانيه الا الشيطان ان اذكره وقوله
تعالى هذا من عمل الشيطان واما ان له حولا او قوة يضر بها
او ينفع فلا قال ابو سليمان الداراني ما خلق الله
عز وجل خلقا اهون علي من ابليس ولولا ان الله امرني
ان اتعوذ منه ما تعوذت منه ابدا وقيل لبعض العارفين
كيف مجاهدتك للشيطان فقال وما الشيطان نحن قوم
صرفنا همتنا اليه فكفانا من دونه وقيل لبعضهم
بما

٢٠٦

بما ندفع ابليس فقال لا ادفع من لا اعرف فاما ان اهملت ذكره
وغفلت عنه ولم تعتن به غلبك لا محالة لثبوت سلطنته عليك
ووصوله بالوسوسة اليك قال اهل العلم ان لكل احد من
الناس وسواسا موكلا به متشبثا بقلبه واضعا راسه
او قال خرطومه عليه فاذا غفل العبد وسوس واذا ذكر
الله خنس اي تاخر واستتر وقال يحيى بن معاذ الشيطان
قديم وانت حديث والشيطان بصير وانت سليم الناحية
والشيطان لا ينساك وانت لا تزال تنساه وله من نفسك
عليك عون وفيك صدر ابن ادم مسكن له ويجري من ابن
ادم مجرى الدم وانت لا تفارقه الا بعون الله تعالى
ثبات وقال مالك بن دينار ان عدوا يراك ولا تراه لشديد
عصمه المؤنة الا من عصم الله وفيه يقول القائل ولا اراه حيثما
يراني وعند ما انساه لا ينساني سيدي ان لم تغثني
وقال ذو النون المصري ان كان هو يراك من حيث لا تراه
فان الله يراه من حيث لا يرى الله فاستعن بالله عليه
وعن ابي سعيد الخدري قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول قال ابليس لربه عز وجل بعزتك وجلالك لا ابرح
اغوي بني ادم ما دامت الارواح فيهم قال له ربه عز وجل
بيان بعزتي وجلالي لا ابرح اغفر لهم ما استغفروني جعلك عدوا
اقبالك عليه بحو شكر الله وحمده عليك من النفع يديم اقبالك عليه
عداوة الشيطان لك نعمة عظيمة من الله عليك ان زمت مقتضاها

تكبر

كما قلناه انه لا يغفل عنك وان يبذل جهده في محاربتك ومقا
بلتك بنفسه وبجنده وبخيله ورجله ولا طاقة لك بعد على مقاتلته
بنفسك لانك في غاية الضعف والعجز فيضطرك الحال لا محالة
الى الاستعانة عليه بمولاك القوى المتين فيوجب منك
الالتجا اليه والانتصار به والتوكل عليه في دفعه عنك فعداوة
الشيطان هي التي ردك الحق بها اليه وجمعك بها عليه وهذا
هو غاية المقصود وكذلك حركة النفس عليك بالحمل على متابعة
الهوى والشهوة بما جعل فيها من الطبع والجبلة نعمة
عظيمة ايضا وان كانت اعدى الاعدا اذ لولا سلطتها يتوصل
اليك وبامرها يعملون فيما يعود بالضرر عليك من قبل
انك لا تقدر على مجاهدتها وقع هو الحر الممتزج بالحمل
ودمك الا بمن هو اقوى منك وبيده ذلك الامور كلها فقد
دعاك بهذا الى دوام الاقبال اليه والعكوف بالصبر عليه
وكان المولف رحمه الله تعالى قصد في هذه الكلمات الى ذكر
الاعدا الاربعة المذكورة في قول الشاعر • اني بليت باربع
يرمينني بالنبل عن قوس لها توتير • ابليس والدنيا ونفسي
والهوى يا رب انت على الخلاص قدير • وبين في كلامه
وجود عداوتهم ووجود الاحتراز منها وتضمن ذلك بيان
ان تلك العداوات وان عظمت من اعظم الوسايل
الى اسنى المطالب لمن اريد بذلك ووفق له واتى بجميع
ذلك في الفاظ بديعة مختصرة وجيزة محررة فاعرف قدر
هذا

هذا الفصل واعترف لواضعه بكمال النبل والفضل
وقال رضي الله عنه من اثبت لنفسه تواضعا فهو المتكبر
حقا اذ ليس التواضع الا عن رفعة فمتى اثبت لنفسك
تواضعا فانت المتكبر اثبات التواضع يقتضي وجود
الرفعة لا محالة اذ لو كانت معدومة لكان ضدها وهو الضعة
ثابتا موجودا ولا ينتفي عن العبد التكبر الا بوجود الضعة
ووجود الضعة لا يحتاج الى اثبات من العبد لانه ثابت
في نفسه فالتواضع الذي اثبته العبد لنفسه لا ينفي عنه وجود
التكبر بالضرورة وايضا فان لفظة التواضع يوذن بذلك
فان التواضع تفاعل من الضعة والتكبر باب التفاعل موضوع
لاظهار الصفة وليست كذلك كالتمارض والتناكر والتعامي
والتماوت وغير ذلك فصيغة التواضع لا تقتضي حقيقة
الضعة وعدم الرفعة ولا يلزم من وجودها ذلك والمطلوب
من العبد انما هو ان يتصف بذلك حقيقة لا اظهارا فقط
بل ينتفي عنه وجود الرفعة بالكلية وحينيذ يبرا العبد
من التكبر ولا يكون له وجود البتة ليس المتواضع الذي
اذا تواضع راى انه فوق ما صنع ولكن المتواضع
الذي اذا تواضع راى انه دون ما صنع هذا بيان
اخر لما ذكرنا من ان العبد المتواضع حقيقة لا تثبت
التواضع لنفسه لانه شاهد ضعة قدره وخمول ذكره وذلته
ومهانته ما يتبينه من ذلك وهذا هو التواضع الحقيقي وهو

شهوده لذلك ووجده به مما يقدح في حقيقة تواضعه
كما قال الشيخ ابو عبد الله القرشي رضي الله عنه من وجد ذوق
ذلك فهو متعزز وفيه بقية فهذا العبد المتصف بهذه
الصفة لو فعل من افعال المتواضعين ما شاء لم يثبت بذلك
لنفسه تواضعا لانه يرى نفسه دون ما صنع من ذلك
لغلبة ذلك الشهود والوجد عليه فان اثبته لنفسه وراى
نفسه فوق ما صنع مما يقتضي وجود صفة التواضع له بزعمه
فهو متكبر حقيقة ولذلك قال الشبلي رحمه الله يوما في بعض
كلامه ذلي عطل ذل اليهود وقال من راى لنفسه قيمة
فليس له من التواضع نصيب وقال ابو سليمان الداراني
رضي الله عنه لا يتواضع العبد لله حتى يعرف نفسه وقال
ابو يزيد رحمه الله ما دام العبد يظن ان في الخلق من هو
شر منه فهو متكبر قيل فمتى يكون متواضعا قال اذا لم
ير لنفسه مقاما ولا حالا وتواضع كل احد على قدر معرفته
بنفسه وبربه وقال ابو سليمان الداراني رحمه الله لو اجتمع
الخلق على ان يضعوني كاتضاعي عند نفسي ما قدروا عليه وقال
ابو بشر عبيد وقد انصرف من عرفات ما اشك في الرحمة
لولا اني كنت فيهم وقيل لمحمد بن مقاتل ادع الله لنا فبكى
وقال ليتني لم اكن انا سبب هلاككم ومن علامات
التحقق بهذه الحقوق ان لا يغضب اذا عيب او تنقص ولا يكره
ان يذم ويقذف بالكبائر ومن علامات تحققه ايضا

ان يشتد حرصه على ان لا يكون له جاه وقد رغب الناصح بالتزام
الصدق في حاله بان لا يرى لنفسه موضعا في قلوبهم وقد تقدم
هذا المعنى عند قوله ادفن وجودك في ارض الخمول فما نبت
مما لم يدفن لا يتم نتاجه وحكي عن ابي الحسين الكرخي استاذ
الجنيد رحمهما الله ان رجلا دعاه ثلاث مرات الى الطعام ثم
يرده فيرجع اليه بعد ذلك حتى ادخله داره في المرة الرابعة
فساله عن ذلك فقال رضيت نفسي على الذل عشرين سنة حتى
صارت بمنزلة الكلب يطرد ثم يدعى فيعود ويرمى له عظم
فيجيب ولو رددتني خمسين مرة ثم دعوتني بعد ذلك لاجبتك
قال ابو طالب المكي وحدثت عن بعض العارفين انه وقف
على رجل وهو يأكل فمد يده وقال ان كان ثمة شيء لله
تعالى فقال اجلس وكل فقال اعطني في كفي واعطاه في كفه
فقعد يأكل في مكانه فساله عن امتناعه من الجلوس معه
فقال ان حالي مع الله تعالى الذل فكرهت ان افارق
حالي قال وكان هذا ربما مر به الى المهراس فيجعل
فيها هريسة واعجب ما رايت في التواضع ما ذكره صاحب
عوارف المعارف قال رايت شيخنا ضياء الدين
ابا النجيب وكنت معه في سفره الى الشام وقد بعث بعض
ابناء الدنيا له طعاما وكان الاسارى من الافرنج وهم
في قيودهم فلما مدت السفرة والاسارى ينتظرون الاواني
حتى نفرغ قال للخادم احضر الاسارى حتى يقعدوا على

الرسل صح

المرقع الفقرا نحو ابيهم وقعدهم علي المرقع صفا واحدا وقام
الشيخ من سجادته ومشى اليهم وقعد بينهم كالواحد منهم
واكل واكلوا وكم رأينا على وجهه ما نازل بالمنة من التواضع
لله تعالي والانكسار في نفسه وانسلاخه من التكبر عليهم
بايمانه وعلمه واغرب من هذا ما ذكره صاحب كتاب بغية
الطالب ومنية الراغب ابو الحسن علي بن عتيق بن مؤمن
القرطبي عن ابيه انه راى الشيخ الفقيه ابا محمد عبد الله
بن عبد الرحمن بن مغيث وكان من الفقها العلما يوما
وهو يمشي في يوم شاتٍ كثير الطين فاستقبله كلب يمشي
على الطريق التي كان عليها قال فرايته قد لصق بالحايط وعمل
للكلب طريقا ووقف ينتظره ليجوز فحينئذ يمشي هو فلما قرب
من الكلب قال فرايته قد تزحزح من مكانه الذي كان فيه ونزل
اسفل وترك الكلب يمشي فوقه قال فلما جازه الكلب
وصلت اليه فوجدته وعليه كابة فقلت يا سيدي اني رايتك
صنعت الان شيا استغربته كيف رميت بنفسك في الطين
وتركت الكلب يمشي في الموضع النقي فقال لي بعد ان عملت
له طريقا تفكرت وقلت ترفعت على الكلب وجعلت
نفسي ارفع منه بل هو والله ارفع مني واولى بالكرامة لاني
عصيت الله تعالى وانا كثير الذنوب والكلب لا ذنب له
فنزلت له عن موضعي وتركته يمشي عليه وانا الان اخاف المقت
من الله تعالى ان لا يعفو عني لاني رفعت نفسي على من هو خير مني

التواضع

التواضع الحقيقي هو ما كان ناشيا عن شهود عظمته وتجلي صفته
شهود عظمة الله تعالي وتجلي صفته هو الذي يوجب
للعبد وجود التواضع الذي ذكرناه لان ذلك هو الذي
يخمد النفس ويذيبها ويبطل انفتها فما تجلى الله تعالى
لشي الا خضع له فلا تنقلع من النفس شجرة الربانية والكبر
الا به لا بما يتكلفه العبد ويتعاطاه بنفسه من اعمال واحوال
قال الجنيد التواضع عند اهل التوحيد تكبر قال ابو حامد
الغزالي رضي الله عنه ولعل مراده رضي الله عنه ان
التواضع يثبت نفسه ثم يضعها والموحد لا يثبت نفسه ولا يراها
شيا حتى يضعها او يرفعها وقال ذو النون من اراد التواضع
فليوجه نفسه الى عظمة الله تعالي فانها تذوب وتصغر
ومن نظر الى سلطان الله تعالي فانها ذهب سلطان نفسه
لان النفوس كلها حقيرة عند هيبته ومن اشرف التواضع
ان لا ينظر الى نفسه دون الله تعالي وفي كتاب عوارف
المعارف واعلم ان العبد لا يبلغ حقيقة التواضع الا عند
لمعان نور المشاهدة في قلبه فعند ذلك تذوب النفس
وفي ذوبانها صفاؤها من غش الكبر والعجب فتلين وتنطبع
للحق والخلق بمحو اثارها وسكون وهجها وغبارها
لا يخرجك عن الوصف الا شهود الوصف هذه عبارة مليحة
موافقة لمعنى ما تقدم من الان والوصف المذكور اولا وصف
العبد والوصف المذكور ثانيا وصف الرب تبارك وتعالى

الموحد يشغله الثناء على الله عن ان يكون لنفسه شاكرا
ويشغله حقوق الله عن ان يكون لحظوظه ذاكرا
بشكر النفس روية نسبة الافعال الجميلة والاحوال الحميدة
اليها وذلك ثناء عليها وهو مضاد للثناء على الله تعالى
وذكر حظوظها من اعتقاد ان لها حقا على ما تفعله من الطاعات
وهو مضاد للقيام بحقوق الله تعالى فالموحد الحقيقي
لا يلتفت الى نفسه في نسبة شيء من المحامد اليها ولا في طلب حظ لها
عليه لانه يشغله الثناء على الله تعالى والحرص على توفية
حقوقه عن جميع ذلك ليس المحب الذي يرجو من محبوبه.
عوضا او يطلب منه غرضا فان المحب من يبذل ليس المحب
من يُبْذَلُ لَه المحبة تقتضي من المحب بذل كلياته وجزئياته
في مرضات محبوبه من غير ان يطلب حظا يناله منه فهذا مما يلزم
وجود المحبة كما قيل ان المحب اذا احب حبيبه • يلقاه يبذل
فيه ما لا يبذل • لا يرى ما فعل من ذلك غاية الكلك وموافقة
رضى محبوبه نهاية السعادة والبغية كما قال ابو حفص عمر
بن الفارض رحمه الله تعالى • ما لي سوى روحي وباذل
روحه في حب من يهواه ليس بمسرف • فلئن رضيت بها
فقد اسعفتني يا خيبة المسعى اذا لم تسعف • ولذلك
قيل المحبة الايثار وهو ان لا يدع المحب لمحبوبه ميسورا الا بذله
ولا ممكنا الا اشتمله ولا يبقي لنفسه ولحظه نفسا ولا سمة ولا
يستثني من كل ما بذله له سمة ولا اثرا وفي المعنى

ليس

ليس في العين مني نظرة • اي اذا في العاشقين دخلا • وقال
ابو عبد الله القرشي حقيقة المحبة ان تهب كلك لمن احببته
حتى لا يبقى لك منك شيء وقال ابو يعقوب السوسي حقيقة
المحبة ان ينسى العبد حظه من الله وينسى حوائجه اليه وقيل لبعض
المحبين وكان قد بالغ المجهود في بذل ماله ونفسه حتى لم
يبق منه بقية ما كان سبب حالك هذه في المحبة فقال كلمة
سمعتها من خلق لخلق عملت في هذا البلاء فقيل وما هي قال
سمعت محبا خلا بمحبوبه وهو يقول انا والله احبك
بقلبي كله وانت تعرض عني بوجهك كله فقال له المحبوب
ان كنت تحبني فاي شيء تنفق علي فقال يا سيدي املكك ما لي
ثم انفق عليك روحي حتى اهلك فقلت هذا خلق لخلق
وعبد لعبد فكيف بخلق لخالق وعبد لمعبود فكان هذا سببه
فهذا الذي ذكرناه من لوازم المحبة الحقيقية واما رجاء العوض
وطلب الغرض فهو حال من مقامات الرجاء وليس من مقام المحبة
المخصوصة في شيء قال الشاعر • من يكن بكر فانا غير جاهله •
وعن الهوى والاسر بالاحباب • فلانه بين الموله المراقب
واقف بالمنا لاجل الحسن ما به • وقال اخر • وما انا بالباغي
على الحب رشوة • ضعيف هوى يرجى عليه ثواب • قال ابو
محمد رويم من احب العوض عن بعض العرض اليه محبوبه
وقيل اوحى الله الى عيسى عليه السلام اني اذا اطلعت على قلب
عبد فلم اجد فيه حب الدنيا والاخرة ملاته من حبي قال

عين
بعض المحبوبين كوشفت بأربعين حوراء رأيتهن يتمشين
في الهواء عليهن ثياب من ذهب وفضة وجوهر يتخشخش ويتثنى
معهن فنظرت إليهن نظرة فعوقبت أربعين يوما قال
ثم كوشفت بعد ذلك بثمانين حوراء فوقهن بالحسن والجمال
وقيل لي انظر إليهن فسجدت وغمضت عيني في سجودي
لئلا أنظر إليهن وقلت أعوذ بك مما سواك لا حاجة لي بهن
فلم أزل أتضرع إلى الله تعالى حتى صرفهن عني وذكر الشيخ
الكاتب أبو نعيم قال قال أبو ميسرة الخادم غزونا في بعض
الغزوات فإذا فتى إلى جانبي وإذا هو مقنع في الحديد
فحمل على الميمنة حتى ثناها وعلى الميسرة حتى ثناها وعلى
القلب حتى ثناه ثم أنشأ يقول ● أحسن بمولاك سعيد ظنا
هذا الذي كنت له تمنى ● تنحي يا حور الجنان عنا ● ما لك
قاتلنا ولا قتلنا ● لكن إلى سيدكن اشتقنا ● قد علم السر
وما أعلنا ● قال فحمل فقاتل فقتل منهم عددا كثيرا ثم
رجع إلى مقامه فتكالب عليه العدو فإذا هو قد حمل على
الناس وأنشأ يقول ● قد كنت أرجو لم يخب ● أن لا
يضيع اليوم كدي والطلب ● يا حسن ملأ بكن الجنان باللعب
لولاكم ما طابت ولا طاب الطرب ● فحمل فقاتل فقتل منهم عددا
ثم رجع إلى مصافه فتكالب عليه العدو فحمل الثالثة فأنشأ يقول
● يا لعبة الخلد قفي ثم اسمعي ● ما لك قاتلنا فكفي وارجعي
● ثم ارجعي إلى الجنان وأسرعي ● لا تطمعي لا تطمعي لا تطمعي فقاتل

لا يسار قاتلنا

يا من ملأ تلك القصور باللعب

حتى

حتى قتل رحمه الله تعالى ولأجل ما ذكرناه من اقتضاء مقام
المحبة كلية البذل شأن المحب لزوم وقوع الابتلاءات والمطالبات
به حتى يحصل له توفية حقوق هذا المقام على التمام ولهذا
قال بعضهم أو لما يقول الله جل جلاله وتعالى اطلب العافية
والجنة والأعمال أو غير ذلك فإن قال أريد الآن فإنك قال له
من زعم حبي في هذا فإنما يدخل بإسقاط الحظوظ ورفع الحدوث
وثبوت القدم وذلك يوجب العدم وقال بعض العلماء
إذا رأيتك تحبه ورأيته يبتليك فاعلم أنه يريد أن
يصافيك وقال بعض المريدين لأستاذه قد طولعت بشيء
من المحبة فقال يا بني هل ابتلاك بمحبوب سواه فآثرته عليه
فقال لا قال فلا تطمع نفسك في المحبة فإنه لا يعطيها أحدا حتى يبلوه
وقال بعض علمائنا رضي الله عنهم كل أهل المقامات يرجوا
أن يعفى عنهم ويسمح لهم إلا من ادعى المعرفة والمحبة فإنهم
يطالبون بكل شعرة مطالبة وفي كل حركة وسكون ونظرة لله
ومع الله وقال إبراهيم بن أدهم وكان له مقامات في المحبة
رفيعة قلت ذات يوم يا رب إن كنت أعطيت أحدا من
المحبين لك ما تسكن به قلوبهم قبل لقائك فأعطني ذلك
فقد أضر بي القلق قال فرأيت في النوم أنه أوقفني بين
يديه فقال يا إبراهيم أما استحييت مني أن تسألني أن أعطيك
ما يسكن به قلبك قبل لقائي وهل يسكن المشتاق دون لقاء
حبيبه وهل يستريح المحب إلى غير مشوقه وقال فقلت يا رب

تعلقت في حبك فلم ادر ما اقول فاعذرني وعلمني كيف اقول
فقال قل اللهم رضني بقضايك وصبرني على بلايك واوزعني
شكر نعمايك فالمحبون دايما يتحرزون ولطايف ملاحظات
بخطر لهم بذكر الذنوب في صفايحهم والبعد في مواطن قربهم
فهم يفرون منها ويخرجون عنها مخافة ان يسترق شي من
ذلك قلوبهم بادي بدا او مسالمة فيوجب ذلك لهم السقوط
من مقامهم الرفيع الذي اهله لهم واهلوا له ولذلك
قال ابو محمد سهل بن عبد الله رضي الله عنه جناية المحب ابعد
تعالى اشد من معصية العامة وهو ان يسكن الى غير الله او يستانس
بسواه قال اوحى الله تعالى الى داود عليه السلام يا داود حرمت
على القلوب ان يدخلها حبي وحب غيري ويحكى ان الله تعالى قال
لموسى عليه السلام نعم العبد برخ الا ان فيه عيبا قال يا رب
وما عيبه قال يعجبه نسيم الاسحار فيسكن اليه ومن احبني لم
يسكن الى شي ويروى ان عابدا عبد الله في غيضة دهرا
طويلا فنظر الى طاير قد عشش في شجرة ياوي اليها ويصفر
عندها فقال لو حولت مسجدي الى تلك الشجرة فكنت انس
بصوته ذلك العابد ففعل فاوحى الله الى نبي ذلك
الزمان قل لفلان العابد استانست بمخلوق لاحطنك درجة
لا تنالها بشي من عملك ابدا لولا ميادين النفوس ما تحقق
سير السايرين اذ لا مسافة بينك وبينه حتى تطويها
رحلتك ولا قطيعة بينك وبينه حتى تمحوها وصلتك

السير

السير الى الله تعالى هو قطع عقبات النفس ومحاولة ردها
ودعاويها وغلبة احكام طبيعتها وجبلتها حتى يتطهر من ذلك
ويحصل لها اهلية القرب من الله تعالى والوصول الى سعادة لقايه
ولولا معاناتها معاناة هذه الاشيا لم يتحقق السير والسلوك
كيف والحق تعالى اقرب الى العبد من نفسه فالبعد الحسي وهو
المسافة التي تطويها رحلته والبعد المعنوي وهو القطيعة
التي تمحوها وصلته محالان في حقه تعالى لنفي المثلية في الاول وعدم
الضدية في الثاني وهذه الالفاظ التي عبر عنها المولف رحمه الله
تعالى من السير والميادين والرحلة والوصلة وفي معناها
السير والسلوك والذهاب والرجوع هي عبارات تستعملها القوم
في امور معنوية تجوزوا فيها من امور حسية ومرجع جميع ذلك
الى علوم ومعاملات يتصف بها العبد لا غير وهذا الكلام الذي
ذكره المولف رحمه الله تعالى ههنا وما تقدم له ولنا غير
ما مرة من ان النفس هي الحجاب الاعظم للعبد عن الله تعالى
وان بمجاهدتها وقمعها وموتها تناله سعادة لقاء الله
تعالى صحيح المعنى قال بعضهم ما الحيوة الا في الموت اي ما حيوة
القلب الا في اماتة النفس وقيل النعمة العظمى الخروج
عن النفس وهي اعظم حجاب بينك وبين الله وقال سيدي
ابو العباس رضي الله عنه لا يدخل على الله الا من بابين من باب
الفناء الاكبر وهو الموت الطبيعي ومن باب الفناء الذي تعنيه
هذه الطايفة ومن حكايات الاصمعي انه قال من دخل في مذهبنا هذا

فليجعل في نفسه اربع خصال من الموت موت احمر وموت
اسود وموت ابيض وموت اخضر فالموت الابيض الجوع
والموت الاسود احتمال اذى الناس والموت الاحمر مخالفة النفس
والموت الاخضر طرح الرقاع بعضها على بعض وقال سهل بن عبد
الله التستري ما ظهر ذكر السر على احد من خلقه الا على فرعون
فقال انا ربكم الاعلى ولها سبع حجب سماوية وسبع ارضية فكلما
يدفن العبد نفسه ارضا ارضا سما قلبه سما سما فاذا دفنت
النفس تحت الثرى وصلت بالقلب الى العرش يعني اذا خالفتها
وفارقتها وسبيل المريد الى الوصول الى موت النفس انما يكون
بتقديم الافتقار والالتجا والرغبة الى مولاه في ان يعينه ويقويه
على امر نفسه ويسهل عليه طريق سلوكه وليستعمل هذا في كل حالة ووقت
وليجعله عمدته فيما هو بسبيله وقد تقدم من كلام المؤلف رحمه
الله ما توقف مطلب انت طالبه بربك وقال بعض العارفين
لا يمكن الخروج من النفس بالنفس وانما يكون الخروج من النفس
بالله ثم يشتغل بمراعاة حدود الشريعة والطريقة في ظاهره
وباطنه والتزام ادابها ولكل عبد عمل مخصوص يقتضي لا محالة
حكما مخصوصا يليق بحقه وذلك يختلف باختلاف احوال الناس
فحركات العبد وسكناته هي اعماله الظاهرة ومقصوده وهمته
وارادته اعماله الباطنة ولكل واحد منها التمييز ينبغي ان ياخذ
فيه بعزائم الامور ويجتنب الرخص التي هي من شان العامة
والجمهور حسبما تقدم عند قوله من جهل المريد ان يسيء الادب

فتوخر

فتوخر العقوبة عنه فعمل الظاهر ان كان واجبا فليبادر الى
فعله ولا يتوانى عنه وليقض بجميع ادابه اللازمة له وليتحقق
بذلك ما يكون مندوبا اليه اذا علم من رتبته هو وانما اشترطنا
هذا الشرط لان المندوبات التي تعترضه يحتاج فيها الى تقديم
الاولى فالاولى والاهم فالاهم منها فان لم يعمل على هذا وقدم
ما ليس باهم كان متبعا للهوى الموجب للعطب وليأخذ في ذلك
بالقصد من غير افراط ولا تفريط ولا غلو ولا تقصير وفي حديث
عايشة رضي الله عنها انها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اكلفوا من العمل ما تطيقون فان الله لا يمل حتى تملوا وان
افضل العمل ادومه وان قل وعن ابي هريرة رضي الله عنه عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الدين يسر ولن يشاد الدين
احد الا غلبه فسددوا وقاربوا وابشروا وان كان محرما فليبادر
الى تركه واجتنابه وليقطع من نفسه جميع اسبابه وليتحقق
بذلك ما يكون مكروها وان كان مباحا فهذا هو محل نظر المريد
فعليه ان ياخذ بالعزيمة فيه ويقتصر على حد الضرورة منه
وليكن اجتنابه له اشد من ميل النفس اليه وليعظم حرصها
عليه اكثر من اجتنابه كما تقدم من ذلك ويختلف ذلك باختلاف
الاشخاص فرب شخص تميل نفسه الى ما لا تميل اليه نفس شخص
اخر فليشتغل المريد بقطع ذلك وزوال علاقته من قلبه بالرياضة
والمجاهدة ويستمر على ذلك حتى يكون وقوفه مع ما لا بد له منه
على وجه الطاعة والقصد لا على سبيل الهوى والشهوة ومما يشتد

والعزلة

من نفوس اكثر الناس اليه ما يكون سببا لتناوله واستعماله من مراعات
نظر الخلق والجري على عوايدهم السيئة ومراسمهم المذمومة
ومجاهدة النفس في مثل هذا عسير جدا لا سيما على من ابتلي بحب الجاه
والرياسة وقبول الخلق فهي لا يتحقق او شرعا او غير ذلك فانها
اشد الشهوات علاقة بالقلب واضرها بالمريد فيجب عليه ان يعتني
بذلك ويبالغ في تخليص ظاهره وباطنه منه ليصلح بما يتعاطاه
من اعمال واحوال وقد نبهنا على هذا المعنى في اول الكتاب وعند
قول المؤلف رحمه الله ادفن وجودك في ارض الخمول فما نبت
مما لم يدفن لا يتم نتاجه ومما يتعين على المريد في رياضته
ومجاهدته ان يمنع حواسه ويكف جوارحه عن التطلع والجولان
في مظان وجدان شهواته وتحقيق عاداته وان يجاهد معها
ولا يتفق معها فان ذلك منشأ كل شر ومنبع كل فساد وهو
كما قيل • ان السلامة من سلمى وجارتها • ان لا تمر على
حال بواديها • فليراقب ربه وليحفظ جوارحه وقلبه فان
الانسان قد يتحرك منه في طلب الخير والعمل من اعمال البر فيتفق
ان يقع بصره على شيء له فيه هوى وشهوة فتميل نفسه اليه
بالشره والمحبة فيتكدر عليه وقته ويظلم قلبه ويختل عليه
في لحظة ما كان يبنيه في مدة سنة مثلا وكذلك سائر حواسه وقد شبه
العلماء رضي الله عنهم النفس في مثل هذا بدابة استعارها
رجل من ربها ومالكها ليتصرف بها في حاجاته وكانت دابة
جموحا صعبة المرام يجاذبها المستعير في بعض تصرفاته على دار

بيان

مطلب ١٤ احوال النفس تفسير مثل النفس كمثل الدابة

مولاها

مولاها فنزعت الى دار سيدها فانه لا محالة تحتاج الى عرف عنانها
فان تقاعست ضربها بالشوك والعصا حتى يصرفها بذلك عما جنحت
اليه وقد يكون عليه في ذلك تعب ومؤنة وسبب ذلك انما هو كونه
مر بها على دار مولاها الذي الفته واعتادته ولو لم يمر بها عليه
لما احتاج الى معاناة ولا مكابدة فان تغافل عنها حتى
ادخلت يديها في عتبة الباب واستمكنت منه تعذر ردها ومنعها
من الدخول لم يطقه بوجه ولا اقتحمت عليه باب الدار كرها
وربما جرحت راسه والمنه وسبب ذلك انما هو تمكينها
من العمل بمقتضى طبيعتها وموافقة جبلتها فكذلك حال
النفس فان النفس ان اعطيتها هواها كانت غامرة نحو هواها
فايدها ولذلك كانت الخلوة والعزلة من اوجب الواجبات
على المريد فان نفسه اذ ذاك تكون ساكنة هادية قد نسيت
عوايدها وقهرت دواعيها ويدوم امده على ذلك يحصل له من التزكية
والتحلية والاستقامة والطمانينة ما هو المقصود بالرياضة والمجاهدة
فان اعتراه شيء مما ذكرناه اختل عليه حاله واحتاج من اجل
ذلك الى المجاهدة الشاقة والرياضة الصعبة والى دوام ذلك
مع تلافي ما فاته وقد قالوا وقفة المريد شر من فترته قال
الامام ابو القسم القشيري والفرق بين الفترة والوقفة
ان الفترة رجوع عن الارادة وخروج منها والوقفة سكون عن السير
باستحلاء احوال الكسل وكل مريد وقف في ابتداء ارادته لا يجيء منه
شيء انتهى فبدايات الامور هي التي يجب ان يراعيها المريد

والله ولي التوفيق والتسديد ولا غنى للمريد في هذا القسم من
تحصيل ما يحتاج اليه من العلوم الشرعية على ما ينبغي وعمله بالباطن
يرجع حاصله الى امر واحد وهو اخلاص التوحيد لله عز وجل
باعتقاد العبودية له وذلك بان يحمل نفسه على الاستسلام
لاحكام الله تعالى وترك المنازعة والتدبير والاختيار بين
يديه وهذا المعنى هو الذي ضمنه المؤلف رحمه الله كتابه التنوير
في اسقاط التدبير فليعتمد المريد على ذكر ربه ولا يقصد برياضته
ومجاهدته التوصل الى شيء من الكرامات وخرق العوائد وانواع بيان فتنة
الاجابات فان ذلك فتنة وبلية قاطع عليه طريق العبودية
قال ابو عثمان المغربي من اختار الخلوة على الصحبة ينبغي ان يكون
خاليا من جميع الاذكار الا ذكر ربه وخاليا من جميع الارادات
الا رضى ربه خاليا من مطالبة النفس من جميع الاسباب وان لم يكن
بهذه الصفة فان خلوته توقعه في فتنة او بلية وقال الشيخ
ابو عبد الله القرشي رحمه الله من عمل ليجد او يرى لم يفتح له بشي
حتى يكون قصده تحقيق العبودية والقيام بما يجب عليه من حقوق
الربوبية قال صاحب كتاب عوارف المعارف فمن دخل الخلوة
معتلا في دخوله دخل الشيطان عليه وسول له انواع الطغيان
واشياء من الغرور والمحال وهو يحسب انه محمول على حسن الحال قال
وقد دخلت الفتنة على قوم دخلوا الخلوة بغير شروطها ولم يقبلوا
على ذكر من الاذكار وصنعوا الفراغ من الخواطر كفعل الرهابين
والبراهمة والفلاسفة والوحدة في جمع الهم لها تاثير في صفاء

الباطن

الباطن مطلقا فكما ما كان من ذلك تحت سياسة الشرع وصدق
المتابعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ينتج تنوير القلب والزهد
في الدنيا وحلاوة الفكرة والمعاملة لله باخلاص الخطوة
والتلاوة وغير ذلك وما كان من غير سياسة الشرع ومتابعة
رسول الله صلى الله عليه وسلم ينتج صفاء في النفس تستعين به على علوم
رياضية كما يستعين به الفلاسفة والدهريون وكلما كثر
من ذلك اشرأب البعد من الله ولا يزال المقبل على ذلك تستغويه
الشياطين بما يكتسب من العلوم الرياضية وربما يتراءى له من
صدق الخاطر وغير ذلك حتى يركن اليه كل الركون ويظن
انه قد فاز بالمقصود من الخلوة ولا يعلم ان هذا القدر
من الفائدة غير ممنوع من النصارى والبراهمة وليست
هي المقصودة من الخلوة يقول بعضهم كن طالب الاستقامة
وانت تطلب الكرامة وقد يفتح على الصادقين بشي من خرق
العادات وصدق الفراسة وتبيين ما يحدث في المستقبل
وقد لا يفتح لهم عليهم ذلك ولا يقدح في حالهم عدم ذلك وانما
يقدح في حالهم الاخلال بمركز الاستقامة وما يفتح من ذلك
على الصادقين يصير مزيدا لانتفاعهم والداعي لهم الى صدق
المجاهدة والمعاملة والزهد في الدنيا والتخلق باخلاق
الحميدة وما يفتح من ذلك على من ليس تحت سياسة الشرع
يصير سببا لمزيد بعده وغروره وحماقته واستطالته على الناس
وازدرائه بالخلق ولا يزال به حتى يخلع ربقة الاسلام من عنقه
وينكر الحدود والاحكام والحلال والحرام ويظن ان المقصود

من العباد ان ذكر الله تعالى وترك متابعة الرسول ثم يتدرج
من ذلك الى الالحاد والزندقة ونعوذ بالله من الضلال فقد
يلوح لاقوام خيالات يظنونها وقائع يسمونها بوقائع
المشائخ من غير علم بحقيقة ذلك انتهى كلامه رحمه الله
تعالى وهو في غاية الحسن ونهاية التحقيق فمدار ومدة العبد
على مثل هذه الاشياء التي ذكرناها هو التوفيق من ربه
عز وجل وتاييده له بحصول من الله تعالى مزيد التاييد وعند
ذلك يتطهر باطنه من جميع الافات وخبائث الصفات وتستنير
سريرته بانواع المكاشفات والملاطفات وقد عبر الامام
ابو القسم القشيري عن طريق موت النفس بعبارات صحيحة
مليحة حيث قال قتل النفس في الحقيقة التبري من حولها وقوتها
او شهود شيء منها ورد ما ادعيها اليها وتشويش تدبيرها
عليها وتسليم الامور الى الحق سبحانه بجملتها وانسلاخها من ارادتها
واختيارها واستحالة اثار بشريتها عنها فاما بقاء الرسوم والهياكل
فلا خطر لها ولا عبرة انتهى فهذه هي السبيل الى موت النفس
المفضي الى حضرة القدس لكونها جارية على مقتضى الشريعة
والحقيقة اللتين بانوارهما يهتدي كل سالك ومريد ولابد
للمريد في هذه الطريقة من صحبة شيخ محقق مرشد قد فرغ
من تاديب نفسه وتخلص من هواه فليسلم نفسه اليه وليلتزم
طاعته والانقياد اليه في كل ما يشير عليه من غير ارتياب ولا تاويل
ولا تردد فقد قالوا من لم يكن له شيخ فالشيطان شيخه وقال ابو علي
الثقفي لو ان رجلا جمع العلوم وصحب طوائف الناس لا يبلغ مبلغ
الرجال

الرجال الا بالرياضة من شيخ او امام او مؤدب ناصح ومن لم
ياخذ ادبه من آمر له وناه يريه عيوب اعماله ورعونات
نفسه لا يجوز الاقتداء به في تصحيح المعاملة وقال سيدي
ابو مدين من لم ياخذ الادب من المتادب افسد من
يتبعه قال المؤلف رحمه الله في لطائف المنن انما يكون الاقتداء
بولي دلك الله عليه واطلعك على ما اودعه من الخصوصية
لديه فطوى عنك شهود بشريته في وجود خصوصيته فالقيت
اليه القياد فسلك بك سبيل الرشاد يعرفك رعونات نفسك
وكمائنها ودفائنها ويدلك على الجمع على الله عز وجل ويعلمك
الفرار عما سوى الله ويسايرك في طريقك حتى تصل الى الله
يوقفك على اساءة نفسك ويعرفك باحسان الله اليك فيفيدك
معرفة اساءة نفسك الهرب منها وعدم الركون اليها ويفيدك
العلم باحسان الله اليك الاقبال عليه والقيام بالشكر اليه
والدوام على ممر الساعات بين يديه قال فان قلت فاين
من هذا وصفه لقد دللتني على اغرب من عنقاء مغرب فاعلم انه
لا يعوزك وجدان الدالين وانما يعوزك وجود الصدق
في طلبهم جد صدقا تجد مرشدا وتجد ذلك في آيتين من
كتاب الله تعالى قال سبحانه امن يجيب المضطر اذا دعاه وقال
سبحانه فلو صدقوا الله لكان خيرا لهم فلو اضطررت الى من
يوصلك الى الله اضطرار الظمآن الى الماء والخائف الى الامن لوجدت
طلبك ذلك اقرب اليك من وجود طلبك ولو اضطررت الى الله اضطرار الام
لولدها اذا فقدته لوجدت الحق منك قريبا ولك مجيبا ولوجدت

الحق

الوصول غير متعذر عليكم ولتوجه بتيسير ذلكم عليكم انتهى
وفي كلامه رحمه الله تنبيه على ان الشيخ من منح الله تعالى وهداياه
للعبد المريد اذا صدق في ارادته وبذل في مناصحة مولاه
جهد استطاعته لا على ما قد يتوهمه من لا علم عنده وعند ذلك
يوفقه الله لاستعمال الادب معه لما شهده من علي مرتبته
ورفيع درجته قال سيدي ابو مدين قدس الله روحه
الشيخ من شهدت له ذاتك بالتقديم وسرك بالتعظيم الشيخ من
هذبك باخلاقه وادبك باطراقه وانار باطنك باشراقه
الشيخ من جمعك في حضوره وحفظك في مغيبه وقال المولف في لطائف
المنن وليس شيخك من سمعت منه انما شيخك من اخذت عنه
وليس شيخك من واجهتك عبارته انما الشيخ الذي سرت فيك ابهجتك
اشارته وليس شيخك من دعاك الى الباب انما شيخك من رفع
بينك وبينه الحجاب وليس شيخك من واجهك مقاله انما شيخك
الذي نهض بك حاله شيخك الذي اخرجك من سجن الهوى
ودخل بك على المولى شيخك هو الذي مازال يجلوا مراة
قلبك حتى تجلت فيه انوار ربك نهض بك الى الله فنهضت
وسار بك حتى وصلت ولازال محاذيا لك حتى القاك بين
يديه فزج بك في نور الحضرة وقال هانت وربك انتهى
واداب المريد مع الشيخ كثيرة مذكورة في كتب ائمة الصوفية
ومن ابلغ ذلك واوجزه ما ذكره الامام ابو القسم القشيري
قال رضي الله عنه شرط المريد ان لا يتنفس الا باذن شيخه ومن
خالف شيخه في نفسه سرا او جهرا فسوف يرى غبنه عن ما كتبه
سريعا ومخالفة الشيوخ فيما يشيرونه منهم اشد مما يكابدونه
بالجهد

بالجهد والكثر لان هذا يلتحق بالخيانة ومن خالف شيخه لا يشم
رائحة الصدق فان بدر منه شيء من ذلك فعليه بسرعة الاعتذار
والافصاح عما يحصل منه من المخالفة والخيانة ليهديه
شيخه الى ما فيه كفارة جرمه ويلتزم في الغرامة ما يحكم
به عليه فاذا راجع المريد بالصدق وجب على شيخه جبران
تقصيره بهمته فان المريدين عيال شيوخهم فرض
عليهم ان ينفقوا من قوة احوالهم ما يكون جبرانا لتقصيرهم
انتهى وقال الشيخ العارف محيي الدين ابو العباس البوني
نفعه الله برحمته واياك ان تحقر فعلا تخطر لك انه لا
تلفيه للشيخ طاعة كان او معصية على اي نوع برز لك ولو
احتلم عليك الوهرة في الساعة احتلم اليه الى الساعة في الخاطر
ليعلمك الدوا الذي تزعجه بدا والحمالة بعينه قال
ولقد رايت تلميذا من اصحاب شيخنا الامام تاج العارفين
ابي محمد عبد العزيز بن ابي بكر القرشي المهدوي رحمه الله
تعالى وكنت جالسا عنده فدخل عليه وفي يده باقلاة فقال
يا سيدي اني وجدت هذه الباقلاة فما اصنع بها فقال اذكرها
حتى تفطر عليها فقلت يا سيدي حتى الباقلاة يعلم بها فقال
يا ولدي لو خالفني في لحظة من خطراته لم يفلح ابدا فاذا اخذ
بهذه المجاهدات وقوبلت بهذه المقابلات رجعت النفس
عن ما الوفاتها الدنية وعاداتها الردية وزال عنها الغرور
والاستكبار وذلت لمولاها بالعبودية والافتقار وتنزلت
اعمالها وصفت احوالها وهذه هي خاصيتها التي خلقت لاجلها
ومزيتها التي شرفت من قبلها والنهار الفتن سوى هذه المزية

الى شيخه ع

اصابها من الركون الى هذا العالم الادنى والانس بالشهوات
التي تزول وتفنى حتى امتنع عليها ما خلقت لاجله من موجب
سعادتها وغاية شرفها وافادتها فلما تعالجت بما ذكرناه
عادت الى الصحة واي طبعها الاصلي فالفت العبودية والتذت بها
وصارت بذلك مطمئنة صالحة لان يقال لها يا ايتها النفس المطمئنة
ارجعي الى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي
جنتي قال الشيخ العارف ابو محمد عبد العزيز المهدوي النفس
المطمئنة هي التي تخلصت من السوء لم يبق بينها وبين السوء
نسبة وكانت مباديها في اكتساب الايمان والرضا المكتسب
فلما صفت وتطهرت من جهة المخلوقات وزال الحجاب الذي
هو صفة الخلق سمعت النداء من مكان قريب فاجابت لعدم الحجاب
فخرجت المواهب والرضا الوصفي الوهبي الذي قال الله فيه
رضي الله عنهم ورضوا عنه فدخلت في رضا الله المطلق الموهوب
وفي عباده وجنته لا في جنتها لوصف كسبها واعمالها انتهى
وعلامة وصول المريد الى هذا المقام الحميد ان تستوي عنده
الاحوال ولا يتأثر باطنه بما يواجه به من قبيح الافعال والاقوال
لاستغراق قلبه في مطالعة حضرة الكمال قال ابو عثمان
الحيري لا يكمل الرجل حتى يستوي قلبه في اربعة اشيا في المنع
والعطا والعز والذل وقال محمد بن خفيف قدم علينا بعض
اصحابنا فاعتل وكانت علته البطن فكنت اخدمه واخذ منه
الطست طول الليل فغفوت مرة فقال لي نمت لعنك الله
فقيل له كيف وجدت نفسك عند قوله لعنك الله قال كقوله
رحمك الله وحكي عن ابرهيم بن ادهم انه قال ما سررت في الاسلام

الا مرات معدودات كنت في مركب يوما وكان به رجل يحكي
الحكايات المضحكة فيضحك منه الناس وكان يقول رايت
ونحن في معركة الترك علجا فقلت هكذا وكان ياخذ بلحيتي
ويمر يده على حلقي هكذا والناس يضحكون منه ولم يكن في ذلك
المركب عنده احد اصغر مني ولا احقر فسررت بذلك ويوم
اخر كنت جالسا فجاء انسان وصفعني من غير سبب ويوم
اخر جاء انسان وبال علي وكان في وقت حاتم الاصم
رجل سيئ القول فيه وفي اصحابه ويواجههم كل يوم بالقبيح
فوقع جذع من السقف في بعض الايام في جامع مزاحمة القوم
بالسب والشتم فمات فقال الحمد لله فقيل له هذا اخلاقه وما تاسرني
فعلام ما حمدت الله ثم ثق لموته بل حمدت الله اذ لم اسر
بنكبته هذا واشباهه من احوالهم معلومة مشهورة والابلغ
من هذا كله محبة الموت وكراهة البقاء في الدنيا شوقا الى لقاء
المولى قال بعضهم حقيقة زوال الهوى من القلب حب لقاء
الله تعالى في كل نفس من غير اختيار حالة تكون المرء عليها
فاذا وجد المريد هذه العلامات في نفسه فقد خرج من
عالم جنسه ووصل الى حضرة قدسه وكان كما قال الشاعر
• لك الدهر طوع والانام عبيد • فعش كل يوم من زمانك عيد •
وكما قال سيدي ابو العباس بن العريف رضي الله عنه في هذا
المعنى بدا لك سر طال عنك اكتتامه • ولاح صباح كنت انت ظلامه • ضياءه
• فانت حجاب القلب عن سر غيبه • ولولاك لم يطبع عليه ختامه •
• فان غبت عنه حل فيه وطنبت • على منكب الكشف المصون خيامه •
• وجاء حديث لا يمل سماعه • شهي الينا نثره ونظامه •

اذا سبقته النفس كان نعيمها * ورد الى عين القلب المعنى غرامه
وانشد وفي معناه ايضا قول الاماني الا فاتعدى قد الحزن
الاحباب في موعدي * فقد كنت قبل اليوم مستانسا منهم بحكم شقوق
سعدي * وان نسيم الوصل منكم هب في نعم سن لطف ندى *
وحيث لاحت لى اعلامهم فليس لى فقر الكثير شربي * وان لم نفس
يجدها فى نفسه فليتبرك سلوكه ومجاهداته ولا يغتر بما
يتراءا له من سنحاته فانه لم يزل بعد ولم يخط له
من هوى نفسه قدم وليس طريق موت النفس بقطع جميع
الارفاق عنها وردها الى الاحترا بالخشن او النخالة والمبالغة
فى التقشف والتقلل مع قطع الفكر عن احوال القلب وهممه
وقصوده وارادته وترك الالتفات الى ما يختص منها ويذم
فذلك كله غلط وبدعة وقد غلط فى هذا طوائف من الناس
عملوا عليه فى رياضاتهم ومجاهداتهم ولم يقصدوا بذلك
اخلاص العبودية لربهم فادّاهم ذلك الى اختلال عقولهم
واختلال قوى ابدانهم ولم يحصلوا من امرهم على طائل *
وذلك لجهلهم بالسنة وما كان عليه سلف هذه الامة **جعلك
فى العالم المتوسط بين ملكه وملكوته ليعلمك جلالة
قدرك بين مخلوقاته وانك جوهرة تنطوى عليك اصداف
مكوناته** خلق الله تعالى الانسان فى احسن تقويم والتسوية
والتعديل وجعل بنيته متضمنة اسرار جميع الموجودات
علويها وسفليها لطيفها وكثيفها فصار بذلك روحانيا جسمانيا
ارضيا سماويا ولذلك يقال له العالم المتوسط بين عالم الملك
وعالم الملكوت وعالم الملك هو عالم الشهادة وعالم الملكوت
هو

الاصغر وهذا هو الذى يظهر فى معنى جعله فى العالم

هو عالم الغيب فلاجرم كان الانسان بهذه المثابة من كونه
نخبة جميع الموجودات الجسمانيات والروحانيات كانت
الاكوان كلها باعتبار احاطتها به وحفظها له بمنزلة القشر
والصوان الذى يحفظ الشى ويصونه وكان هو بمنزلة
الجوهرة النفيسة التى تحويها الصدفة والمقصود من هذا
ان يعرف الانسان جلالة قدره وفخامة امره فيعلو بهمته
الى المراتب السامية اللايقة به وذلك باخلاص العبودية
لربه عز وجل وقطع النظر عن كل ما سواه فيتذكر هذا المعنى
الى ما قال الشاعر * اذ كنت كرسيا وعرشا وجنة * ونارا وافلاكا
تدور واملاكها * وكنت من السر المصون سريرة * وادركت
هذا بالحقيقة ادراكها * ففيم التانى فى الحضيض مثبطا مقيما فيما
مع الاسرى اماطات اشراكها * قال الشيخ ابو العباس المرسى
الاكوان كلها عبيد مسخرات وانت عبد الحضرة فقد ورد
فى بعض الكتب المنزلة يا ابن ادم انا بدك اللازم فالزم
بدك وفى بعض الاخبار عن الله عز وجل يا ابن ادم خلقت الاشياء
كلها من اجلك وخلقتك من اجلى فلا تشتغل بما هو لك عمن
انت له وقال الواسطى فى معنى قوله تعالى ولقد كرمنا بنى
ادم بان سخرنا لهم الكون وما فيه لئلا يكونوا فى تسخير شى
وينفرغوا الى عبادة ربهم **وسعك الكون من حيث جسمانيتك
ولم يسعك من حيث ثبوت روحانيتك** انما وسعك الكون
من حيث جسمانيتك لوجود المناسبة والمجانسة ووسعه لك باعتبار
ما ذكرناه انما هو باعتبار به وتمامها وكان هيئته وقوته
من مناكح حاجاتك عليه ولا خاصية لك فى هذا ايضا الانسان لا دمن تنتشر

احلامت ذلك وانما لم يسعك من حيث ثبوت روحانيتك العرشية
المناسبة فلا يسعك حينيذ ولا يناسبك الا التعلق بالمكون
وهذه هي خاصيتك التي بها سموك وعلوك ورفعة قدرك
فلم تهملها وتنحط بها الى اسفل سافلين وقال ابو عبد الله
بن الجلا من علت همته عن الاكوان وصل الى مكونها ومن وقف
بهمته على شي سوى الحق فاته الحق لانه اعز من ان يرضى معه
شريك وسيل احمد بن خضرويه اي الاعمال افضل فقال رعاية
السر عن الالتفات الى شي سوى الله **المحجوب في الكون ولم يفتح له**
ميادين الغيوب مسجون بمحيطاته ومحصور في هيكل ذاته
من لازم الكون وبقي معه وقصر همته عليه ولم تفتح له ميادين
الغيوب الملكوتية ولا خلص بسره الى مشاهدة الوحدانية فضاء ح
فهو مسجون بمحيطاته ومحصور في هيكل ذاته وهذه
صفة اصحاب النار كما قال تعالى احاط بهم سرادقها وليس في
جهنم عذاب اعظم من السجن والحصر والضيق والقهر كما قال تعالى
واذا القوا منها مكانا ضيقا مقرنين دعوا هنالك ثبورا وما ذكرناه مكانا ح
هو حال من بقي مع نفسه وعمل على ذلك حكما بينا ما كان وفي بعض
الاثار المروية عن الله تعالى يا عبدي اجعلني مكان همك اكفك
كل همك ما كنت بك فانت في محل البعد وما كنت بي فانت في محل
القرب فاختر لنفسك **انت مع الاكوان ما لم تشهد المكون** بما اردت ح
فاذا شهدته كانت الاكوان معك فرق ما بين كونك مع الاكوان ح
وكون الاكوان معك فان كونك مع الاكوان يقتضي تقييدك بها
وحاجتك اليها فانت بذلك عبد لها هو خلاف الحرية وسلامتك احرى
ما تلونت اليها وهذه همة خسيسة يقتضيها عدم شهودك للمكون
وكون

٢٢٨

وكون الاكوان معك يقتضي ملكك لها واستغنائك عنها فانت
حينيذ حر عنها وهي محتاجة اليك وخادمة لك ومتبركة بك
حتى الجمادات والحيوانات قال الشبلي لن تخطر الكون ببال
من عرف المكون وهذه حالة نفيسة يقتضيها شهودك للمكون
قال بعض المشايخ انا ادخل السوق والاشيا مشتاقة الي
وانا منها جميعها حر وعن المزين الكبير قال كنت مع ابرهيم
الخواص في بعض اسفاره فاذا عقرب يسعى على فخذه فقمت الا
لاقتلها فمنعني وقال دعها كل شي مفتقر الينا ولسنا مفتقرين
الى شي وقال محمد بن المبارك الصوفي رحمه الله كنت مع ابرهيم
بن ادهم في طريق بيت المقدس فنزلنا وقت القايلة تحت
شجرة رمان فصلينا ركعات فسمعت صوتا من اصل الرمان
يا ابا اسحق اكرمنا بان تاكل منا شيا فطاطا ابرهيم راسه
فقال ذلك ثلث مرات ثم قال يا محمد كن شفيعنا اليه ليتناول
منا شيا فقلت يا ابا اسحق لقد سمعت فقام واخذ منها رمانتين
فاكل واحدة وناولني الاخرى فاكلتها وفي غير هذه الحكاية ان
الشجرة كانت قصيرة ورمانها حامض وانما تطعم في كل عامين مرة
فعلت وارتفعت وحلا ثمرها وصارت تطعم في كل عام مرتين
وكانت السباع تجي الى سهل بن عبد الله فيدخلهم بيتا عنده ويضيفهم
ويطعمهم اللحم وقال ابرهيم الخواص كنت في البادية فسرت
في وسط النهار فوصلت الى شجرة وبالقرب منها ما فنزلت فاذا انا
بسبع عظيم قد اقبل فلما قرب مني اذا هو يعرج وبرك بين يدي فهمهم ح
ووضع يده في حجري فنظرت فاذا يده منتفخة فيها قيح ودم فاخذت
خشبة وشققت الموضع الذي فيه القيح وشددت على يده خرقة فمضى

فاذا بعد ساعة جاء ومعه ثلاث يبصصان رحمه إليّ
رغيفا وقال بعضهم اشرفت على ابرهيم بن ادهم وهو في بستان
تحفظه وقد اخذه النوم واذا حية في فيها طاقة نرجس تروحه
بها وذكر عن ابي اسحق الصعلوكي رحمه الله قال خرجت
مرة الى الحج فبينما انا في البادية اذ تهت فلما جن علي الليل
وكانت ليلة قمرا سمعت صوت شخص ضعيف يقول يا ابا
اسحق قد انتظرتك من الغداة قال فدنوت منه فاذا هو
شاب نحيف اشرف على الموت ومعه رياحين كثيرة منها
ما عرفته ومنها ما لم اعرفه فقلت من اين انت فقال من
مدينة شمشاط كنت في عز وثروة فطالبتني نفسي بالعزلة
فخرجت وقد اشرفت على الموت فعطشت فسالت الله تعالى
ان يبعث لي وليا من اوليائه فارجو ان تكون هو قال فقلت الك
والدات قال نعم واخوة واخوات فقلت هل اشتقت اليهم
والى ذكرهم فقال لا الا اليوم اردت ان اشم ريحهم فاحتوشني
السباع والبهائم وبكين معي وحملت الي هذه الرياحين قال
فبينما انا في تلك الحال يرق له قلبي اذ الحية اقبلت في فيها
طاقة نرجس فقالت كف شرك عنه فان الله تعالى يغار على اوليائه
قال فغشي علي فما افقت حتى خرجت نفسه ثم وقع علي سبات
فانتبهت وانا على الجادة قال فدخلت مدينة شمشاط بعد
ما حججت فاستقبلتني امراة بيدها كوز فما رايت اشبه بالشاب
منها فلما راتني قالت يا ابا اسحق كيف رايت الشاب فاني انتظرتك
منذ ثلث فذكرت لها القصة الى ان قلت قال اردت ان اشم ريحهم
فصاحت وقالت اه بلغ الشم وخرجت نفسها تحت التراب لها

عليهن المرقعات والغول فتكفلت امرها وتوليت شانها
رضي الله عنهم اجمعين فهكذا يكون حال من يكون
عالي الهمة شريف الارادة والنية لا يساكن احدا من
المخلوقات ولا يركن نفسه علي شيء من المصنوعات فيكفيه
الله تعالى بامره ويجعل الكون خادما له باسره ورزقنا
الله واياكم ما رزقهم ووفقنا لما وفقهم بمنه
وكرمه **لا يلزم من ثبوت الخصوصية عدم وصف
البشرية انما مثل الخصوصية كاشراق شمس النهار
ظهرت في الافق وليست منه تارة تشرق شموس اوصافه
على ليل وجودك وتارة يقبض ذلك عنك فيردك
الى حدودك فالنهار ليس منك اليك ولكنه وارد عليك**
ثبوت الخصوصية للعبد لا يلزم منه عدم وصف البشرية لان الوصف
البشري امر ذاتي لازم للعبد والامور الذاتية يستحيل
عدمها وانقلابها وانما اللازم من ذلك عدم غلبة احكام
ذلك الوصف على العبد فقط لاجل الوارد الغالب فان قدر
ذهاب هذا الوارد الغالب بقي وصف البشرية غالبا قاهرا
وكان العبد في يده اسيرا ومثال ذلك من المحسوسات اشراق
شمس النهار على الافاق المظلمة ليذهب اثار ظلمانيتها فتستنير
بذلك وتشرق فاذا غابت الشمس رجعت الى حالها من الظلمة
لان النور ليس بذاتي لها وهو معنى قوله وليست منه ومعنى
الخصوصية المذكورة هي ما يخص الحق تعالى به اولياءه من ظهور
اوصافه العلية ونعوته القدسية عليهم ليغطي بذلك اوصاف

نفوسهم الدنية الردية عنهم ليلا تظهر اثار كدوراتها
في صفاء اوقاتهم كما تقدم من قوله اذا اراد ان يوصلك اليه
ستر وصفك بوصفه وغطى نعتك بنعته فاذا اشرقت
انوار ذلك على ليل وجودهم ذهب ظلمات نفوسهم
وبقوا في نهار الوصلة والقربة من غير حول منهم ولا قوة
وهو معنى قوله فالنهار ليس منك اليك وان غابت عنهم
تلك الانوار المشرقة رجعوا الى اصلهم ولزموا
الوقوف عند حدهم وكانوا في ليل الخليقة والحجبة كما كانوا
قبل ذلك والغرض من هذا الرد على طوائف غلطت في الامر
وتغالت وزعمت ان القرب من الله تعالى والوصول اليه
انما يكون بعدم اوصاف البشرية وزوالها بالكلية واتصافه
بصفات الربوبية بدلا منها وفسرت بهذا ما عبرت به المشايخ
الفنا والبقا فوقعوا من ذلك في ضلال وزندقة نعوذ
بالله من ذلك والمعنى الصحيح في ذلك انما هو ما ذكره المؤلف
رحمه الله تعالى ههنا دل بوجود اثاره على وجود اسمايه
وبوجود اسمايه على ثبوت اوصافه وبوجود اوصافه
على وجود ذاته اذ محال ان يقوم الوصف بنفسه
فارباب الجذب يكشف لهم عن كمال ذاته ثم يردهم
الى شهود صفاته ثم يرجعهم الى التعلق باسمايه
ثم يردهم الى شهود اثاره والسالكون على عكس هذا
فنهاية السالكين بداية المجذوبين وبداية السالكين
نهاية المجذوبين لكن لا بمعنى واحد فربما التقيا في
الطريق

الطريق هذا في ترقيه وهذا في تدليه عباد الله
المخصوصين بالقرب منه والوصول اليه ينقسمون الى
قسمين سالكين ومجذوبين فاما السالكين فالاستدلال
بالاشيا عليه وهم الذين يقولون ما راينا شيا الا راينا
الله بعده وشان المجذوبين الاستدلال به على الاشياء
وهم الذين يقولون ما راينا شيا الا وراينا الله
قبله ولا شك ان الدليل ابدا اظهر من المدلول فاول
ما ظهر للسالكين الاثار وهي الافعال فاستدلوا بها على
الاسما وبالاسما على الصفات وبالصفات على وجود الذات
فكان حالهم الترقي والصعود من اسفل الى اعلى واول
ما ظهر للمجذوبين حقيقة كمال الذات المقدسة ثم ردوا
منها الى مشاهدة الصفات ثم رجعوا الى التعلق بالاسما ثم انزلوا
الى شهود الاثار فكان حالهم التدلي والتنزل من اعلى
الى اسفل في بداية الامر والسالكون من شهود الاثار اليه
انتهى بالمجذوبين وما ابتدى به المجذوبون من كشف
حقيقة الذات اليه انتهى السالكون لكن لا بمعنى واحد فان مراد
السالكين شهود الاشيا لله والمراد بالمجذوبين شهود
الاشيا بالله فالسالكون عاملون على تحقيق الفنا والمجذوبون
مسلوك بهم طريق البقا والصحو وعلى كان شان الفريقين
التنزل في تلك المنازل المذكورة لزم التقاهما في طريق
سيرهما السالكين مترق والمجذوب متدل لا يتفق قدم
اسرار الاسرار التي هي شهود ذات الحكم
انوار القلوب والاسرار التي تحجب الملكوت كما لا يظهر

أنوار القلوب والأسرار المشرقة عليها من سما التوحيد والمعرفة
لا يعرف قدرها إلا في غيب الملكوت وهو عالم الآخرة وهناك
يحصل لهم تمام هذه الأنوار فمن آمن بالغيب كان له من ذلك
الحظ الأوفر كما أن الأنوار السما المشرقة على ظواهر الأجرام
لا تظهر إلا في شهادة الملك وهو عالم الدنيا وذلك لحصول
المناسبة بين هذه الأشياء **وجود ثمرة الطاعات عاجلا
بشائر العاملين بوجود الجزاء عليها آجلا** ما يجده العاملون
بطاعة الله تعالى في أعمالهم عاجلا من مزيد الإيمان واليقين
وثمرتها روح الأنس ولذيذ القرب ولطيف الوصل بشائر
من الله تعالى عاجلة بوجود الجزاء عليها من الدار الآخرة
بأنها مقبولة عند الله تعالى وقد تقدم هذا المعنى عند قوله
من وجد ثمرة عمله عاجلا فهو دليل على وجود القبول
كيف تطلب العوض على عمل هو منفضل به عليك أم كيف متصدق صح
تطلب الجزاء عن صدق هو مهديه إليك العمل الذي يصح طلب
العوض والجزاء عليه هو ما عملته لينتفع به غيرك ولم يحصل
لك منه لك منفعة ولم يندفع عنك بسببه مضرة والأعمال الدينية
المطلوبة منك ظاهرا وباطنا خلاف هذا كله إذ هي مجلوبة
عنك منسوبة إلى ربك خلقها واخترعها عائد ثمرة ذلك ومنفعته
عليك في ظاهرك وباطنك وهو غني عنك وعنها ولذلك لم يكلك إلا الانتفاع
إلا لمنفعتك وطلب العوض والجزاء إذا على عمل هذا صفته في غاية
القبح والذكر صدر المؤلف رحمه الله كلامه بكيف ليحصل منه ذلك
الوصف قال الواحد الحكمي مطالبة الأعواض على الطاعات من نسيان الفضل
وسئل أبو العباس ابن عطاء أقرب شيء إلى مقت الله تعالى قال رؤية
النفس

عبر عنها بالتصدق والإهداء تنبيها على أنه ذكره

النفس وأفعالها وأشد من ذلك مطالبة الأعواض على أفعالها واستعمال
المؤلف رحمه الله لفظ الصدقة في الأعمال الظاهرة ولفظ الهدية
في الصدق وعليه من أسرار الأعمال الباطنة إشعار بتباينهما في الشرف
كتباين الصدقة والهدية **قوم تسبق أنوارهم أذكارهم
وقوم تسبق أذكارهم أنوارهم ذاكر ذكر ليستنير قلبه
وذاكر استنار قلبه فكان ذاكرا** سبقية الأذكار للأنوار
حال المريدين السالكين وذلك أن شأنهم المجاهدة والمكابدة
فهم يأتون بالأذكار في حال تخلو منهم وتعمل ليحصل لهم
بذلك زوايد الأنوار وإلى هذا المعنى الإشارة بقوله تعالى
والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وسبقية الأنوار للأذكار
هو حال المرادين المجذوبين لأنهم مغامرون في السهولة والخفة
فهم لما دهموا بالأنوار حصلت منهم الأذكار بلا تكلف ولا تعمل
قال في لطائف المنن حاكيا عن شيخه أبي العباس المرسي قال رضي الله
عنه الناس على قسمين قوم وصلوا بكرامة الله إلى طاعة الله
وقوم وصلوا بطاعة الله إلى كرامة الله قال الله سبحانه الله يجتبي إليه
من يشاء ويهدي إليه من ينيب قال ومعنى كلام الشيخ هذا أن من
الناس من حرك الله همته لطلب الوصول فصار يطوي مهامه نفسه وبيداء
طبعه إلى أن وصل إلى حضرة ربه يصدق وعلى هذا قوله سبحانه والذين
جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ومن الناس من فاجأته عناية
من غير طلب ولا استعداد ويشهد لذلك قوله يختص برحمته
من يشاء فالأول حال السالكين والثاني حال المجذوبين ومن كانت
مبدأه المعاملة فنهايته المواصلة ومن كانت مبدأه المواصلة رد إلى
وجود المعاملة ولا تختلف المجذوب فلا بد له بد له الحق

طوتها عناية الله تعالى به فسلكها مسرعا الى ربه بقاى عاجلا
وكثيرا ما تسمع عند مراجعات المنتسبين للطريق السالك
اتم من المجذوب لان السالك عرف طريقا بها يوصله اليه والمجذوب
ليس كذلك وهذا انما هو على المجذوب الذي لا طريق له وليس الامر كما زعموا
فان المجذوب طويت الطريق له ولم تكن عنه ومن طويت له الطريق
لم تفته ولم تغب عنه وانما فاته متاعبها وطول امدها فالمجذوب
كمن طويت له الطريق الى مكة والسالك كان يسير اليها على
كور المطايا انتهى ما ذكره في حال الجذب والسلوك وهو
حسن قل ان يوجد لغيره فلذلك اوردته ههنا
بكماله ما كان ظاهر ذكر الا عن باطن شهود وفكر
اعمال الظاهر تبع لما يكون في الباطن وقد تقدم هذا المعنى
عند قوله ما استودع في غيب السرائر ظهر في شهادة الظواهر
فالذكر الظاهر لا محالة ثمرة باطن الشهود والفكر ثم بين
هذا المعنى بقوله اشهدك من قبل ان استشهدك فنطقت
بالالهيته الظواهر وتحققت باحديته القلوب والسرائر
كاشف الله القلوب والاسرار في غيب الغيب بحقائق ربوبيته وجبروته
واحاطة قيوميته فلما اشهدها ذلك اضمحلت وتلاشت وتدكدكت
فتحققت بذلك الاحدية فلما اظهرها في عالم الشهادة ملتبسة
بالاجسام والهياكل طلب منها الشهادة له بالالهية فشهدت بلسان
حالها ومقالها فكانت الشهادة منها لما استشهدت تبعا للشهود
لما شهدت في الغيب حيث سره بوصف الجمع ومن حيث ظاهره
وجسمه بنعت الفرق ولا بد في هذا الطريق من وجود الجمع والفرق
وقد قالوا كل جمع بلا تفرقة زندقة وكل تفرقة بلا جمع تعطيل

وقال

وقال الجنيد في معنى الجمع والفرقة وتحققتك في سري فناجاك
لساني فاجتمعنا لمعان وافترقنا لمعان ان يكن غيبك التعظيم
عن لحظ عياني فلقد صيرك الوجد من الاحشاء داني
اكرمك كرامات ثلاث جعلك ذاكرا له ولولا فضله لم
تكن اهلا لجريان ذكره عليك وجعلك مذكورا به
اذ حقق نسبته لديك وجعلك مذكورا عنده فتمم نعمته
عليك اكرم الله تعالى عبده المؤمن كرامات جمع فيها المفاخر بثلاث
والمحامد اولها كونه ذاكرا له بان اجرى ذكره على قلبه
ولسانه ومن اين له ذلك وباي وسيلة نال لولا فضل الله
وكرمه وثانيها كونه مذكورا به حيث قال له عبد الله ووليه
وصفيه ومختاره وذلك بما اكرمه به من تحقيق النسبة
لديه وهي اثبات الخصوصية وقد تقدم معنى الخصوصية
وثالثها كونه مذكورا عنده وهذه غاية الاكرام ومنتهى
الفضل والانعام قال الله تعالى ولذكر الله اكبر قيل معناه
وذكر الله عبده اكبر من ذكر العبد له وفي حديث ابي بن كعب
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم امرت ان
اقرا عليك القران قال قلت يا رسول الله سماني لك ربك
قال نعم فقرا عليه قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا
هو خير مما يجمعون وفي حديث ابي حية البدري قال لما نزلت
لم يكن الذين كفروا الى اخرها قال جبريل عليه السلام ان ربك
يامرك ان تقرئها ابيا فقال النبي صلى الله عليه وسلم لابي ان
جبريل عليه السلام امرني ان اقريك هذه السورة قال ابي او ذكرت
ثم يا رسول الله قال نعم فبكى ابي وفي حديث ابي هريرة رضي الله عنه

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى أنا عند ظن
عبدي بي وأنا معه حين يذكرني ان ذكرني في نفسه ذكرته
في نفسي وان ذكرني في ملا ذكرته في ملا خير منه وان تقرب
مني شبرا تقربت منه ذراعا وان تقرب الي ذراعا تقربت اليه
باعا وان اتاني يمشي اتيته هرولة وعن ابي هريرة رضي الله عنه
وابي سعيد الخدري رضي الله عنهما انهما شهدا على النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال ما جلس قوم مسلمون مجلسا يذكرون الله فيه
الا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله
فيمن عنده قال يحيى بن معاذ يا غفول يا جهول لو سمعت صرير
القلم حين يجري في اللوح المحفوظ بذكرك لمت طربا رب عمر
اتسعت آماده وقلت امداده ورب عمر قليلة آماده
كثيرة امداده الامدادات الالهية التي يمد الحق تعالى
بها عباده المؤمنين زيادة في ايمانهم وتقوية لايقانهم
لا اثر فيها لطول العمر ولا قصره فلا تنتقص بكبره ولا تزيد
به ولا تقل ولا تكثر وانما ترد عليهم من خزائن الفضل والكرم
بحسب قوة استعداداتهم وكمال قابليتهم وتختلف هذه باختلاف
تراكيب خلقهم وجبول فطرتهم ولا مدخل للزمان في هذا
الا بالعرض وبهذا فضلت هذه الامة سائر الامم مع قصر
اعمارها وطول اعمار غيرهم قال احمد بن ابي الحواري قلت
لابي سليمان الداراني رضي الله عنه قد غبطت بني اسرائيل قال
باي شيء قلت بثمانمائة سنة حتى يصيروا كالشنان البالية
وكالحنايا وكالاوتار قال ما ظننت الا وقد جئت بشيء والله
ما يريد الله منا ان تيبس جلودنا على عظامنا ولا يريد منا الا صدق
النية

النية فيما عنده هذا اذا صدق في عشرة ايام نال ما ناله ذلك
في عمره من بورك له في عمره ادرك في يسير من الزمن
من منن الله تعالى ما لا يدخل تحت دوائر العبارة
ولا تلحقه الاشارة البركة في العمر بان يرزق العبد من الفطنة
واليقظة ما يحمله على اغتنام اوقاته وانتهاز فرصة امكانه
خشية فواته فيبادر الى الاعمال القلبية والبدنية ويستفرغ
في ذلك مجهوده بالكلية ومن اثناء ذلك يصل اليه من المنح الالهية
وتشرق عليه من الانوار الربانية ما تعجز العبارة
عنه ولا تنتهي الاشارة اليه ويحصل ذلك في زمن يسير وعمر
قصير فيرتفع له في شهر مثلا ما لم يرتفع لغيره في الف شهر
قال بعض العلماء كل ليلة للعارف بمنزلة ليلة القدر
وقال سيدي ابو العباس المرسي رضي الله عنه وكان يقول اوقاتنا
والحمد لله كلها بمنزلة ليلة القدر فهذا هو البركة في العمر الطويلة
وزيادة مدته وقيل هذا المعنى في تاويل ما روي
في الخبر ان البر يزيد في العمر الخذلان كل الخذلان ان تتفرغ
من الشواغل ثم لا تتوجه اليه وتقل عوائقك ثم لا ترحل
اليه من الخذلان ان تصل العوائق والشواغل عن التوجه
الى الله تعالى والرحلة اليه بل الواجب عليك ان تبادر
الى ذلك وتترك العوائق والشواغل خلف ظهرك كما قيل
سيروا الى الله عز وجل عرجا ومكاسير ولا تنتظروا الصحة
فان انتظار الصحة بطالة قال الله عز وجل انفروا خفافا
وثقالا وقد تقدم هذا المعنى عند قوله احالتك الاعمال على
وجود الفراغ من رعونات النفس فان زالت شواغلك وقلت

عواقبك ثم قعدت عن التوبة والرحيل فهو الخذلان بهذا الخذلان
اعاذنا الله منه قال الامام ابو القسم القشيري رحمه الله
فراغ القلب عن الاشغال نعمة عظيمة فاذا كفر عبد هذه النعمة
بان فتح على نفسه باب الهوى وانجر في قياد الشهوات
شوش الله عليه نعمة قلبه وسلبه ما كان يجد من صفاء قلبه
الفكرة سير القلب في ميادين الاعتبار الفكرة التي امر بها
العبد وحض بها هي سير القلب في ميادين الاعتبار وفقك وهي
مخلوقات الله تعالى ومصنوعاته واما الفكر في ذات
الله فلا سبيل اليها يعتبر المتفكرون باياته ولا يتفكرون
في ماهية ذاته روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم البرقوما فقال ما لكم فقالوا نتفكر في الخالق
فقال تفكروا في خلقه ولا تتفكروا في الخالق فانكم لا تقدرون
قدره قال الامام ابو القسم القشيري التفكر نعت كل طالب
وثمرته الوصول بشرط العلم فاذا سلم الفكر عن الشوائب ورد
صاحبه على مناهل التحقيق ثم فكر الزاهدين في فناء الدنيا وقلة
وفائها للطالبين بها فيزدادون بالفكر زهدا فيها وفكر العابدين
في جميل الثواب فيزدادون نشاطا عليه ورغبة فيه وفكر
العارفين في الالاء والنعماء فيزدادون محبة للخالق سبحانه
وقال الجنيد اشرف المجالس واعلاها الجلوس مع الفكرة في ميدان
التوحيد وفي بعض النسخ الفكرة سراج القلب في ميادين الاعتبار
ومعناه ظاهر **الفكرة سراج القلب فاذا ذهبت فلا اضاءة
له** القلب الخالي من الفكرة خال من النور مظلم بوجود الجهل والغرور
وقد تقدم هذا المعنى عند قوله ما نفع القلب شيء مثل عزلة يدخل
بها

بها ميدان فكرة **الفكرة فكرتان فكرة تصديق وايمان
وفكرة شهود وعيان فالاولى لارباب الاعتبار والثانية
لارباب الشهود والاستبصار** تقدم الان ان الفكرة سير
القلب في ميادين الاعتبار وسيره على وجهين صعود ونزول
فالصعود لارباب الاعتبار وهي فكرة ناشئة عن التصديق
والايمان وهذا للسالكين وهو حال ترقيهم وهو نعت
المستدلين بالاثار وبها على المؤثر والنزول لارباب الشهود
والاستبصار وفكرتهم ناشئة عن الشهود والعيان وهذا
للمجذوبين وهو حال تدليهم وهو وصف المستدلين
بالمؤثر على الاثار وقد تقدم هذا المعنى عند ذكر المجذوب والسالك
وقال رضي الله عنه في النسخة لبعض اخوانه هذا الكتاب تضمن
ذكر حال السالك من اول ابتداء سفره الى نهايته وحصوله
في مستقره وذكر اداب السلوك والوصول وفوائد رحمه الله في
ذكر بعبارات صحيحة فصيحة واستعارات حسنة بليغة على طريقة
وعظية اذا سمعها السامع طرب لها قلبه وهام فيها عقله ولبه
وما ذاك الا لما علق بها من انوار قلب المتكلم وقد قال فيما
تقدم كل كلام يبرز وعليه كسوة القلب الذي منه برز
اما بعد فان البدايات مجلات النهايات الجلاء مجال
التجلي والظهور فالسالك في ابتداء سلوكه يتجلى له امر نهايته
وان من كانت الى الله بدايته كانت اليه نهايته هذا بيان
ما ذكره ومعنى كون بدايته بالله ان يكون مجاهداته ومكابداته
وانواع رياضاته مصحوبة بالاستعانة منه بالله تعالى والاعتماد
عليه والانقطاع اليه فبذلك تتم له وتنفذ في توجهه وسلوكه كما تقدم

عند قوله ما توقف مطلب انت طالبه بربك ومعنى كون انتهايه
الى الله ان ينكشف له انفراد الله تعالى بالقيومية وتوحده بالديمومية
وانه هو الاول والاخر والظاهر والباطن انكشافا يظهر له به عدمية
ذاته وتلاشيه وقد تكرر له وضوحا له قال الله تعالى بل نقذف
بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق ولما صحت للمريد تلك
البداية بما ذكرنا وصل الى هذه النهاية وقد تقدم هذا المعنى
في قوله من علامة النجح في النهايات الرجوع الى الله في البدايات
والمشتغل به هو الذي احببته وسارعت اليه والمشتغل عنه
هو المؤثر عليه المشتغل به ايها المريد السالك انما هو عملك
على التقرب من ربك والتوصل اليه بالطاعة والعبودية له وهو
الذي احببته وسارعت الى اجابة دعوته فيحق عليك ان
لا تشتغل ذلك المشتغل به لكون قرة عينك به والمشتغل عنه
انما هو متابعة حظوظك العاجلة ومراداتك الزايلة وهو
الذي يستحق الايثار عليه اذ هو فان مضمحل لا حقيقة له فاجتنب
عنه نفسا ولا تعمل فيه عقلا ولا همّا وهذا الكلام تهييج للسالك
وانعاش لقوته وانهاض لهمته قال الشيخ ابو القاسم عبد
الرحمن الصقلي رضي الله عنه سمعت عبد الله بن اسحق الغافقي
يقول ما انتفعت الا بدعاء رجل بمكة مررت الى المسجد الحرام
بالسحر فاذا برجل يسف التراب فقلت مجهود او مجنون ثم قلت
له يا هذا اتسف التراب قال فما الذي تراب هو بنفرنا ولكن
قال فما شكاية سويق او قند انا اسال ايهما قال فقلت
ما لله وجثوت على ركبتي وقلت ادع الله لي قال عرفك
الله قدر ما تطلب حتى يهون عليك ما تترك وترت من اليقن
ات

ايهما

القند هو السكر

ان الله ودليله صدق الطلب اليه ومن علامات الامور بيد الله
النجح بالتوكل عليه العبد مطلوب لربه عز وجل باقامة وظائف
العبودية له وذلك بما اختصه به من العقل والفهم وما رزقه
من المعرفة والعلم لكن ثمرة ذلك الطلب عائدة الى العبد فلم
لا يصدق العبد في طلبه واجتهاده اذا ايقن بذلك والامور
كلها بيد الله تعالى ومن ذلك سعيه وكدحه فلم لا يتوكل عليه
في ذلك فيجمع همه ويستريح امره اذا علم ذلك فالقسم الاول
قيام بمقتضى الشريعة والقسم الثاني وفاء بحق الحقيقة ولا بد
لبناء هذا الوجود ان تنهدم دعائمه وان تسلب كرائمه
ذكر هذا المعنى تسلية للعبد عما يفوته في حال سلوكه من حظوظه
وشهواته لانه اذا علم ان هذه الاشياء لا بد ان تزال عنه او يزال
عنها ولو بعد حين وما هو آت قريب لم يغتبط بما يكون مآل
امره الى ذلك ويكون طيب النفس بتركه وتنهد الى عائم
وسلب الكرائم منه الاستعارات البديعة فالعاقل من كان
بما هو ابقى افرح منه بما هو يفنى قد اشرق نوره
وظهرت تباشيره فرح العبد بالاشياء الفانية هو موجب
للزيادة في همه وغمه اذا فقدها قال سهل بن عبد الله
رضي الله عنه من فرح بغير مفروح به اجتلب حزنا لا انقضاء له
وقد تقدم هذا المعنى عند قوله ليقل ما تفرح به يقل ما تحزن
عليه فالعاقل لا يفرح بذلك ولا يحبه بل يكرهه ويبغضه وانما
يكون فرحه بالامور الباقية التي لا تفنى فذا اشرقت انوار ذلك عليه
وظهرت تباشيره على وجهه واشراق النور وظهور البشاير
نتائج الحقيقة في مقام الزهد فصل وممن هذه الدار مغضبا

وأعرض عنها موليا فلم يتخذها وطنا ولا جعلها مسكنا
فلما كان العبد على هذا الوصف رغب عن هذه الدار الدنيا وبه
ايما عنها مغضيا جفنيه عن ازايتها من غير مبالاة بذلك معرضا
عنها بوجه قلبه وقد ولاها دبره من غير التفات اليها وهذا
مبالغة في نبذها واطراحها فلم يركنها بظاهره على سبيل التمتع
بها والاستيثار ولم يبال بها بباطنه على جهة المحبة لها والايثار بل نزلها
منزلة الجيف والمضيق ووطن نفسه فيها على تحمل ما يطيق وما لا
يطيق وهذه علامات على تحققه بالزهد في الاحوال الفانية التي
هي بغيضة له فلما وصل الى ذلك حصل له من طهارة قلبه وصفائه
ما حمله على التعلق بمولاه الباقي الدائم بجعل دنياه معبرا يعبر
اليه كما سيقول المؤلف رحمه الله تعالى الان بل انهض الهمة فيها
الى الله وما ربها مستعينا به في الغد ومر عليه هذا ابتدا
سفره بقلبه الى الحضرة العلية وبدا بانهاض الهمة الى ربه
والاستعانة به في الغدو والرواح وهو اساس امره كما تقدم
قال الشاعر • اذا لم يعنك الله فيما تريده • فليس للمخلوق اليه سبيل •
• وان هو لم يرشدك في كل مسلك • ضللت ولو ان السماء دليل •
قال ابو محمد الجريري من توهم ان عملا من اعماله يوصله الى
ما هو له الاعلى والادنى فقد ضل عن طريقه لان النبي صلى الله عليه وسلم
قال لن ينجي احدا منكم عمله فما لا ينجي من المخوف كيف يوصل الى المامول
ومن صح اعتماده على فضل الله فذلك الذي يرجى له الوصول
فما زال الشيخ عزمه له بعزم رائد ابدا بشايرها
الى ان اناخت بحضرة القدس وباك الانس محل المفاتحة
والمواجهة والمجالسة والمحادثة والمشاهدة والمطالعة
فصارت

فصارت الحضرة معششة قلوبهم اليها ياوون وفيها
يسكنون هذه استعارات مليحة استعملها في سفر القلب الى
حضرة الرب وقد تقدم معنى ذلك عند قوله لولا ميادين
النفوس ما تحقق سير السايرين وحضرة القدس وبساط
الانس انما يرفع حجابها للرجال وبلوغ الاوطار والاماكن قبل
ان السالك لا ينحجب عنه رسوم بشريته ويبطل احكام انيته وتتلاشى
له اذ ذاك اوصاف ذهوده العلية لرائد العبد ويكون سره
مع الله بلا اين فلما وصل الى هذه الحضرة العلية ونال هذه
المنقبة السنية قوبل بانواع من الكرامات والالطاف وفتوح
من تحف السادات والاشراف وهي معاني هذه الالفاظ السنية
التي ذكرها المؤلف رحمه الله ولا تعرف الا بالذوق كذلك
التفرقة بين معانيها تختلف التي السايرون عن سيرهم
وحمدوا عاقبة امرهم وصارت حضرة صحبوا بها معششة
قلوبهم دون موطنهم في ذهابهم وايابهم اليها ياوون
اذ الخلق غيرهم يتبعون هواه وهي دار المقامة فيها
يسكنون حين نزع سواهم عن متعة دنياه وههنا
حصل لهم التحقق بمقام الفناء والمحو وهذا هو انتهاء سفرهم
بمعنى الصعود والترقي فان نزلوا الى سماء الحقوق
او ارض الحظوظ فبالاذن والتمكين والرسوخ في اليقين
فلم ينزلوا الى الحقوق بسوء الادب والغفلة ولا الى الحظوظ
بالشهوة والمتعة بل دخلوا في ذلك بالله ولله ومن الله
والى الله هذا هو سفر التدلي والنزول وبه يتحققون
بمقام البقاء والصحو فان نزلوا من سدرة منتهاهم الى سما

الحقوق وهي حقوق الله عليهم بما امرهم به او نهاهم عنه
ليقوموا بذلك فعلا او تركا او الى ارض الحظوظ وهي حظوظ
نفوسهم التي تلذ بها ويحصل لهم الارتفاق بها فانما يكون
نزولهم الى ذلك بالاذن والتمكين والرسوخ في اليقين
ومعنى ذلك انهم يدخلون في الاشيا بمراد الله تعالى لا بمراد
انفسهم ويجدون الاذن من الله تعالى بما يشرق في قلوبهم
من النور الذي جعله الله علما على ذلك وقد ذكر سيدي ابو الحسن
في بعض كلامه قال ومعنى الاذن في حق الولي نور ينبسط على
القلب يخلقه الله تعالى فيه وعليه يعتمد ذلك النور على الشي الذي
يريده فيدرك نورا مع نور او ظلمة تحت ذلك النور تنبسط
ان تاخذ او تبعث او تترك او تختار او تتدبر او تعطي او تمنع
او تقوم او تجلس او تسافر او تقيم هذا باب المباح الماذون فيه
بالتخيير فاذا قارنه القول تاكد الفعل المباح بمراد الله تعالى
فان قارنته نية صحيحة للفعل به زال عنه حكم المباح وصار مندوبا
وان ظهرت الظلمة تحت النور المعتمد من القلب فلا يخلو ذلك
الفعل فتجنبه فانه من المحظور او يكاد ولا يقطع بذلك الا ببينة
من كتاب الله تعالى وسنة او اجماع او خلاف لمعتبر قلدته كمالك
والشافعي او غيرهما من العلماء الراسخين فاحكم اذ ذاك على اصل صحيح
وان تلك الظلمة شبه غيم لا يتصدع معه القلب ولا يتفرغ به الزهد
فتباعد عنه فانه يكاد ان يكون مكروها ولا تحكم بفعلك
فقد ضل من ههنا خلق كثير ولا تفت احدا وان افتيت فالى اعلى
الورع حقه ولا تقفو ما ليس لك به علم فان تادبت ههنا فعن
قريب تاتيك البينة من ربك والشاهد يتلوها منه انتهى كلام
سيدي

ان يلوح
عليه لايح الفقر
الغضب
بانقباض القلب
فاحذره صح

سيدي ابي الحسن وهو مناسب لما ذكره المؤلف رحمه الله الا ان
ما فيه من التفصيل لم يتعرض له المؤلف ~~رحمه الله الا ان ما فيه~~
بل ابقى الامر في ذلك مجملا كما تراه او تقريره فاذا نزلوا
الى الحقوق واشتغلوا بها لم ينزلوا اليها بسوء ادب ولا غفلة
وهوات شهود قيامهم بها من انفسهم او يطلبوا ثوابا
عليها من ربهم وان نزلوا الى الحظوظ لم ينزلوا اليها
بشهوة غالبة قاهرة لهم ولا متعة يقصدون اليها في
في دنياهم بل في ذلك بالله مستعينين ولله عابدين ومن دخلوا
الله اخذين والى الله متوسلين قد تولى تعالى ادخالهم
في الاشيا واخراجهم منها واوجدهم وعزل عنهم ملكية
نفوسهم لهم وصاروا احرارا كراما وقل رب ادخلني
مدخل صدق واخرجني مخرج صدق ان يكون نظري الى حولك
وقوتك اذا ادخلتني واستسلامي وانقيادي اليك
اذا اخرجتني المدخل والمخرج الادخال والاخراج وقد
عبر بهما بعض العارفين عن السفرين المذكورين فالمدخل
هو سفر الترقي لانه دخول على الله عز وجل في حال فنائه عن
روية غيره والمخرج هو سفر التدلي لانه خروج الى الخليقة
لفائدة الارشاد والهداية في حال بقائه بربه والمحققه
في هذين المقامين اعني مقام الفنا والبقا هو معنى صدقية
مدخله ومخرجه وانما يعني يحصل به ذهابه عن روية
نفسه في النسبة والوقوف مع الحول ففي المدخل شاهد حول
الله تعالى وقوته فيستغني عنه بذلك النسبة الى نفسه وفي المخرج
يسلم الرتبة ويبقى دائما فيستغني عنه بذلك مراعات حظه

وأجعل لي من لدنك سلطانا مبينا فعبرا ينصرني
ويعزني ولا ينصر عليّ ينصر فعلي شهود نصير ويغنيني
من دايرة حسي طلبت من الله النصرة له ليستقيم امره وطلب
منه النصرة به ليكمل حاله فالنصرة له هي حال كل ارباب
البدايات من السالكين اذ بذلك يتيسر عليهم قطع عقبات
النفس ومحو دواعي الهوى والحسد والنصرة به هي مقتضى
حال ارباب النهايات من المحققين لان بذلك تحصل لهم
مرتبة الامامة ومقام الارشاد والهداية وكل واحد من
القسمين نصره على شهود النفس وخناعن دايرة الكرم اخراج
النصرة عليه من السؤال والطلب لان ذلك من الخذلان وعدم
التوفيق وهو غلبة احكام نفسه وبقايه مع دايرة حسه قال
رضي الله عنه مما كتب لبعض اخوانه ان كانت عين القلب
تنظر ان الله واحد في منته فالشريعة تقتضي انه لا بد من
شكر خليقته اذا اوصل الحق اليك نعمة على يد انسان سواء كانت
دينية او دنياوية فعليك في ذلك وظيفتان احداهما
ان تشهد انفراد الله تعالى بذلك فلا ترى النعمة الا منه
وحده وترى من سواه ممن اجراها على يديه مقهورا مجبورا
على ذلك مسلطا عليه الدواعي والبواعث حتى لم يجد انفكاكا
عنه وهذا هو حق التوحيد والثانية ان تشكر من وصلت
اليك على يده بان تدعو له وتثني عليه امتثالا لامر الله تعالى
وعملا بما جاءت به الشريعة قال الله تعالى ان اشكر لي
ولوالديك وفي حديث النعمان بن بشير ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير ومن لم يشكر
الناس

الناس لم يشكر الله وفي حديث اسامة بن زيد رضي الله عنهما
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشكر الناس لله اشكرهم
للناس ولان الله تعالى اختصه بان اقامه في ذلك واهله
له ومن اسمايه تعالى الشكور فليتخلق العبد بذلك وهذا هو
حق الشرع وان الناس في ذلك على ثلثة اقسام غافل منهمك
في غفلته قويت دايرة حسه فانطمست حضرة قدسه
ينظر الاحسان من المخلوقين ولم يشهده من رب العالمين
اما اعتقادا فشركه جلي واما استنادا فشركه خفي هذا
بيان احوال الناس بالنسبة الى مشاهدة التوحيد ورؤية
الوسايط والعبيد فبدا اولا بذكر عامة الناس وهم الغافلون
المنهمكون في غفلتهم اصحاب الظواهر والرسوم الذين قويت
دايرة حسهم فغيبتهم وغطوا عنها وانطمست حضرة
قدسهم فابعدتهم ولم يحلوا بها فنظروا الاحسان من المخلوقين
فتعبدوا لهم وطمعوا فيهم ولم يشهدوه من رب العالمين
فكفروا نعمته واستوجبوا سخطه ونقمته ثم هم في ذلك على قسمين
احدهما ان يعتقدوا ذلك اعتقادا بقلوبهم انه منهم
ومن قبلهم وهذا هو الشرك الجلي الذي يخرج صاحبه عن
دايرة الاسلام ويوقعه في الكفر والعياذ بالله والثاني ان
يجد ذلك عنهم استنادا اي اعتمادا على غير الله وسكونا الى سواه
مع سلامة عقدهم وهذا هو الشرك الخفي الذي يخرج صاحبه من حقايق
الايمان ويدخله في ابواب النفاق والعوذ بالله من الشرك
جليه وخفيه وصاحب حقيقة غاب عن الخلق بشهود الملك
الحق وفنى عن الاسباب بشهود مسبب الاسباب فهذا عبد

مطلب في معرفة الجمع والفرق والسكر والصحو والفنا والبقا والغيبة والحضور

من راجه بالحقيقة لما ظهر عليه سناها سالك الطريقة قد
استولى على نورها غير انه تميز الانوار محسوس الآثار
قد غلبت سكره على صحوه وجمعه على فرقته وفناؤه على
بقائه وغيبته على حضوره هذا هو حال الخاصة من ارباب
الحقايق وهم الذين غابوا عن الخلق بشهود الملك الحق
فلم يقع لهم شعور بهم ولا التفات اليهم وفنوا عن الاسباب
برؤية مسبب الاسباب فلم يروا فاعلا ولا جاعلا فهم مواجهون
بحقيقة الحق لما ظهر عليهم سناها اي نورها وضياها سالكون
طريق الحق قد استولى انوار على هم اي وصلوا الى غايتها الا انهم
غرقوا في بحار انوار التوحيد محجوب عليهم اثار الوسايط
والعبيد اي مغلق عليهم رؤية ذلك والشعور به قد غلبت عليهم
سكرهم وهو عدم احساسهم بالاغيار على صحوهم وهو وجود
احساسهم بها وجمعهم وهو ثبوت الحق مجردا عن فرقهم
وهو ثبوت وجود الخلق وفناؤهم وهو استهلاكهم في شهود
الحق على بقائهم وهو شعورهم بالخلق وغيبتهم وهو ذهابه
احوال الخلق عن نظرهم على حضورهم مع الخلق ومعاني هذه
الالفاظ كما ترى متقاربة وهي الفاظ تداولها الصوفية
المحققون بينهم وعبروا بها في كتبهم ووضعوها لمعان
اختصوا بفهمها ليتعرف بعضهم من بعض ما يتحاورون به ولهم
الفاظ كثيرة غيرها وكان المولف رحمه الله اراد ان لا يخلو الكتاب
عن ذكر شيء منها والخاصة منه قريب فازداد صحوا وغاب فازداد
حضورا فلا جمعه يحجبه عن فرقه ولا فرقه يحجبه عن جمعه ولا فناؤه يصرفه
عن بقائه ولا بقاؤه يصده عن فنائه يعطي كل ذي قسط قسطه

ويوفي

ذي حال

ويوفي كل ذي حق حقه هذا هو حال من الخاصة الذين جاوزوا
رتب الكملية وهم قوم شربوا كؤوس التوحيد فازدادوا
صحوهم وغابوا عن الاغيار فازدادوا حضورهم فقد ملكوا
الاحوال وتمكنوا في مقامات الرجال فلم يغلبهم محو ولا يحجبهم يغيبهم
ولم يحجبهم شيء عن شيء بل وفوا حقوق جميع المراتب واعطوها
حالها منه فسله واجب وذلك لاتساع نظرهم ونفوذ بصرهم
وهذه صفة الصديق رضي الله عنه في القصة التي نذكرها الآن
وقد قال ابو بكر الصديق لعايشة رضي الله عنهما لما نزلت
براءتها من الافك على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يا عايشة اشكري رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت
والله ما اشكر الا الله دلها ابو بكر رضي الله عنه على المقام
الاكمل مقام البقا المقتضي لاثبات الآثار وقد قال
الله تعالى ان اشكر لي ولوالديك فقال صلوات
الله عليه وسلامه لا يشكر الله من لا يشكر الناس
وكانت هي في ذلك الوقت مصطلمة عن شاهدها
غايبة عن الآثار فلم تشهد الا الواحد القهار
هذا مثال لهذين القسمين وقد ابهم المولف رحمه الله
الكلام فيه والمعنى في ذلك بين لا حاجة بنا الى مزيد
تنبيه الا قوله وكانت هي في ذلك الوقت مصطلمة عن شاهدها
اي منقطعة عن شاهدها وهو حكم بشريتها متوفاة عن
احساسها بالكلية والاصطلام نعت الحيرة ومحل القهر
وصفة الدهشة وفي قوله وكانت هي في ذلك الوقت اشعار
بان ذلك لم يكن حالا لازما لها في جميع اوقاتها بل كانت ذا

مطلب في براءة السيدة عايشة من الافك

ذي وقت مخصوص وواقعة مخصوصة وذلك صحيح اذ حالها
رضي الله عنها هو حالها في حيوة رسول الله صلى الله عليه وسلم
وبعد وفاته كنحو حال ابيها رضي الله عنهما وذلك معلوم
من اخبارها وسيرها وقال رضي الله عنه لما سئل عن قوله
صلى الله عليه وسلم وجعلت قرة عيني في الصلاة هل ذلك خاص به
او لغيره منه شرب ونصيب فاجاب ان قرة العين بالشهود على قدر
المعرفة بالمشهود فالرسول صلى الله عليه وسلم ليس معرفة
كمعرفته فليس قرة عين كقرته وانما قلنا ان قرة عينه
في صلاته بشهوده جلال مشهوده لانه قد اشار الى ذلك
بقوله في الصلوة ولم يقل بالصلوة اذ هو صلوات
الله عليه وسلامه لا تقر عينه بغير ربه وكيف وهو
يدل على هذا المقام ويامر به من سواه لقوله صلى
الله عليه وسلم اعبد الله كانك تراه ومحال ان يراه
ويشهد معه سواه فان قال القايل قد تكون قرة العين
بالصلوة لانها فضل من الله وبارزة من منة الله فكيف
لا يفرح بها وكيف لا تكون قرة العين بها وقد قال سبحانه
قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا فاعلم ان الاية قد
اومات بالجواب لمن تدبر سر الخطاب اذ قال فبذلك
فليفرحوا وما قال فبذلك فافرح يا محمد قل لهم فليفرحوا
بالاحسان والتفضل وليكن فرحك انت بالمتفضل كما
في الاية الاخرى قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون
الصلاة هي اجل ما يتحف الله به عباده ويتعهد به اليهم وفي الحديث
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ما اوتي عبد في الدنيا خيرا
من

مطلب في قوله صلى الله عليه وسلم وجعلت قرة عيني في الصلاة

مع ان يوذن له في ركعتين يصليهما فيهما يحصل له الخلوة معه
والانفراد به والمجالسة له والانقطاع اليه وفيها ترتفع عن
قلوبهم الحجب والاستار وتتجلى فيها حقايق الاسرار وتشرق
فيها شوارق الانوار وفيها تكون المناجاة والمصافاة كما
تقدم وهي صلة بين العبد وبين ربه عز وجل قال محمد
بن علي الترمذي رضي الله عنه الصلاة عماد الدين واول
شيء فرضه الله على المسلمين والصلاة اقبال الله على العبيد
ليقبلوا اليه في صورة العبيد تذللا وتسليما وتبذلا وتخضعا
وتخشعا وترغبا وتملقا فالوقوف تذلل والتكبير تسليم
والثنا والتلاوة تبذل والركوع تخضع والسجود تخشع والجلوس
ترغب والتشهد تملق فباقبال العبيد الى الله بهذه الصورة
ليقبل الله عليهم بالترحم والتعطف والتفضل والتكرم
والتقرب فليس شيء من امر الدين اعظم من هذا ولهذا قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة عماد الدين وقال في حديث
اخر الصلاة نور وقال لا يزال الله مقبلا على العبد بوجهه
ما دام في صلاته وان الله لينصب الى احدكم وجهه ما دام مقبلا
عليه انتهى ولاجل هذه الفوايد كانت الصلوة مفزع ذوي مفزع
الفاقات والضرورات من ارباب القلوب فيغيبهم وجودها
عن كل مرغوب ويتسلون بها عن كل محبوب قال الله تعالى
وامر اهلك بالصلوة واصطبر عليها لا نسالك رزقا الاية
فواجب اذن ان تكون قرة عين عباد الله فيها وبها
وقرة العين عبارة عن الروح والراحة وكمال النعيم واللذة
التي تحصل من غاية الموافقة والملايمة الا انها تختلف باختلاف

احوال الناس في مراتبهم ومقاماتهم فمن عظمت منزلته وعلت
مرتبته كانت ملاحظته ومراقبته في شهود التوحيد وكمال التفريد
المشار اليه في قوله صلى الله عليه وسلم ان تعبد الله كانك تراه اذ محال
ان يراه ويشهد معه سواه كما قال المولف رحمه الله تعالى وفيما
روي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما في قوله لعروة بن الزبير
رضي الله عنهما انا كنا نتراءى الله بين اعيننا وكان هذا لما
خطب اليه عروة ابنته وهو في الطواف فلم يكلمه ابن عمر ولم
يرجع اليه بشي ثم اعتذر له بعد ذلك بهذا الكلام فصاحب هذه الحال
تكون قرة عينه في الصلوة لا بها لما تضمنته من التجلي التام والشهود
الحقيقي ومن كانت منزلته دون ذلك كانت ملاحظته ومراقبته
في شهود النعم ووجود الفضل والكرم وكانت قرة عينه بها
لا بها لانها فضل من الله ومارزقه من منة الله كما قال المولف رحمه
الله ولا شك ان معنى قرة العين في الوجه الاول احق به انسب
والبق لان صاحبه فان عن نفسه باق بربه ومن كان على هذا الوصف
فهو من المخلصين لا سلطنة عليهم للعدو اللعين ومن زالت
سلطنته عنه في صلوته لم يحتج الى مدافعته ومراجعته وكانت صلوته
ملزومة بالحضور والخضوع والدوام والخشوع وعدم فقدان العبد
لحديث نفسه ووسوسة عدوه فيحصل له غاية النعيم واللذة وتتحقق
في حقه معنى قرة العين بخلاف الوجه الاخر فان صاحبه لم يفن عن
نفسه فضلا عن ان يرتقي الى درجة البقاء بربه فلم ينقطع
عنه حديث النفس ولا وسواس العدو فيحتاج لا محالة الى مجاهدة
ومدافعة فيتشوش عليه نعيمه وتتكدر لذته فيضعف معنى قرة العين
قال الشيخ العارف ابو محمد عبد العزيز المهدوي وقرة العين لا تكون
لصاحب

لصاحب المجاهدة ولا لمن يدفع الشيطان عنه بل هي لمن استراح
من المجاهدة والدفع ولما كانت منزلة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم
عند ربه عز وجل اشرف المنازل ومرتبته في المعرفة
به ارفع المراتب بحيث لا يتصور ان يشاركه في ذلك غيره
او يحل بها سواه كانت قرة عينه في صلوته على حسب ذلك فمن قال
ان ذلك خاص به لانفراده بالمرتبة العليا والخاصية الكبرى
فقوله صحيح وعليه يدل ظاهر قوله صلى الله عليه وسلم وجعلت قرة
عيني في الصلاة بعد قوله حبب الي من الدنيا الطيب والنساء
ولا شك انه حبب له هذين الامرين ليس على قيامهما حب غيره
لهما وانما ذلك لوجود الخاصية التي اقتضت منه ذلك الا ترى
انه ابيح له ما لم يبح لغيره من عدد الحرائر وامن لاجل ذلك
من خوف مضرة التباغض والتشاجر بسبب اجتماع الضرائر
وحبه صلى الله عليه وسلم الطيب وحبه له انما هو للقائه
الملائكة التي تناجيه والا فهو في ذاته غني عن الطيب وحبه له
كما قال انس بن مالك رضي الله عنه ما مسست حريرا ولا خزا
الين من كف رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا شممت قط مسكا
ولا عنبرا اطيب من رائحة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا كان
حاله في هذين الامرين على ما ذكرناه مع انه لم يذكر
فيهما سوى لفظة الحب ومساواة لذات الدنيا فكيف يكون
حاله في الامر الثالث مع انه عبر فيه بقرة العين وهو غاية المحبة
وهو من اعمال الاخرة وقيل معنى قوله من الدنيا اي في الدنيا ومن
قال ان لغيره منه شربا ونصيبا على المعنى الذي يليق بهذا
الغير فلقوله وجه وجواب المولف رحمه الله محتمل القولين

الوجهين والله اعلم بما اراد منهما او من غيرهما وما ارضى الله عنه
ومما كتب به لبعض اخوانه الناس في ورود المنن على ثلاثة
اقسام فرح بالمنن لا من حيث مبديها ومنشيها ولكن لوجود
متعته فيها فهذا من الغافلين يصدق عليه قوله حتى اذا
فرحوا بما اوتوا اخذناهم بغتة وفرح بالمنن من حيث انه
شهدها منة ممن ارسلها ونعمة ممن اوصلها يصدق عليه
قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما
يجمعون وفرح بالله ما شغله من المنن ظاهر متعتها
ولا باطن منتها بل شغله النظر الى الله عما سواه والجمع
عليه فلا يشهد الا اياه يصدق عليه قوله قل الله ثم ذرهم
في خوضهم يلعبون تضمن هذا الفصل بيان ما يحمد من احوال
الناس وما يذم عند ورود النعم عليهم وحصول الفرح اذ ذاك
لهم وينبني عليه ما يكون من ذلك شكرا لها وما لا يكون وقد
قسمهم المؤلف رحمه الله ثلاثة اقسام وجعلهم ثلاث فرق واولهم
قسم في غاية الدناءة والخسة وهم الذين فرحوا بالنعم من حيث
ان فيها حظا لنفوسهم ونيلا لاغراضهم والتمتع بشهواتهم
فاحوال هؤلاء مذمومة جدا اشبه شيء بهم الانعام والبهائم وهذه
احوال اهل الطرد والبعد والاستدراج والمكر بهم اشار اليه
في الآية الكريمة التي ذكرها المؤلف رحمه الله في هذا القسم وهذه
الاحوال بعيدة من الشكر بل هي منافية له وقسم في غاية الشرف والجلالة
وهم الذين فرحوا بالمنعم فقط ولم يلتفتوا الى ظواهر النعم لاجل
ان فيها متعتهم ولذتهم ولا الى بواطنها من كونها دالة على عناية الله
تعالى بهم حيث من بها عليهم فاحوال هؤلاء محمودة جدا لانهم غابوا
عن

مهديها ومنشيها

من حيث

غابوا عن الاغيار العرضية وتحققوا بالحقائق الوحدانية كما اشار
اليه في الآية الكريمة التي ذكرها المؤلف رحمه الله تعالى في هذا القسم
وحال هؤلاء هو الشكر الحقيقي الخالص الخالي من المزج والشوب لان
الشاهد للمنعم فان عن حظوظ نفسه فهو مدرك الاشياء كلها فلا
تفرقة عنده بين وجود ولا عدم ولا عطاء ولا منع ولا يخاف عليه من
التغير والانقلاب لتغير الافعال والاسباب ما يخاف على غيره
لفاقته قال ابو محمد الجريري رضي الله عنه من رأى المنعم
بغيبة النعم فقد شكر وقال الشيخ ابو محمد عبد العزيز المهدوي
كل من لم يشاهد المنعم في النعم كانت النعمة في حقه استدراجا
لانه يؤدي الى ان يتكل عليها فاذا نزعت منه لزمه ان يتغير
عليها ومنهم من حصل له نصيب من الشرف والجلالة وحظ من الدناءة
والرذالة وهم الذين فرحوا بالنعم لكونها منة من الله تعالى عليهم
فهم من حيث شهودهم للمنة من ربهم شرفوا وجلت اقدارهم
وكانت احوالهم محمودة وهي شكر منهم كما يليق بهم ومن حيث انهم
لانفسهم وبقاؤهم مع ذلك لحظوظهم كان لهم نصيب من الدناءة والخسة
فانحطوا بهذا الوصف عن مراتب الاعلين وارتقوا بالوصف
الاول عن احوال الارذلين فخوطبوا بما خوطب به عامة المؤمنين
واوساطهم في الآية الكريمة التي ذكرها في هذا رحمه الله تعالى
في هذا القسم وقد ضرب الله تعالى في هذا القسم وقد ضرب الامام
ابو حامد الغزالي رضي الله عنه في كتاب الشكر لهذه الاقسام
الثلاثة مثلا فقال الملك الذي يريد الخروج الى سفر فانعم بفرس
على اشخاص تتصور ان يفرح المنعم عليه بالفرس بثلاثة اوجه احدها
ان يفرح بالفرس من حيث انه فرس وانه مال ينتفع به وانه

مركوب يوافق غرضه وانه جواد نفيس وهذا فرح من لا حظ
له في الملك بل غرضه الفرس فقط ولو وجده في صحرا فاخذه لكان
فرحه به مثله فهذا الفرح الوجه الثاني ان يفرح به لا من حيث انه
فرس بل من جهة ما يستدل به على عناية الملك وشفقته عليه
والتفاته لجنابه حتى لو وجد هذا الفرس في صحرا او اعطاه له
غير الملك لكان لا يفرح به اصلا لاستغنائه عن الفرس واستحقاره
له بالاضافة الى مطلوبه من نيل المحل في قلب الملك الوجه الثالث
ان يفرح به ليركبه فيخرج في خدمة الملك ويتحمل مشقة السفر لينال
بخدمته رتبة القرب منه وربما يرتقي الى درجة الوزارة من حيث
انه ليس يقنع بان يكون محله في قلب الملك ان يعطيه فرسا يسس
ويعتني به هذا القدر من العناية بل هو طالب بان لا ينعم الملك
بشي من ماله على احد الا بواسطته ثم انه ليس يريد من الوزارة
الوزارة ايضا الا مشاهدة الملك والقرب منه حتى لو خير بين
القرب دون الوزارة وبين الوزارة دون القرب لاختار القرب
فهذه ثلاث درجات فالاولى لا يدخل فيها معنى الشكر اصلا
لان نظر صاحبها مقصور على الفرس لفرحه بالفرس لا بالمعطي
وهذا حال كل من فرح بنعمة من حيث انها لذيذة وموافقة
لغرضه فهو بعيد من معنى الشكر والثاني داخل في معنى الشكر
من حيث معرفة عنايته التي تستحثه على الانعام في المستقبل
وهذه حال الصالحين الذين يعبدون الله تعالى ويشكرونه
خوفا من عقابه ورجاء لثوابه وانما الشكر التام في الفرح
الثالث وهو ان يكون فرح العبد بنعمة الله عز وجل من حيث انه
يقدر بها على التوصل الى القرب منه فهذه المرتبة العليا وامارته
ان

ان لا يفرح من الدنيا الا بما هو مزرعة الاخرة ويعينه عليها
ويحزن بكل نعمة تلهيه عن ذكر الله تعالى وتصده عن سبيله
لانه ليس يريد النعمة لانها لذيذة كما لم يرد صاحب الفرس
الفرس لانه جواد مهملج بل من حيث انه يحمله في صحبة الملك حتى
تدوم مشاهدته له وقربه منه ولذلك قال الشبلي رحمه الله
الشكر رؤية المنعم لا رؤية النعمة ولذلك قال الخواص
شكر العامة على المطعم والملبس وشكر الخاصة على واردات
القلوب وهذه رتبة لا يدركها من انحصرت عنده اللذة
في البطن والفرج ومدركات الحواس من الالوان والاصوات
وخلا عن لذة القلب فان القلب لا يلتذ في الصحة الا بذكر
الله ومعرفته ولقائه وانما يلتذ بغيره اذا مرض بسوء
العادات كما يلتذ بعض الناس باكل الطين وكما يستبشع بعض
المرضى الاشياء الحلوة ويستحلي الاشياء المرة حتى قيل ومن يك
ذا فم مر مريض يجد مرا به الماء الزلالا فاذا هذا شرط
الفرح بنعمة الله تعالى فان لم يكن له ايضا فمعرفته وان لم
يكن هذا فالدرجة الثانية اما الاولى فخارجة عن كل حساب فكم
بين من يريد الملك للفرس وبين من يريد الفرس للملك وكم
فرق بين من يريد الله عز وجل لينعم عليه وبين من يريد نعم الله
تعالى ليصل بها اليه انتهى كلام ابي حامد الغزالي رحمه الله وهو
في غاية البيان والوضوح وهو كالتفسير لما ذكره المؤلف رحمه
الله تعالى ولذلك اوردته ههنا بكماله وقد اوحى الله تعالى
الى داود عليه السلام يا داود قل للصديقين بي فليفرحوا
وبذكري فليتنعموا بهذا تحققت صديقيتهم وعلى ارتفاع رتبتهم

عليه د ولقد قيل ان عتبة الغلام دخل في بعض الايام على
رابعة العدوية وعليه قميص جديد وهو يتبختر في مشيته فيه
عجب من عادته فقالت له يا عتبة ما هذا التيه والعجب الذي
لم اره في شمايلك قبل اليوم فقال يا رابعة ومن اولى بهذا
التيه مني وقد اصبح لي مولى واصبحت له عبدا وقال بعضهم كنت
سائرا الى مكة فبينما انا امشي اذ رايت شيخا بيده مصحف
وهو ينظر فيه ويرقص فتقدمت اليه فقلت يا شيخ ما هذا الرقص
فقال دعني عنك فقلت في نفسي عبد مثلنا وكلام مثل ذا تلوا ربه
مثلنا فاصبر يا مستغفر الرحيم ثم رقص ثم انشد في المعنى
• قوم تخالجهم زهو بسيدهم • والعبد يزهو على مقدار مولاه • تاهوا
برؤيته عما سواه له • يا حسن رؤيتهم في حسن ما تاهوا •
ويجوز ان يكون المراد بقوله ويذكرني فليتنبهوا الى تذكري
اياهم في الازل حيث لا وجود لهم الا في الذكر المنسوب اليهم
من الاوصاف والعلل وهم اجل رتبة من ان يكون نعيمهم
بشيء ملتبس بهم والله تعالى يجعل فرحنا واياكم به والرضا
منه وان لا يجعلنا من الغافلين وان يسلك بنا مسالك المتقين
بمنه وكرمه هذا دعاء حسن موافق لمعنى ما تقدم وهو بين
ان لا يحتاج الى تنبيه عليه والله تعالى يحقق لنا ذلك بفضله
وقال رضي الله عنه الهي انا الفقير في غناي فكيف لا اكون
فقيرا في فقري الهي انا الجاهل في علمي فكيف لا اكون جهولا
في جهلي العبد موصوف بصفات النقص وهي ذاتية له والكمال
العارض له والمنسوب اليه تفضلا في محل التحقيق ومن ثم كان ما ذكره
المولف رحمه الله من كونه فقيرا في غناه وجاهلا في علمه صحيحا متفقا
وكانه

وكانه رحمه الله قصد بهذا الى الاعتراف به والاضطرار
ولزوم الفاقة والافتقار وانه لا استغناء له عن مولاه
عز وجل ولا ينفك عن الاحتياج اليه والتعلق به والسوال
والطلب منه في كل حال من احواله كما قال بعضهم الى الله يرجع
الانسان محتاج • لو انه كان في مفرق الاكليل والتاج • وهذا
منه دليل على تحققه لهذه المعاني بين يديه في دعايه ومناجاته
في غاية الحسن قال سيدي ابو الحسن رضي الله عنه ما طلبت من الله
تعالى شيئا الا وقدمت اساءتي يريد رضي الله عنه حتى لا يطلب (أماي)
من الله شيئا بوصف يستحق به العطاء بل لا يكون حامله وجود
فضله الا بفضله وقال ابو عثمان في قوله تعالى ادعوا ربكم
تضرعا وخفية قال التضرع في الدعاء ان لا تقدم اليه افعالكم
وصلواتكم وصيامكم وقراءاتكم ثم تدعوا على اثره انما التضرع
ان تقدم اليه افتقاركم وعجزكم وضروراتكم وفاقتكم وقلة
حيلتكم ثم تدعوا بلا علة ولا سبب فيرفع دعاكم وقال
الواسطي رضي الله عنه بذل العبودية وخلع الاستطالة وقال
سهل بن عبد الله ما اظهر عبد فقره الى الله تعالى في وقت الدعاء
في شيء يحل به الا قال الله لملائكته لولا انه لا يحتمل كلامي لاجبته
لبيك الهي ان اختلاف تدبيرك وسرعة حلول
مقاديرك منعا عبادك العارفين بك عن السكون الى عطاء
واليأس منك في بلاء تلونت الاحكام على العباد ان لا يسكنوا
حال سارة يسكنون عليها ولا ييأسوا في حال ضارة تنزل بهم
من وجود الراحة والنعمة وهذا محض تعلق بالله عز وجل
وهو نعت العارفين الهي مني ما يليق بلؤمي ومنك ما يليق

لؤم العبد الذي ركبه عليه يقتضي منه مبارزة مولاه بالعظايم
والكبائر وكرم المولى الذي هو متصف به يقتضي منه التجاوز
والعفو عن عبده وقبول عذره وهذا الكلام من الحكم وجوه
السؤال والرغبة وهو من آداب الدعاء ويحكى ان ~~الرجا~~ رجلا
قال لبعض الانبياء عليهم الصلوة والسلام قل لربك اخالفه
واعصيه وهو لا يعاقبني فاوحى الله تعالى الى ذلك النبي قل
لفلان لتعلم اي انا انا وانت انت **الهي وصفت نفسك**
باللطف والرافة بي قبل وجود ضعفي افتمنعني منهما
بعد وجود ضعفي اللطف والرحمة صفتان لله عز وجل اتصف
بهما في الازل قبل وجود ضعف العبد وفاقته وحاجته وهما
مقتضيان لوجود اثارهما فيما لا يزال بعد وجود ذات
العبد وصفاته وهي اسباغ النعم عليه وايصال الفضل له
اليه فكيف يتصور ان ذكر ضعفه ان يمنعهما **الهي ان ظهرت المحاسن**
مني فبفضلك ولك المنة علي وان ظهرت المساوي مني فبعدلك
ولك الحجة علي ظهور المحاسن من العبد وهي الطاعات
والحسنات والصفات المحمودة فضل من الله تعالى والمنة له عليه
لعدم استحقاقه لذلك فظهور المساوي منه وهي ضروب المعاصي
والسيئات والاوصاف المذمومات عدل من الله تعالى اذ له ان
يفعل بعبده ما يشاء والحجة له عليه لانه ربه وهو عبده ومناجاة
العبد لمولاه بهذا الكلام من احسن المناجاة وهو مقتضيه لوجود
اسعافه له وموالات الطافه عليه لما فيهما من الثناء على الله تعالى على
سبيل قربه وذكر صفاته العلية والتعلق بها والاعتراف له بالنعم
الظاهرة والباطنة وما فيها ايضا من رؤية ضعف النفس والاقرار
عليها

عليها بالنقص والقصور وانزالها منزلتها من الذلة والمهانة
وقد قال بعضهم تعلق شاب باستار الكعبة وقال لا لك شريك
فيؤتى ولا وزير فيرشى ان اطعتك فبفضلك ولك الحمد وان
عصيتك فبجهلي ولك الحجة علي فباثبات حجتك علي وانقطاع حجتي
لديك الا غفرت لي فسمع هاتفا يقول الفتى عتيق من النار
الهي كيف تكلني وقد توكلت لي وكيف اضام وانت الناصر
لي ام كيف اخيب وانت الحفي بي الوكيل والناصر والحفي اسماء
الله تعالى وهي مقتضية لوجود اثارها من وجود الكفاية والمنعة
والظفر بغاية المقصود والبغية فكيف يتصور انفكاكها دائما عن
العبد عند وجود ~~المقصود والبغية~~ حاجته كما تقدم في اللطف
والرحمة فيه والحفي في اللغة معناه المستقصي الحق والحفي
هو اللطيف بعبده عالم بدقائق مصالحه وخفيات مآربه
وايصال ذلك اليه برفق قال الله تعالى الله لطيف بعباده
الهي ها انا اتوسل اليك بفقري اليك التوسل التقرب والتوجه بسبيله
ما يتقرب به واعظم وسايل العبد الى مولاه هو تحققه بما
توجبه عبوديته وهو فقره اليه في كل حال من احواله فلا يرى
لنفسه حسنة يقتضي بها ثوابا ولا يدلي بحجة يستدفع بها
عن نفسه عقابا قال ابو يزيد نوديت في سري خزاينا نتنا
مملوة من الخدمة فان اردتنا فعليك بالذلة والافتقار
وقيل لابي حفص بماذا يقدم الفقير على ربه فقال وما للفقير
ان يقدم به على ربه سوى فقره **وكيف اتوسل اليك بما هو**
محال ان يصل اليك يعني المتوسل به والمتوسل اليه نسبة
تامة ووصلة حقيقية وهي التي اقتضت لوجود التوسل ولا نسبة

العبد
ولا وصلة بين الفقر الذي هو نعت وبين الرب الذي له الغنا الاكبر
وايضا التوسل العبد بفقره يقتضي شهوده له واعتذاره واعتماده
عليه ورؤية العبد لاحواله وسكونه اليها علة فيها والاحوال
المعلولة لا تليق بالحضرة الالهية ولا تصل الى الله تعالى
بمعنى انه لا يرضاها ولا يقبلها فالفقر لا يصح التوسل به من
هذا الوجه ايضا والى هذا اشير بما حكي عن سيدي ابو الحسن الشاذلي
حين دخل على شيخه ابي محمد عبد السلام فقال له يا ابا الحسن
بماذا تلقى الله تعالى قال له بفقري قال له الشيخ والله لان
لقيت الله بفقرك لتلقينه بالصنم الاعظم ولا ينجح حقيقة الفقر بالصنم
الا بالغيبة عن الفقر والا كنت غنيا بفقرك فاذا الوسيلة الى الله سواه
ام كيف اشكو اليك حالي وهو لا يخفى عليك شكوى الحال انما هي الا لمن هو
غائبة عنه وهو غير عالم بها والله تعالى لا يخفى عليه شيء وقد قال ابراهيم
الخليل عليه السلام حسبي من سؤالي علمه بحالي ام كيف اترجم
لك بمقالي وهو منك برز اليك الترجمة بالمقال هي التعبير
باللسان عما في الضمير ليقع التفهيم بذلك للمترجم له والله
تعالى هو الذي انطق اللسان والحلقه بذلك فالترجمة منه
تعالى برزت واليه مآل امرها والعبد لا مدخل له في ذلك
فكيف تنسب اليه الترجمة ونسبة ذلك الى الله تعالى دليل على
احاطة علمه باحوال العبيد فكيف يصح في حقه معنى الترجمة
ام كيف تخيب امالي وهي قد وفدت اليك الامال الوافدة على
الى الله تعالى لا تخيب من قبل انها فارة اليه ومتعلقة به
ومنقطعة عما سواه والله تعالى كريم جواد متفضل منعم فليثق
العبد بذلك وليكن على يقين منه وان اي شيء يحلبه ام كيف

لا تحسن احوالي وبك قامت واليك من تحقق في المعرفة راى
احواله كلها حسنة لوجود قيامها بالله ورجوع امرها اليه وهذه
كلها انواع من التعجب تعجب بها المؤلف رحمه الله نفسه من نفسه
فيما هو بصدده من سؤاله وطلبه بسبب ترقيه في المعرفة التي
اوجبت له رؤية نقصه وقصوره في احواله الاول الهي
ما الطفك بي مع عظيم جهلي وما ارحمك بي مع قبيح فعلي
شهود العبد لهذا المعنى مزيد لطف عظيم يوجب له الحياء
والانكسار فينتج منه حينئذ الاعتراف بالنعم فتعلو
الهي ما اقربك مني وابعدني عنك شهود المؤلف رحمه الله
تعالى شدة قرب الله تعالى منه لما راى من بعد الاشيا عنه ودفعها
اليه كما سياتي في قوله قد دفعتني العوالم اليك وشهوده لبعده
من الله عز وجل من حيث اقيم في الطلب له والطلب للشيء دليل
على فقد الطالب وبعده عنه فالمشاهدة الاولى اوجبت له ملازمة
باب مولاه والانقطاع بجمعه عن كل ما سواه والمشاهدة الثانية
اوجبت له التلطف في سؤال التقريب والاستغناء عن طلب القريب
ومن دعا سيدي ابي العباس المرسي يا قريبا انت القريب
وانا البعيد قربك ايأسني من غيرك وبعدي عنك ردني
للطلب لك فكن لي بفضلك حتى تمحو الطلب بطلبك يا قوي يا عزيز
ما ارافك بي فما الذي يحجبني عنك الرافة اشد الرحمة وما شاهد
رافة ربه غاية بعد الشهود عند رؤية نفسه وصفاتها
فلذلك لم تظهر له سبب لوجود حجابه منه الهي قد علمت باختلاف
الاثار وتنقلات الاطوار ان مرادك مني ان تتعرف الي
في كل شيء حتى لا اجهلك في شيء كان المؤلف رحمه الله تعالى

يقول اختلاف الاثار علي وتنقلات الاحوال بي من الصحة
الى المرض والغنا والفقر والعز والذل والقبض والبسط والفقد
والوجد وغير ذلك من مختلفات احوالي التي هي من
شونك التي تنزل بي اي علمت منها ارادتك مني ان تتعرف
الي في كل شي تعرفا خاصا في حالة خاصة حتى اشاهد وجودك
وعظمتك وجلالك وجمالك بحيث لا يتصور مني جهل بما نافيه
قابل المعرفة من جميع ذلك ولو كان الامر على خلاف هذا والزمتني
حالة واحدة ارتضيها لنفسي واختارها لكانت معرفتي ناقصة
وشاهدي قاصره فانا الان انقلب في جنة معجلة اتشوق منها حيث
اشا فقد استغرقني ما انا فيه من عظيم النوال وشغلني ذلك عن
الدعا والسوال وطلب الكون بعدما ارتضيه من الاحوال فلك
الحمد على نعمك الباطنة والظاهرة والخفية والجلية قال قال
بعضهم في الدنيا جنة من دخلها لم يشتق الى جنة الاخرة ولا الى
شي ولم يستوحش فيها وما هي الا معرفة الله تعالى قال مالك
بن دينار خرج الناس من الدنيا ولم يذوقوا اطيب الاشيا قيل
وما هو قال المعرفة قال ان عرفان ذي الجلال لعزة وضياء
وبهجة وسرور وعلى العارفين اليها بها وعليهم من المحبة
نور فهنيئا لمن عرفك الهي هو والله دهره مسرور وقد
روى انه راى صورة حكيمين من الحكماء المتعبدين في مسجد
واحد وفي يد احدهما رقعة فيها مكتوب اذا احسنت كل شي
فلا تظنن انك احسنت شيا حتى تعرف الله عز وجل وفي يد
الاخر كنت قبل ان اعرف الله عز وجل اشرب واظما حتى
اذا عرفته رويت بلا شرب قال في التنوير بعد كلام
ذكره

ذكره وانما قلنا ان الحالة زايلة عنك لا محالة فان مراده
ان ينقلك في الاطوار ويوالي عليك الاثار ليتعرف اليك
في كل حالة خاصة بتعرف خاص فان اردت ان يديمك
على حالة واحدة فقد اردت ان يسلك بك غير الكمال فكانه
يقول لك لا تكلفني ان اقيمك في حالة واحدة فاني
لا افعل ذلك معك انت تريد ان تبقى وبيتي معطلة الاثار
ولكن سبيلي ان استعملك للحق حيث ما اردتك وحيثما اقمتك
حتى لا تكون لي ولغيري قال الله سبحانه يساله من في السموات
والارض كل يوم هو في شان اي يمنع ويعطي ويضع ويعلي
ويفقر ويبلي ويعز ويذل الى غير ذلك من متعلقات الاثار
فكانه سبحانه يقول لك يا عبدي لا تاسى على شي ما دمت لي ولا
تفرح بشي وانت ناسيك فانا العوض عما سواي وما سواي
لا يغنيك عني ولا تكن ممن يعبدني بالعلة فتكن من عبيد
الحروف بل اعبدني لي فاني انا الغني موصوف وبد واحد
لا تغنا المعروف قال الله عز وجل ومن الناس من يعبد
الله على حرف فان اصابه خير اطمان به وان اصابته فتنة انقلب
على وجهه خسر الدنيا والاخرة لان الذي لا يحليه عز لناه عنه فما دام
له وهو فيما امليناه حتى يكون له ومن عبده لسواه فهو عبد لسواه
ومن عبده لاجل جوده ونعمايه فهو عبد جوده ونعمايه لا بل من
احب شيا فهو عبد ما احبه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعس عبد
الدينار تعس عبد الدرهم تعس عبد الخميصة تعس وانتكس
واذا شيك فلا انتقش فكن عبد الله في كل شي عطا ومنعا وعزا
وذلا وغنا وفقرا وقبضا وبسطا وفقدا ووجدا وشدة ورخا

وفناؤ وبقاء الغير ذكرت مختلفات الآثار وتنقلات الاعتبار
انتهى كلامه رحمه الله وقد احسن فيه غاية الاحسان كما
جزاه الله خيرا الهي كلما اخرسني لؤمي انطقني كرمك
وكلما ايأستني اوصافي اطمعتني منتك لؤم العبد ومخالفته
وعصيانه تخرس لسانه عن السؤال والطلب وكرم المولى
وفضله واحسانه ينطقه بذلك واوصاف العبد الذميمة
التي اقتضتها طبيعته وجبلته تؤيسه من حصول الاستقامة
على طريق الحق ومنن الله تعالى التي شملت البر والفاجر تطمعه
في ذلك الهي من كانت محاسنه مساوي فكيف لا تكون مساويه
مساوي ومن كانت حقائقه دعاوي فكيف لا تكون
دعاويه دعاوي هذا مثل ما تقدم من ان الكمال المنسوب
الى العبد نقصان عند التحقيق فما ظنك بنقصانه الهي حكمك
النافذ ومشيئتك القاهرة لم يتركا لذي مقال مقالا ولا لذي
حال حالا شهود هذا المعنى يوجب للعبد تمام الخوف والتحقق
فيه فاذا كان ذا قول سديد وحال حميد لم يقطع ببقاء ذلك
ولم يغتر بما هنالك لنفوذ حكم الحق تعالى وقهر مشيئته
الهي كم من طاعة بنيتها وحالة شيدتها هدم اعتمادي عليها
عدلك بل اقالني منها فضلك الطاعة صفة ظاهر العبد والحالة
صفة باطنه وبناؤه للطاعة هو اقامتها على وجه التمام من
الوفا بجميع اركانها وشرائطها وما يتعلق بها من حقوق
وآداب وتشييده للحالة هو تنزيهها وتطهيرها وصيانتها عما يكدر
صفاءها ويكشف ضياءها وكان ذلك لما فعل هذين الامرين رأى انه
تحصن

تحصن بحصن واوى الى ركن متين لكن لما شهد عدل
الله تعالى هدم عليه ذلك لانه مقتضاه ان يفعل ما يشاء
ويحكم ما يريد ولا يبالي باعمال العاملين فلما شاهد
فضله وكرمه اقاله من ذلك بان جعل له من التعلق
به والاعتماد عليه بدلا منه وعوضا عنه ونعم البدل
والعوض فسبحان المتفضل المنان الهي انك تعلم وان
لم تدم الطاعة مني فعلا جزما فقد دامت محبة وعزما
جعل عزمه على الطاعة ومحبته لها وان لم يدم عليها فعلا احد
وسائله وذلك صحيح وكم من شخص قد طرد والعبد فلم
يكن عنده عزم ولا فعل جزم الهي كيف اعزم وانت
القاهر وكيف لا اعزم وانت الآمر استبعد من نفسه
وقوع العزم منه وجعل مستند ذلك شهود الامر لان
من شهد امره بادر الى امتثاله وتحرز من اغفاله واهماله
الهي ترددي في الآثار يوجب بعد المزار فاجمعني
عليك بخدمة توصلني اليك يشكو الى مولاه عز وجل طول تردده
في الآثار وهي الاكوان واخبر انه يوجب له بعد المزار وهو
البعد عن شهود التوحيد وكمال المعرفة وقد تقدم هذا
المعنى عند قوله لا ترحل من كون الى كون فسأله وطلب منه
ان يختصر له طريق سلوكه ويقربه عليه ويجمعه من متفرقات
الآثار بخدمة تظهر فيها عبوديته ويصل بها الى مولاه من غير
تردد ولا طول الهي كيف يستدل عليك بما هو في وجوده
مفتقر اليك ايكون لغيرك من الظهور ما ليس لك حتى يكون
هو المظهر لك متى غبت حتى تحتاج الى دليل يدل عليك ومتى
بعدت حتى تكون الآثار هي التي توصل اليك

وهذا تنبيه لاحوال المستدلين على ربهم وبعض اصحاب
النظر والاستدلال بالنسبة الى اهل المقام الاخر وهم
ارباب الشهود والعيان قال ابو بكر محمد بن علي الكتاني
مع وجود العيان الحق شهود الخلق باكتفاء الحق دليل على كل
شيء ولا يكون شيء دونه دليلا عليه قال في لطائف المنن كل دليل
والبرهان عموم عند اهل الشهود والعيان قد نسوا الحق
في ظهوره ان يحتاج الى دليل يدل عليه وكيف يحتاج الى الدليل
من نصب الدليل وكيف يكون معرفا به وهو المعرف له قال الشيخ
ابو الحسن رضي الله عنه كيف يعرف بالمعارف من به عرفت
المعارف ام كيف يعرف بشيء من سبق وجوده وجود كل شيء وقال
مريد الشيخ يا استاذ اين الله فقال له اسحقك الله اتطلب مع
العين اين وقد تقدم من هذا المعنى عند قوله شتان بين من
يستدل به او يستدل عليه **عميت عين لا تزال عليها رقيبا**
الحفيظ الرقيب فمن راى الله تعالى رقيبا عليه مطلعا على جميع احواله
ولا يخفى عليه منها شيء استحيى منه وهابه ان يراه على ما يكره منه
وتحقق اذ عصيته مرة فاعصه بموضع لا يراك ومن لم يكن
على هذا الوصف وغفل عن نظر الله تعالى اليه عميت بصيرته
فبارز الله تعالى بانواع القبائح والفضائح من غير اكتراث
ولا مبالاة وقد سئل بعضهم بما يستعين الرجل على حفظ بصره
من المحظورات قال بعلمه بان رؤية الحق سبحانه اسبق من نظره
الى تلك المحظورات وقال الله عز وجل وما تكون في شان وما
تتلوا منه من قران ولا تعملون من عمل الا كنا عليكم شهودا اذ تفيضون
فيه قال الامام ابو القاسم القشيري رضي الله عنه حق فهم بما عرفهم
من

من اطلاعه عليهم في جميع احوالهم ورؤيته لما يستكنونه
من فنون اعمالهم والعلم بانه يراهم يوجب استحياءهم منه وهذا
حال المراقبة فالعبد اذا علم ان مولاه يراه استحيى منه
وترك متابعة هواه ولا يكون حول ما نهاه عنه وفي حديث
عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم افضل ايمان المرء ان يعلم ان الله معه حيث كان
وخسرت صفقة عبد لم تجعل له من حبك نصيبا حب الله
لعبده هو رحمته له وثناؤه عليه واحسانه اليه وحب العبد
لربه عز وجل طاعته وموافقة امره وتعظيمه وهيبته
والحب المضاف الى الكاف في قوله من حبك يحتمل ان يضاف الى
الفاعل والمفعول لان محبة الله تعالى لعبده اصل محبة العبد
له قال الله سبحانه يحبهم ويحبونه فمن اعطاه الله تعالى
من الحب المذكور نصيبا فقد حاز ربح الدارين وفاز بقرة
العين ومن حرمه ذلك فقد خسرت صفقته وبان غبنه
وخيبته في بعض الكتب المنزلة على بعض الانبياء عليهم السلام
يا عبدي انا لك محب فبحقي عليك كن لي محبا وحكي عن بعضهم
انه قال استتربت مملوكة صفتها في شكر الليل وهي تقول
الهي بحبك لي الا ما غفرت لي فقلت لها لا تقولي هكذا ولكن
قولي بحبي اياك فقالت يا سيدي بمحبته اياي من علي بالاسلام
وايقظني لعبادته وكثير من عباده نيام قال زيد بن اسلم
ان الله عز وجل ليحب العبد حتى يبلغ من حبه له ان يقول
له اصنع ما شئت فقد غفرت لك **الهي امرت بالرجوع**
اليك في الاثار فارجعني اليك بكسوة الانوار وهداية

**الاستبصار حتى ارجع اليك منها كما دخلت اليك منها مصون
السر عن النظر اليها ومرفوع الهمة عن الاعتماد عليها
انك على كل شي قدير** الاثار امر العبد بالرجوع اليها
بعد وصوله الى صرح المعرفة وخالص التوحيد هي المكونات
التي تلزمه اذ لا بد له منها حقا ويكون له فيها منفعه وحظه
فسأل الله ان يرجعه اليها على حالة شريفة مضادة للحالة
التي كان عليها قبل السلوك وهي كونه مكسوا بكسوة الانوار
وهي انوار اليقين مؤيدا بهداية الاستبصار وهو
العلم الراسخ المتين فاذا رجع العبد الى الاثار على هذا
الاسلوب والمعيار لم تؤثر فيه ولم تاخذ منه كلما اخذت
منها وكان رجوعه الى مولاه في مال امره في مثل دخوله فيها عليه
في ابتدا امر سلوكه مصون السر عن النظر اليها بعين الاستحسان
مرفوع الهمة عن الاعتماد عليها في نوال او احسان وقد تقدم
هذا المعنى في قوله فان نزلوا الى سماء الحقوق او ارض الحظوظ
**وقال رضي الله عنه الهي هذا ذلي ظاهر بين يديك وهذا
حالي لا يخفى عليك** هذا تطارح منه على مولاه ومبالغة في بث
شكواه وتلطف في سؤال رجاه وبسط لقوة جار جابة الدعا
واستحقاق جزيل العطا وقد قالوا ابواب الملوك لا تفتح
الا بايدي الاستغنا المحتاج وقال بعضهم قلت للنهرجوري لست
اجد في قلبي قوة وقد شاورت فلانا فاشار علي بالصوم
فلم يزل وشاورت اخر فاشار بالسهر فلم يزل فقال النهرجوري
النهرجوري خذ كلبك احفظ الملتزم اذا نام الناس وتضرع وقل

تحيرت

تحيرت في امري فخذ بيدي فقد زالت القوة قال
الشاعر وما رمت الدخول عليه حتى حللت محلة العبد الذليل
واغضيت الجفون على قذاها وصنت النفس عن قال وقيل وذل
العبد لمولاه غاية العز والفخر قال ذو النون المصري ما اعز
الله عبدا بعز هو اعز له من ان يدله على ذل نفسه وما اذل
الله عبدا بذل هو اذل له من ان يحجبه عن ذل نفسه **منك
اطلب الوصول اليك** هذه صفة العارفين المحققين
لا يسبق نظرهم الا الى الله ولا يطلبون الا منه ولا يكون
مطلبهم الا الوصول اليه لا غير **وبك استدل عليك** لا بغيرك
لانك الظاهر قبل وجود كل شي فكان ظاهرا بك فبظهورك خفيت
المظاهر قيل لبعض العارفين بم عرفت ربك فقال عرفت
ربي بربي ولولا ربي ما عرفت ربي وقال ابو القاسم النصرابادي
الاشياء ادلة منه ولا دليل عليه سواه وقال احمد بن ابي الحواري
لا دليل على الله سواه وانما العلم يطلب لاداب الخدمة
فاهدني بنورك اليك وهو نور الايمان واليقين **واقمني**
بصدق العبودية بين يديك حتى اكون ممتثلا لامرك
متذللا لعظمتك **الهي علمني من علمك المخزون** اضافة
العلم الى الله ههنا اضافة تشريف والعلم المخزون هو العلم اللدني
الذي اختزنه عنده فلم يؤته الا المصطفين من اوليائه
كما قال تعالى في شان الخضر عليه السلام وعلمناه من لدنا علما وفي حديث
ابي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان من العلم

كيفية المكنون لا يعلمه الا العلماء بالله فاذا نطقوا به لا ينكره
الا اهل الغرة بالله قال بعضهم هي اسرار الله تعالى يبديها
الى امنائه واوليائه وسادات النبلاء من غير سماع ولا دراسة
وهي من الاسرار التي لم يطلع عليها الا الخواص وقال ابو بكر
الواسطي في قوله تعالى والراسخون في العلم هم الذين رسخوا
بارواحهم في غيب الغيب وفي سر السر فعرفهم ما عرفهم
وخاضوا بحر العلم بالفهم لطلب الزيادة فانكشف لهم من مدخور
الخزائن والمخزون تحت كل حرف وآية من الفهم وعجائب
النكر فاستخرجوا الدرر والجواهر ونطقوا بالحكمة **وصفني بـ**
سر الصون الصون المطلوب هو صيانته عن رؤية الاغيار
بما يتجلى لقلبه من سر الاسرار **وحققني بحقائق اهل**
القرب حقائق اهل القرب هو الفناء في التوحيد والتحقيق
بالتجريد فتسقط في حقهم رؤية الاسباب ويزول عنهم ملاحظة
غيرهم كما هو شأن ستر وحجاب كما قال سيدي ابو الحسن رضي الله
عنه في حزبه الكبير واقرب مني بقدرتك قربا تمحق به عني كل حجاب محقته عن ابرهيم خليلك ثم فلم يحتج لجبريل رسولك
ولا لسؤاله منك وحجبته بذلك عن نار عدوه وكيف لا يحجب عن
مضرة الاعداء من غيبته عن منفعة الاحباب كلا انى اسالك ان
تغيبني بقربك حتى لا ارى ولا احس بقرب شيء ولا ببعده عني انك
على كل شيء قدير **واسلك بي مسالك اهل الجذب**
اهل الجذب هم المحبوبون ومسالكهم في غاية السهولة لا تعب عليهم فيها
بل هي مشقة يجدون اللذة والحلاوة في اعمالهم وذلك من قبل انه
اخذهم

اخرجهم من نفوسهم وتولاهم بكلاءته ورعايته من غير
مجاهدة منهم ولا مكابدة **اللهم اغنني بتدبيرك لي عن**
تدبيري وباختيارك لي عن اختياري واوقفني على مراكز
اضطراري المنفرد بالتدبير والاختيار والمشيئة والاقتدار
هو الله عز وجل فمن كانت له دعوى في شيء من ذلك فقد نازع
الله تعالى في ربوبيته وخلع عن عنقه عبوديته فلذلك
سأله وكله منه ان يغنيه عن تدبيره واختياره وان
يوقفه على مراكز اضطراره ليكون متحققا بوصف نعته
متعلقا بصفات مولاه وقد تقدم هذا المعنى غير مرة
والمراكز مواضع الاستقرار والثبوت وهي استعارة
حسنة **اللهم اخرجني من ذل نفسي** ذل النفس الذي يطلب
الاخراج منه هو ذلها لغير الله تعالى بالطمع والحرص وقد تقدم
هذا المعنى عند قوله ما سبقت اغصان ذل الا على بذر الطمع
وطهرني من شكي وشركي قبل حلول رمسي ان الشك والشرك
هما باعتبار وجود الطمع والحرص الموجبين لوقوع الذل
والهوان وهذه الاوصاف كلها مجانبة لحقائق الايمان
والتوحيد عافانا الله منها والشك ضيق الصدر عند احساس
النفس بامر مكروه يصيبها فاذا ضاق صدره بسبب ذلك اظلم
قلبه وذهابه من اجل الهم والحزن ولهذا نهه منه انما يكون
لوجود ضده وهو اليقين فيه يتسع الصدر وينشرح
ويزول عنه الحرج والضيق وبقدر احتطاط القلب من نور

اليقين يكون انشراح الصدر واتساعه وعند ذلك يجد
القلب الروح والفرح بالله وبفضله وفي الحديث عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم إن الله بقسطه وعدله جعل الروح
والفرح في الرضا واليقين وجعل الهم والحزن في السخط والشك
والشك والشرك تعلق القلب بالأسباب عند غفلته عن
المسبب ونسيانه له فتعلق العبد بالشرك ويكون مصدره
ذلك هيجان الشهوة عند استيلاء الظلمة الشركية على القلب
فيحلو له حينئذ الهوى فيفزع إذ ذاك إلى الأسباب
التي توصل بها إلى بغيته إذ لا يرى غيرها فيرتبك من أجل
ذلك في حبائل الشرك ولمفارقته منه بصيره وهو نور التوحيد
الذي يقذفه الحق تعالى في قلبه ليتمكن بذلك نفسه
وتسكن عن الشره والطيش الذي أصابها وكلما قوي
نور التوحيد في قلبه كان تخلصه من الشرك أكثر فتمنحي منه
الأسباب ويثبت فيه خالص التوحيد فإذا تطهر العبد
من الشك والشرك تولاه الله تعالى بالهداية والتسديد
والمعونة والتأييد وفي أخبار داود عليه السلام أن
الله تعالى أوحى إليه يا داود هل تدري متى أتولاهم
إذا طهروا قلوبهم من الشرك ونزعوا من قلوبهم الشك
إلهي انتصر لي فانصرني وعليك أتوكل فلا تكلني وإياك
أسأل فلا تخيبني وفي فضلك أرغب فلا تحرمني ولجنابك
أنتسب فلا تبعدني وببابك أقف فلا تطردني

تعلق

محمد الضليل

تعلق بالله في كل مطلب من نفوذه المطالب وأضرب عن
الوسائط والأسباب وذلك من تحققه بالتوحيد الذي
سأل من مولاه أن يحققه به بتطهيره من أضداده ومعاني
هذه الكلمات قريب بعضها من بعض قال أبو الحسن علي
بن هند الفارسي اجتهد في أن لا تفارق باب سيدك
بحال فإنه ملجأ الكل فمن فارق تلك السدة لا يرى
بعدها لقدميه قرارا ولا مقاما إلهي تقدس رضاك
أن تكون له علة منك فكيف تكون له علة مني رضى الله
تعالى صفة من صفاته وصفاته قديمة ولذلك امتنع
عليها لحوق العلل والقديم لا يكون مسبوقا بشيء وإذا
كانت صفاته العلية منزهة عن أن تكون لها علة منه فكيف
تكون لها علة من غيره فرضا الله تعالى لا علة له ولا سبب
بل رضاه وسخطه ما سبق أعمال العاملين حسنها وسيئها رضي
عن قوم فاستعملهم بأعمال أهل الرضا وسخط على قوم
فاستعملهم بأعمال أهل السخط قال أبو بكر الواسطي رضي الله
عنه الرضا والسخط نعتان من نعوت الحق يجريان على
الأبد بما جريا في الأزل يظهران الرسمين على المقبولين
والمطرودين تظهرها عليهم فأنى تنفع من ذلك الألوان
المصفرة والأكمام المقصرة والأقدام المنتفخة إلهي أنت الغني
بذاتك عن أن يصل إليك النفع منك فكيف لا تكون
غنيا عني الكلام في الغنى كالكلام في الرضا وكان الموفق

رحمه الله تعالى قصد في مناجاته بهذه الكلمات إلى الاسترضا
والاستعطاف وطلب المسامحة والتجاوز عن أعماله المدخولة
وأحواله المعلولة وذكر من أحسن المقاصد للداعي إلهي
إن القضاء والقدر غلبني وإن الهوى بوثائق الشهوة
أسرني فكن أنت النصير لي حتى تنصرني وتنصر بي وأغنني
بفضلك حتى أستغني بك عن طلبي بعد الاعتذار والاعتراف
والله تعالى أكرم أن يرد عذر من اعتذر إليه أو يخيب
أمل من اعترف بذنبه واقترب لديه يقال إن العبد يبتهل
إلى الله تعالى في الاعتذار والله سبحانه يقول له عبدي لو لم
أقبل عذرك لما وفقتك للاعتذار وقال الكتاني لم يفتح الله
لسان المؤمن بالمعذرة إلا ليفتح باب المغفرة فلا جرم لما
وثق بذلك وقوي رجاؤه فيه طلب منه النصرة له على أعدائه
ولم يقتصر على ذلك بل أضاف إليه طلب النصرة به لتكون تلك
النصرة بسببه وعلى يديه كما قال سيدي أبو الحسن واجعلنا سبب
الغنا لأوليائك وبرزخا بينهم وبين أعدائك ثم لم يقنع
بذلك حتى طلب منه أن يغنيه بما يستغني به عن الطلب منه وهو
ما يوليه من فضله العظيم وكرمه الجسيم وهذه هي غاية السعادة
كما قال سيدي أبو الحسن والسعيد حقا من أغنيته عن السؤال منك
أنت الذي أشرقت الأنوار في قلوب أوليائك حتى
عرفوك ووحدوك وأنت الذي أزلت الأغيار عن قلوب
أحبابك حتى لم يحبوا سواك ولم يلجؤوا إلى غيرك أنت المؤنس
لهم حيث أوحشتهم العوالم بسبب ايحاشه العوالم لكونهم ما هي
عليه

عليه من الفاقة والافتقار والحاجة والاضطرار فكل واحد
منها جالب للنفع كما لا يخلو من كمال نقصه وعرفانه والله
تعالى غني حميد عزيز مجيد وهو مع ذلك لطيف بعباده عطوف
عليهم متودد إليهم رؤوف بهم فلما شهدوا هذه الحالة مشاهدة
يقين ومعاينة باستشهاده إياهم لم يتمالكوا أن أحبوه وأووا
إليه وقصروا هممهم عليه وجعلوه معتمد أنسهم وبذلك نالوا جنتهم
فحصلوا إذ ذاك على غاية النعيم وفازوا بالحظ العظيم قال
ذو النون المصري بينما أنا أسير في بعض البوادي إذ لقيتني
امرأة فقالت من أنت فقلت رجل غريب فقالت وهل توجد
مع الله أحزان الغربة وكتب مطرف بن عبد الله بن الشخير إلى عمر
بن عبد العزيز رضي الله عنهم وليكن أنسك بالله وانقطاعك
إليه فإن لله عبادا استأنسوا بالله فكانوا في وحدتهم
أشد استئناسا من الناس في كثرتهم وأوحش ما يكون
الناس آنس ما يكونون وآنس ما يكون الناس أوحش ما يكونون
وأنت الذي هديتهم حيث استبانت لهم المعالم لما تولى
الله تعالى بعد إيثاقهم إلى طريق التوحيد والمعرفة أبان علامات
ذلك ودلائله فعند نظرهم في تلك العلامات والدلائل انشرحت
صدورهم بأنوار الإيمان واليقين فلم يتداخلهم شك ولا خالطهم
ريب والمعالم جمع معلم وكأنه عرض في هذه الكلمات بالمطالب التي
يحصل له بها يستغني عن الطلب وهو إشراق الأنوار في قلبه وإزالة
الأغيار عن سره وإيناسه له وهدايته إياه وهذه الأربعة
مطالب متضمنة لأسنى الرغائب ماذا وجد من فقدك وما الذي

فقد من وجدك قد تقدم بغير ما مهده ان مطويه الله تعالى
عدم وظلمة وان الوجود الحق والنور المحقق انما هو الله
عز وجل فاذا كان الامر على هذا صح ما قاله البرلي رحمه الله ههنا
وكان حقا لا مرية فيه قال ابو علي الروذباري سالني ابو بكر
الدقاق رحمه الله فقال يا ابا علي لم ترك الفقرا اخذ البلغة
في وقت الحاجة فقلت لانهم مستغنون بالمعطي عن العطا فقال
نعم ولكن وقع لي شي اخر فقلت هات افدني ما وقع لك فقال
لانهم قوم لا ينفعهم الوجود اذا اراد الله فاقتهم ولا تضرهم
الفاقة اذا اراد الله وجودهم وكان ابو حمزة البغدادي رضي الله
عنه يقول في مناجاته اللهم انك تعلم اني عند افقر خلقك فان كنت
تعلم ان فقري اليك يمنعني عن غيرك فلا تسد فقري لتحجب
من رضي دونك بدلا وانت خير من بغى عنك متحولا هذا بيت
وهو مبني على ما تقدم الان من الكلام ورؤي الشبلي في المنام
بعد وفاته فقيل له ما فعل الله بك فقال لم يطالبني بالبراهين
على الدعاوي الا على شي واحد قلت يوما لا خسارة اعظم من
خسارة الجنة ودخول النار فقال واي خسارة اعظم من
خسران لقائي وفي معناه انشدوا ٠ سهر العيون لغير
وجهك باطل ٠ وبكاؤهن لغير فقدك ضايع ٠ وقال بعضهم
كان عندنا رجل فمكث عندنا ثلث عشرة سنة يصلي كل يوم الف
ركعة حتى اقعد من رجليه فاذا صلى العصر حتى واستقبل القبلة
ثم قال عجبت للخليقة كيف ارادت بك بدلا بل عجبت للخليقة
كيف

سار بمعني

وليلة

كيف استانست بسواك ثم سلكت الى المغرب كيف يرجى
سواك وانت ما قطعت الاحسان وكيف يطلب من
غيرك وانت ما بدلت عادة الامتنان هذا تعجب ممن
كان على هذا الوصف وهو انجب من كل عجب والمعنى في ذلك بين
يا من اذاق احباءه حلاوة مؤانسته فقاموا بين يديه
متملقين التملق هو التكلم اللاطف في التودد وترتيبه
على ذوقهم لحلاوة مؤانسته بين يديه ويا من البس اوليائه
ملابس هيبته فقاموا بين يديه بعزته متعززين
متعززين بعزته هو رفع همتهم عن تعلقها بغير الله
ترفعا وتاثرا عليها وثقة منهم به وذلك عن البسهم ملابس
هيبته حتى لم يرها بواعد غيره ولم يعلقوا قلوبهم الى سواه
ولذلك قالوا المعرفة حقر الاقدار سوى قدره ومحو الاذكار
سوى ذكره وقال بعض المشايخ اذا عظم الرب في القلب صغر
الخلق في العين وقيل في معنى قوله تعالى تعز من تشا قال بان
يكون ذكرك معك بين يديك انت الذاكر من قبل الذاكرين
وانت البادي بالاحسان قبل توجه العابدين وانت
الجواد بالعطا من قبل طلب الطالبين وانت الوهاب
ثم انت لما وهبتنا لنا من المستقرضين الحق تعالى له الاولية فيما
ذكرنا قال ابو يزيد غلطت في ابتدا امري في اربعة
اشيا توهمت اني اذكره واعرفه واحبه واطلبه فلما انتهيت
رايت ذكره سبق ذكري ومعرفته تقدمت معرفتي ومحبته

الله من محبته وكلية لى او لاحق للمحبة فاذا كانت له الاولية فى
ذلك لم يبق للعبد وسيلة يتوسل بها سوى فضله وكرمه وهما
يوافق ما ذكره المؤلف رحمه الله ما حكي عن الجنيد رضي الله عنه
فى مناجاته يا ذاكر الذاكرين بما به ذكروه ويا بادي العارفين
بما به عرفوه ويا موفق العابدين لصالح ما عملوه من ذا الذي
يشفع عندك الا باذنك ومن ذا الذي يذكرك الا بفضلك واقتراض
الرب من عبده ما وهبه له غاية فى ترفيعه لقدره وابانة لشرفه
ووعده مع ذلك جزيل الثواب عليه فانه نهاية فى اكرامه
وتفضله عليه قال بعضهم مثل ذلك مثل من اشترى منكم ما ملككم
ليثبت لكم معه نسبته ثم استقرض منكم ما اشتراه ثم وعدكم
عليه منه العوض اضعافا بين فيه ان نعمه وعطاياه بعيدة ان
ان تكونا مشوبتين بالعلل الهي اطلبني برحمتك حتى اصل
اليك واجذبني بمنتك حتى اقبل عليك لا سبيل للعبد
الى وصوله الى الله تعالى الا برحمته فلذلك طلب منه ان يطلبها
ولا يتأتى له الاقبال اليه الا بمنته فلذلك طلب منه ان يجذبه
اليه بها وذلك لتحقق الاولية التي ذكرناها قبل الهي ان رجائي
لا ينقطع عنك وان عصيتك كما ان خوفي لا يزايلني وان
اطعتك الخوف والرجاء لا ان يتعاقبان على قلب العبد
ولا يعتدالهما وحتر اتهما هو المطلوب سواء كان العبد فى طاعة
او فى معصية وقد مثلوا ذلك بكفتي الميزان وجناحي الطائر
وهذا من اعلى مشاهدة العارفين والاولياء وذكرهم ت

مشاهدهما

مشاهدهما عندهم انما هو شهود الصفات المخوفة والمرجوة
وصفات الله تعالى لا تفاوت فيها فكذلك مشاهدتها
لا تفاوت فيها فان وقع فيها تفاوت كانت مشاهدته ناقصة
واحواله معلولة فلذلك يتصور وجود كمال الخوف مع
عمل العبد بالطاعة وغلبة الرجاء مع ارتكابه للمعصية كما وصف
به المؤلف رحمه الله نفسه قال يحيى بن معاذ رضي الله عنه
رجائي لك مع الذنوب يغلب رجائي لك مع الاعمال لاني
اجدني فى الاعمال اعتمد على الاخلاص وكيف احرزها وانا
بالآفة معروف واجدني فى الذنوب اعتمد على عفوك وكيف
لا تغفرها وانت بالجود موصوف وقد تقدم من كلام
المؤلف رحمه الله من علامة الاعتماد على العمل نقصان
الرجاء عند وجود الزلل ومن دعاء سيدي ابي العباس رضي
الله عنه الهي معصيتك نادتني بالطاعة وطاعتك نادتني
بالمعصية ففي ايهما اخافك وفي ايهما ارجوك ان قلت
بالمعصية قابلتني بفضلك فلم تدع لي خوفا وان قلت بالطاعة
قابلتني بعدلك فلم تدع لي رجاء فليت شعري كيف ارى
احساني مع احسانك وكيف اجهل فضلك مع عصيانك
ومن كلام سيدي ابي الحسن رضي الله عنه العامة اذا
خوفوا خافوا واذا رجوا رجوا والخاصة متى خوفوا رجوا
ومتى رجوا خافوا قال فى لطائف المنن ومعنى كلام الشيخ
هذا ان العامة واقفون مع ظواهر الامر فاذا خوفوا

خافوا اذ ليس لهم نفوذ الى ما وراء العبارة بنور الفهم
كما لاهل الله واهل الله اذا خوفوا رجوا لما يعلمون ان من
ورائه خوفهم وما به خوفوا وما هو المرجو الذي لا ينبغي
ان يقنط من رحمته ولا ان يؤمن مكره فاحتاط العامل وخاف
كرمه علما منهم انه ما خوفهم الا ليحضهم عليه وليردهم
بذلك اليه واذا رجوا خافوا غيب مشيئته الذي من وراء
رجائهم وخافوا ان يكون ما ظهر من الرجاء اختبارا لهم
هل تتورع كما هو الرجاء تنتقل الى خوف ما يجد من مشيئته
فلذلك اشتمال الرجاء خوفهم الهي قد دفعتني العوالم
اليك انما دفعته العوالم اليه لما تضمنته من السمات الموحشة
كما تقدم من القول حيث سمتها الا وحشة مع الله ولا راحة
مع غير الله وفي هذا المعنى انشدوا يا قرة العين سل عيني هل
اكتحلت بمنظر حسن مذ غبت عن عيني وقد اوقفني
بكرمك عليك اذ الكريم لا تتخطاه امال المؤملين
ولا يتوجه لغيره الطلبات الكاملين الهي كيف اخيب
وانت املي ام كيف اهان وعليك متكلي كما تعلق
بالله وتوكل عليه استبعد ان يخيب امله او يناله هوان
يرده الهي كيف استعز وفي الذلة اركزتني ام كيف
لا استعز واليك نسبتني الهي كيف لا افتقر وانت
في الفقر اقمتني ام كيف افتقر وانت الذي بجودك اغنيتني
تلونه في هذه الاوصاف المتضادة لما يغلب عليه من مشاهدة
ما

ما يوجبها والذلة المثبتة فيها هي سر الخصوصية والاقتصاد
بمعنى الذلة والاستغناء مثل العزة قال بعضهم رايت
ذلهم ذي ذل فزاد ذلي ذلهم ونظرت في عزهم
ذي عز فزاد لي عزي على عزهم وقال الشبلي
لقد ذللت حتى ذل في ذلتي كل ذل وعززت حتى
ما تعزز احد الا بي ولحق به تعززت انت الذي
لا اله غيرك تعرفت لكل شي فما جهلك شي وانت
الذي تعرفت الي في كل شي فرايتك ظاهرا في كل شي
فانت الظاهر لكل شي هذا الكلام قد تقدم معناه ولفظه
في كلام المؤلف في غاية الكمال والتمام والحاصل منه
ان الظهور التام لله تعالى بكل اعتبار ثم انه عبر
هنا عن ذكره بعبارة اخرى ذكرها فيما تقدم وهو قوله
يا من استوى برحمانيته على عرشه فصار العرش
غيبا في رحمانيته كما صارت العوالم غيبا في عرشه
اشار بهذا المعنى قوله تعالى الرحمن على العرش استوى
وقوله تعالى ثم استوى على العرش الرحمن ورحمانية
الله تعالى كونه رحمانا والرحمن اسم لله تعالى يقتضي
وجود كل موجود وهو مشتق من الرحمة والرحمة ههنا هي
الرحمة العامة التي وسعت كل شي كما وسع علمه كل شي في قوله
تعالى مخبرا عن حملة العرش اذ قالوا ربنا وسعت كل شي
رحمة وعلما ولذلك دخل تحت مقتضى اسمه الرحمن جميع

اسمائه تعالى الايجادية وبظهورها معنى الاستواء القهر
والغلبة ومقتضاهما في حق الله تعالى ان لا يكون لغيره
وجود مع وجوده ولا ظهور مع ظهوره فالاجرام كما كانت
الحق سبحانه مستويا برحمانيته على عرشه الذي العوالم
كلها في طيه فلا ظهور اذن للعرش والعوالم دونه وانما
الظهور التام لله عز وجل محقت الاثار بالاثار
كما بين العوالم العرش ومحوت الاغيار بمحيطات
افلاك الانوار كما بين العرش والرحمانية ومحيطات
افلاك الانوار هي اسماء الله تعالى الحسنى والله اعلم
يا من احتجب في سرادقات عزه عن ان تدركه
الابصار عزة الله تعالى اقتضت كون كل ما سواه محجوبا
عن رؤيته الله عز وجل فان العزيز معناه المنيع الذي
لا يوصل اليه يقال حصن عزيز اذا تعذر الوصول
اليه وقيل العزيز الذي لا يرتقى اليه وهم ولا يعاني
تقديره ولا يسمو الى صمديته فهم قصد الى تصويره
وقيل العزيز من ضلت العقول في بحار تعظيمه وحارت
الالباب دون ادراك نعته وكلت الالسن عن استقصاء
مدح جلاله ووصف جماله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك وذكر المراد فا
مضافة الى عزه واحتجابه فيها مجاز حسن يا من تجلى
بكمال بهائه فتحققت عظمته الاسرار كمال بهائه هو محاسن
صفاته وبهائه فبظهور ذلك وتجليه بها تحققت عظمته

استيفاء

اسرار

اسرار العارفين كيف تخفى وانت الظاهر ام كيف تغيب
وانت الحاضر والله اعلم الموفق وبه نستعين هذا
كله بين لا اشكال فيه وقد تقدم معناه غير ما مر
من كلام المؤلف رحمه الله تعالى وقد نجز بحمد الله
ما اردناه وبلغنا الغرض الذي قصدناه ولا حول لنا
في ذلك الا بالله وبذلك يتبين ما مضى في بداية الكتاب
والله تعالى الهادي الى الصواب وقد تقدم في اول
هذا التنبيه انا اقتصر فيه الا هذا المعنى ولم نلتزم
كون ما ذكرناه فيه صحيح المنزع حتى يحتاج الى نصب الادلة
والبراهين على ما ادعيناه فيه وانما غايتنا ذلك على سبيل
حكاية مذهب من المذاهب يتلمح له ذلك ان يصحح
او يبطله ان اراد وما وقع فيه من نوع احتراز عن
طلب من المطالب فانا في ذلك متبرع فان صح ذلك
الدليل فهو المطلوب وان بطل لم يلزم من بطلانه
بطلان المدلول وبقي المذهب قابلا للتصحيح والابطال
من غير ان تتوجه علي مطالبة بذلك والذي حملني على
سلوك هذا السبيل فيه من وجدان السلامة لي من الخطر
الذي يتعرض له كل من يتكلم على طريق التصوف ممن
لا تحقق له فيه ويدعي صحة ما ينكره بعقله وفهمه وينسب
ذلك الى القوم ولعل شيئا من ذلك لا يصح عنه فيكون
بذلك مفتريا كذابا عليهم وفيه من سوء الادب معهم

والتقدم بين ايديهم مالا يقوم له شيء وعند ذلك يكون
الخرس والبكم وذهاب الحس والحركة اولى به واحمد
عاقبة له لتخلصه بذلك من شر لسانه وبنانه ثمرات
ما قصدناه من ذكره لا يمنع حصول الفايدة لمن
اراده الله تعالى بها ووفقه لها فعلى العبد ان يعمل
على خلاص نفسه ولا يلزمه ابتغاء مرضات غيره فقد
قيل رضا الناس غاية لا تدرك ونحن نرغب الى من وقع
بيده هذا التاليف ونظر فيه خطا او تحريف ان يصلح
منه ما الفاه مختلا وان يتبجح من الاعتذار بمنه الطريقة
المثلى وان يجهد له ان يقع في ذلك لنا لينا بتضمن
تنبيهنا وتعريفنا بذلك من المذاهب التي ترضي ومما لم
يزل من شان من قد مضى ونحن نستغفر الله تعالى
مما يعلمه منا من التعدي والجراة فيما تعرضنا له من — مما وقع صح
بيان كلام الاولياء الراسخين من العلما وتقرير
عباراتهم واشاراتهم من غير اطلاع منا على كنهها
ولا بصيرة فيها ونستغفره ايضا مما قد منا عليه من
اظهار ما ستروه واعلان ما اسروه ونستغفره
ايضا مما وقع منا فيه من ذكر احوال الاولياء
ومقاماتهم وتحريفنا على سلوك طريقتهم المستقيم
مع افلاسنا من جميع ذلك وعدم اختصاصنا بنايه ونسأله
مع ذلك ان لا يؤاخذنا بما انطوت عليه ضمايرنا واكنته

سرايرنا

سرايرنا من انواع القبايح والمعايب التي يعلمها
منا ولا نعلمها ولا تسمح نفوسنا بالتنقي منها
والتنزه عنها اعتدادا منا بحلمه وامتهانة بنظره
وعلمه ونرغب اليه جل وعلا ان يمن بتوبة تمحوا — علينا
عنا كل حوبة انه المرجع والمآب وهو الكريم
الوهاب وكان الفراغ من هذه النسخة
الكريمة نهار الجمعة من شهور سنة — من شهر ذي القعدة
ثمانين وتسعمائة من الهجرة النبوية
على يد الفقير الحقير الذليل الراجي
عفو ربه الفرد الصمد الفقير احمد
بن الحوراني [illegible] الساكن بتومبيو
ببرية القرى غفر الله له ولوالديه
ولجميع المسلمين وصلى الله على سيدنا
محمد واله وصحبه اجمعين صلاة وسلاما
دائمين الى يوم الدين

يا من غدا ناظرا فيما كتبت وقد فيما كتبت يكدر التكدر
سالتك الله ان عاينت لي خطا فاستر علي فخير الناس من سترا
اللهم صلي على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

هذه النقصه كمالت الدعا حتى تنقلب اعدائنا عنا خائبين خاسئين
داخرين صاغرين لم ينالوا معنى تحقيق ارادتهم فينا
مطلبا ولم يبلغوا من عدم اسعافه ايانا بما طلبناه منه
مارباً وان يشمل متعنا فى ذلك كل من امّنَ على هذا الدعا
حين سمعه ودعالنا بمثله من اخواننا المسلمين ونتوسّل
اليه فى بلوغ هذا الامل والوصول الى المبتغى الاجلّ بمن صرفنا
به عن كل تولى كل جحود وكفور واخرجنا على يديه من
الظلمات الى النور سيدنا ومولانا محمد خاتم النبيين وامام
المرسلين وحبيب رب العالمين صلى الله عليه وعلى
اله الطيبين الطاهرين واصحابه البررة
الاكرمين وتابعيهم باحسان
الى يوم الدين وسلم
تسليما كثيرا والحمد
لله رب العالمين
امين